المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد ، فإنّ القرآن الكريم هو المصدر التشريعى الأول فى الإسلام ، والسنة هى المصدر الثانى ، لأنها مبينة له ، مفصلة لأحكامه ، مفرّعة على أصوله ، وهى التطبيق العملى للإسلام على يد رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم ، دان المسلمون لأحكامها من لدن الرسول الكريم إلى يومنا هذا ، وستبقى إلى جانب القرآن مصدر الأحكام ، ومعين الآداب والأخلاق ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، فقد كان التمسك بهما سرّ نجاح الأمة الإسلامية ، وتقدمها ، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ، « تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا : كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي » .

ولكنه لم يرق لأعداء الإسلام قديماً وحديثاً ، أن يروا ازدهار الأمة الإسلامية وتقدمها ، فعملوا على هدم أسس الإسلام ، وتشكيك المسلمين فى دينهم ، وكان من الصعب أن ينالوا من القرآن الكريم ، فوجهوا سهامهم إلى السنة ، وحاولوا تشويهها ، فوضعوا الأحاديث ، وطعنوا فى بعض الصحيح منها ، واتهموا بعض الرواة الثقات ، ولكن هذا لم ينل من السنة أمام يقظة الأمة وعلمائها الذين ذبّوا عنها وحافظوا عليها .

وسلك أعداء الإسلام سبلا مختلفة لإنكار السنة جملة بعد التشكيك فيها ،

فادعى بعضهم أن السنة أهملت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم أكثر من قرنين إلى أن جمعها بعض المصنفين فى كتب السنن فى القرن الثالث الهجرى ، فلم تحفظ كالقرآن الكريم منذ ظهور الإسلام ، ولهذا تسرّب إليها الوضع ، وأصبح من الصعب تمييز الحديث الصحيح من الموضوع . . . ! ! وادعى بعض المستشرقين أن جانباً من الحديث قد وضعه الفقهاء ليدعموا مذاهبهم الفقهية ! ! ! وادعى آخرون أن السنة كانت أحكاماً مؤقتة لعصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصبحت الآن عديمة الجدوى ، وتسربت هذه الفكرة إلى بعض البلاد الإسلامية ، وأخذت شكلا منظما ، فظهر فى الهند جماعة تنادى بعدم الاحتجاج بالسنة ، سمت نفسها (أهل القرآن) ، وألفت كتباً ورسائل كثيرة لنشر أفكارها[1] .

وفى رأى هؤلاء جميعاً أن السنة لم تعد صالحة لأن تكون مصدراً تشريعياً ، وأنه يتعيّن لفهم الإسلام الاكتفاء بما جاء فى القرآن ، وبخاصة أنه بمقدور العقول النيرة أن تفهمه ، كما فهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ! ! !

هذه بعض دعاوى أعداء الإسلام ، الذين أرادوا من ورائها إبعادَ المسلمين عن دينهم ، وخلخلةَ العقيدة فى نفوسهم ، ليتمكنوا من نشر مبادئهم فى بلادنا الإسلامية الطيبة ، والسيطرة عليها مادياً بعد السيطرة عليها فكريا ، ومما يؤسف له أن بعض شبابنا الذين لم يُتح لهم أن يتثقفوا بثقافة الإسلام قد اعتنقوا هذه الأفكار التى تخدم أعداءنا ، وتفرقُ صفوفنا ، فى وقت نحن أحوج ما نكون فيه إلى التمسك بما جاء فى السنة من أحكام وأخلاق وآداب وتوجيه وإرشاد ، كما تعتز الأمم بتراثها وتفخر به ، ويشهد المنصفون من علماء الأمم الأخرى

---

(١) انظر مقالة تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للعلامة السيد سليمان الندوى رحمه الله .

بعظمة تراثنا التشريعى ، فكيف يتنكر له بعض المسلمين ، ونحن أحوج ما نكون إلى التمسك به ، بعد أن عانى المسلمون وطأة الاستعمار فترة طويلة ، وذاقوا مرارة التفرقة والهوان ، بعد أن كانوا سادة العالم .

نحن — فى نهضتنا — بحاجة إلى الرجوع إلى شريعتنا ، إلى قرآننا وسنة رسولنا ، بعد أن حطمنا القيود ، ونفضنا غبار الجهالة ، ومزقنا عصابة العماية عن العيون ، فلابد لإتمام تحررنا من أن نتخلص من هذه الأفكار التى تسربت إلى صفوفنا ، وحملها بعض إخواننا وأبنائنا ، سواء أكان هذا عن حسن نية منهم أم عن سوء نية ، لأنها تخدم أعداءنا الذين لايسرهم اجتماعُ كلمتنا وسعادتنا.

ولما كانت السنة مبينة للقرآن الكريم ، ولا يمكن الاستغناء عنها ، ولما كان الواقع فى حفظ السنة يخالف ما أدعاه المغرضون — كان لا بد من تناول السنة بدراستها وبحث تاريخها ، وقد بين الأصوليون وبعض المحدثين مكانة السنة من التشريع الإسلامى ، وبقى أن تُبيّن الحقيقة التاريخية للسنة وكيف اعتنى السلف الصالح بها وحفظها ونقلها قبل أن تصلنا فى كتبها المشهورة .

وقد رأيت أن أتناول هذا الجانب من البحث فى فترة ما قبل التدوين ، وأقصد بالتدوين هنا التدوين والتصنيف المشهور ، الذى كان فى مطلع القرن الهجرى الثانى تمشيا مع عرف علماء الحديث ، والذى يعود الفضل فيه إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فليكن هذا هو التدوين الرسمى ، ذلك لأنه قد ثبت تدوينُ جانب من السنة فى عهده صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة .

تلك أسباب لاختيار هذا الموضوع ، وسبب آخر هو أنه لم يسبق لأحد أن بحث كيف اجتازت السنة تلك الحقبة بحثاً دقيقاً وافيا ، إنما كان بحث السلف فى هذه الناحية لا يعدو ذكر لمحات عن تلك الحقبة ، لاقتناعهم واقتناع المسلمين بأن

السنة قد حفظت على أحسن وجه ، بفضل حفاظها وعلمائها ، لهذا توزعت مادة البحث فى مراجع كثيرة ، فى كتب الحديث وشروحها ، وكتب مصطلحه وعلومه ، وفى تراجم الرواة ، وكتب التاريخ والأصول وغيرها . وإذا كانت هذه النتف تشكل معظم مادة الموضوع ، فإنها لا تعطى — كما هى — صورة كاملة عن حقيقة السنة وحفظها آنذاك .

هكذا أقدمت على دراسة السنة فى تلك الفترة ، من خلال أمهات المصادر ، المخطوط منها والمطبوع ، قديمها وحديثها ، ويممت شطر أمهات دور الكتب العامة والخاصة ، فى دمشق وحلب والقاهرة . . ورجعت إلى مخطوطات نادرة ، كما صورت بعض المخطوطات من البلاد التى لم تتيسر لى زيارتها ، فكان البحث شاقا من جهة ، ويتطلب الدقة من جهة أخرى ، واضحاً حيناً ، ومعقداً أحياناً ، ومع هذا تابعت البحثَ بروح علمية ، يحدونى الصبر ، وتملأنى ومَضاتُ الأمل . وكان لإشراف فضيلة الأستاذ **على حسب الله** وتشجيعه — أثر طيب فى إخراج هذا الموضوع بثوب جديد ، يصور السنة فى تلك الفترة تصويراً دقيقاً ، من حيثُ عناية الأمة بها وحفظها ، والاهتمام بنقلها ، والتثبت فى روايتها على أسلم القواعد العلمية ، وكتابتها ونشاط العلماء فى تبليغها ، وحرصهم على صيانتها ، وعوامل انتشارها ، ودراسة الأسباب التى كادت تسىء إليها ، وجهود العلماء فى سبيل حفظها .

وقد تعرضت لكثير من الشبهات والآراء ، وناقشتها ، ورددت عليها ، وبينت وجه الحق مدعماً بالأدلة والبراهين ، فكان الموضوع فى تمهيد وخمسة أبواب وخاتمة .

التمهيد ، وفيه :

أولا : التعريف بالسنة لغة وشرعا .

ثانيا : موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم .

الباب الأول : السنة فى العهد النبوى .

وفيه تحدثت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو معلم ومرب ، وبينت موقفه عليه الصلاة والسلام من العلم ، ومنهجه فى التبليغ ، وتعليم أصحابه رضى الله عنهم ، وكيف كان الصحابة يتلقون السنة عنه عليه الصلاة والسلام ، ثم ختمته بانتشار السنة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

الباب الثانى : السنة فى عصر الصحابة والتابعين ، وفيه فصلان :

الفصل الأول ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تأسى الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بسنته .

المبحث الثانى : احتياط الصحابة والتابعين وورعهم فى رواية الحديث.

المبحث الثالث : تثبت الصحابة والتابعين فى قبول الحديث .

المبحث الرابع : كيف روى الحديث فى ذلك العصر باللفظ أم بالمعنى؟

الفصل الثانى ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : النشاط العلمى فى عصر الصحابة والتابعين .

المبحث الثانى : انتشار الحديث فى عصر الصحابة والتابعين .

المبحث الثالث : الرحلة فى طلب الحديث .

الفصل الثانى : بعض أعلام الرواة من التابعين :

١ — سعيد بن المسيب . ٢ — عروة بن الزبير .
٣ — محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ٤ — نافع مولى ابن عمر .
٥ — عبيد الله بن عبد الله . ٦ — سالم بن عبد الله بن عمر .
٧ — إبراهيم النخعى . ٨ — عامر الشعبى .
٩ — علقمة النخعى . ١٠ — محمد بن سيرين .

وقد يتبادر للوهلة الأولى أنه يمكننا الاستغناء عن الباب الخامس ، بما جاء فى كتب التراجم ، ولكنى رأيت من الأهمية بمكان أن أدرس بعض رجال الحديث من الصحابة والتابعين ، لأقدم نموذجاً عظيما عن القلوب الواعية التى حفظت السنة ، والأيدى الطاهرة التى نقلتها بأمانة وإخلاص ، على أسلم قواعد التثبت العلمى ، وبخاصة أن بعض أهل الأهواء والمستشرقين ، كانوا قد طعنوا فى مشاهير الرواة منهم . فرأيت إتماما للبحث أن أفند طعونهم وافتراءاتهم حين أترجم لهم ، وأبين الحق من الباطل ، بعد أن أصبحت أمهات كتب تراجم رجال الحديث فى عصرنا نادرة جداً ، وقد يعسر على طلاب العلم الرجوع إليها ، فرجح عندى الإقدام على ضم هذا الباب إلى الموضوع ، وبهذا أكون قد بينت حياة السنة فى هذه الحقبة ، ودرست مشاهير حفاظها ونقلتها .

وكانت الخاتمة خلاصة عامة للبحث .

وإنى لأرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت لعرض الموضوع بشكل يحقق الغاية منه ، فإنى لم آلُ جَهدا ، ولم أدخر وُسعاً للوصول إلى الحقيقة ، وأنا مع هذا لا أدعى الكمال فى بحثى ، وكل ما قمت به لا يعدو محاولة علمية لدراسة السنة وتاريخها فى فترة معينة على منهج علمى يسهل الرجوع إليه .

وأسأل الله عز وجل أن يوفق الأجيال إلى دراسة الشريعة الإسلامية الخالدة ، وفهمها وتطبيقها ، وأن يجمع العرب والمسلمين جميعاً على كتاب الله وسنة رسوله ، لنهتدى بهديه ، ونعيد للعالم نضارته ، ونحقق سعادته ، كما حققها أسلافنا العظام .

وأخيراً أشكر فضيلة أستاذى المشرف ، الذى شملنى بعطفه وتوجيهاته ، مع كثرة واجباته وتبعاته ، وضيق وقته ، كما أشكر كل من ساعدنى من أساتذتى وإخوانى ، وسهل مهمتى .

وختاما أرجو كل من يطلع على هذا البحث فيجد ما يحتاج إلى تعديل أو تبديل ، أن يفيدنى بما عنده ، والله أسأله الرشاد والسداد .

* * *

٢٩ جمادى الأولى ١٣٨٢ هـ
٢٨ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٦٢ م

محمد عجاج الخطيب

تمهيد

- التعريف بالسنة لغة وشرعاً ...
- موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم .

ختم الله عز وجل رسالات السموات العلا إلى الأرض ، برسالة الإسلام ، فبعث محمداً صلى الله عليه وسلم رسولا هادياً ، مبشراً ونذيراً ، « وداعياً إلى اللهِ بإذنهِ وسراجاً منيراً »[١] .

ونبأه بذلك عام ٦١٠ من ميلاد عيسى عليه السلام بعد أربعين سنة من مولده صلى الله عليه وسلم ، فشرفه الله عز وجل بحمل الرسالة السامية الخالدة ، إلى الناس كافة « قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إنى رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الذى لهُ ملكُ السَّموات والأرضِ ، لا إلهَ إلا هوَ يُحيي ويُميتُ ، فآمنوا باللهِ ورسولِهِ النبيِّ الأميِّ الذى يُؤمنُ باللهِ وَكلماتِهِ واتبعُوه لعلَّكُم تَهتَدون »[٢] . وأمره أن يبلغ أحكام الإسلام وتعاليمه فقال « يَأَيُّها الرسولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ من ربِّكَ ، وإنْ لَمْ تَفعلْ فما بَلَّغتَ رِسالتَهُ ، واللهُ يعصِمُكَ منَ النَّاسِ ، إنَّ اللهَ لا يهدى القومَ الكافرين »[٣] .

وأمره أن يدعو أهله وعشيرته إلى الإسلام فقال : « وأَنْذِرْ عشيرَتَكَ الأقربين ، واخفِضْ جناحَكَ لِمَنِ اتبَعَكَ مِنَ المُؤمنين »[٤] . ليهدى قومه إلى سبيل الرشاد ، فيحملوا عبء تبليغ الرسالة إلى الأمم الأخرى ،

---

(١) ٤٦ : الأحزاب
(٢) ١٥٨ : الأعراف
(٣) ٦٧ : المائدة
(٤) ٢١٤ و ٢١٥ : الشعراء

فيكون لهم شرف المبلغ الهادى ، ويخلد اسمهم أبد الدهر كما أراد الله للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وللأمة العربية التى انطلقت تحرر العالم من الظلم والطغيان ، وتوجه مركب الإنسانية إلى شاطىء السلام ، وتخرجه من الظلمات إلى النور سالكة سبيل الهداية والحق . بعد أن تنكب الناس الصراط المستقيم ، وتخبطوا فى غياهب الجهالة والضلال . تتقاذفهم أمواج الأهواء كما تشاء ، وتحملهم لمعاصير الجبابرة كالهباء .

إلا أنّ هداية العرب لم تكن سهلة ، بل تحمل الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فى سبيلها المشاقّ الكثيرةَ ، وأوذى فى جسمه وماله وأهله وأصحابه ووطنه ، وكان يدعو ليلا ونهاراً وسراً وإعلاناً ، ويسأل الله السداد والرشاد ، متطلعاً إلى هداية قومه ليحملوا الرسالة ويؤدوا الأمانة .

لقد أُوحى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقومه على دين آبائهم ، وثنية وأصنام ، يسودهم النظام القبلى ، وتربط بينهم صلة القرابة والدم ، لا يحكمهم نظام عام ، بل يخضعون للعادات والأعراف ، يدفعهم الشرف والمفاخرة بالأنساب إلى المنافسة فى المكارم والمروءات ، يعيشون فى حلقة القبيلة والأسرة ، فى إطار الجزيرة العربية .

وكان لهذا أثر بعيد فى صفاء نفوسهم ومحافظتهم على أمجادهم وعاداتهم ، وتفانيهم فى سبيل مثلهم الأعلى ، حتى كانوا يسرفون فى ذلك ، فهم كرام يبذلون ما يستطيعون للضيف ، فيبلغون فى ذلك حد الإسراف .

ويأبون العار ولو أدى بأعز ما لديهم إلى الردى ، ولهذا وأدوا بناتهم خشية الفقر والزلل . ويحبون تحقيق الأمجاد والبطولات ، ولكنهم ضلوا الطريق وحرموا العقيدة الموصلة إلى ذلك ، ترى العفة والكرامة من أخلاقهم ،

والكرم والشجاعة من سجاياهم ، والحمية والثأر تسير فى عروقهم ، فلا ينامون على ضيم ، وويل لمن غضب عليه العرب ، إذ كانوا يثورون لأتفه الأسباب ، يكفى أن يستفز القبيلة فرد أهينت كرامته ، فتنطلق جميعها كباراً وصغاراً تدفع عنه ما أصابه . لأن كرامة الفرد من كرامة القبيلة ، وإلى هذا يمكننا أن نرد أكثر الغزوات والغارات التى كانت بين القبائل قبل الاسلام .

وقد حفظت ذاكرتهم القوية أشعارهم وأنسابهم التى كانت بمثابة سجل تاريخى لهم . وكان كل ذلك من المؤهلات التى أعدتهم لحمل الرسالة الإسلامية فيما بعد .

وإذا كانوا قد عبدوا الأوثان فإنهم لم يروها خالقةً مدبرةً لأمور الكون وشؤونه ، بل عبدوها زلفى إلى الله : «ما نَعبُدُهم إلاّ لِيُقرّبُونا إلى الله زُلفى[1] »

ولم تكن عقائدهم معقدة مركبة كما كانت عليه عقائد سكان البلاد المجاورة من الفرس والهند ، بل كانوا أصفياء النفوس ، ويمكننا أن نقول : إن عندهم فراغا عقديا تستره تلك العبادات والمعتقدات الأولية ، التى لم تقف على قدميها أمام عقيدة الإسلام المتماسكة الكاملة . ولهذا كان العرب يمتازون عن غيرهم من الأمم بتلك الصفات التى أهلتهم فيما بعد لأن يكونوا جنود الإسلام وحملة لوائه إلى العالم .

ومع هذا لم يكن من السهل أن يستجيب العرب جميعا إلى دعوة الرسول الكريم بادىء ذى بدء ، إذ كان من الصعب أن يتركوا دين آبائهم وأجدادهم، فإذا ما دعاهم إلى الله قال له أقرب الناس إليه : تباً لك !! ألهذا دعوتنا ؟ وأوذى صلى الله عليه وسلم فى سبيل دعوته كثيراً ، ولم يؤمن به إلا نفر قليل : زوجه ،

---

(١) ٣ : الزمر .

وبعض ذويه ، وقليل من أهله . وكان لايفتر عن دعوتهم ، ويسخرون منه فيزداد نشاطا وحيوية وراء أمله ، ويصورهم الله تعالى فى قوله : « وإذا قيلَ لهم اتّبعوا ما أنزلَ الله قالوا بل نتّبعُ ما ألفينا عليه آباءنا أوَ لوْ كانَ آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون »[1] « وإذا قيلَ لهم تعالوا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرّسولِ قالوا حسْبُنا ما وجدنا عليه آباءنا ، أوَ لوْ كانَ آباؤُهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدُون »[2] . إلا أنّ الباطلَ لا يقوى أمام الحق ، فسرعان ما يتقوض ، ويظهر ضعفه ، كما يتلاشى الظلام حين يكون وراءه النور الساطع .

وهكذا بدأ الإسلام يستولى على القلوب فى مكة رويداً رويداً ، ثم انتشر بين بعض سكان يثرب (المدينة المنورة) ، وازداد إيذاء المشركين للمسلمين واضطروهم إلى هجر وطنهم فرارا بدينهم .

وفى المدينة بدأت الدولة الإسلامية منظمة برياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتشر خبر الإسلام فى أطراف الجزيرة ، ولم تمنع أضاليل المشركين العرب من الدخول فى دين الله ، دين المساواة والعدالة ، عقيدة سهلة سامية ، إيمان بالله وطاعة لرسول الله ، وعبادات تدخل السعادة والطمأنينة إلى النفوس ، نظام يضبط الجماعة ويؤمن حقوق الأفراد ... كل هذا جعل القبائل العربية تتهافت إلى المدينة من كل حدَب وصوب ، يعلنون إسلامهم ، وعم الإسلام الجزيرةَ العربيّةَ بعد الفتح الأكبر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، وانقلبت مكة والمدينة بل الجزيرة العربية إلى موطن إسلامى متماسك تنبع منه اشعاعات الهداية لتنير العالم .

وقد تم ذلك للرسول الكريم خلال اثنتين وعشرين سنة وبضعة أشهر .

---

(١) ١٧٠ : البقرة . (٢) ١٠٤ : المائدة .

وخرج العرب باعتناقهم هـذا الدين الحنيف من نطاق القبيلة المغلق إلى صعيد الإنسانية الواسع ، ومن إطار الصحراء إلى العالم الشاسع ، وانقلبت رابطة الدم والقرابة إلى الأخوة فى الدين ، وانتهى نظام القبيلة وحل مكانه نظـام الدولة الإسـلامية فى مختلف مرافق الحياة وانتقلت حميتهم للقبيلة إلى نصرة الحق ، وأصبح اعتزازهم بالإسلام وبما يقدمونه من تضحيات وخدمات بدلا من اعتزازهم بالأنساب . واتجه حبهم للأمجاد والبطولات صعداً إلى تحقيق ما يرضى الله ورسوله ، وتحولت شجاعتهم وجرأتهم المحصورة فى النطاق القبلى إلى شجاعة وجرأة فى سبيل نشر الدين الجديد ، وتحول كرمهم الذى بلغ حد السرف إلى إعانة الفقراء وإغاثة الملهوفين ، وتزويد الجيوش للدفاع عن معتقداتهم وعن إخوانهم فى الدين ، وتحرير الأمم من نير العبودية إلى الحرية وعبادة إله واحد . . . فـكان الإسلام شرفاً عظيما لهم كما قال تعالى : « وإنَّه لَذِكْرٌ لكَ ولِقومِكَ وَسَوفَ تُسألون »[1] وكان العرب بحق كما قال تعـالى : « كُنتم خَيرَ أمةٍ أُخرِجت للنّاسِ تأمرون بالمعروفِ وتنهونَ عن المُنكَرِ وتُؤمنونَ باللهِ »[2] .

يتبين لنـا مما ذكرت أن هؤلاء العرب الذين انطوت نفوسهم على صفات كريمة ، وخصال طيبة ، وراءها دوافع قوية وحيوية فائقة — كان ينقصهم العقيدة الصالحة ، والنظام الحسن ، فما إن وجدوها فى الإسـلام دين الحنيفية السمحة ، حتى كانوا خـير حافظ لها ، وأول داع إليها ، ومن ثم فتحوا قلوبهم للرسول الـكريم عليه الصلاة والسلام ، وأصغوا إليه ، والتفوا حوله

---

(١) ٤٤ : الزخرف ، وإنه لذكر : أى لشرف عظيم . انظر تفسير أبى السعود ص ٤٥ جـ٥
(٢) ١١٠ : آل عمران .

ينهلون من المعين الذى لا ينضب ، ويتلقون تعاليم الإسلام من رائده ليقوموا بدورهم فى هداية الناس جميعاً ، وهكذا تضافر العامل الفطرى الذى تميز به العرب مع العامل المكتسب الجديد (الروحى) ، فظهر الرعيل الأول الذى حمل مشعل النور والحق إلى العالم ، ونقل القرآن الكريم والسنة الطاهرة بكل أمانة وإخلاص . ولما كان موضوعنا متعلقا بالسنة ، فلننتقل إلى التعريف بها .

أولا — التعريف بالسنة

١ — السنة فى اللغة :

السنة : السيرة حسنة كانت أو قبيحة . قال خالد بن عتبة الهذلى :

فلا تَجْزَعَنْ من سيرةٍ أنت سرْتَها ... فأولُ راضٍ سنـةً من يسيرُها

وسننتها سنا واستننتها سرتها ، وسننت لكم سنة فاتبعوها .

وفى الحديث : من سَنَّ سُنةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها ، ومن سنَّ سُنَّةً سيئة[1] ، يريد من عملها ليقتدى به فيها .

وكل من ابتدأ أمرا عمل به قوم بعده ، قيل هو الذى سنه .

قال نُصَيْب :

كأنى سَنَنْتُ الحُبَّ أول عاشق ... من الناس إذ أحببتُ من بينهم وحدى

---

(١) روى الإمام مسلم بسنده عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده ، من غير أن ينقص من أجورهم شىء . ومن سن فى الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء . صحيح مسلم ص٧٠٥ ج٢ و ص٢٠٥٩ ج٤ .

وقد تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها . والأصل فيه الطريقة والسيرة .

وإذا أطلقت في الشرع فإنما يراد بها ما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم ، ونهى عنه ، وندب إليه قولا وفعلا ، ولهذا يقال في أدلة الشرع الكتاب والسنة ، أي القرآن والحديث .

ويجوز أن يكون (لفظ سنة) من سننت الإبل إذا أحسنت رعيتها والقيام عليها [1] .

٢ — السنة في الشرع :

يختلف معنى السنة في اصطلاح المتشرعين حسب اختلاف فنونهم وأغراضهم ، فهي عند الأصوليين غيرها عند المحدثين والفقهاء . ولذلك نرى مدلول معناها من خلال أبحاثهم .

(ا) فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الهادي ، الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة ، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة ، وخلق ، وشمائل ، وأخبار ، وأقوال ، وأفعال ، سواء أثبتَ ذلك حكماً شرعياً أم لا .

(ب) وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده ، ويبين للناس دستور الحياة ، ولذلك عنوا بأقواله ، وأفعاله ، وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررها .

(جـ) وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي تدلُّ

---

(١) لسان العرب في مادة (سنن) .

أفعاله على حكم شرعى ، وهم يبحثون عن حكم الشرع فى أفعال العباد وجوباً ، أو حرمة ، أو إباحة ، أو غير ذلك[١]

مما تقدم يتلخص لدينا ما يلى :

السنة فى اصطلاح المحدثين هى : كل ما أُثِرَ عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خَلقية أو خُلقيّة ، أو سيرة سواء أكان ذلك قبل البعثة كتحنثه فى غار حراء ، أم بعدها .

والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوى .

السنة فى اصطلاح علماء أصول الفقه هى كل ما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم ، من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، مما يصلح أن يكون دليلا لحكم شرعى .

أما القول فهو أحاديثه صلى الله عليه وسلم التى قالها فى مختلف الأغراض والمناسبات ، فترتب على ذلك حكم شرعى . كقوله صلى الله عليه وسلم « لا وَصيَّةَ لِوارِثٍ » وقوله « لاَ ضَرَرَ وَلا ضِرار »[٢] وقوله فى زكاة الزروع « فيما سَقَتِ السَّماءُ والعُيونُ أوْ كَانَ عثَرِيًّا : العُشْرُ . وما سُقِىَ بالنَّضحِ نِصفُ العُشْرِ »[٣] . وقوله فى البحر « هُو الطَّهورُ ماؤُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ »[٤] .

---

(١) انظر فتح الغفار بشرح المنار ص ٧٥ ج ٢ والمدخل إلى السنة وعلومها ص ٧ والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٦١ .

(٢) انظر سبل السلام ص ٨٤ ج ٣ ورواه الإمام أحمد وابن ماجه .

(٣) فتح البارى ص ٩٠ ج ٤ ، والعثرى ما امتدت عروقه فشرب من نهر أو مستنقع من غير سقى .

(٤) انظر سبل السلام ص ١٤ ج ١ وقد أخرجه الأربعة وأبو بكر بن أبى شيبه

وأما الفعل فهو أفعاله التى نقلها إلينا الصحابة ، مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها ، وأدائه صلى الله عليه وسلم مناسك الحج ، وقضائه بالشاهد واليمين[١] ، وما إلى ذلك .

وأما التقرير فكل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم ، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال ، بسكوت منه وعدم إنكار ، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده ، فيُعتبرُ ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه خرج رجلان فى سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيداً طيباً ، فصليا ثم وجدا الماء فى الوقت ، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر ، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرا ذلك له ، فقال للذى لم يعد : « أصَبْتَ السُّنَّةَ » وقال للآخر : « لكَ الأجرُ مرَّتين »[٢] .

ومنه أيضا إقراره لاجتهاد الصحابة فى أمر صلاة العصر فى غزوة بنى قريظة، حين قال لهم « لا يصلِّيَن أحدُ كم العصرَ إلا فى بنى قُريظة » ، ففهم بعضهم هذا النهى على حقيقته ، فأخرها إلى ما بعد المغرب ، وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها فى وقتها ، وبلغ النبى عليه الصلاة والسلام ما فعل الفريقان ، فأقرهما ولم ينكر على أحدهما[٣] . ومنه إقراره لطريقة معاذ بن جبل فى القضاء حينما بعثه إلى اليمن . إذ قال له : « كيفَ تصنعُ إنْ عَرضَ لكَ قضاء ؟ قالَ . أقضى بما فى كِتابِ الله ، قالَ : فإنْ لمْ يَكُن فى كتابِ

---

(١) ثبت قضاء الرسول صلى الله عليه وسلم بشاهد ويمين ، راجع مسند الإمام أحمد : الأحاديث رقم ٢٢٢٤و٢٨٨٨و٢٩٦٩و٢٩٧٠ ج ٤ وسبل السلام ص ١٣١ ج ٤ .

(٢) سبل السلام ص ٩٧ ج ١ رواه أبو داود والنسائى .

(٣) المدخل إلى السنة وعلومها ص١٠ ، والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٦٠ .

الله ؟ قالَ : فَبِسنّةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، قالَ : فإنْ لَمْ يكُن فى سنةِ رسولِ الله ؟ قال : أجتهُد رأيي لا آلو ، قال : فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدري ثم قال : الحمدُ لله الذي وَفقَ رسولَ رسولِ الله لما يُرضى رسولَ الله [1] .

— وأما السنة فى اصطلاح الفقهاء : فهى كل ما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب ، فهى الطريقة المتبعة فى الدين من غير افتراض ولا وجوب .

— وقد تطلق السنة عند الفقهاء فى مقابلة البدعة [2] . والبدعة لغة الأمر المستحدث ، ثم أطلقت فى الشرع على كل ما أحدثه الناس من قول وعمل فى الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أحدثَ فى أمرنا هذا ماليسَ منه فهُوردٌ [3] » .

ومن ذلك قولهم « فلان على سنة » إذا عمل على وفق ما عمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، سواء أكان ذلك مما نص عليه فى الكتاب أم لم يكن ، وقولهم : « فلان على بدعة » إذا عمل على خلاف ما عملوه أو أحدث فى الدين ما لم يكن عليه السلف .

وتطلق السنة أحيانا عند المحدثين وعلماء أصول الفقه على ما عمل به أصحابُ رسول الله عليه وسلم ، سواء أكان ذلك فى الكتاب الكريم أم فى المأثور عن النبى

---

(١) إعلام الموقعين ص ٢٠٢ ج ١ .

(٢) انظر المدخل إلى السنة وعلومها ص ١٠ والسنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٦١ من ارشاد الفحول ص ٣١ ، وتحقيق معنى السنة وبيان الحاجة اليها ص ٢٢ وتاريخ التشريع الاسلامى ص ٦٤ .

(٣) صحيح مسلم ص١٣٤٣ ج ٣ .

صلى الله عليه وسلم أم لا[١] . ويحتج لذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسُنّتى وسنةِ الخلفاءِ المَهدِيينَ الراشدين تمسّكوا بها وعَضّوا عليها بالنّواجذ[٢] » وقولهأيضاً : « تفترِقُ أمتى على ثلاثِ وسبعينَ فِرقةً كُـلّها فى النارِ إلا واحدةً، قالوا : وَمنْ هُم يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : ما أنا عليهِ وأصحابى[٣] » .

ومن أبرز ما ثبت فى السنة بهذا المعنى « سنة الصحابة » حد الخمر ، وتضمين الصناع ، وجمع المصاحف فى عهد أبى بكر برأى الفاروق ، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة ، وتدوين الدواوين . . . وما أشبه ذلك مما اقتضاه النظر المصلحى الذى أقره الصحابة رضى الله عنهم[٤] .

وأعنى بالسنة فى بحثى هذا ما أراده المحدثون ، وهى ما يرادف الحديث عند جمهورهم . وإن كان بعضهم يفرق بينهما . فيرى الحديث ما ينقل عن النبى عليه الصلاة والسلام . والسنة ما كان عليه العمل المأثور فى الصدر الأول ، ولذلك قد ترد أحاديث تخالف السنة المعمول بها ، فيَلجأُ العلماء حينئذ إلى التوفيق والترجيح ، وعلى ذلك يُحمل قول عبد الرحمن بن مهدى : لم أر أحداً قط أعلم بالسنة ولا بالحديث الذى يدخل فى السنة من حماد بن زيد[٥] .

وكذلك قوله عندما سئل عن سفيان الثورى والأوزاعى ومالك : سفيان

---

(١) انظر المدخل إلى السنة وعلومها ص ١١ والحديث والمحدثون ص ٩ والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٦٠ .

(٢) من حديث طويل رواه العرباض بن سارية : سنن أبى داود ص ٥٠٦ ج ٢ الطبعة الأولى لمصطفى البابى الحلبى سنة ١٣٧١ .

(٣و٤) انظر المدخل إلى السنة وعلومها ص ١١ ـ ١٣ والسنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٦٠ .

(٥) تقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٧

الثورى إمام فى الحديث وليس بإمام فى السنة ، والأوزاعى إمام فى السنة وليس بإمام فى الحديث ، ومالك إمام فيهما[١] .

ومما يدل على أن السنة هى العمل المتبع فى الصدر الأول قول على بن أبى طالب لعبد الله بن جعفر عندما جلد شارب الخمر أربعين جلدة : « كفّ . جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين وأبو بكر أربعين ، وكملها عمر ثمانين وكل سنة »[٢] .

وبعد أن بينت معنى السنة لغة وشرعاً أرى من واجبى أن أبين معانى بعض الألفاظ التى تداولها أهل هذا الفن فى علمهم .

٣ — معنى الحديث والخبر والأثر :

الحديث لغة : الجديد من الأشياء ، والحديث الخبر يأتى على القليل والكثير ، والجمع أحاديث كقطيع وأقاطيع وهو شاذ على غير قياس .

وقوله تعالى : « إنْ لم يُؤمنوا بِهذا الحديثِ أسفًا[٣] » عنى بالحديث القرآن الكريم ، وقوله تعالى : « وأمّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ[٤] » أى بلغ ما أرسلت به[٥] .

فالحديث والخبر فى اللغة مترادفان من وجه .

وقد تطور استعمال هذا اللفظ ، وأصبح يطلق على نوع خاص من الأخبار فى الأوساط الدينية بدون أن يخرجه ذلك عن معناه العام ، يقول ابن مسعود :

---

(١) انظر الزرقانى على الموطأ ص ٣ ج ١

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٤٨ — ٤٩ حديث ٦٢٤ ج ٢

(٣) ٦ : الكهف (٤) ١١ : الضحى

(٥) لسان العرب فى مادة (حدث) ص ٤٣٨ ج ٢

« إنّ أحسن الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم »
وهكذا أصبح القرآن أحسن الحديث . ثم حدد معنى الحديث أخيرا بأخبار الرسول ، سأل أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ فقال له الرسول : لقد ظَننتُ يا أبا هريرةَ الا يسألني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولَ منكَ ، لِما رأيتُ من حِرصِكَ على على الحديثِ[1] .

وقد سبق أن ذكرتُ معنى الحديث مرادفاً للسنة عند المحدثين . وقيل الحديث ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم والخبر ما جاء عن غيره ، ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث ، وبالتواريخ ونحوها اخباري »[2] .

وقال ابن حجر في شرح نخبة الفكر : الخبر عند علماء الفن مرادف للحديث فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع ، فيشمل ما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس .

وقد يسمى المحدثون المرفوع والموقوف من الأخبار (أثرا) . إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف بالأثر ، والمرفوع بالخبر[3] .

فخلاصة القول :

إذا أطلق لفظ (الحديث) أريد به ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١١٦ والحديث أخرجه البخاري : فتح الباري ص ٢٠٤ ج ١ .

(٢) انظر تدريب الراوي ص ٦ ومنهج ذوي النظر ص ٨ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٦ ومنهج ذوي النظر ص ٨ والمنهج الحديث في علوم الحديث ص ٣١ .

من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية أو خلقية . وقد يراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي، ولكن الغالب أن يقيد إذا ما أريد به غير النبي صلى الله عليه وسلم .

ويطلق الخبر والأثر ويراد بهما ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام وما أضيف إلى الصحابة والتابعين وهذا رأى الجمهور . إلا أن فقهاء خراسان يسمون الموقوف أثرا والمرفوع خبراً .

الحديث القدسي

وكل حديث يضيف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا إلى الله عز وجل يسمى بالحديث القدسي أو الإلهي، والأحاديث القدسية أكثر من مائة حديث، وقد جمعها بعضهم في جزء كبير[1] ، ونسبة الحديث إلى القدس (وهو الطهارة والتنزيه) وإلى الإله أو إلى الرب، لأنه صادر عن الله تبارك وتعالى (من حيث إنه المتكلم به أولا والمنشىء له . وأما كونه حديثاً، فلأن الرسول هو الحاكي له عن ربه عز وجل، والفرق بينه وبين سائر الأحاديث ، أنّ هذه نسبتها إليه، وحكايتها عنه فهو القائل وهو الحاكي عن نفسه ، وأما تلك فلا .)[2]

---

(١) انظر قواعد التحديث ص ٣٩ ، وانظر الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم والحديث النبوي لنوح بن مصطفى الحنفي القونوي مخطوطة دار الكتب المصرية (مجاميع تيمور ٣٣) ص ٧١ — ٧٢ .

(٢) المنهج الحديث في علوم الحديث ص ٣١ ، وقال : وأما الفرق بينه وبين القرآن فقد ذكروا للقرآن مزايا لم تكن لتلك الأحاديث فقالوا : (١) القرآن معجزة باقية على مر الدهور محفوظة من التغيير والتبديل ، متواترة اللفظ في جميع الكلمات والحروف والأسلوب . (٢) حرمة روايته بالمعنى. (٣) حرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب . (٤) تعينه في الصلاة . (٥) تسميته قرآنا . (٦) التعبد بقراءته بكل حرف منه بعشر حسنات . (٧) امتناع بيعه في رواية أحمد وكراهيته عند الشافعي . (٨) تسمية الجملة منه آية ، ومقدار من الآيات مخصوص سورة . ==

وقبل أن ندخل الباب الأول من الكتاب أرى من الواجب أن أبين موضوع السنة ومكانتها من القرآن .

ثانيا — موضوع السنة ومكانتها من القرآن الكريم[1] :

لم يكن للأحكام فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدر سوى الكتاب والسنة . ففى كتاب الله تعالى الأصول العامة للأحكام ، دون التعرض إلى تفصيلها جميعها والتفريع عليها ، إلا ما كان منها متفقاً مع الأصول ثابتاً بثبوتها ، لا يتغير بمرور الزمن ، ولا يتطور باختلاف الناس فى بيئاتهم وأعرافهم ، كل هذا حتى يساير القرآن الكريم كل زمن ، ويبقى صالحا لكل أمة ، مهما كانت بيئتها وأعرافها ، فتجد فيه ما يكفل حاجتها التشريعية فى سبيل النهوض والتقدم . وإلى جانب هذه الأصول فى القرآن الكريم نجد العقائد والعبادات وقصص الأمم الغابرة ، والآداب العامة والأخلاق . .

وقد جاءت السنة فى الجملة موافقة للقرآن الكريم ، تفسر مبهمه ، وتفصل

= (٩) القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله بوحى جلى ، وأما الحديث القدسى فهو ما كان لفظه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه من عند الله تبارك وتعالى، بالإلهام أو المنام . وقد يكون بوحى جلى وليس الوحى الجلى شرطاً له بخلاف القرآن الكريم فانه لا يكون إلا بوحي جلى ، أى ينزل به الملك من عند الله بلفظه ، وعلى هذا قد يكون الحديث النبوى بوحى ، وقد يكون باجتهاد إلا أن الرسول لا يقر على اجتهاد خطأ . والحديث القدسى لا يكون إلا بوحى أعم من أن يكون جلياً ، أو غير جلى ، فيجوز روايته بالمعنى لأن لفظه للرسول صلى الله عليه وسلم .

انظر المنهج الحديث فى علوم الحديث ص ٣١ — ٣٢ وهوامشها نقلنا عنه بإيجاز وبتصرف .

(١) لمعرفة منزلة السنة من القرآن وعلاقتها به ، راجع :

الرسالة للامام الشافعى رحمه الله ص ٩١ رقم ٢٩٩ ، وأصول التشريع الإسلامى : ص ٤٠ وما بعدها ، والمدخل إلى علم أصول الفقه : ص ٥٥ ، والسنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى : ص ٤٢٦ وما بعدها ، وأسباب اختلاف الفقهاء : ص ١١ . والمدخل إلى السنة وعلومها : ص ١٧ وما بعدها ، وعلم أصول الفقه : ص ٤١ — ٤٣ وتاريخ التشريع الاسلامى للسبكى وإخوانه : ص ٦٦ وما بعدها : وتاريخ التشريع الاسلامى للشيخ محمد الخضرى : ص ٣٥ .

مجمله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه ، وتشرح أحكامه وأهدافه كما جاءت بأحكام لم ينص عليها القرآن الكريم ،[١] فكانت فى الواقع تطبيقا عمليا لما جاء به القرآن العظيم ، تطبيقاً يتخذ مظاهر مختلفة ، فحينا يكون عملا صادراً عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحيناً آخر يكون قولا يقوله فى مناسبة ، وحينا ثالثاً يكون تصرفاً أو قولا من أصحابه صلى الله عليه وسلم، فيرى العمل أو يسمع القول ثم يقر هذا وذاك ، فلا يعترض عليه ولا ينكره ، بل يسكت عنه أو يستحسنه فيكون هذا منه تقريراً

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ما جاء فى القرآن الكريم ، والصحابة يقبلون ذلك منه ، لأنهم مأمورون باتباعه وطاعته،ولم يخطر ببال امرىء منهم أن يترك قول رسول الله عليه الصلاة والسلام أو فعله ، وقد عرفوا ذلك من كتاب الله تعالى ، ففيه « إِنَّ ٱلذينَ يُبايعونكَ إنما يُبايعُونَ اللهَ ، يَدُ اللهِ فوقَ أيديهِم فَمَنْ نَكَثَ فإنَّما يَنكُثُ على نَفْسِهِ ، وَمَنْ أوفَى بِما عاهَدَ عَلَيهُ اللهَ فسيُؤتيهِ أجراً عظيما »[٢] « وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسولَ وَاحْذَرُوا »[٣] « مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ »[٤] « وَمَا آتاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوه وَمَا نَهاكُمْ عَنْهُ فانتَهُوا »[٥] ، « فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً »[٦] .

فتقبل المسلمون السنة من الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقبلوا القرآن[٧]

---

(١) انظر ص٢٧ من هذا الكتاب. (٢) ١٠:الفتح (٣) ٩٢ : المائدة (٤) ٨٠ : النساء (٥) ٧ : الحشر (٦) ٦٥ : النساء (٧) انظر كيف تلق الصحابة السنة وتمسكوا بها بعد قليل .

الكريم استجابة لله ورسوله ، لأنها المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم بشهادة الله عز وجل ورسوله .

وقد بينت السنة القرآن من وجوه[1] ، فبينت ما أجمل من عبادات وأحكام ، فقد فرض الله تعالى الصلاة على المؤمنين ، من غير أن يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها ، فبين الرسولُ الكريم هذا بصلاته وتعليمه المسلمين كيفية الصلاة ، وقال . « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي »[2] . وفرض الحج من غير أن يبين مناسكه ، وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام كيفيته ، وقال : « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ »[3] . وفرض الله تعالى الزكاة من غير أن يبين ما تجب فيه من أموال وعروض وزروع ، كما لم يبين النصاب الذي تجب فيه الزكاة من كل ، فبينت السنة ذلك كله .

ومن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للقرآن تخصيص عامه ، من هذا ما ورد في بيان قوله تعالى « يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ[4] » فهذا حكم عام في وراثة الأولاد آباءهم وأمهاتهم يثبت في كل أصل مورث ، وكل ولد وارث فخصت السنة المورِّث بغير الأنبياء ، بقوله صلى الله عليه وسلم : « نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ[5] » وخصت الوارث

---

(١) راجع المصادر المذكورة في هامش (١) ص ٢٣ ، وخاصة أصول التشريع الإسلامي لأستاذنا فضيلة الشيخ علي حسب الله : الصفحة ٤٠ وما بعدها . (٢) أخرجه البخاري في حديث طويل ، انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ج ١ ص ١٢٥ ـ ١٢٦ و ج ٤ ص ٥٧ وأخرجه الدرامي : سنن الدارمي ١٤٨ ط كانفور سنة ١٢٩٣ وأخرجه الإمام أحمد . (٣) صحيح مسلم ص ٩٤٣ حديث ٣١٠ ج ٢ وراجع جامع بيان العلم ص ١٩٠ ج ٢ (٤) ١١ : النساء
(٥) فتح الباري ص ٢٨٩ و ٣٣٥ و ٢٣٩ ج ٦ وانظر صحيح مسلم ص ١٣٧٨ ـ ١٣٨٣ ج ٣ ومسند الإمام أحمد ص ١٥٨ و ١٦٠ ج ١ .

بغير القاتل بقوله صلى الله عليه وسلم : « لا يَرِثُ القَاتِلُ[1] » .

ومن بيانه صلى الله عليه وسلم تقيد مطلق القرآن كما فى قوله تعالى : « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا[2] » فإن قطع اليد لم يقيد فى الآية بموضع خاص ، فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع . ولكن السنة قيدت القطع بأن يكون من الرسغ ، وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما « أُتِىَ بِسَارِقٍ فَقَطَعَ يَدَهُ مِنْ مِفْصَلِ الكَفِّ[3] » .

وتأتى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مثبتة و مؤكدة لما جاء فى القرآن الكريم أو مفرعة على أصل تقرر فيه . ومن ذلك جميع الأحاديث التى تدل على وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج . . .

ومثال السنة التى وردت تفريعاً على أصل فى الكتاب[4] منع بيع الثمار قبل بُدُوّ صلاحها . ففى القرآن الكريم قوله تعالى : « لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالبَاطِلِ إلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ[5] »

وعندما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وجد المزارعين يتبايعون ثمار الأشجار قبل أن يبدو صلاحها ، من غير أن يتمكن المشترى من معرفة كميتها وصلاحها ، فإذا حان جنى الثمار كانت المفاجئات غير الطيبة كثيراً ما تثير النزاع بين المتعاقدين ، وذلك عندما يطرأ طارىء من برد شديد ، أو مُرَاض شجرى يقضى على الزهر ، وينعدم معه الثمر . لذلك حرم رسول

---

(١) سنن الترمذى كتاب الفرائض الباب (١٧) وسنن ابن ماجه فى كتاب الديات باب (١٤) وكتاب الفرائض باب (١٨) كما أخرجه الإمام مالك وأحمد وغيرهما .

(٢) ٣٨ : المائدة

(٣) سبل السلام ص ٢٧ و ٢٨ جـ ٤ وقد روى هذا من حديث عمرو بن شعيب ، وأخرجه الدارقطنى

(٤) انظر المدخل إلى علم أصول الفقه ص ٥٦

(٥) ٢٩ : النساء

الله صلى الله عليه وسلم هذا النوع من البيع ما لم يبدُ صلاح الثمر[١] ، ويتمكن المشترى من التثبت من تمام تكونها ، وقال : « أرأيتَ إذا مَنعَ اللهُ الثمرة بِمَ يأخذُ أحدُكم مالَ أخيه[٢] ؟ » .

— وفى السنة أحكام لم ينص عليها الكتاب وليست بيانا له ، ولا تطبيقاً مؤكداً لما نص عليه كتحريم الحمر الأهليه ، وكل ذى ناب من السباع ، وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها[٣] .

بعد هذا التمهيد نتقدم لدراسة السنة ، منذ عهده صلى الله عليه وسلم إلى عصر التصنيف المشهور وبالله التوفيق .

* * *

---

(١) راجع فتح البارى ص ٢٩٨ جـ ٥ كتاب البيوع باب بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٢ جـ ٥ كتاب البيوع باب اذا باع الثمار قبل أن يبدو صلاحها ثم أصابته عاهة فهو من البائع . وقد روى هذا الحديث أنس بن مالك .

(٣) إن النوعين السابقين من البيان : (١) بيان السنة للكتاب بتأكيد ما جاء فيه أو التفريع على أصوله كتطبيق له ـ (٢) « بيان السنة لمجمله وتخصيص عامه وتقييد مطلقه » متفق عليهما اجماعا كما ورد فى الرسالة ص ٩١ . وأما هذا النوع ففيه خلاف ، وللعلماء مذاهب فى تخريج ذلك وتعليله راجع الرسالة ص ٩٢ وما بعدها وإعلام الموقعين ص ٢٨٨ ـ ٢٩٠ جـ ٢ وأصول التشريع الإسلامى ص ٤٢ وما بعدها والمراجع المذكورة فى الصفحة : ٢٣ من هذا الكتاب

الباب الأول

السنة في العهد النبوي

- نتحدث في هذا الباب عن الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث هو معلم ومرب وعن تجاوبه مع دعوته ، وموقفه من العلم ، ومنهجه صلى الله عليه وسلم في التعليم .
- ونتناول مادة السنة وحاجة المسلمين إليها ، ثم نبين كيف كان الصحابة يتلقونها عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
- ثم نختتمه بانتشار السنة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبيان عوامل هذا الانتشار آنذاك .

تمهيـد :

عرفنا البيئة التى ظهر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفترة التى قضاها فى دعوته الطاهرة وقد كانت مرحلة تعليمية تطبيقية ، وأساساً متيناً لبنيان الحضارة الإسلامية الشامخ ، الذى غير وجه التاريخ ، وأمده بذخيرة حضارية فى مختلف نواحى الحياة .

فإذا مانظرنا إلى تلك الحقبة التى لا تتجاوز ربع قرن من عمر الزمن ، منذ بدء دعوة محمد صلى الله عليه وسلم حتى وفاته ، ألفينا أنفسنا أمام مدرسة كبيرة جدا تمر فى مرحلة تربوية جديدة ، يشرف على توجيهها وتربية طلابها وتعليمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، و « موادها » القرآن والسنة ، وطلابها الصحابة رضوان الله عليهم .

وإذا حاولنا أن نحكم على هذه التجربة التربوية ، حكما علميا صحيحاً كان لا بد لنا من أن نستعمل طرق القياس والدراسة التربوية ، لنتمكن من معرفة مدى نجاح تلك المدرسة الكبرى ، ومقدارَ الإفادة من تلك المادة العلمية التى كانت موضوع الدرس والبحث والتطبيق ، ولا يتحقق لنا هذا إلا بدراسة شخصية المعلم المربى ، وتفاعله مع مادته ورسالته ، وعلاقته بطلابه وتفاعلهم معه ، ومدى تجاوب هؤلاء الطلاب مع مربيهم ومع مادته ، لنتعرف من خلال هذا الفائدة العلمية التربوية التى جنوها ، ونطمئن إلى مصير العلم الذى تلقوه وشاركوا فى تطبيقه .

لهذا كله كان لزاماً علينا أن نتعرف على شخصية الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، مربياً ومعلماً ، ونطلع على منهجه وأسلوبه ، وعلى المادة

التى كانت موضوع العناية والتطبيق من حيث اتصالها ببيئة الطلاب وحياتهم اليومية ونطلع على منهج الصحابة أنفسهم فى التلقى ، ومدى تجاوبهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفاعلهم مع الشريعة الغراء ، وخاصة السنة الشريفة ، كل هذا ليكون بحثنا موضوعياً دقيقاً ، يصور الواقع الذى كانت عليه السنة تصويراً صحيحاً .

وإن دراسة المربى والمادة والطلاب تُبَيِّنُ مدى نجاح تلك التجربة لأن لكل جانب من هذه النواحى الثلاثة أثره البعيد فى فهم المادة العلمية المدروسة وبقائها مدة طويلة فى نفوس الطلاب واضحة جلية ، فكلما تضافرت هذه العوامل الثلاثة فى طرق الإيجاب ، كانت الفائدة عظيمة جليلة ، وبقيت المادة فى أذهان الطلاب أمداً بعيداً ، وإذا تنافرت هذه العوامل وقل تجاوبها فيما بينها لم تؤت أكلها ، وتضاءلت الفائدة المرجوة منها ، وسرعان ما يأتى النسيان على تلك المادة التى كانت موضوع البحث والدراسة والتطبيق ، وعلى ضوء هذا نتناول البحث من أطرافه الثلاثة المذكورة فى هذا الباب .

* * *

١ ــ الرسول صلى الله عليه وسلم

(١) معلم ومرب :

مهما حاولت أن أصف الدرجة التى وصل إليها الرسول صلى الله عليه وسلم من الخلق الكريم والسلوك المستقيم فلن أستطيع الإحاطة بذلك ، ولا غرابة فأى أديب يمكنه أن يعبر عن العناية الإلهية التى شملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع مراحل حياته ؟ وأى مؤرخ يمكنه أن يستقصى جميع أخباره دقيقها

وجلياها في هذا المجال ؟ ومع هذا فإن المؤلفات التي دُوِّنت عن حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في مختلف ظواهرها لم يُدَوَّن مثلها لرجل في التاريخ قط. وأحاول الآن أن أتناول الخطوط الكبرى لموضوعنا هذا.

لقد اصطفى الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم، ورباه وعلمه بعنايته الإلهية ليتمكن من حمل الرسالة وتبليغها، فأعدَّ إعداداً عظيما، حتى كان القرآن خلقه: يرضى برضاه، ويسخط بسخطه[1]، بُعث ليتمم مكارم الأخلاق، «فلم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً، وكان يقول: إن من خياركم أحسنكم أخلاقا[2]». كان أشد حياء من العذراء في خدرها[3]، وإذا كره شيئا عرف في وجهه[4] وإذا سُرَّ استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر[5] وكان أصحابه يعرفون ذلك منه. ولم يحقد على إنسان قط لنفسه، وما انتقم لنفسه «إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها[6]».

كان سيد الناس في أخلاقه ومعاملاته، وكيف لا وقد اختاره الله تعالى ليكون للعالم أسوة حسنة، وأوحى إليه ليكون لهم بشيرا ونذيرا؟ «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ[7]» فكانت مهمته عليه

(١) روى عن عائشة نحوه، انظر سنن ابن ماجه: الأحكام.

(٢) روى عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: فتح الباري ص ٢٨٥ ج ٧.

(٣) عن أبي سعيد الخدري: فتح الباري ص ٣٨٧ ج ٧.

(٤) من طريق شعبة بن الحجاج: فتح الباري ص ٣٨٨ ج ٧.

(٥) فتح الباري ص ٣٨٤ ج ٧.

(٦) المرجع السابق ٣٨٧ ج ٧ من حديث عائشة.

(٧) ٢: الجمعة.

الصلاة والسلام مهمة صعبة جليلة ، يبلغ الناس آيات الله جل وعلا ، ويفقههم فى الدين ، ويطهرهم وينقذهم مما كانوا فيه ، لذلك كله كان صلوات الله وسلامه عليه يتمتع بصفات خلقية سامية ، ويتميز بشخصية تربوية عالية ، تتجلى فيها الآداب الكريمة ، التى تتدفق من خصاله الحميدة الكثيرة ، ويكفينا فى ذلك كله شهادة الله سبحانه وتعالى له إذ يقول : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ »[1] .

أما من الناحية العلمية فقد شرح الله صدره وعلمه مالم يكن يعلم ، فبلغ صلى الله عليه وسلم من العلم غاية لم يبلغها بشر سواه، فكان المرجع الأول للمسلمين فى أحكام القرآن ، وتعاليم الإسلام ، وعرف سير الأمم الغابرة ، وجمع إلى ذلك علم أهل الكتاب ، وأوتى جوامع الكلم ، إلى جانب معرفته بالعلوم الأخرى التى تتصل بالحياة الإنسانية ، يدرك ذلك من تتبع أخباره صلى الله عليه وسلم وسيرته ، قال تعالى : « . . . وأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيماً[2] . . . » فعلم دقائق أحكام القرآن لحمله إلى الناس ، وبينه بسنته الطاهرة وسلوكه المستقيم ، فكان المعلم الأول ، والمرشد الصادق الأمين إلى الطريق القويم ، وكان بحق رحمة للعالمين.

* * *

(ب) تجاوبه مع دعوته :

لما كان لتجاوب المربى مع مادته أثر بعيد فى إفادة طلابه ، وبقاء المادة العلمية ثابتة راسخة فى أذهانهم ، أحببت أن أنبه إلى تجاوب الرسول الكريم مع رسالته ودعوته ، لندرك فيما بعد أثر ذلك فى حفظ السنة الشريفة .

---

(١) ٤ : القلم .   (٢) ١١٣ : النساء .

إنه لا يشك إنسان فى أن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، قد اندفع من صميم فؤاده وبجميع قواه فى سبيل تبليغ رسالته ، وقد تحمل الكثير من الأذى ، وقاسى الصعاب وصبر الصبر الجميل لتدعيم أركان الحنيفية السمحة ، واضطهد كثيراً حتى غادر مسقط رأسه . ومع هذا كان يتمنى لقومه الهداية والرشاد ، فيطيب الله خاطره ، ويخفف عنه ، مبيناً أن هدايتهم بيده عز وجل فيقول : « إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـكِنَّ اللهَ يَهْــدِى مَنْ يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِين (١) » .

ويصور الله تعالى ضيقه صلى الله عليه وسلم فى سبيل هداية قومه فيقول : « فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنوا بِهَـذا الْحَدِيثِ أَسَفاً (٢) » .

حتى إذا مارست دعائم الإسلام وقويت شوكته ، وقامت دولته كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، القائد الموجه والرئيس المشرف ، والفقيه المعلم ، والمفتى الصادق يمارس كل هذا بنفسه الصافية ، وروحه العالية مندفعاً فى أداء الأمانة فقضى عمره داعياً إلى الله معلماً ومرشداً ، يحب أصحابه حباً جماً ، يشاركهم آلامهم وأفراحهم ، وفى هذا كله كان منسجماً انسجاماً تاماً مع رسالته سعيداً بدعوته ، خير من يهتدى بسيرته فى مختلف مظاهر الحياة ، وقد كان الأسوة الحسنة لأصحابه الذين خالطوه ورأوه وسمعوا منه وعرفوا عنه كل دقيق وجليل ، فنقلوه إلينا بإخلاص ودقة .

* * *

(١) ٥٦ : القصص .
(٢) ٦ : الكهف .

(ج) موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم :

لقد نزل الوحى على رسول الله عليه الصلاة والسلام أول ما نزل بآيات توجه النظر الإنسانى إلى التعلم ، وتطالبه بالقراءة ، فصدع بقوله تعالى : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ . . . [(١)] »

وإنا لنجد القرآن يدعو إلى التعلم ، ويحض على طلب العلم ، ويبين درجات العلماء ، ويخاطب العقلاء ، ويحضهم على التدبر فى آيات الله تعالى وآلائه ، من ذلك قوله تعالى : « . . . قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ [(٢)] » وقوله سبحانه : « شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ [(٣)] » وقوله : « يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ [(٤)] » ، وقد حض على سؤال العلماء فقال : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ [(٥)] » وأوجب نشر العلم وبيان أحكام الله فقال تعالى : « وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ [(٦)] » كما حض على طلب العلم والتعليم فقال : فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ [(٧)] » ، بل حث على الاستزادة من العلم فقال : « وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْمًا [(٨)] » .

---

(١) العلق : ١ — (٢) ٩ : الزمر

(٣) ١٨ : آل عمران — (٤) ١١ : المجادلة

(٥) ٤٣ : النحل — (٦) ١٨٧ : آل عمران

(٧) ١٢٢ : التوبة — (٨) ١١٤ : طه .

ولسنا هنا بصدد إحصاء آيات العلم والتعليم والعلماء فى القرآن الكريم ، فإن المقام لا يتسع لذلك ، وإنما الغاية أن نعرف موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من العلم والحث على طلبه ، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على ممارسة التعليم والتعلم ، فنطلع على سنته عليه الصلاة والسلام فى ذلك ، لأن لهذا أثراً بعيداً فى حفظ « السنة » إلى جانب القرآن الكريم . وإن ما نستعرضه الآن إنما هو غيض من فيض .

١ – حض الرسول على طلب العلم :

بين رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة العلم وحض على طلبه فقال : « مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خيراً يُفَقِّهْهُ فى الدِّينِ[1] » وقال صلى الله عليه وسلم « فَقيهٌ واحدٌ أشدَ على الشَّيطانِ من ألفِ عابدٍ[2] » ، وجعل العلم ركنا من أركان الخير وميز الناس به فقال : « الناسُ معادِنُ فخيارُهم فى الجاهليَّةِ خيارُهم فى الإسلامِ إذا فَقِهوا[3] » .

وجعل طلب العلم الشرعى الذى يحتاج إليه المسلم ليقيم أمور دينه فريضة على المسلم فقال عليه الصلاة والسلام : « طلبُ العِلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ[4] » ،

---

(١) رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة فى مسنده ص ١٨٠ حديث ٧١٩٣ ج ١٢ اسناده صحيح . ورواه الطبرانى فى الصغير ورجاله رجال الصحيح ، انظر مجمع الزوائد ص١٢١ ج١ وسنن ابن ماجه ص ٤٩ ج ١ ، وأخرجه البخارى فى صحيحه فى غير موضع مسندا ومعلقا على صيغة الجزم فهى فى حكم المسند .

(٢) رواه ابن ماجه ص ٥٠ ج ١ وذكره ابن عبد البر فى جامع بيان العلم ص ٢٦ ج ١ كما أخرجه الترمذى .

(٣) رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله انظر مجمع الزوائد ص١٢٦ ج١ وقال رجاله رجال الصحيح وانظر جامع بيان العلم ص ١٨ ج ١ .

(٤) سنن ابن ماجه ص ٥٠ ج ١ ، رواه أنس عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما العلوم الأخرى التى يحتاج إليها المسلمون فى حياتهم فهى من باب فرض الكفاية ، يأثم جميع المسلمين إذا احتاجوا إلى علم ولم يوجد بينهم من يكفيهم إياه ، ثم لايتحللون من ذلك حتى يسدوا ذلك النقص .

وجعل العلم من الأمور التى يغتبط فيها ويتنافس فى مضمارها فقال صلى الله عليه وسلم : « لاحَسَدَ إلاّ فى اثنتينِ : رجلٌ آتاه الله مالاً فسلَّطه على هَلَكَتِه فى الحق ، وآخرُ آتاهُ اللهُ حكمةً ، فهو يَقْضى بها ويعلّمها »[1] .

وحث صلى الله عليه وسلم المسلمين على أن يكون لكل منهم نصيب من العلم فقال : « اغدُ عالماً أو متعلماً أو مستمعا أو محباً ، ولا تكنِ الخامسةُ فتهلك »[2] ، قال عطاء : قال لى مسعر : زدتنا خامسة لم تكن عندنا ، والخامسة أن تبغض العلم وأهله .

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يحض أصحابه على تفهم أمور دينهم ، ويأمرهم أن يسألوا عما يجهلونه ، ويمنعهم أن يفتوا من غير علم ، ومن ذلك مارواه عبد الله بن عباس : أن رجلا أصابه جرح فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أصابه احتلام ، فأمر بالاغتسال فمات ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « قَتَلُوه !! قَتَلَهُم الله !! ألَمْ يَكنْ شفاء العىِّ السؤالُ ؟! »[3] .

---

(١) مسند الامام أحمد عن عبد الله بن عباس ص٧٨ حديث ٤١٠٩ ج ٦ اسناده صحيح ورواه البخارى ومسلم ، وانظر جامع بيان العلم ص ١٧ ج ١ . والمراد بالحسد هنا الغبطة وهى أن يتمنى المرء مثل ما عند غيره من غير أن يتمنى زواله عنه . وأما الحسد فهو أن يتمنى زوال النعمة عن غيره لتكون له وهو محرم فى الإسلام ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢٢ ج ١ ورجاله موثوق بهم ، وقد رواه الطبرانى فى معاجمه الثلاثة ، والبزار .

(٣) مسند الامام أحمد ص ٢٢ حديث ٣٠٥٧ ج ٥ باسناد صحيح . وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال : خرجنا فى سفر فأصاب رجلا منا حجر فشجه فى رأسه ثم احتلم ، فسأل أصحابه فقال : هل تجدون لى رخصة فى التيمم ؟ فقالوا : ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء ، =

غيرَ خزايا ولا ندامى . قالوا : إنا نأتيك[1] من شقة بعيدة وبيننا وبينك هذا الحيُّ من كفار مُضَرَ ، ولا نستطيعُ أن نأتيكَ إلا في شهرٍ حرامٍ ، فمُرنا بأمرٍ نخبرُ بهِ مَنْ وراءنا ، ندخلُ به الجنةَ ، فأمرهم بأربعٍ ، ونهاهم عن أربع . . . . قال : احفظوه وأخبروه من وراءكم[2] . ولم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم طريقة من طرق التبليغ والإعلام في ذلك العصر إلا استعملها في سبيل تبليغ الإسلام ، فأرسل الرُّسلَ ، وطيَّرَ الكتب ، ووجه الأمراء والقضاة ، فكان مثالا طيباً لنشر الرسالة ، وتبليغ الأمانة ، ومنع كتمان العلم : فقال « من سُئِلَ عن علمٍ فكتمَهُ ، أُلجمَ بلجامٍ من نارٍ يومَ القيامةِ[3] » وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَثلُ الذي يتعلمُ علماً ثم لا يحدثُ به مَثلُ رجلٍ رزقهُ اللهُ مالاً فكنزَهُ فلمْ يُنفقْ منهُ[4] » فهو بمعنى الآية الكريمة : « وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ

---

(١) هكذا النص .

(٢) فتح البارى ص ١٩٤ ج ١ . وتتمة الحديث : أمرهم بالإيمان بالله عز وجل وحده ، قال هل تدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وتعطوا الخمس من المغنم ، ونهاهم عن الدباء ، والحنتم ، والمزفت قال شعبة ربما قال : النقير ، وربما قال المقير . قال : احفظوه وأخبروه من وراءكم » .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٥ حديث ٧٥٦١ ج ١٤ وص ٨٦ حديث ٧٩٣٠ ج ١٥ .

(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآدب السامع ص ٧١ : ب .

وَجُنوبُهُم وَظُهورُهُمْ هَـــذا ما كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ [١] » .

٣ — منزلة العلماء (المعلمين) :

يكفى رجال العلم فضلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رائدهم ، وأول من حمل لواء التحرير من الجهالة والضلال . وقد بين عليه الصلاة والسلام منزلتهم فقال : « العلماء ورثةُ الأنبياء[٢] » . وحث الأمة على احترام العلماء ومعرفة حقوقهم فقال : ليسَ مِن أُمتى مَنْ لم يُجلّ كبيرَنا ، ويرحمْ صغيرَنا ، ويعرفْ لعالِمنا حقه[٣] » وإن للعالِم نصيبه عند الله عز وجل من هذا الأجر كما لطالب العلم نصيبه منه . وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : « . . . العالمُ والمتعلمُ شريكانِ فى الأجرِ[٤] » وقال صلى الله عليه وسلم : « مُعلّمُ الخيرِ يستغفرُ لهُ كلُّ شىء حتى الحيتانُ فى البحارِ[٥] » .

٤ — منزلة طلاب العلم :

من أعظم ميزات الإسلام ، أن كل عمل يقوم به المسلم يعود عليه بالفائدة

---

(١) ٣٤ و ٣٥ : التوبة .

(٢) مجمع الزوائد ص ١٢١ ج ١ رواه عن أبى الدرداء وقال : « العلماء خلفاء الأنبياء » وله فى السنن : « العلماء ورثة الأنبياء » وقال : رواه البزار ورجاله موثوق بهم .

(٣) مجمع الزوائد ص ١٢٧ ج ١ . رواه الإمام أحمد والطبرانى فى الكبير وإسناده صحيح .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨ ج ١ من حديث طويل ذكره ابن عبد البر عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) مجمع الزوائد ص ١٢٤ ج ١ ، وقد رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه إسماعيل ابن عبد الله بن زرارة وثقه ابن حبان وقال الأزدى منكر الحديث ، ولا يلتفت إلى قول الأزدى فى مثله ، وبقية رجاله رجال الصحيح . عن جابر بن عبد الله .

ولم يقتصر حض رسول الله لأصحابه على طلب العلم الشرعي من خلال القرآن والسنة الطاهرة ، بل دعاهم إلى كل علم يفيد المسلمين . حتى إنه أول ما قدم المدينة ، وسمع من زيد بن ثابت بضع عشرة سورة من القرآن ، وهو صغير السن أعجب به ، وأمره أن يتعلم لغة اليهود ، فقال : « يا زيدُ تعلمْ لىَ كتابَ يهود ، فإنى واللهِ ما آمنُ يهودَ على كتابى » وفى رواية : « إنى أكتبُ إلى قومٍ فأخافُ أن يزيدوا علىّ أو يُنقِصوا ، فتعلمِ السّريانية » . قال زيد : فتعلمتها فى سبعة عشر يوما[1] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يدعو الله عز وجل فيقول : « اللهمَ إنى أعوذُ بكَ من علمٍ لا ينفعُ ، ومن دعاء لا يُسمعُ ، ومِنْ قلبٍ لا يخشعُ ، ومن نَفسٍ لا تَشبعُ[2] » .

وذكر عليه الصلاة والسلام العلم النافع فى ثلاثة لا ينقطع أجرها بعد الموت ، فقال : « إذا ماتَ الإنسانُ إنقطعَ عملُهُ إلاّ من ثلاثةِ أشياء : من صدقةٍ جاريةٍ ، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ بعدَه ، أو ولدٍ صالحٍ يدعو لَهُ[3] . »

هكذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة العلم وحض أصحابه

= فاغتسل فات، فلما قدمنا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال : « قتلوه قتلهم الله ، ألا سألوا إذ لم يعلموا ، فإنما شفاء العى السؤال ، إنما كان يكفيه أن يتيمم . . ويعصب : . على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده » انظر سنن أبى داود ص ٨٢ ج ١ .

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ص ٢٨٠ و٢٨١ ج ٦ ، وطبقات ابن سعد ص ١١٥ قسم ٢ ج ٢ ، وللاستزادة راجع كتابنا زيد بن ثابت ص ٤ و ١٧ .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٦ ج ١ عن أبى هريرة وأخرج نحوه زهير بن حرب فى كتاب العلم عن أنس ، انظر : كتاب العلم ص ١٩٤ .

(٣) جامع بيان العلم ص ١٥ ج ١ عن أبى هريرة . ورواه البخارى فى الأدب ومسلم وأبو داود والنسائى والترمذى .

والمسلمين جميعاً على طلبه ، ولم يكتف بذلك بل أمر بتبليغه .

٢ — حضه على تبليغ العلم :

إن الغاية من العلم أن ينتفع أصحابه ، وينفعوا غيرهم به ، ولا فائدة من علم مكتوم أو فقه فى صدور العلماء ، لا ينال منه الناس شيئاً ، لذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنشر العلم ، وحرم كتمانه ، وذكر ذلك فى مناسبات كثيرة ، وشهد على هذا ألوف المسلمين . قال ابن مسعود : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نضَّرَ الله امرأً سمعَ منا حديثاً فحفِظَهُ حتى يبلغَهُ ، فرُبَّ مبلَّغٍ أحفَظُ لهُ من سامعٍ [(١)] » ، والحديث مشهور ، وطرقه كثيرة بألفاظ متقاربة ، منها : « ربَّ مبلَّغٍ أوعى من سامِعٍ ، وربَّ حامل فقهٍ غير فقيه ، وربَّ حامل فقه إلى من هُو أفقهُ منهُ » ، ومنها : « نضَّر الله عبداً سمعَ مقالتى فوعاها ثم أدّاها إلى مَنْ لمْ يسمعْها ، فرُبَّ حاملِ فقهٍ لا فقه له ، وربَّ حاملِ فقهٍ إلى من هو أفقه منه ، ثلاثٌ لا يُغَلُّ عليهِنَّ قَلْبُ المؤمنِ ، إخلاصُ العملِ لله عز وجل ، وطاعةُ ذوى الأمرِ ، ولُزومُ الجماعَةِ ، فإن دعوتَهم تكونُ من ورائِهم [(٢)] .

وكان يبلغ الوفود التى تفد إليه أن يحملوا الإسلام إلى من خلفهم ، ويفقهوهم فى الدين ، ومن ذلك ما فعله عندما قدم إليه وفد عبد القيس ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَن القومُ ؟ قالوا : ربيعة . قال : مرحباً بالقومِ — أو الوفدِ —

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٩٦ حديث ٤١٥٧ جـ ٦ بإسناد صحيح ورواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان .

(٢) الجرح والتعديل ص ٩ و ١٠ و ١١ جـ ١ . وانظر سنن ابن ماجة ص ٨٤ — ٨٥ جـ ١ ، وجامع بيان العلم ص ٣٩ جـ ١ رواه عن زيد بن ثابت .

والخير يكتب له به عند الله أجره حتى طلب العلم ، قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ غدا إلى المسجدِ لا يريدُ إلاّ أن يتعلّمَ خيراً ، أو يعلمهُ كانَ له كأجرِ حاجٍ تاما[1] حجّتُه[2] » وفى رواية : « كان بمنزلةِ المجاهدِ فى سبيلِ اللهِ[3] » و « مَنْ طلبَ علماً فأدركَهُ كتبَ اللهُ لَهُ كفلينِ مِنَ الأجر ، ومَنْ طَلَبَ علماً فلم يُدرِكهُ كتبَ اللهُ له كفلاً من الأجر[4] » وقال : « إذا جاءَ الموتُ طالبَ العلمِ وهو على حالِهِ ماتَ شهيداً[5] . » . وإنّ فضل العلم ليربُو على فضل العبادةِ أحيانا لقوله صلى الله عليه وسلم : « فضلُ العلمِ خيرٌ مِنْ فضلِ العبادةِ ، ومِلاكُ الدينِ الورع[6] . »

وإن منزلة طلاب العلم لتبدو مجسمة واضحة فيما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « . . . وَمَنَ سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طريقاً إلى الجنّةِ ، وما اجتمعَ قومٌ فِي بيتٍ من بُيوتِ اللهِ ، يتلونَ كتابَ اللهِ ويتدارسُونَهُ بينهُم ، إلا نزَلت عليهم السكينةُ ، وغشيتهُمُ الرحمةُ ،

---

(١) هكذا النص .

(٢و٣) مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ . الأول رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة ورجاله موثوق بهم ، والثانى أخرجه الطبرانى أيضاً فى الكبير عن سهل بن سعد وفى سنده يعقوب بن حميد بن كاسب وثقه البخارى وابن حبان وضعفه النسائى وغيره ولم يستندوا فى تضعيفه إلا إلى أنه محدود وسماعه صحيح . مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ . وانظر سنن ابن ماجه ص ٥١ ج ١ وجامع بيان العلم ص ٣٣ ج ١ .

(٤) مجمع الزوائد ص ١٢٣ ج ١ رواه الطبرانى فى الكبير عن واثلة بن الأسقع ورجاله موثوق بهم .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٣١ ج ١ رواه البزار عن أبى هريرة وأبى ذر .

(٦) المرجع السابق ص ٢٢ ج ١ رواه البزار والطبرانى فى الأوسط والحاكم .

وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله عز وجل فيمن عنده . ومن أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه[(١)] » .

وقال صفوان بن عسال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد متكىء على برد له أحمر ، فقلت له : يارسول الله ، إني جئت أطلب العلم ، فقال : « مرحباً بطالب العلم ، إن طالب العلم لتحفه الملائكة بأجنحتها ، ثم يركب بعضهم بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب[(٢)] » وفي رواية « من حبهم لما طلب[(٣)] » .

٥ — وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاب العلم :

عن أبي هارون العبدي قال : كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال : مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : قلنا : وما وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قال : لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه سيأتي بعدي قوم يسألونكم الحديث عني ، فإذا جاؤكم فالطفوا بهم ، وحدثوهم[(٤)] .

وفي رواية أنه : إذا رأى الشباب قال : مرحبا بوصية رسول الله صلى الله

---

(١) مسند الإمام أحمد ص١٦١ حديث ٧٤٢١ ج ١٣ باسناد صحيح ، رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان . ونحوه في مجمع الزوائد ص١٢٢ ج ١ وسنن ابن ماجه ص ٥١ ج ١ .

(٢و٣) مجمع الزوائد ص ١٣١ ج ١ ، رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح ، وانظر الجرح والتعديل ص ١٣ ج ١ .

(٤) شرف أصحاب الحديث ص٢٢ : آ ، وقد رواه الخطيب البغدادي بسنده الآتي : أنا أبو عمر محمد بن محمد بن علي بن حبيش التمار ، حدثنا أبو علي اسماعيل ابن الصفار إملاء ، حدثنا محمد بن علي السرخسي ، حدثنا علي بن عاصم ح وأخبرنا علي بن محمد بن عبد الله بن بشران المعدل ، حدثنا أبو عمر عثمان بن أحمد الدقاق إملاء ، حدثنا أبو بكر يحيى بن جعفر الواسطي ، أخبرنا علي بن عاصم أخبرنا أبو هارون العبدي ولفظ الحديث لابن بشران .

عليه وسلم ، أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نوسعَ لكم فى المجلس وأن نُفقّهكم ، فإنكم خلوفنا ، وأهلُ الحديثِ بعدنا[1] .

وفى رواية أخرى عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأمرهم بأن يُرحبوا بطلاب العلم ، فيقول : سيأتيكم أقوامٌ يطلبون العلمَ ، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم مرحباً بوصيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتوهم[2] .

وفى رواية : « وإنهم — أى طلاب العلم — سيأتونكم من أقطارِ الأرض يتفقهون فى الدينِ فإذا جاؤكم فاستوصوا بهم خيراً »[3] .

تلك لمحة سريعة عن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم من العلم ، وتشجيعه العلماء وطلاب العلم على التعليم والتعلم ، فبين فضل العلم والعلماء وطلابه ، ومنزلة كل منهم وأجره ، حتى إن المرء لا يكاد يسمع شيئاً من ذلك ، إلا اندفع تلقائيا ، ليكون أحد أطراف الحياة العلمية ، فهل بعد هذا كله وسيلة تشجيعية لطلاب العلم وتحصيله ؟ وهل وراء ذلك ما يثنى الصحابة ومن بعدهم عن دراسة الحديث وحفظه وإتقانه ؟ !

إن التشجيع العلمى بلغ أوجه ، وسبيل العلم متيسر للجميع ليس بينه وبين طلابه حاجز أو مانع ، ومعلم الخير يرحب بكل طالب .

وننتقل بعد هذا إلى منهج الرسول الكريم فى تعليم أصحابه

* * *

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٧٢ : ب .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٥٥ ج ١ .

(٣) سنن ابن ماجه ص ٥٦ ج ١

(د) منهجه صلى الله عليه وسلم فى التعليم :

إن منهج الرسول الكريم فى تبليغ أصحابه لا يتعدى منهج القرآن العظيم ، إذ كان الرسول مبلغا لكتاب الله تعالى ، مبينا أحكامه ، موضحاً آياته ، وقد نزل القرآن منجما على محمد صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث وعشرين سنة ، والرسول الكريم يبلغ قومه ، ومن حوله ، ويفصل تعاليم الإسلام ، ويطبق أحكام القرآن . فكان معلماً وحاكما وقاضيا ومفتيا وقائداً طيلة حياته عليه الصلاة والسلام ، فكل ما يتعلق بالأمة الإسلامية فى جميع شؤونها ، دقيقها وعظيمها ، وكل ما يتناول الفرد والجماعة فى مختلف نواحى حياتهم ، مما لم يرد فى القرآن فهو من السنة ، العملية أو القولية أو التقريرية ، ومن ثمّ نجد بين يدينا أحكاماً وآداباً وعبادات وقربات شرعت وطبقت وسنت خلال ربع قرن ، فلم توضع السنة دفعة واحدة[1] كمجموعة من الشرائع الوضعية ، أو الأحكام الخلقية ، التى يمليها بعض الحكماء والوعاظ ، وإنما شرعت لتربية الأمة دينياً واجتماعياً وخلقياً وسياسياً ، فى السلم والحرب ، فى الرخاء والعسر ، وتتناول النواحى العلمية والعملية . فلم يكن من السهل أن ينقلب الناس آنئذ فجأة ، ويتحولوا بين عشية وضحاها عن تعاليمهم القديمة ، ودياناتهم

---

(١) والسنة لم تكن قط نتيجة للتطور الدينى والسياسى والإجتماعى للاسلام فى القرنين الأول والثانى كما أدعى « جولد تسيهر » الذى يضيف فيقول : « وليس صحيحاً ما يقال من أنه — أى الحديث — وثيقة للاسلام فى عهده الأول عهد الطفولة ، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج » راجع نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى عن دراسات إسلامية لجولد تسيهر . كما ذكر « فنسنون ويت » هذا الرأى لجولد تسيهر فى مقاله عن الحديث فى « التاريخ العام للديانات » ص٣٦٦ ج ٤ بالفرنسية . وذكر واضعو دائرة المعارف الإسلامية قريباً من هذا القول عن جولد تسيهر فى مادة حديث . نقلا عن كتابه « دراسات إسلامية » ويرى أن السنة من وضع المسلمين . وهذا محض افتراء سأدرس له فى « باب وضع الحديث » ، فليراجع .

وعاداتهم وتقاليدهم إلى الإسلام فى نظمه وتعاليمه وعقائدة وعباداته .

لقد تدرج القرآن الكريم فى انتزاع العقائد الفاسدة والعادات الضارة ، ومحاربة المنكرات التى كان عليها الناس فى الجاهلية ، وثبت بالتدريج أيضاً العقائد الصحيحة ، والعبادات ، والأحكام ، ودعا إلى الآداب السامية والأخلاق الفاضلة ، وشجع الذين التفوا حول الرسول صلى الله عليه وسلم على الصبر والثبات وفى هذا كله كان الرسول الكريم يبين القرآن ، ويفتى الناس ، ويفصل بين الخصوم ويقيم الحدود ، ويطبق تعاليم القرآن ، وكل ذلك سنة ، وسنتناول الآن منهج الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، فى ذلك كله ، متوخين الإيجاز ، وإن لدراسة أسلوبه ومنهجه لأثرا بعيدا فى تثبيت سنن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولولا ذلك لم نتعرض لدراسته .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اتخذ دار الأرقم مقرا له ولأصحابه حين كانت الدعوة سرية ، فيلتف حوله المسلمون الأوائل بعيدا عن المشركين يتذاكرون كتاب الله ، وهو يعلمهم مبادىء الإسلام ، ويحفظهم ما يتنزل عليه من القرآن ، وبعد ذلك أصبح منزل الرسول عليه الصلاة والسلام فى مكة ندوة المسلمين ، ومعهدهم الذى يتلقون فيه القرآن الكريم ، وينهلون من الحديث الشريف على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا شك فى أن الصحابة كانوا يستظهرون آيات القرآن ، ويتدارسونها فيما بينهم ، فى بيوتهم وفى حوانيتهم ، فى المدينة وفى البيداء ، ليثبتوا ما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد يتذاكرون تفسير ما تلقوه ، وما تفسيره إلا شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحديث . فحفظ حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام كان متمشيا جنباً إلى جنب مع حفظ القرآن العظيم من الأيام

الأولى لظهور الإسلام . وقصة إسلام عمر تثبت أن المسلمين كانوا يقرءون القرآن في بيوتهم ، ويتفقهون في الدين . . .

ثم أصبح المسجد فيما بعد — المكان المعهود للعلم والفتوى والقضاء ، إلى جانب العبادة وإقامة الشعائر الدينية ، وعرض الأمور العامة على المسلمين . . .

ومع هذا لم يقتصر تبليغ الرسول عليه الصلاة والسلام على مكان محدود ولا على مناسبة معينة ، فقد كان يستفتى في الطريق فيفتى ، ويسأل في المناسبات فيجيب ، يبلغ الأحكام في كل فرصة تسنح له ، وفي كل مكان يتسع لذلك : في حله وترحاله ، في سلمه وحربه .

وإلى جانب هذا كانت له مجالس علمية كثيرة يتخول فيها أصحابه بالموعظة ، فإذا جلس جلس إليه أصحابه حلقاً حلقاً[١] . ويقول أنس رضي الله عنه : إنما كانوا إذا صلوا الغداة قعدوا حلقا حلقا ، يقرءون القرآن ، ويتعلمون الفرائض والسنن[٢] ومن تاريخ الصحابة وحياتهم العلمية نعلم أن الرسول الكريم لم يكن يضن على مسلم بالعلم ، وأنه كان يكثر مجالسة أصحابه يعلمهم ويزكيهم . وسيظهر لنا ذلك من البحث .

عن ابن مسعود قال : « كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يتخولُنا بالموعظةِ في الأيام كراهةَ السآمةِ علينا[٣] » فقد كان عليه الصلاة والسلام يخشى أن يمل أصحابه فيتخولهم بالموعظة بين وقت وآخر ، لأن الاستمرار في تعليمهم وتوجيههم ، يدخل الملل إلى نفوسهم ، فتقل الفائدة ، فمن الحكمة سلوك هذا

(١ و ٢) انظر مجمع الزوائد ص ١٣٢ ج ١ . وإن كان في بعض رجالهما مقال فان الطرق الكثيرة التي رويا بها تؤيد صحة الاستشهاد بهما .

(٣) فتح الباري ص ١٧٢ و ١٧٣ ج ١ ومسند الإمام أحمد ص ٢٠٢ حديث ٣٥٨١ ج٥

الطريق فى التعليم ، وهو الطريق الذى تعتمده اليوم المؤسسات التربوية فى مناهجها التعليمية ، وهى خـــير طريقة لتثبيت ما يتلقاه الطالب من المعلومات .

— وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب الناس على قدر عقولهم ، فإن الكلام الذى لا يبلغ عقول السامعين ولا يفهمونه قد يكون فتنة لهم ، فيأتى بغير المقصود منه .

لقد كان الرسول الكريم يخاطب حضوره بما يدركونه ، فيفهم البدوى الجافى بما يناسب جفاءه وقسوته ، ويفهم الحضرى بما يلائم حياته وبيئته ، كما أنه كان يراعى تفاوت المدارك ، وانتباه أصحابه وقدرهم الفطرية والمكتسبة ، فتكفى منه الإشارة إلى الألمعى الذكى ، واللمحة العابرة إلى الحافظ المجيد . من ذلك : ما رواه أبو هريرة قال : جاء رجل من بنى فَزَارَةَ إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : إن امرأتى وَلَدَتْ غلاماً أسوَدَ وإنى أنكرتُه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « هَلْ لَكَ مِنْ إبلٍ » قال : نعم . قال : « فما أَلوانُها ؟ » قال : حمر . قال : « هل فيها من أَوْرَقَ ؟ » قال : إنّ فيها لورقاً . قال : « فأَنَّى أتاها ذلك ؟ » قال : عَسَى أن يكونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ . قال : « وهذا عسى أن يكونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ [١] » .

ومن ذلك أن فتى من قريش أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ائذن لى فى الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا : مه مه ! ! فقال : أُدنه فدنا منه قريباً . فقال : « أَتحبُّه لأُمِّك ؟ » قال : لا والله جعلنى الله

---

(١) صحيح مسلم ص ١١٣٧ من الحديثين ١٨ و ٢٠ ج ٢ . الأورق الذى فيه سواد ليس بصاف . والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب .

فداك . قال : « ولا الناسُ يُحِبُّونَهُ لأمهاتِهم » قال : « أفتحبه لابنتِكَ ؟ » قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداك . قال : « ولا الناسُ يُحبونَهُ لبناتِهم » — ثم ذكر له رسول الله أخته وعمته وخالته ، وفي كل ذلك يقول الفتى مقالته : « لا والله يا رسولَ اللهِ جعلني الله فداك » — قال : فوضع يده عليه وقال : « اللهمَّ اغفرْ ذنبهُ ، وطَهِّرْ قَلْبَهُ وَحَصِّنْ فرجَه . » قال (الراوى) فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء[1] .

لقد اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلوباً جعل الفتى يدرك أثر الزنا فى المجتمع ، وكيف أنَّ النـاسَ جميعاً لا يرضونه لأنفسهم وأهليهم كما أنه لا يرضاه هو لذويه ، مما حمله على الاقتناع بالإقلاع عنه ، وخير الأمور ما كان الدافع إليه من قرارة النفس .

وكان يخـاطب القوم بلغتهم ولهجتهم ، ومن هـذا ما رواه الخطيب البغدادى بسنده عن عاصم الأشعرى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من امبرِ امصيامُ فى امسَفرِ . » أراد ليس من البر الصيام فى السفر وهذه لغة الأشعريين يقلبون اللام ميما[2] .

وكان إذا تـكلم تكلم ثلاثاً لـكى يفهم عنه[3] ، وإذا تكلم تـكلم فصلا يبينه ، فيحفظه منه من سمعه[4] .

---

(١) مجمع الزوائد ص ١٢٩ جـ ١ عن أبى أمامة الباهلى . رجاله رجال الصحيح وقد رواه الطبرانى فى الـكبير .

(٢) الـكفاية ص ١٨٣ وقد أخرجه الإمام أحمد . وأخرج الشيخان ومالك وأبو داود والنسائى « ليس من البر الصوم فى السفر » تيسير الوصول ص ٣١٢ جـ ٢

(٣) مجمع الزوائد ص ١٢٩ جـ ١ عن أبى أمامة رواه الطبرانى فى الـكبير باسناد حسن وأخرج البخارى نحوه عن أنس انظر صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٢٩ جـ ١

(٤) كتاب تسمية ماورد به الخطيب ص٢٩ جـ١ رواه عن عروة عن عائشة ، مخطوطة المـكتبة الظاهرية دمشق مجموع (١٨)

وعن عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يسرد الكلام كسردكم، ولكن كان إذا تكلم بكلام فصل يحفظه من سمعه[١] . وفى رواية إنما كان النبى يحدث حديثا لو عده العاد لأحصاه[٢] .

ويظهر أنه كان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيد كلامه ويكرره على السامعين حتى يدركوه جميعاً فلا يفوت أحدهم بعضه فعن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن النبى عليه الصلاة والسلام كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا[٣] ولا يفهم من حديث أنس هذا أنه كان يفعل ذلك دائما بل بقدر ما تقتضيه الحاجة .

فمن جميع ما سبق يتبين لنا أنه صلى الله عليه وسلم كان يبين للناس الأحكام جيداً حتى لا يبقى لسامع سؤال ، ولا لسائل مشكل يقف عنده . حتى إنه كان يجيب السائل بأكثر مما سأله[٤] .

كان يتمنيا التيسير فى جميع أموره ، وينهى عن التشديد والتعقيد ، يريد من المسلمين أن يأتوا الرخص كما يأتون بالعزائم ، وينهى عن التنطع فى العبادة . والتضييق فى الأحكام ، ولا بعد فى ذلك كله ، فإنه ناطق بلسان الشريعة السمحة الميسرة . ويظهر لنا أسلوبه فى ذلك كله من تتبع سيرته عليه

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٩٦ : ب وفتح البارى ص ٣٩٠ جـ ٧ القسم الأول من الحديث .

(٢) فتح البارى ص ٣٨٩ جـ ٧ وقبول الأخبار ومعرفة الرواة ص ٥٨ ذكره أبو القاسم البلخى يريد الطعن فى أبى هريرة فلم يفلح .

(٣) فتح البارى ص ١٩٨ و ١٩٩ جـ ١ ، ولعل المراد بالسلام هنا سلام الاستئذان فى الدخول .

(٤) انظر فى ذلك فتح البارى ص ٢٤١ جـ ١ باب من أجاب السائل بأكثر مما سأله .

الصلاة والسلام . ويتجلى مع هذا حلمه تارة ، وحبه لأمته تارة أخرى وغضبه للحق حينا ، ونهيه عن التعقيد أحيانا . من ذلك ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه ، قال : « دخل أعرابى المسجد فصلى ركعتين ، ثم قال اللهم : ارحمنى ومحمداً ولا ترحم معنا أحدا ! ! فالتفت (إليه) النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « لقد تحجّرتَ واسعا ! ! ثم لم يلبث أن بال فى المسجد ! ! فأسرع الناس إليه ، فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام : « إنما بُعثتم مُيسّرينَ ، ولم تُبعثوا معسِّرينِ ، أهريقُوا عليهِ دَلْوا من ماء أو سِجلاً من ماء . »[1]

وكان يدعو إلى التيسير دائما ، فعن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « علِّموا ويَسِّروا ولا تُعسِّرُوا ، وإذا غضبَ أحدُكم فليَسْكُتْ[2] » وعن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خيرُ دينِكم أيسرُه ، وخيرُ العبادةِ الفقهُ[3] . » كما كان ينهى عن الأغلوطات

---

(١) القسم الثانى من الحديث أى بول الاعرابى فى المسجد ذكره البخارى عن أنس وعن أبى هريرة ، انظر فتح البارى ص ٣٣٠ و ٣٣٦ جـ ١ وقصة الدعاء فى موضع آخر . والحديث المذكور أخرجه الإمام أحمد باسناد صحيح فى مسنده ، انظر المسند ص ٤ : ٢ حديث ٧٢٥٤ جـ ١٢ و ص ٢٠٩ حديث ٧٧٨٦ جـ ١٤ ، قوله صلى الله عليه وسلم « تحجرت واسعاً » : أى ضيقت ما وسعه الله ، يقال حجرت الأرض واحتجرتها إذا ضربت عليها مناراً تمنعها به عن غيرك . ويرد الأستاذ أحمد محمد شاكر على المستشرق بروكلمان لفهمه هذا الحديث فهما خاطئا راجع هامش ص ٢٤٥ جـ ١٢ منه .

(٢) مسند الإمام أحمد : ص ١٢ حديث ٢١٣٦ و ص ١٩١ حديث ٢٥٥٦ جـ٤ و ص ١٥٠ حديث ٣٤٤٨ جـ ٥ و مجمع الزوائد ص ١٣١ جـ ١ ، وراجع فتح البارى ص ١٩٦ جـ ١ ، فيه غضبة ممن يطول الصلاة وفى المصلين الضعيف وذو الحاجة ، وطلب ممن يصلى بالناس التخفيف لذلك .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٢١ جـ ١ وقال رواه البخارى فى الأدب المفرد .

وصعاب المسائل[١] . ومشهور عن معلم الخير صلى الله عليه وسلم أنه « ما خُيِّرَ بينَ أمرينِ إلا أخذَ[٢] أيسَرَهُما ما لم يكنْ إثما ، فإن كانَ إثما كانَ أبعدَ الناسِ منه . وما انتقمَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لنفسِهِ إلاّ أنْ تُنتَهَكَ حُرمَةُ اللهِ فينتقِمَ للهِ بها[٣] » .

ـــ وكان صلى الله عليه وسلم فى معاملته للمسلمين جميعا أخا متواضعا ومعلما حليما ، بل كان أبا رحيما ، فإذا ما أراد أن يعلم أصحابه بعض الآداب خاطبهم ألين الخطاب وأحبه إلى نفس المخاطب ، فيقول مثلا : « إنّما أنا لكم مثلُ الوالدِ إذا أتيتُم الغائطَ فلا تَستقبِلوا القِبلةَ ولا تَستدبِروها[٤] . » وإذا ما أعجب أصحابه به ، وحاول بعضهم الثناء عليه أو اطراءه أبى ذلك وقال : « لا تُطرونى كما أطرتِ النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبدٌ ، فقولوا عبدَه ورسولَه[٥] » فلم يرض أن يرفعوه عن درجة البشر ويعظموه ، وما كان ينتظر منهم جزاء ولا شكوراً .

تعليم النساء :

جاء نسوة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلن يا رسول الله ما نقدر

---

(١) انظر عيون الأخبار ص ١١٧ ج ٢ ، ذكر حديثاً عن معاوية بن أبى سفيان قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات . قال الأوزاعى : يعنى صعاب المسائل .

(٢) كذا فى النص .

(٣) فتح البارى فى حديث عائشة رضى الله عنها ص ٣٨٥ و ٣٨٦ ج ٢

(٤) مسند الإمام أحمد ص ١٠٠ حديث ٧٣٦٢ ج ١٣ ونحوه فى فتح البارى ص ٢٥٥ ج ١

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٦ حديث ١٦٤ ج ١ باسناد صحيح عن ابن عباس عن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عليكَ فى مجلسك من الرجال، فواعدنا منك يوما نأتيك فيه ، قال : « موعدُكُنّ بَيتُ فلان » وأتاهُنّ فى ذلكَ اليومِ ، ولذلك الموعد ، قال (أبو هريرة) : فـكان مما قال لهن : « ما مِنْ امرأةٍ تُقَدِّمُ ثلاثا مِنَ الولدِ تَحْتَسِبُهُنّ إلا دَخَلت الجنَّةَ » فقالت امرأة منهن : أو اثنتان ؟ قال : « أو اثنتان[1] . »

وكان النساء يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيبهن عن أمور دينهن ولم يكن ذلك صدفة أو نادراً ، بل خصص لهن أوقاتا خاصة يجلسن فيها إليه ، ويتلقين عنه تعاليم الإسلام ، ويفتيهن ، قالت عائشة رضى الله عنها : نعم النساء نساء الأنصار ، لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن فى الدين[2] .

وهاهى ذى أم سليم — وهى بنت ملحان والدة أنس بن مالك — تأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم — وأم سلمة حاضرة — فتقول : يارسول الله إن الله لا يستحى من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا رأتِ الماء » فغطت أم سلمة — تعنى وجهها — وقالت : يارسول الله ، أو تحتلم المرأةُ ؟ قال : « نعمْ ، تَرِبت يمينُك ، فَبِمَ يُشبِهُها ولدُها[3] ؟ » .

بهذه الروح الطيبة ، والنفس السامية ، والصدر الرحب ، والمنهج التربوى الصحيح كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه والمسلمين عامة أحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه ، ولم يكن بين الرسول الكريم والمسلمين حاجب

---

(١) مسند الإمام أحمد ص٨٥ حديث ٧٣٥١ ج١٣ وفتح البارى ص٢٠٦ ج١ ، تحتسبهن أى تحتسب أجرها على الله فى الصبر على المصيبة .

(٢) فتح البارى ص ٢٣٩ ج ١

(٣) فتح البارى ص ٢٣٩ ج ١ عن هشام بن عروة عن زينب ، ابنة سلمة عن أم سلمة قالت جاءت أم سليم . (أو تحتلم) من غير همزة فى الأصل وفى رواية الكشميهنى (أو تحتلم)

كالملوك والقياصرة ، بل كان المسجد معهده يعلم فيه المسلمين الشريعة ، وقد يرونه فى الطريق فيسألونه ، فيبش لهم ويجيبهم ، وقد يعترضونه فى مناسكه وحجه ، أو على راحلته يستفتونه فيفتيهم[1] والابتسامة لا تفارق ثغره ، وقد تكون إجابته لسائل عن مسألة وحوله جمع قليل أو كثير ، وقد يكون على منبر مسجده يبلغ الناس الإسلام وتعاليمه ، ويفصل الأحكام ويشرحها . . . فينقل السامعون ما تلقوه إلى إخوانهم وذويهم فإن من سمع وشاهد ووعى ستبقى آثار ما تلقاه واضحة جلية فى نفسه أمداً طويلا ، حتى إذا ماشك فيما سمع ، عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليزيل وهمه ، ويثبته على الصواب ويرده إلى الحق .

من كل ما سبق يتبين لنا أن منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم كفيل بأن يحقق ما كان يريده الرسول الكريم من تعليم أصحابه وتربيتهم وتطبيق أحكام الشريعة ، وكفيل بأن يثبت تلك الأحكام والتعاليم فى نفوسهم .

بعد هذا نقدم على دراسة « المادة » لنرى تفاعل الصحابة معها وتجاوبهم

---

(١) راجع مسند الإمام أحمد ص ١٧ حديث ٥٦٢ جـ ٢ حول حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه . . . واستفته جارية شابة من خثعم فقالت : إن أبى شيخ كبير قد أفند ، وقد أدركته فريضة الله فى الحج فهل يجزىء عنه أن أؤدى عنه ؟ قال : نعم ، فأدى عن أبيك ، قال (على بن أبى طالب) وقد لوى عنق الفضل ، فقال له العباس : يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : رأيت شاباً وشابة ، فلم آمن من الشيطان عليهما ، قال : ثم جاءه رجل فقال : يا رسول الله حلقت قبل أن أنحر ؟ قال انحر ولا حرج ، ثم أتاه آخر فقال يارسول الله إنى أفضت قبل أن أحلق ؟ قال : احلق أو قصر ولا حرج . . .

إن هذا القسم من الحديث يعطينا صورة حية عن فتاوى الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين . وراجع فتح البارى ص ١٩١ و ٢٣٣ جـ ١

وإياها ، ثم ننتقل إلى الصحابة وكيفية تلقيهم الشريعة عن الرسول صلى الله عليه وسلم

* * *

٢ — مادة السنة

عرفنا في مقدمة هذا الباب أن السنة هي المادة التي تلقاها الصحابة رضي الله عنهم مع القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشاركوا في تطبيقها واتباعها .

وإنا لنرى هذه المادة تتعلق بالمسلمين في جميع أمور حياتهم : في عقائدهم وعباداتهم ، ومناسكهم ، وبيوعهم ومعاملاتهم ، وفي أحوالهم الشخصية ، وفي آدابهم ، كما تتصل اتصالا وثيقاً بمختلف مظاهر حياتهم اليومية في السلم والحرب في اليسر والعسر .

والمادة التي تتصف بهذه الصفات تجعل التلميذ متعلقاً بها محبا لها ، حريصا عليها ، لأنها الناظم لأموره وتصرفاته . وقد كان الصحابة حريصين على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم محبين لها ، يتسابقون إلى مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم ، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم القوى وحبهم لملهمهم الكبير ، وقد سمعوا وعرفوا ما للعلم من فضل ومكانة ، وما للعلماء وطلاب العلم من منزلة وأجر فأقبلوا على تلقي السنة وتطبيقها من قلوبهم صادقين مخلصين . ويظهر لنا ذلك جليا في دراسة كيفية تلقيهم السنة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ — كيف كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

ما كان الإيمان يخالط قلوب المسلمين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وينير سبيلهم — حتى عرفوا عظمة الإسلام . فانكبوا ينهلون من القرآن الكريم : ذلك المعين الذى لا ينضب بعد أن رأوا فيه المعجزة الكبرى والهداية العظمى وامتلأت قلوبهم حبا لله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، فتفانوا فى الدفاع عن مبادئهم وحماية قائدهم ومعلمهم ، حتى إن الرجل منهم ليفديه بماله ودمه وولده . لقد تحولت جميع قواهم الفطرية ، وفضائلهم الطبيعية ، وحيوياتهم الدائمة ، وتضافرت للمحافظة على الإسلام ونشره ، وإن التاريخ ليحفظ تلك المفاخر الخالدة من التضحيات العظيمة النادرة . . . فإذا ما دعت الحاجة إلى المال سارع المسلمون متنافسين فى تقديم أموالهم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا يتبرع بثلث ماله ، وذلك بنصف ماله ، وآخر بماله كله . . . !! وقد تضيق الحال بالمسلمين أنفسهم ، فنرى عثمان رضى الله عنه يهب قافلته التجارية القادمة من الشام للمسلمين ، ويأبى أن يبيعها بالمبالغ المغرية التى عرضت عليه ويقول : دفع لى بها أكثر من ذلك . .

وقد بذلوا نفوسهم للذود عن حياض الإسلام ، وفدوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأرواحهم فإذا ما نزل بهم الخطب فى غزوة أحد رأيناهم يتسابقون للدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أبو دجانة يجعل ظهره ترسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أثخنته الجراح ، وإلى جانبه على يذب عنه بسيفه ، وسعد بن أبى وقاص يرمى بقوسه حتى كتب لهم النصر . .

هذه نماذج قليلة لتفانى الصحابة وبذلهم فى سبيل عقيدتهم ودينهم وبهذه الروح السامية والحيوية الدائمة أقدموا على تلقى العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كان الصحابة يتعلمون من النبى صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم آيات معدودات: يتفهمون معناها، ويتعلمون فقهها، ويطبقونه على أنفسهم، ثم يحفظون غيرها، وفى ذلك يقول أبو عبد الرحمن السلمى: « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن: كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود، وغيرهما — أنهم كانوا إذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات، لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ... قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا[1] ».

وكان بعضهم يقيم عند الرسول صلى الله عليه وسلم يتعلم أحكام الإسلام وعباداته، ثم يعود إلى أهله وقومه يعلمهم ويفقههم، ومن هذا ما أخرجه البخارى عن مالك بن الحويرث قال: « أتينا النبى صلى الله عليه وسلم ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلة، فظن أنا اشتقنا أهلنا، وسألنا عمن تركنا فى أهلنا، فأخبرناه، وكان رفيقا رحيما، فقال: « ارجِعوا إلى أهليكم فَعلِّمُوهُم وَمُرُوهُم، وَصلُّوا كما رأيتمونى أصلِّى، وإذا حَضَرتِ الصَّلاةُ فليؤذِّنْ لكُمْ أحدُكُم، ثم لِيَؤُمَّكُمْ أكبرُكُم[2] ».

وكان الصحابة يحرصون على حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٤، وأبو عبد الرحمن السلمى هو عبد الله بن حبيب ابن ربيعة أحد كبار التابعين الذين سمعوا من عثمان رضى الله عنه وابن مسعود وزيد بن ثابت توفى سنة ٧٢ هـ وقال البخارى بين سنتى (٧٠ و ٨٠) انظر طبقات ابن سعد ص ١١٩ ج ٦ وتهذيب التهذيب ص ١٨٣ ج ٥.

(٢) صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٥٢ ج ٤ وسنن الدارمى ص ١٤٨ طبعة كانفور سنة ١٢٩٣.

حرصا شديدا ، إلى جانب قيامهم بأعمالهم المعاشية من الرعاية والتجارة وغيرها ، وقد يعسر على بعضهم الحضور ، فيتناوبون مجالسه عليه الصلاة والسلام ، كما كان يفعل ذلك عمر رضى الله عنه ، قال : « كنت أنا وجار لى من الأنصار فى بنى أمية بن زيد ، وهى من عوالى المدينة ، وكنا نتناوب النزول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك [١] » ...

ويقول البَرَاء بنُ عازِب الأوسى رضى الله عنه : « ما كل الحديث سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يحدثنا أصحابنا ، وكنا مشتغلين فى رعاية الإبل ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون ما يفوتهم سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيسمعونه من أقرانهم ، وممن هو أحفظ منهم، وكانوا يشددون على من يسمعون منه [٢] » . وفى رواية عنه : «ليس كلنا كان يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت لنا ضيعة وأشغال ولكن الناس لم يكونوا يكذبون يومئذ ، فيحدث الشاهد الغائب [٣] » .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه : « .. ليس كل ما نحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعناه (منه) ولكن كان يحدث بعضنا بعضا ولا يتهم بعضنا بعضا [٤] » . وفى رواية عن قتادة أن أنسا حدث بحديث فقال له رجل :

---

(١) فتح البارى ص ١٩٥ ج ١ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٤ .

(٣) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص٣٢ — ٣٣ . والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢ : آ ونحوه فى قبول الأخبار ومعرفة الرجال : ٩ و ١٠ .

(٤) قبول الأخبار ص ٩ . أورد أبو القاسم البلخى فى الصفحات الأولى من كتابه من (١ — ٤٦) أخباراً جيدة عن السنة والحديث وسماع الصحابة ثم ما لبث أن قلب ظهر المجن لهم وبدأ يطعن فى أهل الحديث ، وهو معتزلى مشهور وفاته (٣١٧ أو ٣١٩ هـ) وسأتعرض للرد عليه فى مواطن أخرى من هذا الكتاب .

أسمعت هذا من رسول الله ؟ قال : نعم . أو حدثني من لم يكذب والله ما كنا نكذب ولا كنا ندري ما الكذب(١) .

وكان الصحابة يتذاكرون دائما ما يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أنس بن مالك : كنا نكون عند النبي صلى الله عليه وسلم فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه(٢) .

وإلى جانب هذه المجالس ، كان الصحابة يتلقون السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجوه يمكن حصرها فيما يأتي :

(ا) حوادث كانت تقع للرسول نفسه ، فيبين حكمها ، وينتشر هذا الحكم بين المسلمين بمن سمعوه منه ، وقد يكون هؤلاء كثرة تمكنهم كثرتهم من إذاعة الخبر بسرعة ، وقد يكونون قلة فيبعث الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من ينادي في الناس بذلك الحكم .

مثال ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مر برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع فأخبره ، فأوحى إليه أدخل يدك فيه ، فأدخل يده ، فإذا هو مبلول ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسَ منّا مَنْ غَشّ »(٣) .

ومثال ذلك مارواه القاسم بن محمد أن عائشة أخبرته : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي مستترة بقِرام(٤) فيها صورة تماثيل ، فتلون

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٧ : آ ورواه السيوطي في مفتاح الجنة .
(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤٦ : ب
(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٨ حديث ٧٢٩٠ جـ ١٣ بإسناد صحيح
(٤) القرام بكسر القاف ثوب من صوف ملون . . وهو صفيق يتخذ سترا وقيل هو الستر الرقيق وقيل هو ستر فيه رقم ونقوش وجمعه قرم . انظر لسان العرب ص ٣٧٤ جـ ١٥

وجهه ، ثم أهوى القِرام ، فهتكه بيده ، ثم قال : « إنَّ أشدَّ الناسِ عذاباً يومَ القيامةِ الَّذين يُشَبِّهونَ بخَلقِ الله عزَّ وَجل[١] » .

وقد يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يسمع صحابياً يخطىء ، فيصحح له خطأه ، ويرشده ، من ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه رأى رجلا توضأ للصلاة ، فترك موضع ظفر على ظهر قدمه ، فأبصره النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « ارجِعْ فَأَحْسِنْ وُضُوءكَ » فرجع فتوضأ ثم صلى[٢] .

ومن ذلك ما رواه عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : فلان شهيد ، فلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلاَّ ، إنى رأيتُه فى النَّارِ فى بُردَةٍ غَلَّها أو عَباءةٍ ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : يا ابنَ الخطَّابِ : اذهَبْ فنادِ فى النَّاسِ أنَّه لا يدخُل الجَنَّةَ إلا المؤمنون . قال : فخرجت فنادَيْتُ : ألا إنه لايدخل الجنة إلا المؤمنون[٣] .

(ب) حوادث كانت تقع للمسلمين ، فيسألون الرسول عنها ، فيفتيهم ويجيبهم ، مبينا حكم ما سألوا عنه ، من هذه الحوادث ما يتناول خصوصيات السائل نفسه ، ومنها ما يتعلق بغيره ، وجميعها من الوقائع التى تعرض للإنسان فى حياته فنرى الصحابة لا يخجلون فى ذلك كله ، بل يسرعون إلى المعلم

---

(١) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٢٩ ونحوه فى صحيح مسلم ص ١٦٦٢ حديث ٩١ جـ ٣
(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢١٤ حديث ١٢٤ جـ ١ باسناد صحيح ورواه مسلم أيضا .
(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢٤٢ جـ ١ ، وإسناده صحيح .

الأول ، ليقفوا على حقيقة تطمئن قلوبهم إليها ، وتثلج صدورهم عندها .
وقد يخجل الصحابي من الرسول صلى الله عليه وسلم فيكلف غيره عبء السؤال ، من ذلك ما يرويه علي بن أبي طالب قال : كنتُ رجُلاً مذاء ، فكنت أستحي أنْ أسألَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لمكانِ ابنتِهِ ، فأمرتُ المقدادَ بنَ الأسودِ[1] ، فسأله فقال : يغسل ذكَرَه ويتوضأ[2] .

وروى قيس بن طلق عن أبيه أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أو سأله رجل فقال : بينا أنا في الصلاة ذهبت أحك فخذي ، فأصابت يدي ذكري ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هَلْ هُوَ إلاّ بضعةٌ منك[3] ؟ » .

وقد يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أخص من ذلك كما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ، قال : جاءت امرأة رِفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن رفاعة طلقني ، فأبت[4] طلاقي ، فتزوجت عبد الرحمن بن الزبير ، وإن ما معه مثل هدبة الثوب . فقال : « أتريدينَ أنْ ترجعي إلى رِفاعةَ ؟ لاَ ، حتى تَذُوقي عُسيلته ويذوق عُسيلَتَكِ » وأبو بكر عند النبي صلى الله عليه وسلم ، وخالد بن سعيد ينتظر أن يؤذن له ، فقال : يا أبا بكر ، ألا تسمع ما تجهر به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] ؟

لقد كان المسلمون يسألونه عن أمورهم وأحوالهم ، لا يحجبهم عنه حاجب ،

---

(١) فتح الباري ص ٢٩٤ ج ١ وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ ج ١ .
(٢) مسند الإمام أحمد ص ٣٩ حديث ٦٠٦ و ص ٤٦ حديث ٦١٨ ج ٢ بإسناد صحيح وفتح الباري ص ٢٩٤ و ٣٩٤ ج ١ ، وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ - ١٩ ج ١ .
(٣) معرفة علوم الحديث ص ١٣٢ وقال الحاكم . . . لم يذكر الزيادة في حك الفخذ غير عبد الله بن رجاء عن همام بن يحيى وهما ثقتان .
(٤) بت وأبت أي طلقني ثلاثا . والبت القطع . ورفاعة المذكور هو رفاعة القرظي .
(٥) معرفة علوم الحديث ص ١٣٠ وصحيح مسلم ص ١٠٥٥ حديث ١١١ وما بعده ج ٢ .

ولا يمنعهم منه مانع ، لذلك نرى الأعرابي البعيد عنه يسأله كما يسأله الصحابي الملازم له ، كلهم يريدون الحق ، قال علي رضي الله عنه : جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنا نكون بالبادية ، فتخرج من أحدنا الرويحة[1] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ عزَّ وَجلَّ لا يستحيي منَ الحقِّ ، إذا فعل أحدُكم فليتوضَّأْ ، ولا تأتوا النساء في أعجازهن[2] » .

إن هؤلاء الصحابة الذين يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثل هذه الأمور الشخصية التي قد يخجل منها غيرهم ، كانوا لا يحجبون عن سؤاله في معاملاتهم وعباداتهم وعقائدهم وسائر أمورهم ، بل إن بعضهم كان إذا وصله خبر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يعود إليه لينهل من معينه ، ويتزود من علمه ، كما حدث لضمام بن ثعلبة وقومه حين جاءهم رسولُ رسول الله يبلغهم الرسالة[3] ، فانطلق ضمام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حوله أصحابه ، فدخل المسجد على جمل ، قال أنس : « . . فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم : أيكم محمد ؟ والنبي متكىء بين ظهرانيهم . فقلنا : هذا الرجل الأبيض المتكىء . فقال له الرجل (ضمام) : ابن عبد المطلب ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : قَدْ أجبْتُك . فقال الرجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة ، فلا تجد عليَّ في نفسك . فقال : سَلْ عَمَّا بدَا لكَ قال أسألك بربك ورب من قبلك ، آللهُ أرسلَكَ إلى الناسِ

(١) الرويحة تصغير رائحة وكنى بها هنا عن الريح التي ينطلق من البطن عن طريق الفرج .
(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٥ جـ ٢ (وقال مرة في أدبارهن) .
(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص ٥ وقد أخرجه مسلم .

كلهم ؟ فقال : اللهم نعم . قال : أنشدُك بالله ، آللهُ أمرك أن تصلى الصلوات الخمس فى اليوم والليلة ؟ قال : اللهم نعم . . . فقال الرجل : آمنت بما جئت به ، وأنا رسول من ورائى من قومى ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر[1] »

ومن ذلك ما حدث لأحد الصحابة حين قبل امرأته وهو صائم ، « فوَجَد من ذلك وَجْداً شديداً ، فأرسل امرأته تَسألُ عن ذلك ، فدخلتْ على أم سَلَمَةَ أمِ المؤمنين فأخبرَتْها ؟ فقالت أمُ سلمة : إنّ رسول الله يُقبِّلُ وهو صائم . فرجعت المرأة إلى زوجها فأخبَرته ، فزاده ذلك شراً ! ! وقال : لسنا مثلَ رسولِ الله ، يُحِلُّ اللهُ لرسوله ما شاء . فرجعت المرأةُ إلى أم سلمةَ ، فوَجَدَتْ رسولَ اللهِ عندها ، فقال رسول الله ما بالُ هذه المرأةِ ؟ فأخبرته أمّ سلمةَ ، فقال . ألاَّ أخبرتيها أنى أفعلُ ذلك ؟ ! فقالت أم سلمةَ : قد أخبرتُها فذهبت إلى زوجها فأخبَرته فزاده ذلك شرّا ، وقال : لسنا مثل رسول الله ، يُحلُّ اللهُ لرسوله ما شاء ، فغضبَ رسولُ الله ، ثم قال : واللهِ إنىّ لأَتقاكُم لِلهِ وَلأَعْلمُكم بِحُدودِه[2] . »

لقد حمله ورعه أن يظن هذا الحكم خاصا بالرسول حتى أكد الرسول عليه الصلاة والسلام أنه حكم عام .

وقد كانت السيدة عائشة أم المؤمنين لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه[3] .

---

(١) فتح البارى ص ١٠٩ جـ ١ ونحوه فى معرفة علوم الحديث ص ٥ .
(٢) الرسالة ص ٤٠٤ فقرة ١١٠٩ وهكذا اللام ثابتة فى الأصل فى (أعلمكم) .
(٣) انظر فتح البارى ص ٢٠٧ جـ ١ .

وقد يختصم مسلمان فى قضية أو حكم ، فيرجعان إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام ليفصل بينهما ويبين وجه الصواب . من ذلك ما رواه المِسْوَرُ بن مَخْرَمَةَ: أن عمر بن الخطاب قال « سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان ، فقرأ فيها حروفا لم يكن نبيُ الله صلى الله عليه وسلم أقرأنيها ، قال : فأردت أن أساوره وأنا فى الصلاة ، فلما فرغ قلت : من أقرأك هذه القراءة ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : كذبْتَ والله ، ما هكذا أقرأكَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذْتُ بيده أقوده ، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، إنك أقرأتنى سورة الفرقان ، وإنى سمعت هذا يقرأ فيها حروفا لم تكن أقرأْتَنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ياهشامُ ، فقرأ كما كان قرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هكذا أُنزِلتْ[1] ثم قال لى : اقرأ ، فقرأت ، فقال : هكذا أُنزِلَتْ . إن هذا القرآن أُنزِلَ على سبعةِ أحرُفٍ ، فاقرءوا ما تيسر[2] » .

إن فى هذه الأجوبة والفتاوى والأقضية مادة كثيرة فى مختلف أبواب كتب السنة ، حتى إنها تؤلف جانباً كبيراً من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبعد أن ينسى هذه الحوادث من وقعت له وسأل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنها جزء من حياة السائل بل واقعة بارزة من وقائع عمره .

(ج) وقائع وحوادث شاهد فيها الصحابة تصرفات الرسول صلى الله عليه وسلم . وهذه كثيرة فى صلاته وصيامه وحجه وسفره واقامته ... فنقلوها إلى التابعين الذين بلَّغوها إلى من بعدهم وهى تؤلف جانبا كبيرا من السنة ، وخاصة

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٤ حديث ١٥٨ جـ ١ باسناد صحيح .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٧٤ حديث ٢٧٧ جـ ١ باسناد صحيح ، وليس فى هذه الرواية مساورة عمر لهشام فى الصلاة . وأخرج البخارى ومسلم نحوه ، انظر فتح البارى ص ٣٩٩ جـ ١٠ وصحيح مسلم ص ٥٦٠ حديث ٢٧٠ جـ ١ .

هديه صلى الله عليه وسلم فى العبادات والمعاملات وسيرته ... ومن ذلك سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان ، والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، وإجابته صلى الله عليه وسلم عن ذلك كله ، وبعد ما انصرف جبريل التفت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى من حوله وقال : « ياعمرُ ، أتدرى مَن السّائلُ ؟ قال عمرُ : قلت : الله ورسولُه أعلم . قال : فإنه جبريلُ أتاكم يعلّمكم دينَكم[1] » .

ومن ذلك ما رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أول الليل وآخره وأوسطه فانتهى وتره إلى السحر[2] .

ومن ذلك أيضا ماروا سالم بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن عمر : أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر يمشون أمام الجنازة[3] .

ومن ذلك ما رواه على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نصلى ، إذ انصرف ونحن قيام ، ثم أقبل ورأسه يقطر ، فصلى لنا الصلاة ، ثم قال : « إنى ذَكَرْتُ أنى كنتُ جُنباً حينَ قمتُ إلى الصّلاةِ ، لم أغتسلْ ، فمَنْ وَجدَ منكم فى بطنه رِزّاً[4] أو كانَ على مثلِ ما كنتُ عليهِ فلينصرفْ حتى يفرغَ من حاجتِه أو غُسلِه ، ثم يعود إلى

---

(١) شرح الأربعين النووية ص ١٢ رواه مسلم وانظر فتح البارى ص ١٢٣ - ١٣٢ جـ ١ ومسند الإمام أحمد ص ٣١١ حديث ٣٦٧ جـ ١ باسناد صحيح . وكان جبريل عليه السلام قد جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله على هيئة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا تظهر عليه علائم السفر قال عمر (ر) ولا يعرفه منا أحد . والحديث مشهور عن عمر رضى الله عنه .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٤ حديث ٦٥٣ جـ ٢ باسناد صحيح .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٧ حديث ٤٥٣٩ جـ ٦ باسناد صحيح .

(٤) الرز : الصوت الخفى ويريد به القرقرة ، وقيل هو غمز الحدث وحركته للخروج .

صلاته[1] » . وما رواه أيضا فقال: كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الصَّلاةَ الصَّلاةَ ، اتقوا الله فيما ملكت أيمانُكم[2] » .

مما سبق يتضح لنا أن عوامل ثلاثة تضامنت وتضافرت فى سبيل حفظ السنة المشرفة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذه العوامل هى : شخصية الرسول من حيث هو مرب ومعلم ، وفوق هذا ، وأكثر من هذا من حيث هو رسول رب العالمين ، والسنة من حيث مادتها ، والصحابة وهم الطلاب الذين تلقوا السنة وشاركوا فى تطبيقها ، وتجاوبوا مع المعلم الأول والمادة مخلصين ، بقلوب عظيمة انطوت على رغبة ملحة ، وإرادة قوية فى اتباع ما به يتم إيمانهم ، ويقطع صلتهم بما كانوا فيه من ضلال . كل ذلك كان له الأثر الكبير فى حفظ الصحابة للسنة دقيقها وجليلها ، ثم نقلها إلى التابعين الذين نقلوها إلىَ من بعدهم طبقا لما قاله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « تَسمعون ويُسمعُ منكم ويُسمعُ ممن يَسمع منكم[3] » .

ويمكننا أن نقول — ونحن واثقون مطمئنون — : إن السنة فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام كانت محفوظة عند الصحابة جنبا إلى جنب مع القرآن الكريم ، وإن كان نصيب كل صحابى منها يختلف عن نصيب الآخر ، فمنهم المكثر من حفظها ، ومنهم المقل ، ومنهم المتوسط فى ذلك . ومن ثم نستطيع تأكيد أنهم قد أحاطوا بالسنة ، وتكفلوا بنقلها إلى التابعين .

ويخطىء من يدعى أن بعض السنن فات الصحابة جميعاً بعد أن رأينا مدى

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٧٤ رقم ٦٦٨ جـ ٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٩ جـ ٢ واسناده صحيح .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٣٤٠ حديث ٢٩٤٧ جـ ٤ وانظر الجرح والتعديل ص ٨ جـ ١ .

عنايتهم بها ، وحرصهم عليها . فكيف يغيب عنهم شيء منها ، وهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا وعشرين عاما قبل الهجرة وبعدها ، فحفظوا عنه أقواله وأفعاله ، « ونومه ويقظته ، وحركته وسكونه ، وقيامه وقعوده ، واجتهاده وعبادته ، وسيرته وسراياه ومغازيه ، ومزاحه وزجره ، وخطبه وأكله وشربه ، ومعاملته أهله ، وتأديبه فرسه وكتبه إلى المسلمين والمشركين ، وعهوده ومواثيقه ، وألحاظه وأنفاسه وصفاته ، هذا سوى ما حفظوا عنه من أحكام الشريعة،وما سألوه عن العبادات والحلال والحرام أو تحاكموا فيه إليه»[1] فكانوا بحق خير خلف لخير سلف رضى الله عنهم .

* * *

٤ — انتشار السنة فى عهد الرسول

عليه الصلاة والسلام

انتشرت السنة مع القرآن الكريم منذ الأيام الأولى للدعوة ، يوم كان المسلمون قلة يجتمعون سرا فى دار الأرقم بن عبد مناف ، يتلقون تعاليم الدين الجديد يقرءون القرآن ، ويقيمون شعائرهم ، وما لبث النبي عليه الصلاة والسلام أن صدع بأمر الله تعالى ، وكثر المسلمون ، وعم الإسلام الجزيرة العربية ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم فى جميع مراحل الدعوة يبلغ الناس ، ويفتيهم ويقضى بينهم ، ويخطبهم ويسوسهم فى السلم والحرب ، وفى الشدة والرخاء ، ويعلمهم فيحفظون الأحكام ويطبقونها . وقد تضافرت عوامل عدة تكفلت بنشر السنة فى الآفاق ، منها :

---

(١) المدخل إلى كتاب الإكليل فى أصول الحديث ص ٧ — ٨ .

١ — نشاط رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وجده فى تبليغ دعوته ونشر الإسلام ، فلم يترك وسيلة للدعوة إلا استفاد منها ، ولا سبيلا إلا سلكها ، فعرض نفسه على القبائل ، وتحمل الصعاب وصنوف الأذى ، واتصل بوفود المواسم وعرض عليهم الإسلام . . . فلم يأل جهدا فى تبليغ الرسالة . . حتى عز الإسلام وقويت دولته . . وفى جميع تلك التطورات كانت السنة تأخذ مكانها فى نفوس المسلمين .

٢ — طبيعة الإسلام ونظامه الجديد ، الذى جعل الناس يتساءلون عن أحكامه ، وعن رسوله وأهدافه ، فكان بعض من يسمع بالدعوة يقبل على رسول الله عليه الصلاة والسلام ، يسأله عن الإسلام فيعلن إسلامه ، وينطلق إلى قومه ليبلغهم ما رأى ويخبرهم ما سمع . . .

٣ — نشاط أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، واندفاعهم فى طلب العلم وحفظه وتبليغه ، وقد سبق أن تكلمت مفصلا عن نشاطهم العلمى فى بحث « كيف كان الصحابة يتلقون السنة ؟ » .

٤ — أمهات المؤمنين رضى الله عنهن :

كان لأمهات المؤمنين فضل عظيم فى تبليغ الدين ، ونشر السنة بين نساء المسلمين ، فقد كان بعض النساء يخجلن من أن يسألن رسول الله عليه الصلاة والسلام عن أمورهن فيجدن عند أزواجه ما يشفى غليلهن ، لأنهن على صلة دائمة به ، يتعلمن منه الأحكام ، وينقلن عنه ما لا يتاح لغيرهن نقله ، وقد اشتهرت السيدة عائشة رضى الله عنها بعلمها الغزير ، وحرصها على فهم الأحكام ، فعن ابن أبى مليكة « أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم . كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ ، قالت عائشة : فقُلتُ : أوَلَيسَ يقولُ الله تعالى « ... فسَوْفَ يُحاسَبُ حساباً يَسيراً » ؟ قالت : فقال : إنّما ذلكَ العرضُ ولـكن مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ يَهْلَكْ [1] » .

وقد عرف المسلمون سمو مكانتها ، وتعمقها فى أحكام الإسلام ، فكانت — بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم — محط أنظار طلاب العلم والمستفتين ومرجعهم فى كثير من أمور دينهم .

٥ — الصحابيات : كان للنساء أثر عظيم فى حفظ السنة وتبليغها لا يقل عن أثر الصحابة رضى الله عنهم ، وقد رأينا حرصهن على حضور مجالس الرسو عليه الصلاة والسلام ، حتى إذا مارأين الرجال قد غلبوهن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، طلبن منه أن يعين لهن جلسات خاصة بهن يسألنه فيها عن أمورهن ويتعلمن أحكام الإسلام . . . كما أنهن كن يشهدن بعض المواسم كصلاة العيد ويستمعن إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان لهؤلاء الصحابيات أثر عظيم فى حمل أحكام كثيرة تتعلق بالنساء وحياتهن الزوجية ، كان من الصعب أن يسأل الصحابة عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم

٦ — رسله صلى الله عليه وسلم وبعوثه وولاته :

أصبحت المدينة بعد الهجرة مقر الدولة الإسلامية ، وقاعدة الدعوة : تنبعث منها الهداية إلى الآفاق ، وتتحطم على إثرها أصنام الشرك ، وتتقوض أمامها عروش الطغيان ، فمن يثرب انطلق رسل النبى صلى الله عليه وسلم إلى القبائل المجاورة والنائية ، يدعونهم إلى الإسلام ، ويعلمونهم أحكامه ونظمه ، عندما كانت قريش تحول بين القبائل المسلمة والنبى عليه الصلاة والسلام ، وكان

---

(١) فتح البارى ص ٢٠٧ جـ١٠ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه رسله ويرشدهم ويعلمهم أصول الدعوة ويأمرهم أن يدعوا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومن ذلك وصيته لمعاذ ابن جبل ولأبي موسى الأشعري عندما وجههما إلى اليمن[١] : قال عليه الصلاة والسلام « يَسِّرا ولا تعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفِّرا » ، وقال لمعاذ رضي الله عنه : « إنكَ ستأتي قوماً من أهل الكتابِ ، فادعُهم إلى شهادةِ أن لا إله إلا الله ،وأنِّي رسولُ الله ، فإنْ هم أطاعُوا لِذلك فأعلمهم أنَ اللهَ افترضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلةٍ ، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أنَّ اللهَ افترض عليهم صدقةً تؤخذُ من أغنيائِهم فتردُّ في فقرائهم ، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائمَ أموالِهم ، واتَّقِ دَعْوةَ المظلومِ ، فإنه ليسَ بينها وبينَ اللهِ حجابٌ[٢] » وكان يشجع عماله وقضاته ، قال علي رضي الله عنه : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن ، فقلت : يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم هم أسنُّ مني لأقضي بينهم ، قال : اذهبْ ، فإنَّ اللهَ تعالى سيثبِّتُ لسانَكَ ويهدي قلبَكَ[٣] . »

وقد كانت بعوثه عليه الصلاة والسلام وولاته خير من يحمل الرسالة ويؤدي الأمانة .

وفي السنة السادسة كثرت بعوثه صلى الله عليه وسلم ، فقد وجه بعد صلح الحديبية رسله إلى الملوك ، يحملون إليهم كتبه ، ففي يوم واحد انطلق ستة نفر إلى جهات مختلفة يتكلم كل واحد منهم بلسان القوم الذين بعث إليهم[٤] ،

---

(١) انظر صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٧٢ ج ٣ وكان ذلك في السنة التاسعة للهجرة .
(٢) صحيح مسلم ص ٥٠ حديث ٢٩ و ٣٠ ج ١ .
(٣) مسند الإمام أحمد ص ٧٣ حديث ٦٦٦ ج ٢ باسناد صحيح .
(٤) انظر المصباح المضيء ص ٤٠ .

فقد اشتهر أنه أرسل رسله إلى قيصر الروم[١] ، وإلى أمير بصرى ، وإلى الحارث بن أبي شمر أمير دمشق من قبل هرقل ، وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل يدعوهم إلى الإسلام ، كما وجه كتبه إلى النجاشي ملك الحبشة ، وإلى كسرى ملك الفرس ، وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ، وأرسل كتبه ورسله إلى عمان واليمامة وغيرها .. وكان الرسل يجيبون عما يسألهم عنه الملوك والأمراء ورؤساء القبائل ، ويبينون لهم الإسلام وغاياته على ضوء ما يزودهم به الرسول عليه الصلاة والسلام من التوجيه والإرشاد ، وكان عليه الصلاة والسلام يولى على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم ، ويمدهم بمن يفقههم ويعلمهم .

٧ — غزوة الفتح (الفتح الأعظم) :

في سنة ثمان من الهجرة نقضت قريش صلح الحديبية ، فدعا رسول الله القبائل المسلمة أن تحضر رمضان في المدينة ، وانطلق بعشرة آلاف[٢] مجاهد إلى مكة ، ففتحها وقوض الوثنية وحطم الأصنام ، ثم قام خطيبا في ألوف المسلمين والمشركين فعفا عن أعدائه الذين اضطهدوه وآذوه . ثم أعلن كثيرا من الأحكام ، منها ألا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها . . . ثم أقبل الناس يبايعون رسول الله عليه الصلاة والسلام . . .

لقد كان فتح مكة حدثا تاريخيا عظيما ، نقله جموع غفيرة ، ونقلت معه خطبة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام إلى الآفاق ، كما نقل المسلمون

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٩ ج ٤ وصحيح مسلم ص ١٣٩٣ و ١٣٩٧ ج ٣ وانظر أخبار الرسل إلى الملوك والإمراء مفصلة في المصباح المضيء ص ٦٠ — ١١٤ .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ص ١٧ ج ٤

الجدد ما سمعوا من إرشاد وتوجيه إلى أهلهم وذويهم فى مكة وغيرها .

٨ — حجة الوداع :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر ذى الحجة من السنة العاشرة للهجرة ، إلى مكة المكرمة وحج بالناس ، وكان معه جمع عظيم يبلغ تسعين[١] ألفا ، ووقف فى عرفة فى هذه الجموع الكثيرة وخطب خطبة جامعة بين فيها كثيراً من الأحكام ، منها حرمة دماء المسلمين وأموالهم ، وأداء الأمانة ، ووضع ربا الجاهليه وإبطاله ، كما وضع دماء الجاهلية التى كانت بينهم ومنع العادات الباطلة . . . ومنع النسىء تأكيداً لما فى كتاب الله ، وبين بعض حقوق الرجال وحقوق النساء وحث على حسن معاملتهن . . . ومنع الوصية للوارث . . .

لقد كانت هذه الخطبة الجامعة من أهم العوامل فى انتشار السنة بين القبائل العربية ، لأنه سمعها عدد كبير جداً ، ونقلوها إلى الآفاق ، طبقاً لما جاء فيها من قوله صلى الله عليه وسلم « ألا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللهمَّ اشهدْ ، فليبلغِ الشَّاهِد منكُمُ الغائِبَ[٢] . »

٩ — الوفود بعد الفتح الأعظم وحجة الوداع :

بعد فتح مكة أقبلت وفود العرب من سائر أطراف الجزيرة العربية يبايعون الرسول صلى الله عليه وسلم وينضمون تحت لواء الإسلام ، وتتابعت هذه الوفود وكثرت بعد حجة الوداع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحب بالوافدين، ويعلمهم الإسلام ، ويزودهم بنصائحه وإرشاداته ، وكانت بعض الوفود تقيم

---

(١) اختلف فى عدد من حضر حجة الوداع وفى رواية من أبى زرعة أنهم أربعون ألفا انظر تلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب .

(٢) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٧٦ ج ٤ ، ونحوه فى صحيح مسلم ص ١٣٠٦ ج ٣ .

عنده أياما ثم تعود إلى قبائلها تبلغهم الدين الحنيف ، ومن هذه الوفود وفد ضمام بن ثعلبة الذى علمه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فعاد إلى قومه ودعاهم فأسلموا ، ووفد عبد القيس ، ووفود بنى حنيفة وطىء وكندة وأزدشنوءة ، ووفد رسول ملوك حمير ، الذين أسلموا وأرسلوا رسولهم بذلك إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليهم عليه الصلاة والسلام كتابا يخبرهم أنه علم بإسلامهم ، ويحثهم على طاعة الله والتمسك بدينه ، وفيه وصيته لهم برسله وبعوثه ، ويوصيهم الخير فى الرعية . . . كما قدمت وفود همدان ، وتجيب — قبيلة من كندة — ووفود ثعلبة وبنى سعد من هذيم ووفود كثيرة يضيق المقام عن ذكرها[1] .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى هذه الوفود الخير ، فيكرمهم ويعلمهم ، وكانوا يسألونه ويجيبهم ، وقد سمعوا حديثه ، وشهدوا بعض مواقفه ، وشاركوه فى العبادة ، ورأوا كثيرا من تصرفاته . فكان لهذه الوفود أثر عظيم فى نقل السنة وانتشارها .

ونرى أن تلك العوامل الكثيرة كانت كافية لنشر السنة وتبليغها المسلمين ، فى مختلف أرجاء الدولة الإسلامية آنذاك .

تلك لمحة سريعة عن انتشار السنة فى عهده صلى الله عليه وسلم ، وقد حرص الصحابة والمسلمون جميعا على حفظها وتبليغها ، ولم ينتقل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن انتشر الإسلام فى الجزيرة العربية كلها وساد ربوعها ، وملأ القرآن والسنة صدور أهلها ، مصداقا لقوله عز وجل : « اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وأَتْمَمْتُ عَلَيكُم نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلامَ دِينا[2] » .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام ص ٢٢١ ج ٤ .

(٢) ٣ : المائدة .

الباب الثانى

السنة فى عصر الصحابة والتابعين

الفصل الأول :

١ — اقتداء الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم .
٢ — احتياط الصحابة والتابعين وورعهم فى رواية الحديث .
٣ — تثبت الصحابة والتابعين فى قبول الحديث .
٤ — كيف روى الحديث فى ذلك العصر . . باللفظ أم بالمعنى ؟

الفصل الثانى :

١ — النشاط العلمى فى عصر الصحابة والتابعين .
٢ — انتشار الحديث فى عصر الصحابة والتابعين .
٣ — الرحلة فى طلب الحديث .

الفصل الأول

بين يدى الفصل :

كان مصدر التشريع فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب الله وسنة رسوله : ينزل الوحى ، فيبلغه النبى الكريم عليه الصلاة والسلام إلى الناس كافة ، ويبين مقاصده ، ثم يطبق أحكامه ، فكان صلى الله عليه وسلم المرجع الأعلى فى جميع أمور الأمة ، فى القضاء والفتوى ، والتنظيم المالى والسياسى والعسكرى : يعالج الأمور على مرأى من أصحابه رضى الله عنهم ، وعلى ضوء القرآن الكريم ، فإن وجد حكما للقضية فصل فيها ، وإن لم يجد اجتهد فيها حينا ، أو انتظر الوحى أحيانا ، ليعرف حكم الله تعالى ، وقد يجتهد فينزل الوحى مصححاً لاجتهاده ، لأن الله عز وجل لا يقر رسوله على الخطأ .

ثم ما لبث أن انتقل محمد صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، وانقطع الوحى . ولم يبق أمام الأمة إلا القرآن العظيم والسنة الشريفة ، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم : « تركتُ فيكم أمرَينِ لنْ تضلّوا ما تمسّكتم بهما : كتابَ اللهِ وسُنّتى[1] » . وتمسك الصحابة والتابعون بسنته عليه الصلاة والسلام اتباعا لأوامر الله تعالى بطاعته وقبول حكمه فى قوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[2] » ، وقوله : « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

---

(١) أخرجه الحاكم فى المستدرك ، وانظر جامع بيان العلم وفضله ص ١٨٠ ج ٢ .
(٢) ٧ : الحشر

حَرَجا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً [١] » وقوله : « وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُول لَعَلَّكُم تُرْحَمُونَ [٢] » .

والاستجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة فى حياته وبعد وفاته . وقد امتثل الصحابة لأوامر الله تعالى فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ونفذوها مخلصين ، وحموا الشريعة بالمال والدماء ، وكذلك فعلوا بعد وفاته ، وقوفاً عند وصيته عليه الصلاة والسلام ، التى سمعها منه الصحابة رضوان الله عليهم ، ويرويها العِرباضُ بن سَارِيَةَ رضى الله عنه فيقول : « وعظنا رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم موعظةً وَجِلَتْ منها القلوبُ ، وذَرَفَتْ منها العيونُ ، فقلنا : يارسولَ اللهِ ، كأنها موعظةُ مودِّعٍ ، فأوْصِنا . قالَ : أوصيكم بتقوى اللهِ عزَّ وجل ، والسمعِ والطاعةِ وإنْ تأمّر عليكم عبد ، فإنه مَنْ يَعشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسُنَّتى وسنةِ الخلفاءِ الراشدينَ المَهديِّينَ ، عَضُوا عليها بالنَّواجِذِ ، وإيَّاكم ومحدثاتِ الأمورِ ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ [٣] . » فأخذوا بسنته عليه الصلاة والسلام ، وتمسكوا بها ، وأبوا أن يكونوا ذلك الرجل الذى ينطبق عليه قوله عليه الصلاة والسلام : « يُوشِكُ الرَّجلُ مُتَّكِئاً على أريكتِهِ يُحَدِّثُ بحديثٍ من حديثى فيقولُ : بَيْنَنَا وبينَكُم كتابُ اللهِ عزَّ وَجَلَّ ، فما وَجَدْنا فيه من حلال استحْلَلْناهُ ، وما وَجَدْنا فيه من حَرَام

---

(١) ٦٥ : النساء (٢) ١٣٢ : آل عمران

(٣) الحديث الثامن والعشرون من الأربعين النووية ص ٦٧ وقال رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح . وأقول رواه أيضا الدارمى فى سننه انظر سنن الدارمى ص ٢٦ ، طبعة سنة ١٢٩٣ هـ .

حرّمناه ، ألاَ وَإنّ ما حَرّم رسولُ اللهِ مِثلُ ما حَرّمَ الله[١] » ، بل وقفوا من السنة موقفا عظيما ، وردوا على كل من فهم ذاك الفهم . روى أبو نضرة عن عمران بن حصين : « أن رجلا أتاه فسأله عن شيء ، فحدثه ، فقال الرجل حدثوا عن كتاب الله عز وجل ، ولا تحدثوا عن غيره . فقال إنك امرؤ أحمق!! أتجد فى كتاب الله صلاة الظهر أربعاً لا يجهر فيها ، وعدّ الصلوات ، وعد الزكاة ونحوها ، ثم قال : أتجد هذا مفسرا فى كتاب الله ؟ كتابُ الله قد أحكَمَ ذلك ، والسنّةُ تُفسرُ ذلك[٢] . » ، وقال رجل للتابعى الجليل مُطَرِّف ابن عبد الله بن الشِّخِّير : لا تحدثونا إلا بالقرآن . فقال له مطرف : « والله ما نريد بالقرآن بدلا ، ولكن نريد من هو أعلم بالقرآن منا[٣] » .

وسنستعرض الآن تأسى الصحابة والتابعين بالرسول وتمسكهم بالسنة المطهرة ، ثم احتياطهم وورعهم فى رواية السنة ، ثم تثبتهم فى قبول الأخبار والآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سنن ابن ماجه ص ٥ جـ ١ وسنن البيهقى ص ٦ جـ ١ رواه المقدام بن معدى كرب
(٢) كتاب العلم للمقدسى مخطوطة الظاهرية ص ٥١ وجامع بيان العلم وفضله ص ١٩١ جـ ٢
(٣) جامع بيان العلم وفضله ١٩١ جـ ٢ .

اقتداء الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم

لقد استجاب المسلمون الأوائل إلى قوله عز وجل : « لَقَدْ كانَ لَكُمْ فى فى رَسُولِ اللهِ أسوةٌ حَسَنَةٌ[١] » ، فتفانوا فى اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وساروا على هديه ، وهذه صور سريعة عن تمسكهم بالسنة النبوية، تتناول أحوال الرعية والرعاة فى مختلف جوانب الحياة .

فها هو ذا أبو بكر الصديق يعقد لواء أسامة بن زيد ، ويأبى أن يحتفظ بجيشه وهو فى أشد الحاجة إليه ، ويقول : ما كان لى أن أحل لواء عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويعقد اللواء لخالد بن الوليد ليقاتل المرتدين ، ويقول : إنى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « نِعمَ عبدُ اللهِ وأخو العشيرةِ خالدُ بنُ الوليدِ ، وسيفٌ من سيوفِ اللهِ سلَّه الله عز وجل على الكفار والمنافقين[٢] » .

وتأتيه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تطلب سهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فيقول لها : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إنَّ الله عز وجل إذا أطعَمَ نبياً طعمةً ، ثم قبضَهُ جعلَه للذى يقومُ من بعده ، فرأيت أن أرده على المسلمين ، فقالت : فأنت وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم[٣] » وقال فى رواية : « لستُ تاركاً شيئاً كان رسولُ الله صلى الله

(١) ٢١ : الأحزاب .

(٢) مسند الامام أحمد ص ١٧٣ جـ ١ باسناد صحيح عن أبى بكر .

(٣) مسند الامام أحمد ص ١٦٠ جـ ١ باسناد صحيح ونحوه فى ص ١٧٧ و ١٧٨ جـ ١ .

عليه وسلم يعمل به إلا عملت به ، وإنى أخشى إن تركتُ شيئاً من أمرِهِ أن أزيغ »[١] .

ولما ارتد مسيلمةُ الكذاب وقومه قال عمر لأبى بكر رضى الله عنهما : « تقاتلهم وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (أمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عَصَموا منى دماءهم وأموالَهم إلا بحقها ، وحسابُهم على الله تعالى) — ؟ فقال أبو بكر : والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة ، ولأقاتِلَنَّ من فرق بينهما . قال أبو هريرة فقاتلنا معه فرأينا ذلك رشدا[٢] » .

وعن السائب بن يزيد ابن أخت نَمِرٍ أن حُويطِبَ بن عبد العُزّى أخبره أن عبد الله بن السعدى أخبره : أنه قدم على عمر بن الخطاب فى خلافته ، فقال له عمر ألَمْ أُحَدَّثْ أنك تلى من أعمالِ الناسِ أعمالا ، فإذا أعطيتَ العمالةَ كرهتَها ؟ قال : فقلت : بَلَى . فقال عمر : فما تريد إلى ذلك ؟ قال : قلت : إن لى أفراسا وأعبدا وأنا بخير ، وأريدُ أن تكونَ عَمالتى صدقةً على المسلمين ، فقال عمر : فلا تفعل ، فإنى قد كنت أردت الذى أردت ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطينى العطاء فأقول : أعطه أفقرَ إليه منى ، حتى أعطانى مرةً مالاً فقلت : أعطه أفقر إليه منى ، قال : فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « خذه فتَمَوَّلْهُ وتصدَّق به ، فما جاءك من هذا المالِ ، وأنتَ غيرُ مشرفٍ ولا سائل فخذه ، وما لا فلاَ تُتْبِعْهُ نفسَك[٣] . »

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٦٧ جـ ١ باسناد صحيح من حديث طويل .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ١٨١ جـ ١ باسناد صحيح ، ما بين القوسين الكبيرين لص الحديث الذى ذكره أبو هريرة أولا ثم ذكر مناقشة عمر وأبى بكر رضى الله عنهما .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٩٧ جـ ١ باسناد صحيح قال الحافظ ابن حجر فى التهذيب =

وعن فروخ مولى عثمان : أن عمر — وهو يومئذ أمير المؤمنين — خرج إلى المسجد ، فرأى طعاماً منشوراً ، فقال : ما هذا الطعام ؟ فقالوا : طعام جلب إلينا . قال : بارك الله فيه وفيمن جلبه ، قيل يا أمير المؤمنين : فإنه قد احتكر ، قال : ومن احتكره ؟ قالوا : فروخ مولى عثمان وفلان مولى عمر ، فأرسل إليهما فدعاهما ، فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين ؟ قالا : يا أمير المؤمنين ، نشترى بأموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من احتكرَ على المسلمين طعامَهم ضربَهُ اللهُ بالإفلاسِ أو بجذامٍ » فقال فروخ عند ذلك : يا أمير المؤمنين ، أعاهد الله وأعاهدك أن لا أعود فى طعام أبداً ، وأما مولى عمر فقال : إنما نشترى بأموالنا ونبيع قال أبو يحيى : فلقد رأيت مولى عمر مجذوماً[1] .

وفى وقعة اليرموك كتب القادة إلى عمر بن الخطاب : « إنه قد جاش إلينا الموت » يستمدونه ، فكان فيما أجابهم « إنى أدلكم على من هو أعز نصرا ، وأحضر جنداً ، الله عز وجل ، فاستنصروه ، فإن محمداً صلى الله عليه وسلم ، قد نصر يوم بدر فى أقل من عدتكم ، فإذا أتاكم كتابى هذا فقاتلوهم ولا تراجعونى[2] » !!

هكذا كان الصحابة يتمسكون بهدى النبى صلى الله عليه وسلم

= ج ٣ ص ٦٦ — ٦٧ فى ترجمة حويطب (روى له الشيخان والنسائى حديثا واحدا فى العمالة ، وهو الذى اجتمع فى إسناده أربعة من الصحابة) يريد هذا الحديث والصحابة الأربعة : هم السائب وحويطب وعبد الله ابن السعدى وعمر) انظر هامش ص ١٩٧ ج ١ من مسند أحمد . ومعنى مشرف فى الحديث : متطلع إلى المال .

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢١٤ حديث ١٣٥ ج ١ باسناد صحيح وأبو يحيى المكى هو راوى الحديث عن فروخ .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٣٠٤ ج ١ .

وسنته ، ولو كانوا يشرفون على الموت والهلاك .

وكان الصحابة جميعاً يحرصون على سنن النبي عليه الصلاة والسلام ، ويأمر بعضهم بعضاً باتباعها ، من ذلك أن عمر بن الخطاب رأى زيد بن خالد الجهني يركع بعد العصر ركعتين فمشى إليه وضربه بالدرة ، فقال له زيد : يا أمير المؤمنين ، اضرب فوالله لا أدعهما بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليهما ، فقال له عمر : يا زيد ، لولا أني أخشى أن يتخذ الناس سلماً إلى الصلاة حتى الليل لم أضرب فيها[1] .

ويرى عمر رضي الله عنه الناس قد أقبلوا على طيبات الدنيا مما أحل لهم الله تعالى ، فيذكرهم برسولهم صلى الله عليه وسلم ، فيقول : « لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوى ، ما يجد دَقَلا يملأ به بطنه[2] .

لقد كان عمر رضي الله عنه وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأسون بالرسول الكريم ما استطاعوا في جميع أحوالهم ، فلما طعن عمر رضي الله عنه قيل له : ألا تستخلف ؟ فقال : إن أترك فقد ترك من هو خير مني : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن استخلف فقد استخلف من هو خير مني : أبو بكر[3] .

حدث مالك بن عبد الله الزيادي عن أبي ذر : أنه جاء يستأذن على عثمان ابن عفان فأذن له وبيده عصاه ، فقال عثمان : يا كعب ، إنّ عبد الرحمن توفى وترك مالا فما ترى فيه ؟ فقال : إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه ، فرفع

---

(١) كتاب الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ٩٢ ، وقد روى الإمام مسلم عن أنس قال : كان عمر يضرب الأيدي على صلاة بعد العصر .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٣٠٧ و ٢٢٤ جـ ١ باسناد صحيح . والدقل هو رديء التمر ويابسه .

(٣) المرجع السابق ص ٢٨٤ جـ ١ .

أبو ذر عصاه فضرب كعبا ، وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما أُحِبُّ لو أنَّ لى هذا الجبلَ ذهبًا أنفقه وَيُتَقَبَّلُ منى أذرُ خلفى منه ستَّ أواق » ، أَنْشُدُكَ الله ياعثمان ، أسمعته ؟ ثلاث مرات قال : نعم[١] .

وقال عطاء الخراسانى : سمعت سعيد بن المسيب يقول : رأيت عثمان قاعدا فى المقاعد ، فدعا بطعام مما مسته النار فأكله ، ثم قام إلى الصلاة فصلى ، ثم قال عثمان : قعدت مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأكلت طعام رسول الله وصليت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] .

وعن ميسرة بن يعقوب الطهوى قال : رأيت عليا يشرب قائما . قال فقلت له :تشرب قائما ؟! فقال : إن أشرب قائما فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائما ، وإن أشرب قاعدا فقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا[٣] .

وعن عبد خَيْر بن يزيد الخيوانى الهمدانى (تابعى) عن على (رضى الله عنه) قال : كنت أرى أن باطن القدمين أحق بالمسح من ظاهرهما ، حتى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح ظاهرهما[٤] .

وعن على بن ربيعة قال . رأيت عليا أتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال : باسم الله ، فلما استوى عليها قال : الحمد لله ، سبحانه الذى

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٣٥٧ جـ ١ باسناد صحيح .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٨ جـ ١ باسناد صحيح . ويظهر أن المقاعد مكان فى المسجد كانوا يتوضؤون عنده ، وقد ورد ذكره فى حديث رواية عثمان لوضوء الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٧٩ حديث ٩١٦ جـ ٢ باسناد حسن ومن طريق زاذان أن على بن أبى طالب شرب قائما فنظر إليه الناس كأنهم أنكروه ، فقال : ما تنظرون ؟ إن أشرب قائما الحديث باسناد صحيح نفس المرجع ص ١٣٠ جـ ٢ حديث ٧٩٥ .

(٤) مسند الإمام أحمد ص ١٠٣ حديث ٧٣٧ و ٩١٧ جـ ٢ باسناد صحيح .

سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، ثم حمد الله ثلاثا وكبر ثلاثا ، ثم قال : سبحانك لا إله إلا أنتَ ، قد ظلمتُ نفسى ، فاغفر لى ، ثم ضحك ، فقلت : مم ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل مثل ما فعلتُ ، ثم ضحك فقلت : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : « يعجبُ الربُ من عبدِه إذا قالَ ربِّ اغفر لى ، ويقولُ علِمَ عبدى أنَّهُ لا يَغفرُ الذنوبَ غيرى [1] . »

وكان الصحابة يتأسون بالرسول الكريم ، ويحافظون على سنته ، سواء أعرفوا علة ذلك أم لم يعرفوا ، وسواء أتوقعوا حكمة لما يفعلون أم لم يتوقعوا ، وقد اشتهر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما بمحافظته الشديدة على سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان الرسول أسوته فى كل شىء ، فى صلاته وحجه وصيامه ، حتى فى قضاء حاجته [2] وكان كثيراً ما يقول : « لَقَدْ كانَ لَكُم فى رسولِ اللهِ أسوةٌ حَسنة [3] » ، وكان إذا سمع من الرسول صلى الله عليه وسلم شيئا ، أو شهد معه مشهدا ، لم يُقَصر دونه أو يعدوه [4] ، كان يقف عند الحد الوارد فى الحديث أو الفعل النبوى من غير إفراط ولا تفريط . عن مجاهد قال كنا مع ابن عمر فى سفر ، فمر بمكان لحاد عنه ، فسئل : لم فعلت ؟ فقال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هذا ففعلت [5] ، وكان يأتى

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٠٩ حديث ٧٥٣ جـ ٢ .

(٢) راجع مسند الإمام أحمد ص ١٩١ حديث ٦٣٩١ و ٦١٥١ جـ ٩ .

(٣) ٢١ : الأحزاب .

(٤) انظر مسند الإمام أحمد ص ٢٩٧ حديث ٥٥٤٦ جـ ٧ باسناد صحيح ، وسنن ابن ماجه ص ٣ جـ ١ .

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٥٤ حديث ٤٨٧٠ جـ٧ باسناد صحيح .

شجرة بين مكة والمدينة فيقيل تحتها ، ويخبر أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يفعل ذلك[١] .

ووقف عمر بن الخطاب على الركن قائلا : « إنى لأعلم أنك حجر ، ولو لم أر حبيبى صلى الله عليه وسلم قبلك أو استلمك ما استلمتك ولا قبلتك (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)[٢] .

وكان ينهى أن يزيد إنسان على ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يعلى بن أمية : طفت مع عمر بن الخطاب ، فلما كنت عند الركن الذى يلى الباب مما يلى الحجر ، أخذت بيده ليستلم ، فقال : أما طفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : بلى ، قال : فهل رأيته يستلمه ؟ قلت : لا . قال : فانفُذْ عنك ، فإنَّ لك فى رسولِ اللهِ أسوةً حسنةً[٣] .

وقال على رضى الله عنه فى القيام للجنازة : قد رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فقمنا ، وقعد فقعدنا[٤] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر الصحابة ومن معه يوم الفتح بأن يكشفوا عن مناكبهم ، ويهرولوا فى الطواف ، ليرى المشركون قوتهم وجلدهم ، وقويت دولة الإسلام ورأى عمر أن هذا الأمر قد ذهبت علته ، ولكنه قال: « فيم[٥] الرملان الآن والكشف عن المناكب ، وقد أطأ الله الإسلام ونفى الكفر

---

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١٢٦ وقد أخرجه البزار .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢١٣ و ١٩٧ ج ١ بإسناد صحيح .

(٣) المرجع السابق ص ٢٦٥ ج ١ بإسناد صحيح .

(٤) مسند الإمام أحمد ص ٥٢ ج ٢ بإسناد صحيح .

(٥) فى الأصل (فيما) وانظر الهامش التالى .

وأهله ؟ ومع ذلك لا ندع شيئاً كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [١]

وقيل لعبد الله بن عمر : لا نجد صلاة السفر فى القرآن ؟ فقال ابن عمر : إن الله عز وجل بعث إلينا محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولا نعلم شيئا فإنما نفعلُ كما رأينا محمدا صلى الله عليه وسلم يفعل [٢] . وفى رواية قال : وكنا ضُلّالا فهدانا الله به ، فبه نقتدى [٣] .

كان الصحابة رضى الله عنهم لا يرضون ترك سنة كان عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقبلون مع السنة رأى أحد مهما كان شأنه ، ومهما علت مكانته بل كانوا يغضبون غضباً شديدا وينكرون إنكارا قوياً على من لا يستجيب لسنة سنها الرسول الكريم ، أو لخلق تخلق به ، ولو كان من ينكرون ذلك عليهم ولدهم أو أقرب الناس إليهم .

من ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن عبد الله بن مُغَفَّل [٤] أنه كان جالساً إلى جنبه ابن أخ له ، فَخَذَفَ [٥] ، فنهاه وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها وقال : إنها لا تصيد صيدا ولا تنكى عدوا ، وإنها تكسرُ السِّن ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٩٣ حديث ٣١٧ جـ ١ باسناد صحيح . أطأ : نبت وارسى والهمزه فيه بدل واو (وطأ) . فيما : استفهامية وظاهر كلام النحويين وجوب حذف ألفها إذا دخل عليها حرف الجر ، ولكن قرأ عبد الله وأبى وعكرمة وعيسى (عما يتساءلون) بالألف .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٦٨ حديث ٥٦٨٣ جـ ٨ و ص ٢٠٩ حديث ٥٣٣٣ جـ ٧ والسائل فى الحديث المذكور هو خالد بن أسيد .

(٣) المرجع نفسه ص ٧٧ حديث ٥٦٩٨ جـ ٨ .

(٤) عبد الله بن مغفل صحابى جليل من أصحاب الشجرة روى عن النبى (ص) وعن أبى بكر وعثمان وغيرهم ، وعنه روى ثابت البنانى . . سكن المدينة ثم تحول إلى البصرة وتوفى فيها سنة (٥٧) هـ وقيل ٦١ وقيل ٦٠ . انظر تهذيب التهذيب جـ ٦ ص ٤٢ .

(٥) خذف : من الخذف وهو أن يجعل الحصاة أو النواة بين سبابتيه ويرى بها .

وتفقأ العين . قال : فعاد ابن أخيه يخذف فقال : أحدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، ثم عدت تخذف إذاً لا أكلمك أبداً !![1]

وعن سالم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تمنعوا إماء الله أن يصلين فى المسجد ، فقال ابن له : إنا لنمنعهن ، فقال : فغضب غضباً شديداً وقال : أحدّثكَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وتقول : إنا لنمنعهن[2] . وفى رواية فانتهره عبد الله ، قال : أف لك !! أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول : لا أفعل[3] .

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : تمتع النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال عروة بن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة !! فقال ابن عباس : ما يقول عُرَيَّة ؟ قال : يقول نهى أبو بكر وعمر عن المتعة !! فقال ابن عباس : أراهم سَيهلِكون ! أقول : قال النبى صلى الله عليه وسلم ، ويقول : نهى أبو بكر وعمر[4] !!

وهذا عبادة بن الصامت الأنصارى ، النقيب ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غزا مع معاوية أرض الروم ، فنظر إلى الناس وهم يتبايعون كِسَرَ الذهب بالدنانير ، وكِسَرَ الفضة بالدراهم ، فقال : يأيها الناس ، إنكم تأكلون الربا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «لا تبتاعوا الذهبَ

---

(١) سنن ابن ماجه ص ٦ ج ١ .

(٢) سنن ابن ماجه ص ٦ ج ١ ونحوه فى مسند الإمام أحمد ص ٢٦٦ حديث ٥٤٦٨ ج ٧ بإسناد صحيح . وابن عبد الله بن عمر هذا هو بلال : كما ذكره فى الحديث رقم ٥٦٤٠ من المسند فى ص ٤٣ ج ٨ .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢٩٠ حديث ٦١٠١ ج ٨ وص ١٣٢ حديث ٦٢٩٦ ج ٩ بإسناد صحيح وانظر نحوه فى جامع بيان العلم ص ١٩٥ ج ٢ .

(٤) مسند الإمام أحمد ص ٨ ٤ حديث ٣١٢١ ج ٥ بإسناد صحيح .

بالذهبِ إلا مثلاً بمثل ، لا زيادةَ بينهما ، وَلا نَظِرَة » ، فقال له معاوية : يا أبا الوليد لا أرى الربا فى هذا إلا ما كان من نظرة ، فقال عبادة : أحدثك عن رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وتحدثنى عن رأيك ، لئن أخرجنى الله لا أسا كنك بأرض لك على فيها إمرةٌ فلما قفل لحق بالمدينة ، فقال له عمر بن الخطاب : ما أقدمك يا أبا الوليد ؟ فقص عليه القصة ، وما قال من مساكنته . فقال : ارجع يا أبا الوليد إلى أرضك ، قبح الله أرضا لست فيها وأمثالك ، وكتب إلى معاوية ، لا إمرة لك عليه ، واحمل الناس على ما قال ، فإنه هو الأمر[1] .

أولئك صحابة رسول الله الذين حفظوا سنته ، ووجهوا الأمة إلى السبيل القويم ، وحملوا الأمراء على تطبيق أحكام الشريعة ، وأبوا أن يماروا فى دين الله صادعين بالحق ، لا يخافون فيه لومة لائم .

وعن الزبير بن عربى قال : سمعت رجلا يسأل ابن عمر عن الحجر قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله ، فقال رجل : أرأيتَ إن زُحمتُ ؟ فقال ابن عمر : اجعل (أرأيت) باليمن !! رأيت رسول الله يستلمه ويقبله[2] .

وعن وبرة بن عبد الرحمن قال : أتى رجل إلى ابن عمر فقال : أيصلحُ أن أطوفَ بالبيت وأنا محرم ؟ قال : ما يمنعك من ذلك ؟ . قال : إن فلانا ينهانا عن

---

(١) سنن ابن ماجه ص ٧ ج ١ . كسرة الذهب كالقطعة لفظا ومعنى ، وجمعها كسر كقطع . نظرة : انتظار أى أجل .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ١٩٤ ج ٩ باسناد صحيح وقد أخرجه البخارى . ومن الخطأ أن يظن ظان من قول ابن عمر أن اليمن كانت تعتمد على الرأى إنما ضرب اليمن مثلا لجهة قاصية يرمى اليها هذا الاعتراض أدبا مع السنة النبوية ، مبينا أنه لا مجال للسؤال والجواب إذا ما وجدت السنة فى أمر ما ، ويدل على ، ذلك رواية الطيالسى وفيها اجعل (أرأيت) مع هذا الكوكب .

ذلك حتى يرجع الناس من الموقف ، ورأيته كأنه مالت به الدنيا ، وأنت أعجب إلينا منه . قال ابن عمر : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت ، وسعى بين الصفا والمروة ، وسنة الله تعالى ورسوله أحق أن تتبعَ من سنة ابن فلان ، إن كنت صادقا[١] . وفى رواية أخرى صرح بأن الذى كنى عنه بفلان هو ابن عباس .

وكان عبد الله بن عمر يفتى بالذى أنزل الله عز وجل من الرخصة بالتمتع وبما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ، فيقول ناس لابن عمر : كيف تخالف أباك وقد نهى عن ذلك ؟ فيقول لهم عبد الله : ويلكم ! ! ألا تتقون الله ؟ إن كان عمر نهى عن ذلك فيبتغى فيه الخير يلتمس به تمام العمرة ، فلم تحرمون ذلك وقد أحله الله وعمل به رسول الله عليه الصلاة السلام ؟ ! أفرسول الله صلى الله عليه وسلم أحق أن تتبعوا سنته أم سنة عمر ؟ إنَّ عمرَ لم يقل لكم إن العمرة فى أشهر الحج حرام ، ولكنه قال إن أتم العمرة أن تفردوها من أشهر الحج[٢] .

وفى ختام ذلك أسوق تمسك عبدِ الله بن عمرو بن العاص بعبادته التى فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان عبد الله بن عمرو من أعبد الصحابة وأورعهم وأزهدهم ، كثير الصيام والقيام ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) مسند الإمام أحمد ص١٦٩ حديث ٥١٩٤ جـ ٧ باسناد صحيح .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٧٧ حديث ٥٧٠٠ جـ ٨ وإسناده صحيح . وفى الموطأ كما رواه محمد : مالك عن نافع ، أن عمر بن الخطاب قال : « افصلوا بين حجكم وعمرتكم ، فانه أتم لحج أحدكم وأتم لعمرته أن يعتمر فى غير أشهر الحج » انظر هامش صفحة ٧٨ فى الجزء الثامن .

قد رخص له أن يصوم أياماً من كل شهر إلا أنه وجد فى نفسه القوة على الصيام وأراد أن يصوم الدهر كله ، وفى آخر أيامه ضعف عن ذلك فقال : « لأن أكون قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إلىَّ مما عُـدِلَ به أو عَدَل . لـكنى فارقته على أمر أكره أن أخالفه إلى غيره[1] .

* * *

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٤٠ حديث ٦٤٧٧ جـ ٩

عدل به : أى وزن . أى من كل شىء يقابل ذلك من الدنيويات ، أو عدل أى ساوى والمعنى مقارب فى الحرفين :

وانظر الرسالة ص ٤٤٦ فيها أخبار عن تمسك بعض الصحابة بالسنة وعدم قبول رأى لأحد مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

احتياط الصحابة والتابعين في رواية الحديث

لقد عرف الصحابة منزلة السنة فتمسكوا بها ، وتتبعوا آثار الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأبو أن يخالفوها متى ثبتت عندهم ، كما أبوا أن ينحرفوا عن شيء ، فارقهم عليه ، واحتاطوا في رواية الحديث عنه عليه الصلاة والسلام ، خشية الوقوع في الخطأ ، وخوفا من أن يتسرب إلى السنة المطهرة الكذب أو التحريف ، وهي المصدر التشريعي الأول بعد القرآن الكريم، ولهذا اتبعوا كل سبيل يحفظ على الحديث نوره ، فآثروا الاعتدال في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إن بعضهم فضل الإقلال منها ، قال ابن قتيبة : « كان عمر شديد الإنكار على من أكثر الرواية ، أو أتى بخبر في الحكم لا شاهد له عليه ، وكان يأمرهم بأن يقلوا الرواية ، يريد بذلك ألا يتسع الناس فيها ، ويدخلها الشوب ، ويقع التدليس والكذب من المنافق والفاجر والأعرابي ، وكان كثير من جلة الصحابة وأهل الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأبي بكر والزبير وأبي عبيدة والعباس بن عبد المطلب — يقلون الرواية عنه ، بل كان بعضهم لا يكاد يروي شيئاً كسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة[1] . »

والتزم الصحابة — في الخلافة الراشدة — منهاج عمر رضي الله عنه ، وأتقنوا أداء الحديث ، وضبطوا حروفه ومعناه[2] ، وكانوا يخشون كثيراً أن يقعوا في الخطأ ، لذلك نرى بعضهم — مع كثرة تحملهم عن الرسول صلى

(١) تأويل مختلف الحديث : ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) انظر البحث الرابع من الفصل الأول في الباب الثاني فيما يلي ، وقد بينت فيه كيف روى الحديث .

الله عليه وسلم – لا يكثر من الرواية فى ذلك العهد ، حتى أن منهم من كان لا يحدث حديثاً فى السنة ، ونرى من تأخذه الرعدة ، ويقشعر جلده ، ويتغير لونه ورعا واحتراما لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هذا ، ما رواه عمرو ابن ميمون قال : ما أخطأنى بن مسعود عشية خميس إلا أتيته فيه ، قال : فما سمعته يقول بشيء قط « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » فلما كان ذات عشية قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنكس ، قال فنظرت إليه ، فهو قائم محللة أزرار قميصه ، قد اغرورقت عيناه ، وانتفخت أوداجه ، قال : أو دون ذلك ، أو فوق ذلك ، أو قريباً من ذلك ، أو شبيهاً بذلك[1] . »

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه : لولا أنى أخشى أن أخطىء لحدثتكم بأشياء سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] . وكان إذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ففرغ منه ، قال : أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] ، وكذلك كان يفعل أبو الدرداء وغيره .

وجالس الشعبى ابن عمر سنة فما سمعه يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا[4] .

وروى عن أنس أنه قال : إنه ليمنعنى أن أحدثكم حديثاً كثيرا

---

(١) سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١ • نكس أى طأطأ رأسه وجهه .

وانظر نحوه فى مسند الإمام أحمد ص ٤٦ حديث ٤٠١٥ ج ٦ وفى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٩٨ : آ .

(٢) سنن الدارمى ص ٧٧ ج ١ .

(٣) سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١ وسنن الدارمى ص ٨٤ ج ١ والسنن الكبرى للبيهقى ص ١١ ج ١ .

(٤) سنن الدارمى ص ٨٤ ج ١ وانظر السنن الكبرى ص ١١ ج ١ وأخرجه ابن ماجه فى سننه ص ٨ ج ١ .

أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تعمَّدَ عليَّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار[١] » .

وعن ثابت البناني : أن بني أنس بن مالك قالوا لأبيهم : يا أبانا ، ألا تحدثنا كما تحدث الغرباء ؟ قال : أي بني إنه من يكثر يهجر[٢] .

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى : « أدركت مائةً وعشرين من الأنصار من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، ما منهم أحد يحدث بحديث إلا ودّ أن أخاه كفاه إياه ، ولا يستفتى عن شيء إلا ود أن أخاه كفاه إياه » . وفي رواية : « يسأل أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول »[٣] .

وقال مجاهد : صحبت ابن عمر من مكة إلى المدينة . فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذا الحديث : مثل المؤمن مثل النخلة[٤] .

وقال السائب بن يزيد إنه صحب سعد بن أبي وقاص من المدينة إلى مكة ، قال : فما سمعته يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا حتى رجع[٥] .

وعن عبد الله بن الزبير ، قال : قلت للزبير بن العوام : مالي لا أسمعك تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أسمع ابن مسعود وفلانا وفلانا ؟ قال : أما إني لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكني سمعت منه كلمة يقول : «من كذَبَ

---

(١) (صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٣١ جـ ٦)
(٢) طبقات ابن سعد ص ١٤ جـ ٧ .
(٣) مختصر كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول ص ١٣ .
(٤) انظر صحيح مسلم ص ٢١٦٥ جـ ٤ ، وقبول الأخبار ص ٢٥ .
(٥) طبقات ابن سعد ص ١٠٢ قسم ١ جـ ٣ ، وانظر سنن ابن ماجه ص ٩ جـ ١ وسنن البيهقي ص ١٢ جـ ١ ، وانظر المحدث الفاصل ص ١٣٤ : آ وفي قبول الأخبار ص ٢٥ أنه صحب طلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، والمقداد بن الأسود ... الحديث.

على متعمداً فليتبوأ مقعدَه من النارِ[١] » وفى رواية : سمعته يقول : « من كَذَبَ على فليتبوأ مقعدَه من النارِ[٢] » .

وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : قلنا لزيد بن أرقم : حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كبرنا ونسينا ، والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد[٣] .

هكذا تشدد الصحابة فى الحديث ، وأمسك بعضهم عنه كراهية التحريف ، أو الزيادة والنقصان فى الرواية عن الرسول صلى الله عليه وسلم لأن كثرة الرواية كانت فى نظر كثير منهم مظنة الوقوع فى الخطأ ، والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد نهى رسول الله عن الكذب عليه وعن رواية ما يرى أنه كذب ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : « مَنْ روى عَنّى حديثاً وهُوَ يرى أنَّهُ كَذِبٌ فهوَ أحدُ الكاذِبينِ[٤] » .

وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كَذباً أنْ يحدِّثَ بكلِّ ما سَمِعَ[٥] » .

وكان الصحابة رضى الله عنهم يخشون أن يقعوا فى الكذب عامة ، فكيف

---

(١) سنن ابن ماجه ص ١٠ ج ١ وقوله « أما إنى لم أفارقه » يعنى به أن ذلك ليس لقلة صحبته

(٢) الكفاية ص ١٠٢ وأخرجه البخارى كذلك : انظر فتح البارى ص ٢١٠ ج ١ وانظر المصباح المضىء ص ٢٠ : ب وتمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ : ب .

وفى رواية الكفاية قال قلت لأبى الزبير . . . الحديث

وانظر طبقات ابن سعد ص ٧٥ قسم ١ ج ٣ من طريق وهب بن جرير وقال بعد رواية الحديث : والله ما قال متعمداً وانتم تقولون متعمداً » .

(٣) سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١ وسنن البيهقى ص ١١ ج ١٠ والمحدث الفاصل ص ١٣٢ : آ

(٤) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١١

(٥) مقدمة التمهيد ص ١١ وفى رواية ابن مسعود (إثما) بدل (كذبا) وانظر تذكرة الحفاظ ص ١٥ ج ١ .

يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال على رضى الله عنه : إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فلأن أخرّ من السماء أحب إلى من أن أكذب عليه . . . »[1]

وقد تشدد عمر بن الخطاب فى تطبيق هذا المنهاج ، لحمل الناس على التثبت عما يسمعون ، والتروى فيما يؤدون ، فكان له الفضل الكبير فى صيانة الحديث من الشوائب والدَّخل ، وقد طبق ذلك الصحابة أيضاً ، يقول ابن مسعود : ليس العلم بكثرة الحديث ، ولكن العلم الخشية[2] .

ويصور لنا أبو هريرة رضى الله عنه محافظة الصحابة على السنة فى عهد عمر بإجابته عن سؤال طرحه عليه أبو سلمة ، قال له : أكنت تحدث فى زمان عمر هكذا؟ فقال: لو كنت أحدث فى زمان عمر مثل ماأحدثكم لضربنى بمخفقته[3] !

وفى رواية قال : لقد حدثتكم بأحاديث لو حدثت بها زمن عمر لضربنى عمر بالدرة[4] .

وقد كان تشدد عمر هذا والصحابة معه للمحافظة على القرآن الكريم ، بجانب المحافظة على السنة ، فقد خشى أن يشتغل الناس بالرواية عن القرآن الكريم ، وهو دستور الإسلام ، فأراد أن يحفظ المسلمون القرآن جيدا ، ثم يعتنوا بالحديث الشريف الذى لم يكن قد دوّن كله فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كالقرآن . فنهج لهم التثبت العلمى والإقلال من الرواية مخافة الوقوع

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٥٤ جـ ٢ .

(٢) مختصر كتاب المؤمل فى الرد إلى الأمر الأول ص ٦ .

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٧ جـ ١ وانظر فى هذا الكتاب أبا هريرة القسم الثانى فى دفع شبهات عنه ، وقد اشتهرت الرواية عن أبى هريرة بأن عمر سمح له بالرواية عند ما عرف خشيته وورعه .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ١٢١ جـ ٢ .

فى الخطأ ، وقد عرف اتقان بعض الصحابة وحفظهم الجيد فسمح لهم بالتحديث .

ويتجلى منهاج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى وصيته التى أوصى بها وفده إلى الكوفة فيما روى عن قرظة بن كعب أنه قال : « بعثنا عمر بن الخطاب إلى الكوفة ، وشيعنا إلى موضع قرب المدينة يقال له : صِرار ، قال : أتدرون لم مشيت معكم ؟ قال : قلنا : لحق صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولحق الأنصار . قال : لكنى مشيت معكم لحديث أردت أن أحدثكم به ، فأردت أن تحفظوه لممشاى معكم : إنكم تقدمون على قوم للقرآن فى صدورهم هزيز كهزيز المرجل ، فاذا رأوكم مدوا إليكم أعناقهم ، وقالوا أصحاب محمد ، فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا شريككم »[1] وفى رواية : فلما قدم قرظة بن كعب قالوا : حدثنا ، فقال : نهانا عمر رضى الله عنه[2] .

وروى عن أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه أنه اتبع منهج الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومنع الإكثار من الرواية ، قال محمود بن لبيد : سمعت عثمان على المنبر يقول : لا يحل لأحد يروى حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع به فى عهد أبى بكر ولا عهد عمر ، فإنه لم يمنعنا أن نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون أوعى لأصحابه عنه ، ألا إنى سمعته يقول :

---

(١) سنن ابن ماجه ص ٩ ج ١ وطبقات ابن سعد ص ٢ ج ٦ ، والهزيز : الصوت . وقوله وأنا شريككم أى شريككم فى الإقلال أى أنصحكم بذلك وأعمل بلصيحتى لا كما ذهب إليه السندى من أنه شريك فى الأجر بسبب أنه الدال الباعث لهم على الخير . انظر هامش ص ٩ ج ١ من سنن ابن ماجه ، ذلك لأن المقام لا يحتمله .

(٢) تذكر الحفاظ ص ٧ ج ١ وجامع بيان العلم ص ١٢٠ ج ٢ وشرف أصحاب الحديث ص ٩٧ : آ ، وانظر سنن الدارمى ص ٨٥ ج ١ ، وسنن البيهقى ص ١٢ ج ١ .

« من قالَ عليّ ما لم أقلْ فقد تبوأ مقعدَه من النار »(١) .

وقد سبق لى أن بينت تطبيق الإمام على رضى الله عنه لمنهج الصحابة رضوان الله عليهم .

ويروى أن معاوية كان يقول : اتقوا الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ما كان يذكر منها فى زمن عمر ، فإن عمر كان يخوف الناس فى الله تعالى(٢) .

تلكم طريقة الصحابة ومنهجهم فى المحافظة على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشية الوقوع فى الخطأ ، أو تسرب الدس إلى الحديث الشريف من الجهلاء وأصحاب الأهواء ، أو أن تحمل بعض الأحاديث على غير وجه الحق والصواب ، فيكون الحكم بخلاف ما أخذ به . فعلوا ذلك كله احتياطا الدين ورعاية لمصلحة المسلمين ، لا زهداً فى الحديث النبوى ولا تعطيلا له . فلا يجوز لإنسان أن يفهم من منهاج الصحابة ومن تشدد عمر خاصة — هجر الصحابة للسنة أو زهدهم فيها ، معاذ الله أن يقول هذا إلا جاهل أو صاحب هوى، لا علم له بقليل من السنة، ولم تخالط قلبَه روحُ الصحابة، ولا أنار سبيله قبس من هداهم ، فقد ثبت عن الصحابة جميعا تمسكهم بالحديث الشريف وإجلالهم إياه ، وأخذهم به ، وقد تواتر خبر اجتهاد الصحابة إذا وقعت لهم حادثة شرعية من حلال أو حرام ، وفزعهم إلى كتاب الله تعالى ، فإن وجدوا فيه ما يريدون تمسكوا به ، وأجروا (حكم الحادثة) على مقتضاه ، وإن لم

(١) قبول الأخبار ص ٢٩ . والحديث بإيجاز فى مسند الإمام أحمد ص ٣٦٣ جـ ١ بإسناد صحيح .

(٢) رد الدارمى على بشر المريسى ص ١٣٥ ، وانظر تذكرة الحفاظ ص ٧ جـ ١ .

يجدوا ما يطلبون فزعوا إلى « السنة » ، فإن روى لهم خبر أخذوا به ، ونزلوا على حكمه ، وإن لم يجدوا الخبر فزعوا إلى الاجتهاد بالرأى[1] .

وطريقة أبى بكر وعمر فى الحكم مشهورة : كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه حكم نظر فى كتاب الله تعالى ، فإن وجد فيه ما يقضى به قضى به ، وإن لم يجد فى كتاب الله نظر فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن وجد فيها مايقضى به قضى به ، فإن أعياه ذلك سأل الناس : هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فيه بقضاء ؟ فربما قام إليه القوم فيقولون : قضى فيه بكذا وكذا ، فإن لم يجد سنة سنها النبى صلى الله عليه وسلم جمع رؤساء الناس فاستشارهم[2] .. وكان عمر رضى الله عنه يفعل ذلك .

هكذا كان منهج الصحابة جميعا فى كل ما يرد عليهم ، وليس لأحد بعد هذا أن يتخذ بعض ما ورد عن الصحابة ذريعة لهواه . ونستعرض موقف بعض علماء الحديث من ذلك .

١ — رأى ابن عبد البر :

قال : (احتج بعض من لا علم له ولا معرفة من أهل البدع وغيرهم ، الطاعنين فى السنن ، بحديث عمر هذا قوله : « أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » . . وجعلوا ذلك ذريعة إلى الزهد فى سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التى لا يوصل إلى مراد كتاب الله إلا بها ، والطعن على أهلها ولا حجة فى هذا الحديث ، ولا دليل على شىء مما ذهبوا إليه من وجوه قد ذكرها أهل العلم ، منها :

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى ص ٤٤٦ — ٤٤٧

(٢) إعلام الموقعين ص ٦٢ ج ١ عن كتاب القضاء لأبى عبيد

ـ أن وجه قول عمر إنما كان لقوم لم يكونوا أحصوا القرآن فخشى عليهم الاشتغال بغيره عنه ، إذ هو الأصل لكل علم . هذا معنى قول أبى عبيد فى ذلك .

ـ وقال غيره إن عمر إنما نهى عن الحديث عما لا يفيد حكما ولا يكون سنة .

ـ وطعن غيرهم فى حديث قرظة هذا ورده ، لأن الآثار الثابتة عن عمر خلافه ، منها ما روى مالك ومعمر وغيرهما عن ابن شهاب ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عمر بن الخطاب ، فى حديث السقيفة أنه خطب يوم جمعه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فإنى أريد أن أقول مقالة قد قدر لى أن أقولها ، من وعاها وعقلها وحفظها فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فإنى لا أحل له أن يكذب علىّ . . . [1] وهذا يدل على أن نهيه عن الإكثار ، وأمره بالإقلال من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كان خوف الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخوفاً من يكونوا ـ مع الإكثار ـ يحدثون بما لم يتيقنوا حفظه ، ولم يعوه ، لأن ضبط من قلت روايته أكثر من ضبط المستكثر ، وهو أبعد من السهو والغلط الذى لا يؤمن مع الإكثار ، فلهذا أمرهم عمر بالإقلال من الرواية ، ولو كره الرواية ، وذمها لنهى عن الإقلال منها والإكثار ، ألا تراه يقول : فمن حفظها ووعاها فليحدث بها ، فكيف يأمرهم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهاهم عنه ؟ هذا لا يستقيم ، بل كيف ينهاهم عن الحديث عن رسول الله صلى الله

---

(١) انظر هذا القول لعمر رضى الله عنه رواه الخطيب البغدادى عن ابن عباس فى الكفاية ص ١٦٦

عليه وسلم ويأمرهم بالإقلال منه ، وهو يندبهم إلى الحديث عن نفسه ، بقوله : من حفظ مقالتي ووعاها فليحدث بها حيث تنتهي به راحلته؟ ثم قال : ومن خشي أن لايعيها فلا يكذب عليّ ، وهذا يوضح لك ماذكرنا ، والآثار الصحاح عنه من رواية أهل المدينة بخلاف حديث قرظة هذا ، وإنما يدور على (بيان[١]) عن (الشعبي) وليس مثله حجة في هذا الباب ، لأنه يعارض السنن والكتاب .

قال الله عز وجل « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ[٢] » وقال : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا[٣] » ..... ومثل هذا في القرآن كثير ، ولا سبيل إلى اتباعه[٤] والتأسي به ، والوقوف عند أمره ، إلا بالخبر عنه ، فكيف يتوهم أحد على عمر أنه يأمر بخلاف ما أمر الله به . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَضَّر الله عبداً سمعَ مقالَتي فوعاها ، ثم أدّاها إلى مَنْ لم يسمعها ... الحديث » ، وفيه الحض الوكيد على التبليغ عنه صلى الله عليه وسلم ، وقال : « خُذوا عني في غَيرِ ما حَدَّثتُ وبلّغوا عني » ، والكلام في هذا أوضح من النهار لأولي النهى والاعتبار . ولا يخلو الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يكون خيرا أو شرا . فإن كان خيرا ولا شك في أنه خير فالإكثار من الخير أفضل ، وإن كان شرا — فلا[٥]

---

(١) هو بيان بن بشر الاحمى أبو بشر الكوفي كما في الخلاصة . وهو ثقة وطعن عبد البر في روايته هذه لأنه خالف من هو أوثق منه . وهذا لا يمنع صحتها ، وأرى أن جميع ما ورد عن عمر غير متعارض كما أبينه بعد قليل وطعن ابن حزم في حديث قرظة أيضاً ، وناقش نهي عمر رضي الله عنه من الإكثار من التحدث مناقشة طيبة قريبة من مناقشة ابن عبد البر انظر الإحكام ص ١٣٧ ج ٢ وما بعدها .

(٢) ٢١ : الأحزاب (٣) ٧ : الحشر

(٤) أي اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم

(٥) في الأصل (ولا) وقد تكون خطأ من الناسخ فأثبتناها (فلا) لأن الفاء رابطة لجواب (إن) الشرطية .

يجوز أن يتوهم أن عمر يوصيهم بالإقلال من الشر[1] . وهذا يدلك أنه إنما أمرهم بذلك خوف مواقعة الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخوف الاشتغال عن تدبر السنن والقرآن ، لأن المكثر لاتكاد تراه إلا غير متدبر ولا متفقه .

وذكر مسلم بن الحجاج فى كتاب التمييز ..... عن قيس بن عبادة قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : من سمع حديثا فأداه كما سمع فقد سلم . ومما يدلم على هذا ماذكرناه فيما يروى عن عمر أنه كان يقول : تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن . فسوى بينهما ، .... وكتب عمر تعلموا السنة والفرائض واللحن كما تتعلمون القرآن .... قالوا : اللحن معرفة وجوه الكلام وتصرفه والحجة به ، وعمر هو الناشد للناس فى غير موقف بل فى مواقف شتى : مَنْ عنده علم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كذا ، نحو ما ذكره مالك وغيره عنه فى توريث المرأة من دية زوجها ، وفى الجنين يسقط ميتا عند ضرب بطن أمه وغير ذلك ... وكيف يتوهم على عمر ما توهمه الذين ذكرنا قولهم وهو القائل : « إياكم والرأى ، فإن أصحاب الرأى أعداء السنن ، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها » ... وعمر أيضا هو القائل خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو القائل سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله ...

ويقول ابن عبد البر : « وقد يحتمل عندى أن تكون الآثار كلها عن عمر صحيحة متفقة ، ويخرج معناها على أن من شك فى شىء تركه ، ومن حفظ شيئا وأتقنه جاز له أن يحدث به ، ولئن كان الإكثار يحمل الإنسان على التقحم فى

---

(١) انظر ما روى عن عمر رضى الله عنه فى الحرص على السنن إعلام الموقعين ص ٥٥ ج ١ .

أن يحدث بكل ما سمع من جيد ورديء ، وغث وسمين ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء كَذبًا أن يُحدّثَ بكلِ ما سَمِعَ » رواه مسلم ... ولو كان مذهب عمر ما ذكرنا ، لكانت الحجة فى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم دون قوله ، فهو القائل : « نَضّر الله عبداً سَمِعَ مقالتى فوعاها ، ثم أداها وبلغها » ... وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « تَسمعونَ ويُسمَعُ منكم » ، رواه أبو داود والامام أحمد والحاكم . اهـ)[1] .

٢ — رأى الخطيب البغدادى :

قال الخطيب : (إن قال قائل : ماوجه إنكار عمر على الصحابة روايتهم[2] عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتشديده عليهم فى ذلك ، قيل له : فعل ذلك عمر احتياطا للدين وحسن نظر للمسلمين ، لأنه خاف أن ينكلوا عن الأعمال ، ويتكلوا على ظاهر الأخبار ، وليس حكم جميع الأحاديث على ظاهرها ولا كل من سمعها عرف فقهها ، فقد يرد الحديث مجملا ويستنبط معناه وتفسيره من غيره ، فخشى عمر ، أن يحمل حديث على غير وجهه ، أو يؤخذ بظاهر لفظه والحكم بخلاف ما أخذ ، ونحو من هذا ، الحديث الآخر ... عن معاذ قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على حمار له يقال له عُفَير فقال : « يا معاذ ، أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟ فقلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به ، قلت أفلا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ١٢١ — ١٢٤ جـ ٢ باختصار .

(٢) لم ينكر عمر رضى الله عنه على الصحابه روايتهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما أنكر الإكثار منها عند عدم الحاجة ، ولا يكون إكثار إلا عند عدم الحاجة إلى الإكثار .

أبشر الناس ؟ قال : لا ، فيتكلوا[1] » . . .

وأخبرنا الحسن بن أبى بكر ، قال : قال لنا أبو على الطومارى كنا عند أبى العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، فقال له رجل : ايش معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى وقد أقبل أبو بكر وعمر فقال : « هذان سيدا كهول أهل الجنة[2] ، لا تخبرهما يا على » ، قال أشفق من التقصير فى العمل . قال الشيخ أبو بكر الحافظ : وكذلك نهى عمر الصحابة أن يكثروا رواية الحديث ، إشفاقاً على الناس أن ينكلوا عن العمل إتكالا على الحديث .

وفى تشديد عمر أيضاً على الصحابة فى رواياتهم — حفظ لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وترهيب لمن لم يكن من الصحابة أن يدخل فى السنن ما ليس منها ، لأنه إذا رأى الصحابى المقبول القول ، المشهور بصحبة النبى صلى الله عليه وسلم ، قد تشدد عليه فى روايته ، كان هو أجدر أن يكون للرواية أهيب[3]) . وبهذا يسلم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يتطرق إليه الكذب ، ولا يزاد عليه ما ليس منه .

وروى الخطيب عن عبد الله بن عامر اليحصبى ، قال : (سمعت معاوية على المنبر بدمشق يقول : أيها الناس ، إياكم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثا كان يذكر على عهد عمر رضى الله عنه ، فإن عمر كان يخيف الناس

---

(١) ونحو هذا الحديث رواه البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاذا رديفه على الرحل قال : يا معاذ بن جبل الحديث وقال فى آخر الحديث وأخبر بها معاذ عند موته تأثما . أنظر فتح البارى ص ٢٣٦ ج ١

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ص ٣٧ حديث ٦٠٢ ج ٢ ذكر نحوه باسناد صحيح وفيه زيادة (سيدا كهول أهل الجنة وشبابها بعد النبيين والمرسلين) .

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ٩٧ — ٩٨ : ب

فى الله عز وجل »[١] . وإلى هذا المعنى الذى ذكرناه ذهب عمر فى طلبه من أبى موسى الأشعرى أن يحضر معه رجل يشهد أنه سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث السلام ، لكن فعله على الوجه الذى بيناه من الاحتياط لحفظ السنن والترهيب فى الرواية والله أعلم . انتهى[٢]) .

مما سبق يتبين لنا أن الصحابة جميعا كانوا يتثبتون فى الحديث ، ويتأنون فى قبول الأخبار وأدائها ، وكانوا لا يحدثون بشىء إلا وهم واثقون من صحة ما يروون ، وقد حرصوا على المحافظة على الحديث بكل وسيلة تفضى إلى ذلك ، فاتبعوا منهجا سليما يمنع الشوائب من أن تدخل السنة النبوية فتفسدها .

وقد حمل لواء هذه المحافظة والحرص على السنن جميع الصحابة ، وتميز منهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . وقد ظهر لنا مما روى عنه اهتمامه بالسنة النبوية وإجلاله للحديث الشريف . وإن الأخبار التى رويت عنه فى هذا الشأن ليدعم بعضها بعضا فى سبيل نشر العلم والحرص على سلامة السنة ، ومن ثم ليس لأحد أن يرى تناقضا بين وصية عمر لأهل العلم والآثار الأخرى المروية عنه ، فهو إذا طلب الإقلال من الرواية فإنما يطلبه من باب الاحتياط لحفظ السنن والترهيب فى الرواية ، وأما من كان يتقن ما يحدث به ويعرف فقهه وحكمه فلا يتناوله أمر عمر رضى الله عنه ، فكل ما ورد عن أمير المؤمنين إنما يدل على المحافظة على السنة ونشرها وتبليغها صحيحة ، ولا يتيسر نشرها صحيحة ما لم يتثبت حاملوها من مروياتهم ، والإقلال من الرواية مظنة عدم

---

(١) انظر نحو هذا القول عن معاوية فى كتاب رد الدارمى على بشر المريسى ص ١٣٥ ، وتذكرة الحفاظ ص ٧ ج ١ .

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٩٩ : آ .

الوقوع فى الخطأ ، ولهذا أمر به رضى الله عنه . وهذا ما رآه ابن عبد البر والخطيب البغدادى وغيرهما من أئمة الحديث ، وإليه أذهب ، وبه أقول ، فالصحابة لم يزهدوا فى السنة ، بل كان لهم الفضل الأول فى المحافظة عليها .

وقبل أن نختتم هذا الفصل لا بد لنا من أن نتعرض لما روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أنه حبس بعض الصحابة لأنهم أكثروا الرواية عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ! فنتناول هذا الخبر من حيث صحته ، ثم لو صح هذا الخبر فكيف كان ذلك الحبس ؟

روى الحافظ الذهبي[١] عن سعد بن ابراهيم عن أبيه أن عمر حبس ثلاثة : « ابن مسعود[٢] ، وأبا الدرداء[٣] ، وأبا مسعود الأنصارى[٤] ، فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . » هؤلاء ثلاثة من جلة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأتقاهم وأورعهم . هل يعقل من مثل عمر بن الخطاب أن يحبسهم ؟ وهل يكفى لحبسهم أنهم أكثروا من الرواية ؟ .

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ٧ ج ١ ، وفيه سعيد بن إبراهيم والصواب سعد ، وهو حفيد عبد الرحمن بن عوف كما فى تهذيب التهذيب ، والمحدث الفاصل ص ١٣٣ : آ ، وانظر مجمع الزوائد ص ١٤٩ ج ١ .

(٢) عبد الله بن مسعود الهذلى صحابى جليل من السابقين إلى الإسلام كان مخالطا لرسول الله (ص) وصاحب وساده وسواكه ونعليه ، وجهه عمر رضي الله عنه إلى الكوفة ــ وامتن على أهلها به ــ ليفقههم فى الدين ويعلمهم القرآن ، وقد جمع القرآن فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقراءته مشهورة توفى سنة ٣٢ هـ فى المدينة . انظر بسط ترجمته فى سير أعلام النبلاء ص ٣٣١ ــ ٣٥٧ ج ١ .

(٣) أبو الدرداء عويمر بن مالك بن قيس صحابى أنصارى خزرجى كان حكيما ، ولى القضاء لمعاوية فى دمشق بأمر عمر بن الخطاب ، وهو أحد من حفظ القرآن فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفى فى الشام سنة ٣٢ ، انظر تاريخ الإسلام للذهبي ص ١٠٧ ج ٢ .

(٤) أبو مسعود الأنصارى هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصارى البدرى كان أصغر من شهد العقبة مع الأنصار ، توفى فى الكوفة سنة ٣٩ أو ٤٠ ، انظر خلاصة الخزرجى ، وتقريب التهذيب ص ٢٧ ج ٢ .

إن المرء ليقف متسائلا أمام هذا الخبر ويعتريه الشك فيه ، ويتبادر إلى نفسه أن يتساءل عن الحد الذى يمكن أن يعرف به الإقلال والإكثار ! وقد ناقش الإمام ابن حزم هذا ورده، وقال: « هذا مرسل ومشكوك فيه من (شعبة) فلا يصح ، ولا يجوز الاحتجاج به ، ثم هو فى نفسه ظاهر الكذب والتوليد ، لأنه لا يخلو عمر من أن يكون اتهم الصحابة ، وفى هذا ما فيه ، أو يكون نهى عن نفس الحديث ، وعن تبليغ سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسلمين ، وألزمهم كتمانها وجحدها وأن لا يذكروها لأحد ، فهذا خروج عن الاسلام ، وقد أعاذ الله أمير المؤمنين من كل ذلك ، ولئن كان سائر الصحابة متهمين بالكذب على النبى صلى الله عليه وسلم ، فما عمر إلا واحد منهم ، وهذا قول لا يقوله مسلم أصلا ، ولئن كان حبسهم وهم غير متهمين لقد ظلمهم ، فليختر المحتج لمذهبه الفاسد بمثل هذه الروايات الملعونة أى الطريقتين الخبيثتين شاء ، ولا بد له من أحدهما ... »

ثم قال : « وقد حدث عمر بحديث كثير ، فإنه قد روى خمسمائة حديث ونيفا على قرب موته من موت النبى صلى الله عليه وسلم ، فهو كثير الرواية ، وليس فى الصحابة أكثر رواية منه إلا بضعة عشر منهم[1] » .

ولو سلمنا جدلا بصحة الرواية فهناك خلاف فى المحبوسين ، فالذهبى يذكر ابن مسعود ، وأبا الدرداء ، وأبا مسعود الأنصارى ، بينما يذكر ابن حزم — ابن مسعود، وأبا الدرداء ، وأبا ذر ، فهل تكرر الحبس من عمر ؟ ولو تكرر لاشتهر ثم إن حادثة كهذه سيطير خبرها فى الآفاق من غير أن تحتمل الشك فى المحبوسين، لأنهم من أعيان الصحابة ، ولو سلمنا أن العبرة فى الحادثة نفسها من حيث جهة

(١) الإحكام لابن حزم ص ١٣٩ جـ ٢ وما بعدها .

بعض الصحابة، دون نظر إلى أعيانهم وأشخاصهم، لأنهم أكثروا الرواية ،قلنا: قد كان غير هؤلاء أكثر منهم حديثاً ، ولم يردنا خبر عن حبسهم ، فلا يعقل أن يحبس أمير المؤمنين بعضا دون بعض فى قضية واحدة ، هم فيها سواء ، وهى الإكثار من الحديث ، معاذ الله أن يفعل هذا عمر رضى الله عنه ، فيحبس هؤلاء ويترك أبا هريرة مثلا وهو أكثر حديثاً منهم . فقد روى عن أبي هريرة (٥٣٧٤) خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثاً وعن ابن مسعود (٨٤٨) ثمانمائة وثمانية وأربعون حديثاً ، وعن أبى الدرداء (١٧٩) مائة وتسعة وسبعون حديثاً ، وعن أبى ذر (٢٨١) مائتان وواحد وثمانون حديثاً[١] .

فإن قيل إن أبا هريرة لم يكثر من الرواية فى عهد عمر رضى الله عنه لأنه خشيه . فنقول لِمَ لمْ يخشه هؤلاء ؟ بل إن عمر نفسه سمح لأبى هريرة أن يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عندما عرف ورعه وخشيته من الله عز وجل ، روى الذهبى عن أبى هريرة قال : « بلغ عمر حديثى فأرسل إلى ، فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فلان ؟ قلت : نعم ، وقد علمت لأى شىء سألتنى . قال : ولِمَ سألتك ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ : من كذب على متعمدا ، فليتبوأ مقعده من النار . قال : أما لا ، فاذهب فحدث[٢] . » فهل يتصور إنسان أن يحبس عمرُ ابنَ مسعود وأبا الدرداء وأبا ذر أو أبا مسعود الأنصارى وقد عرف حفظهم وورعهم ؟ بل إن أمير المؤمنين امتن على أهل العراق كما أسلفنا عند ما أرسل

---

(١) ذكر ذلك الإمام الحافظ بقى بن مخلد فى مسنده ، انظر البارع الفصيح فى شرح الجامع الصحيح لأبى البقاء الأحمدى الشافعى مخطوطة دار الكتب المصرية ص ٩ـ١٣ : ب

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٤ جـ ٢

إليهم عبد الله بن مسعود فكتب إلى أهل الكوفة ؟ « إنى والله الذى لا إله إلا هو آثرتكم به على نفسى فخذوا منه[1] » وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال : كنيف ملىء علماً ، آثرت به أهل القادسية »[2] كيف يأمر الناس بالأخذ منه ، ويشهد له بالعلم ، ثم يحبسه !! ؟

وما ورد على حبس ابن مسعود يرد على حبس الصحابة الباقين ، ففيهم أبو الدرداء إمام الشام وقاضيها ومعلمها القرآن ...

وبهذا البيان ، لا يرقى إلى الصحة خبر حبس عمر للصحابة رضى الله عنهم ، لأنهم أكثروا من الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بل إنه يروى عن ابن مسعود أنه نهى عن الاكثار من الرواية ، فهل يتصور منه أن ينهى عن شىء وهو يفعله ؟ وقد روى عنه قوله : « ليس العلم بكثرة الحديث ، ولكن العلم الخشية[3] » .

وفى رواية سعد بن إبراهيم عن أبيه ، التى ذكرها الخطيب ، ما يدل على نه استبقاهم فى المدينة حتى عرف لفظهم سواء . وهذه هى رواية الخطيب .

قال : بعث عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود وإلى أبى الدرداء ، وإلى أبى مسعود الأنصارى فقال : ما هذا الحديث الذى تكثرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فحبسهم بالمدينة حتى استشهد لفظهم سواء[4] . فيكون هذا من باب تثبت عمر رضى الله عنه فى الحديث ، وهذه الرواية تثبت أنه لم يزج بهم فى السجن ، بل استبقاهم فى المدينة ريثما يتثبت من لفظهم ، فإن صح هذا فلا ضير عليهم .

---

(١) و (٢) سير أعلام النبلاء ص ٣٥١ جـ ١ ، والكنيف : الوعاء .
(٣) مختصر كتاب المؤمل فى الرد إلى الأمر الأول ص ٦
(٤) شرف أصحاب الحديث ص ٩٧ : آ .

ومما يؤكد لنا أنه لم يحبس أحداً — وهو ما استنبطناه من مناقشة الروايات السابقة — ما يرويه الرامهرمزي عن شيخه ابن البرى من طريق سعد بن إبراهيم عن أبيه : (أن عمر بن الخطاب حبس بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فيهم ابن مسعود وأبو الدرداء فقال : قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال أبو عبد الله بن البرى : يعني منعهم الحديث ولم يكن لعمر حبس[1]) فقد فسر ابن البرى الخبر تفسيرا جيدا وإن جاء مقتضبا ، فهو يريد أنه منعهم كثرة الحديث ، خوفا من أن لا يتدبر السامعون كلام رسول الله عليه الصلاة والسلام إذا كثر عليهم .

كل ماسبق ينفي صحة ماورد من أخبار حول حبس عمر رضي الله عنه للصحابة لأنهم أكثروا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفي عهد التابعين ازداد النشاط العلمي لانتشار الصحابة في الأمصار ، ثم ما لبث التابعون أن تصدروا للرواية ، ومع هذا سلكوا سبيل الصحابة ، وساروا على نهجهم ، فكانوا على جانب عظيم من الورع والتقوى ، وليس بعيدا ما نقول ، لأنهم تخرجوا في مدارس الصحابة تلامذة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فنسمع الشعبي — وهو أحد كبار التابعين الحفاظ الثقات — يقول : ليتني أنفلت من علمي كفافا لا لي ولا علي[2] . وكأنه يشعر بأنه أكثر من التحديث فيقول : « كره الصالحون الأولون الاكثار من الحديث ، ولو استقبلت من أمري ما استدبرت ماحدثت إلا بما أجمع عليه أهل الحديث[3] » . وكان شعبة ابن

(١) المحدث الفاصل ص ١٣٣ : آ .

(٢) جامع بيان العلم ص ١٣٠ ج ٢ ويروى نحوه عن سفيان الثوري انظر : الكامل ص ٥ : ب . ج ٣ في المجلد الأول في دار الكتب المصرية تحت رقم (٩٥) مصطلح الحديث . وجامع بيان العلم وفضله ص ١٢٩ ج ٢ .

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١

الحجاج يقول : التدليس فى الحديث أشد من الزنا ، ولأن أسقط من السماء إلى الأرض أحب إلى من أن أدلس [١] . وفى رواية عنه أنه كان يقول : لأن أقع من فوق هذا القصر — لدار حياله [٢] — على رأسى أحب إلى من أن أقول لكم: قال فلان ، لرجل ترونه ، أنى قد سمعت ذاك منه ولم أسمعه [٣] .

ومنهم من كان يقتصد فى رواية الحديث على طلابه ليفهموا ما يحدثهم به ويعقلوه ويتدبروه ، ومن هذا ما رواه خالد الحذاء قال كنا نأتى أبا قلابة ، فإذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال : قد أكثرت [٤] ، ويؤكد هذا ما قاله ابن عبد البر : « إنما عابوا الإكثار خوفا من أن يرتفع التدبر والتفهم ، ألا ترى إلى ما حكاه بشر بن الوليد عن أبى يوسف قال : « سألنى الأعمش عن مسألة وأنا وهو لا غير فأجبته ، فقال لى : من أين قلت هذا يا يعقوب ؟ فقلت : بالحديث الذى حدثنى أنت ، ثم حدثته ، فقال لى : يا يعقوب ، إنى لأحفظ هذا الحديث من قبل أن يجمع أبواك [٥] ماعرفت تأويله إلى الآن [٦] » وروى نحو هذا : أنه جرى بين الأعمش وأبى يوسف وأبى حنيفة ، فكان من قول الأعمش : « أنتم الأطباء ونحن الصيادلة [٧] » .

* * *

---

(١) مقدمة التمهيد ص ٥ : ب

(٢) هكذا النص والمعنى لدار قريبة منه .

(٣) مقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٤ ، ويروى نحوه عن مطرف بن طريف انظر نفس المصدر ص ٤٢ .

(٤) انظر المحدث الفاصل ص ١٤٥ — ١٤٦

(٥) أى من قبل أن يخلق ، كناية عن أنه حفظه منذ زمن بعيد .

(٦) هكذا النص والأصواب أن تكون إلا .

(٧) جامع بيان العلم وفضله : ص ١٣٠ ج ٢

تثبت الصحابة والتابعين فى قبول الحديث

وكما احتاط الصحابة والتابعون فى التحديث ، احتاطوا وتثبتوا فى قبول الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنعرض هذا فيما يلى :

(ا) تثبت أبى بكر الصديق فى قبول الأخبار :

كان أبو بكر رضى الله عنه قدوة حسنة للمسلمين فى المحافظة على السنة ، والتثبت فى قبول الأخبار خشية أن يقع ويقع المسلمون فى خطأ يؤدى بهم إلى مالا تحمد عقباه . وسأورد بعض الأخبار التى تبين لنا طريق الصحابة ومنهجهم فى ذلك .

١ — قال الحافظ الذهبى : كان أبو بكر رضى الله عنه ، أول من احتاط فى قبول الأخبار ، فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبى بكر تلتمس أن تورث ، فقال : ما أجد لك فى كتاب الله شيئاً ، وما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر لك شيئا ، ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيها السدس ، فقال له : هل معك أحد فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك فأنفذه لها أبو بكر رضى الله عنه [١] .

٢ — عن يونس « بن يزيد [٢] » عن الزهرى أن أبا بكر حدث رجلا

(١) تذكرة الحفاظ ص ٣ ج ١ ومعرفة علوم الحديث ص ١٥ ، والكفاية ص ٢٦ ، وقد أخرجه الإمام مالك فى الموطأ ص ٥١٣ ج ٢ ، كما أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه .

(٢) يونس بن يزيد بن أبى النجاد سمع من الزهرى انظر ص ١٥٢ ج ١ من تذكرة الحفاظ

حديثاً فاستفهمه الرجل إياه ، فقال أبو بكر هو كما حدثتك : أى أرض تقلني إذا أنا قلت ما لم أعلم ؟!

وصح أن الصديق خطبهم فقال : (إياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، والفجور يهدى إلى النار)[١] . فأبو بكر يبين للناس جميعاً أنه لا يحدث إلا بما يعلم ويثق منه ، ثم إنه لم يكتف بالحيطة لنفسه ، بل أمر الناس بذلك أيضاً ، وحثهم على التثبت فيما يحدثون به أو يستمعونه ، ومن ذلك ما رواه الذهبي من مراسيل ابن أبي مليكة : (أن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال : إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافا ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله ، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه) . ثم قال الحافظ الذهبي : (يدلك (هذا) أن مراد الصديق التثبت فى الأخبار والتحرى ، لا سد باب الرواية ، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده فى الكتاب كيف سأل عنه فى السنن ، فلما أخبره ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ، ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج)[٢] .

(ب) تثبت عمر بن الخطاب فى قبول الأخبار :

١ — روى الإمام البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال : « كنت فى مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور ، فقال : استأذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لى فرجعت فقال : ما منعك ؟ قلت : استأذنت ثلاثا فلم يؤذن لى

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ٤ ج ١ ، وفى مقدمة التمهيد ص ١١ قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : إياكم والكذب فانه مجانب الإيمان .
(٢) تذكرة الحفاظ ص ٣ — ٤ ج ١ .

فرجعت ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع » . فقال : والله لتقيمن عليه ببينة[1] ، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أبي بن كعب : والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم ، فكنت أصغر القوم ، فقمت معه ، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك »[2] فقال عمر لأبي موسى : أما إني لم أتهمك ، ولكن خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

٢ — روى مسلم عن المِسْوَر بن مَخْرَمة قال : استشار عمر بن الخطاب الناس في ملاص المرأة[4] ، فقال المغيرة بن شعبة : شهدت النبي صلى الله عليه وسلم قضى فيه بغرة[5] : عبد أو أمة . قال : فقال عمر ائتني بمن يشهد معك . قال : فشهد له محمد بن مسلمة[6] .

٣ — روى صفوان بن عيسى : أخبرنا محمد بن عمار عن عبد الله بن أبي بكر قال : كان للعباس بيت في قبلة المسجد ، فضاق المسجد على الناس فطلب إليه

---

(١) وفي رواية مسلم : فقال عمر : أقم عليه البينة ، وإلا أوجعتك .

(٢) صحيح البخاري بحاشية السندي ص ٨٨ ج ٤ ، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه ص ١٦٩٤ ج ٣ . كما أخرجه الإمام مالك في الموطأ ص ٩٦٤ ج ٢ ، وانظره موجزا في الرسالة للامام الشافعي ص ٤٣٥ .

(٣) موطأ الإمام مالك ص ٩٦٤ ج ٢ والرسالة ص ٤٣٥ .

(٤) ملاص : هو جنين المرأة ، والمعروف في اللغة املاص المرأة . يقال أملصت به إذا وضعته قبل أوانه . انظر هامش ص ١٣١١ ج ٣ من صحيح مسلم .

(٥) الغرة بضم الغين وراء مشددة مفتوحة : العبد والأمة ، فكأنه عبر في الحديث عن الجسم كله . كقوله رقبة ، وأصل الغرة بياض في جبهة الفرس ، وغرة كل شيء أوله وأكرمه . انظر هامش ص ١٣١١ ج ٣ من صحيح مسلم ، ولسان العرب مادة (غرر) .

(٦) صحيح مسلم ص ١٣١١ ج ٣ .

عمر البيع فأبى فذكر الحديث[١] وفيه فقال عمر لأبى لتأتينى على ما تقول ببينة ، فخرجا فإذا ناس من الأنصار قال : فذكرهم ، قالوا : قد سمعنا هذا[٢] من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : أما إنى لم أتهمك ، ولكنى أحببت أن أتثبت[٣] .

٤ — عن مالك بن أوس قال : سمعت عمر يقول لعبد الرحمن بن عوف

---

(١) وفيه كما رواه ابن سعد عن سالم أبى النضر أن عمر قال له : إخترمنى احدى ثلاث : إما أن تبيعنيها بما شئت من بيت مال المسلمين ، وإما أن أخططك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين ، وإما أن تصدق بها على المسلمين فنوسع بها فى مسجدهم ، فقال : لا ولا واحدة منها ، فقال عمر : بينى وبينك من شئت ، فقال : أبى بن كعب . فانطلقا إلى أبى ، فقصا عليه القصة ، فقال أبى : إن شئتما حدثتكما بحديث سمعته من النبى صلى الله عليه وسلم ، فقالا : حدثنا . قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله أوحى إلى داود أن ابن لى بيتا أذكر فيه ، فخط له هذه الخطة خطة بيت المقدس ، فإذا تربيعها بيت رجل من بنى اسرائيل ، فسأله داود أن يبيعه إياه ، فأبى فحدث داود نفسه أن يأخذه منه فأوحى الله إليه أن يا داود أمرتك أن تبنى لى بيتا أذكر فيه ، فأردت أن تدخل فى بيتى الغصب ، وليس من شأنى الغصب ، وإن عقوبتك أن لا تبنيه . قال : يارب فمن ولدى . قال : من ولدك . قال : فأخذ عمر بمجامع ثياب أبى بن كعب وقال : جئتك بشىء فجئت بما هو أشد منه ، لتخرجن مما قلت . فجاء يقوده حتى أدخله المسجد فأوقفه على حلقة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم أبو ذر ، فقال : إنى نشدت الله رجلا سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر حديث بيت المقدس حين أمر الله داود أن يبنيه إلا ذكره ، فقال أبو ذر : أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر : أنا سمعته ، وقال آخر أنا سمعته يعنى من الرسول صلى الله عليه وسلم . قال : فأرسل عمر أبيا . قال : وأقبل أبى على عمر فقال : يا عمر أتتهمنى على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال عمر : يا أبا المنذر ، لا والله ما اتهمتك عليه ، ولكنى كرهت أن يكون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرا ، وقال عمر للعباس : اذهب فلا أعرض لك فى دارك ، فقال العباس : أما إذا فعلت هذا ، فإنى قد تصدقت بها على المسلمين أوسع بها عليهم فى مسجدهم ، فأما وأنت تخاصمنى فلا ، فخط عمر لهم دارهم التى هى لهم اليوم ، وبناها من بيت مال المسلمين .

انظر طبقات ابن سعد ص ١٣ — ١٤ قسم ١ ج ٤ وص ٢٠٣ قسم ١ ج ٣ .

(٢) أى حديث بناء بيت المقدس الذى ذكره أبى بن كعب .

(٣) تذكرة الحفاظ ص ٨ ج ١ وانظر طبقات ابن سعد ص ١٣ — ١٤ قسم ١ ج ٤

وطلحة والزبير وسعد : نشدتكم بالله الذى تقوم السماء والأرض به أعلمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنا لا نُورَثُ ما تركنا صدقة » ؟ قالوا : اللهم نعم[1] .

(حـ) تثبت عثمان رضى الله عنه فى الحديث :

عن بسر بن سعيد قال : أتى عثمانُ المقاعد ، فدعا بوضوء ، فتمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ، ويديه ثلاثا ثلاثا ، ثم مسح برأسه، ورجليه ثلاثا ثلاثا ، ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا يتوضأ ، ياهؤلاء أكذاك ؟ قالوا : نعم ، لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده[2] .

(د) تثبت على بن أبى طالب رضى الله عنه فى الحديث :

عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنت إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله بما شاء منه . وإذا حدثنى غيره استحلفته ، فإذا حلف لى صدقته ، وإن أبا بكر حدثنى ، وصدق أبو بكر ، أنه سمع النبى عليه الصلاة والسلام قال : « ما مِن رجل يذنبُ ذنباً فيتوضأ فيحسنُ الوضوء ، ويصلى ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له[3] » .

• • •

تلك آثار تبين منهج الصحابة فى التثبت والتأكد من الأخبار ، وهذا لا يعنى أبداً أن الصحابة اشترطوا لقبول الحديث ، أن يرويه راويان فأكثر ،

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٢٢٨ و ص ١٨٦ و ١٨٧ جـ ١ باسناد صحيح

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٧٢ جـ ١ باسناد صحيح

(٣) المرجع السابق ص ١٥٤ و ١٧٤ و ١٧٨ جـ ١ ونحوه فى الكفاية ص ٢٨ ، وانظر تذكرة الحفاظ ص ١٠ جـ ١ ومقدمة معرفة علوم الحديث . ورواه مسلم .

أو أن يشهد الناس على الراوى أو أن يستحلف ، فإذا لم يحصل شىء من هذا رد خبره ! ! بل كان الصحابة يتثبتون فى قبول الأخبار ، ويتبعون الطريقة التى ترتاح إليها ضمائرهم ، فأحياناً يطلب عمر سماع آخر ، وأحياناً يقبلُ الخبر من غير ذلك ، ولا يقصد من وراء عمله إلا حمل المسلمين على جادة التثبت العلمى والتحفظ فى دين الله حتى لا يتقول أحد على الرسول صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ، ويتضح هذا فى قول عمر رضى الله عنه عندما رجع أبو موسى الأشعرى مع أبى سعيد الخدرى وشهد له ، قال عمر : « أما إنى ، لم أتهمك ، ولكنى خشيت أن يتقول الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] » . ويظهر ذلك أيضا من قول الذهبى بعد أن روى قصة أبى موسى : « أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبى موسى بقول صاحب آخر ففى هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد ، وفى ذلك حض على تكثير طرق الحديث لكى يرتقى عن درجة الظن إلى درجة العلم ، إذ الواحد يجوز عليه النسيان والوهم ، ولا يكادُ يجوز ذلك على ثقتين لم يخالفهما أحد [2] » .

وكذلك ما قاله بعد إيراد طريقة الصديق فى التثبت : « إن مراد الصديق التثبت فى الأخبار والتحرى ، لا سد باب الرواية [3] » .

وكما طلب الصحابة من الراوى شهادة غيره أيضاً ، قبلوا أحاديث كثيرة برواية الآحاد وبنوا عليها أحكامهم .

ومن الغريب أن يجعل بعض المتطرفين فى الإسلام عمل الصحابة هذا دستوراً فى قبول الأخبار ولا يجعلون قبول الصحابة خبر الآحاد دستوراً لهم

---

(١) موطأ مالك ص ٩٦٤ جـ ٢ والرسالة ص ٤٣٥ وتوجيه النظر ص ١٦

(٢) تذكرة الحفاظ ص ٦ ــ ٧ جـ ١

(٣) المرجع السابق ص ٤ جـ ١

أيضا بل يردونه ولا يقبلونه، وقد حكى ذلك الحافظ أبو بكر محمد بن أبي عثمان الحازمي [1] عن بعض متأخري المعتزلة ، كما حكى عن بعض أصحاب الحديث ، قال شيخ الإسلام (ابن حجر) : « وقد فهم بعضهم ذلك من خلال كلام الحاكم في (علوم الحديث) ، وفي (المدخل) ... وأعجب من ذلك ما ذكره أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانجي [2] في كتاب « ما لا يسع المحدث جهله » «شَرْطُ الشيخين في صحيحهما أن لا يدخلا فيه » [3] إلا ما صح عندهما ، وذلك ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم إثنان فصاعدا ، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من التابعين فأكثر . وأن يكون [4] عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة » انتهى .

قال شيخ الإسلام : « وهو كلام من لم يمارس الصحيحين أدنى ممارسة ، فلو قال قائل ليس في الكتابين (البخاري ومسلم) حديث واحد بهذه الصفة لما أبعدَ ، وقال ابن العربي في شرح الموطأ : كان مذهب الشيخين : (البخاري ومسلم) أن الحديث لا يثبت حتى يرويه اثنان ، قال : وهو مذهب باطل ، بل رواية الواحد عن الواحد صحيحة إلى النبي صلى الله عليه وسلم [5] »

---

(١) المتوفى سنة (٥٨٤ هـ)
(٢) المتوفى سنة (٥٨٠ هـ)
(٣) هكذا في التدريب والأصوب أن يقول « فيهما » .
(٤) هكذا في التدريب ، والأصوب أن يقول : (وكان رواته) .
(٥) تدريب الراوي ص ٢٧ . وقد قال باشتراط رجلين عن رجلين في شرط القبول ابراهيم ابن إسماعيل بن عليه (وهو اسماعيل بن مقسم الأسدي حافظ من الطبقة الثامنة نسب إلى أمه، وهو ثقة كما في التقريب) توفي سنة ١٩٣ هـ وهو من الفقهاء المحدثين ، إلا أنه مهجور القول عند الأئمة لميله إلى الاعتزال ، وقد كان الشافعي يرد عليه ويحذر منه . انظر تدريب الراوي ص ٢٨ .

ويقول الدكتور السباعي : « وانتقل هذا الفهم — (أن لا يقبل الصحابة إلا ما رواه اثنان) — إلى كثير ممن كتب فى تاريخ التشريع الإسلامى وتاريخ السنة فى العصر الحديث ، فأصبح عندهم قضية مسلمة لا يذكرون غيرها ، وممن ذهب إلى هذا أساتذتنا الأجلاء مؤلفو مذكرة تاريخ التشريع الإسلامى فى كلية الشريعة بالأزهر فقد ذكروا فى باب شروط الأئمة للعمل بالحديث أن هذا كان شرط أبى بكر ، وعمر ، وعلى ، للعمل بالحديث[1] » .

إن تثبت الصحابة فى بعض الأحاديث بطلب راويين للخبر لم يكن شرطاً لقبول جميع المرويات ، بل قبلوا أخباراً كثيرة عن مخبر واحد ، وعملوا بها فى مواضع كثيرة ، مما يدل على أنهم رضى الله عنهم كانوا يطلبون الراوى الثانى لمجرد التثبت والتأكد ، لا لأن الخبر لا يثبت عندهم إلا براويين ، والأخبار التى قبلها الخلفاء الأربعة وغيرهم برواية آحاد أكثر بكثير من الأخبار التى طلبوا فيها راويين ، وإليكم بعض تلك الآثار :

١ — عن سعيد بن المسيب : « أن عمر بن الخطاب كان يقول : الدية للعاقلة ، ولا ترث المرأة من دية زوجها شيئاً . حتى أخبره الضحاك بن سفيان أن رسول الله كتب إليه : أن يورثَ امرأةَ أشْيَم الضِّبابىّ من ديته ، فرجع إليه عمر[2] » .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص٨١ . ذكر الأساتذة مؤلفو تاريخ التشريع الإسلامى بالحرف الواحد « أما الآحاد فلمقام الشبهة فى ثبوته اختلفت طرق الصحابة فى الأخذ به ، فلم يكن أبو بكر ولا عمر يقبلان من الأحاديث إلا ما شهد إثنان أنهما سمعاه من رسول الله صلى الله عليه وسلم » انظر الصفحة ٩٣ من تاريخ التشريع الإسلامى للسبكى وزملائه وهذا التعميم غير مطابق للواقع كما سنرى .

(٢) الرسالة ص ٤٢٦ ، الفقرة ١١٦٢ .

٢ — عن طاوس : « أن عمر قال : أُذَكِّرُ اللهَ امرأً سمع من النبى فى الجنين شيئاً ؟ فقام حَمَلُ بن مالك بن النابغة ، فقال : كنت بين جاريتين لى ، يعنى ضرتين ، فضربت إحداهما الأخرى بمسطح[١] ، فألقت جنيناً ميتاً ، فقضى فيه رسول الله بغرة ، فقال عمر : لو لم أسمع فيه لقضينا بغيره[٢] » .

٣ — « عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام . حتى إذا كان بسرغ لقيه أهل الأجناد[٣] أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام[٤] » .

واستشار المهاجرين والأنصار ومشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، واختلفت آراؤهم حتى جاءه عبد الرحمن بن عوف ، وكان متغيباً فى بعض حاجته ، فقال : « إن عندى من هذا علماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها ، فلا تخرجوا فراراً منه[٥] » فرجع عمر رضى الله عنه بالناس لخبر عبد الرحمن رضى الله عنهم جميعاً .

٤ — روى الإمام الشافعى عن الإمام مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه (على زين العابدين) : أن عمر ذكر المجوس فقال : ما أدرى كيف أصنع فى

---

(١) المسطح : عود من أعواد الخباء والفسطاط .

(٢) الغرة : العبد أو الأمة . الرسالة ص ٤٢٦ — ٤٢٧ ، الفقرة ١١٧٤ .

(٣) سرغ هى قرية فى طرف الشام مما يلى الحجاز . والأجناد : المراد بها هنا مدن الشام الخمسة ، وهى فلسطين والأردن ودمشق وحمص وقنسرين . قال الإمام النووى : هكذا فسروه واتفقوا عليه ، ومعلوم أن فلسطين اسم لناحية بيت المقدس ، والأردن اسم لناحية بيسان وطبرية وما يتعلق بهما ، ولا يضر : إطلاق اسم المدينة عليه . انظر هامش الصفحة ١٧٤٠ ج ٤ من صحيح مسلم

(٤) صحيح الإمام مسلم ص ١٧٤٠ ج ٤ ولخص الخبر الإمام الشافعى فى رسالته ص ٤٢٩ فقرة ١١٨٠ ، وانظر الإحكام لابن حزم ص ١٣ ج ٢

(٥) صحيح الإمام مسلم ص ١٧٤٠ ج ٤

أمرهم ؟ فقال له عبد الرحمن بن عوف : أشهد لسمعت رسول الله يقول : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب[١] » .

٥ — وقبل عمر بن الخطاب خبر سعد بن أبي وقاص في المسح على الخفين ، وأمر ابنه عبد الله ألا ينكر عليه وقال له : (إذا حدثك سعد بشيء فلا ترد عليه ، فإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان يمسح على الخفين[٢]) .

وفي رواية (إذا حدثك سعد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فلا تسأل عنه غيره[٣]) . وهذا دليل واضح على قبول خبر الآحاد ، حتى إن عمر ينهى ابنه عن أن يسأل غير سعد إذا حدثه سعد عن رسول الله . ولو كان شرط عمر عدم قبول الخبر إلا عن راويين لأمر ابنه أن يطلب مع سعد راويا آخر ، ولم ينهه عن سؤال غيره .

٦ — وأراد رجم مجنونة حتى أعلم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاث[٤] » ، فأمر ألا ترجم .

وأمر برجم مولاة حاطب ، حتى ذكره عثمان بأن الجاهل لا حد عليه ، فأمسك عن رجمها[٥] .

---

(١) الرسالة : ٤٣٠ فقرة ١١٨٢ وانظر الكفاية في علم الرواية ص ٢٧ والإحكام ص ١٣ ج ٢

(٢) مسند الإمام أحمد ص ١٩١ حديث ٨٧ ج ١ وفي ص ١٩٢ مختصراً وكلاهما باسناد صحيح

(٣) مسند الإمام أحمد ص ١٩٢ حديث ٨٨ ج ١ باسناد صحيح

(٤) أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن السيدة عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلي حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر » الجامع الصغير ص ٢٣ ج ٢ باسناد صحيح . وأخرج الأمام أحمد وأبو داود والحاكم عن عمر وعلى رضي الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على عقله حتى يبرأ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم » المرجع نفسه .

(٥) الإحكام لابن حزم ص ١٣ ج ٢ .

٧ — وكان يفاضل بين ديات الأصابع حتى بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بالمساواة بينها ، فترك قوله وأخذ بالمساواة[١] .

٨ — وقد اشتهر خبر تناوب عمر رضى الله عنه وجاره فى حضور حلقات الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيه يقول عمر : (ينزل يوما ، وأنزل يوما ، فإذا نزلت جئته بخبر ذلك اليوم من الوحى وغيره ، وإذا نزل فعل مثل ذلك[٢]) وهذا إقرار من أمير المؤمنين رضى الله عنه بقبول خبر جاره ، ولا فرق بين جاره وغيره ممن تقبل روايته .

وهكذا نرى من تلك الأخبار وغيرها أن عمر رضى الله عنه لم يشترط لقبول الأخبار راويين ، وما صدر منه مع أبى موسى رضى الله عنه بَيَّنَ سببه بنفسه كما سبق أن ذكرت ذلك ، وكان من باب الاحتياط والتثبت ، لا من باب عدم قبول الخبر إلا من راويين .

ومثل هذا يقال فى بقية الأخبار التى طلب فيها راويين .

وأما ما ذكر عن موقف أبى بكر رضى الله عنه ، وتثبته فى قبول الأخبار ، فإنه لا يعدو باب الاستظهار والاستيثاق ، ثم إنه لم يرو عنه أنه طلب راويا آخر إلا فى تلك الحادثة التى ذكرها الإمام الذهبى ، وقد ردها ابن حزم[٣] وأعلها بالانقطاع ، فهى لا تصلح مقياسا صحيحا لشرط أبى بكر فى قبول الأخبار ، وهو

---

(١) الإحكام لابن حزم ص ١٣ ج ٢ وانظر الرسالة ص ٤٢٢ فقره ١١٦٠ ، إلا أن الشافعى ينص على أن الصحابة بعد وفاة عمر رضى الله عنه وجدوا كتاب آل عمرو بن حزم وفيه أن رسول الله قال : « وفى كل اصبع مما هنالك عشر من الابل » فصاروا إليه . انظر الفقرة (١١٦٢) من الصفحة ٤٢٢

(٢) فتح البارى ص ١٩٥ ج ١ .

(٣) انظر الإحكام لابن حزم ص ١٤١ ج٢ .

الذى قبل أخبارا كثيرة برواية مخبر واحد .

وقد سبق أن بينت منهجه فى حكمه وقضائه كما ذكره ابن القيم ، ولم يذكر أنه كان يطلب ممن يأتيه بالخبر شاهدا على ما يقول . . وقد قبل خبر عائشة رضى الله عنها فى كفن الرسول صلى الله عليه وسلم[1] .

وأما عثمان رضى الله عنه فإنه لم يطلب راويين لكل خبر ، وكل ما صدر عنه أنه استشهد بعض من حضر وضوءه ، ليؤكد أنه توضأ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد ثبت عنه أنه عمل بأخبار الآحاد ، فقد سأل الفُرَيْعَةَ بنت مالك بن سنان — أخت أبى سعيد الخدرى — عن عدتها لوفاة زوجها[2]، وقضى بخبرها .

وأما ما روى عن على رضى الله عنه من استحلاف مخبريه ، فإن هذا لم يكن منهجه وديدنه فى قبول جميع الأخبار ، بل قبل بعض الأخبار من غير أن يستحلف الرواة ، فقبل أخبار أبى بكر — كما ذكر هو نفسه — ولا فرق بين أبى بكر رضى الله عنه وغيره ممن تقبل روايته ، كما عمل بخبر المقداد بن الأسود فى حكم المذى[3] من غير أن يحلفه .

وهكذا يتبين لنا أن الخلفاء الأربعة لم تكن لهم شروط خاصة لقبول الأخبار ، وأن كل ما روى عنهم مما يوهم ذلك لا يعدو التثبت والاستظهار ، وقد قبلوا أخبار الآحاد كما قبلها غيرهم من عامة الصحابة وعلمائهم . وكل ما صدر

---

(١) الإحكام لابن حزم ص ١٢ ج ٢ .

(٢) أخرج حديث فريعة أحمد وأصحاب السنن الأربعة وصححه الترمذى والحاكم . انظر سبل السلام ص ٢٠٣ جـ ٣ ، وانظر الكفاية ص ٢٧ والإحكام ص ١٥ ج ٢

(٣) انظر مسند الإمام أحمد ص ٣٩ حديث ٦٠٦ و ص ٤٦ حديث ٦١٨ ج ٢ باسناد صحيح ، وفتح البارى ص ٢٩٤ و ٣٩٤ ج ١ ، وصحيح مسلم ص ٢٤٧ حديث ١٧ ــ ١٩ ج ٦

عنهم كان فى سبيل المحافظة على السنة الطاهرة .

(هـ) ولم يكن التابعون وأتباعهم أقل اهتماما من الصحابة بالاحتياط لقبول الحديث ، فكانوا يتثبتون من الراوى بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم ، وإن من يتتبع تاريخ الرواة ، وكيفية تحملهم الحديث الشريف ليدرك تماما جهود التابعين وأتباعهم ، تلك الجهود التى بذلوها لنقل السنة إلى خلفهم . وإليكم بعض أخبارهم فى هذا الموضوع :

قيل لمسعر بن كدام : ما أكثر تشككك ؟ قال: تلك محاماة عن اليقين[1] .

وكان يزيد بن أبى حبيب محدث الديار المصرية يقول : إذا سمعت الحديث فانشده كما تنشد الضالة ، فإن عرف فخذه ، وإلا فدعه[2] .

فلم يكن للتابعين وأتباعهم شروط خاصة فى قبول الرواية ، ولم يُروعن أحدهم أنه اشترط لقبول الخبر راويين أو أكثر ، بل كانوا يتحملون عن كل من توافرت فيه شروط التحمل والأداء ، إلى جانب العدالة التى أجمع عليها المحدثون ، فإذا ما سقطت عدالة راو طرحوا أخباره وامتنعوا عن الأخذ عنه . ومع هذا كانوا يتثبتون فى قبول الأخبار بكل وسيلة تطمئن إليها قلوبهم ، لأن وصايا الصحابة وكبار التابعين لا تزال قائمة فى نفوسهم ، تذكرهم أن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .

وكانوا يرون الأمانة فى الذهب والفضة أيسر من الأمانة فى الحديث[3] ، فنسمع عن سليمان بن موسى أنه لقى طاوسا فقال له : « إن رجلا حدثنى بكيت

---

(١) المحدث الفاصل ص ١٣٢ : ب
(٢) الجرح والتعديل ص ١٩ جـ ١
(٣) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٠ : آ

وكيت ، فيقول له : إن كان ملياً فخذ منه[1] » . وكان ابن عون يقول : لا يؤخذ هذا العلم إلا ممن شهد له بالطلب[2] . ويسمع شعبة بن الحجاج عبد الله ابن دينار يحدث فى الولاء وهبته عن عبد الله بن عمر ، فيستحلفه : هل سمعه من ابن عمر؟ فيحلف له[3] . ويحدث الحكم عن سعيد بن المسيب فى دية اليهودى والنصرانى والمجوسى ، فيقول له شعبة : أنت سمعته من سعيد بن المسيب ؟ فيقول : لو شئت سمعت من ثابت الحداد ، قال شعبة : فأتيت ثابتاً الحداد فحدثنى عن سعيد بن المسيب عن عمر مثله[4] . فلا يمكننا أن نحكم على شعبة أنه لم يكن يقبل رواية أحد إلا بعد تحليفه ، أو الاستيثاق برواية آخر معه . بل كل هذا كان من باب التثبت والاستيثاق والتأكد مما يسمعون ، حرصا منهم على حفظ الحديث النبوى الشريف .

* * *

---

(١) الجرح والتعديل ص ٢٧ جـ ١

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ جـ ١

(٣) تقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٠

(٤) المرجع السابق ص ١٧٠ ومن هذا الباب ما كان يتأكد منه رجال الحديث فقد قال الليث بن سعد : قدم علينا رجل من أهل المدينة يريد الاسكندرية مرابطا ، فنزل على جعفر بن ربيعة، قال : فعرضوا له بالحملان ، وعرضوا له بالمعونة فلم يقبل ، واجتمع هو وأصحابنا يزيد بن أبى حبيب وغيره فأقبل يحدثهم : حدثنى نافع عن عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : فجمعوا تلك الأحاديث وكتبوا بها إلى ابن نافع ، وقالوا له : إن رجلا قدم علينا وخرج إلى الاسكندرية مرابطا وحدثنا ، فأحببنا ألا يكون بيننا وبينك فيها أحد ، فكتب إليهم ، والله ما حدث أبى من هذا بحرف قط ، فانظروا عمن تأخذون واحذروا قصاصنا ومن يأتيكم .

انظر مقدمة التمهيد ص ١٤ : ب

كيف رُوِي الحديث في ذلك العصر .. باللفظ أم بالمعنى ..؟

رأينا كيف كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يتثبتون فى قبول الأخبار ، وعرفنا ورعهم وخشيتهم عندما يروون حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان أحدهم لا يروى الحديث إلا بعد الاستيثاق من ضبط حروفه وفهم معناه ، وكان الواحد منهم إذا سئل يود لو أن أخاه كفاه مؤونة السؤال ، حتى إن بعضهم كان يأبى أن يروى شيئاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخافة الزيادة والنقصان ، ومن هذا ما يرويه العلاء بن سعد بن مسعود ، قال : « قيل لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك لا تحدث كما يحدث فلان وفلان ؟ فقال : ما بى ألا أكون سمعت مثل ما سمعوا أو حضرت مثل ما حضروا ، ولكن لم يدرس الأمر بعد والناس متماسكون ، فأنا أجد من يكفينى ، وأكره التزيد والنقصان فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »[1] .

وإلى جانب ما رويناه من أخبار حول تثبت الصحابة والتابعين فى رواية الحديث ، ومنهاجهم فى الإقلال من الرواية مخافة الوقوع فى الخطأ — لا بد لنا من أن نتتبع بعض أخبارهم لنرى كيف كانوا يروون الحديث النبوى ؟ وهل كانوا يحافظون على لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو كانوا يروون ما يسمعون بألفاظ من عندهم دون أن يغيروا معنى ما سمعوا ؟

إذا استعرضنا تلك الأخبار رأينا كثيراً من الصحابة حرصوا على نقل الحديث بألفاظه ، وبعضهم ترخص عند الضرورة فى روايته بالمعنى ، وكما روى

---

(١) الكفاية ص ١٧٢

بعض الصحابة الحديث باللفظ وبعضهم بالمعنى نرى التابعين أيضا قد نهجوا نهج الصحابة رضوان الله عليهم ، ولكن مما لا شك فيه أن جميع الصحابة حرصوا على أداء الحديث كما سمعوه من الرسول عليه الصلاة والسلام ، حتى إن بعضهم ما كان يرضى أن يبدل حرفا بحرف ، أو كلمة مكان كلمة ، أو يقدم كلمة على أخرى وردت فى الحديث قبلها ،وقد روى عن عمر رضى الله عنه ، أنه كان يقول : «من سمع حديثا فحدث به كما سمع فقد سلم[1] » وروى نحوه عن عبد الله بن عمر وزيد بن أرقم .

وقد اشتهر من بين الصحابة الذين كانوا يتشددون فى الحرص على لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن عمر . روى محمد بن سوقة قال : (سمعت أبا جعفر يقول : كان عبد الله بن عمر إذا سمع من نبى الله صلى الله عليه وسلم شيئا ، أو شهد معه مشهدا ، لم يقصر دونه أو يعدوه ، قال : فبينما هو جالس وعبيد ابن عمير يقص على أهل مكة إذ قال عبيد بن عمير : مثل المنافق كمثل الشاة بين الغنمين ، إن أقبلت إلى هذه الغنم نطحتها ، وإن أقبلت إلى هذه نطحتها ، فقال له عبد الله بن عمر : ليس هكذا ، فغضب عبيد بن عمير ، وفى المجلس عبد الله ابن صفوان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، كيف قال رحمك الله ؟ فقال : قال : مَثَلُ المنافقِ مثلُ الشاةِ بين الرَّبيضَيْنِ ، إن أقبلت إلى ذا الربيض نطحتها ، وإن أقبلت إلى ذا الربيض نطحتها . فقال له : رحمك الله هما واحد . قال : كذا سمعت[2]) .

وروى ابن عمر حديث بنى الاسلام على خمس ، فأعاده رجل فقال له ابن

---

(١) المحدث الفاصل ص ١٢٧ : ب والكفاية ص ١٧٢

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٩٧ حديث ٥٥٤٦ ج ٧ وانظر حديث ٥٣٥٩ ونحوه فى ص ٢٠ حديث ٥٦١٠ ج ٨ .

عمر : « لا ، اجمل صيام رمضان آخرهن كما سمعت من فِى رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] » ولهذا نرى فى بعض الأحاديث ، قول الراوى — كذا وكذا — لا أدرى بأيهما بدأ . أو أيهما قال قبل ، ونحو ذلك . وهذا تنبيه من الراوى إلى أنه أدرك الحديث وفهمه ، ولكنه لم يتأكد من ترتيب اسمين فيه أو كلمتين فيبين موضع شكه وأن الشك منه ليس فى أصل الحديث ، ومن هذا ما رواه خالد بن زيد الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قريش والأنصار ، وأسلم وغفار — أو غفار وأسلم[٢] — . .

وتشدد بعض الرواة فى المحافظة على نص الحديث بألفاظه ، فمنع زيادة حرف واحد ، أو حذفه وإن كان لا يغير المعنى ، ومن هذا ما رواه سفيان قال : حدثنا الزهرى أنه سمع أنس بن مالك يقول : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدباء والمزفت أن ينتبذ فيه ، فقيل لسفيان أن ينبذ فيه ؟ فقال : لا ، هكذا قاله لنا الزهرى « ينتبذ فيه »[٣] .

وكان بعض الرواة شديدى الحرص على اللفظ الذى سمعوه ، فلا يخففون حرفا ثقيلا ، ولا يثقلون حرفا خفيفاً ، ولا يبدلون حركات الحروف التى يسمعونها ، بل يروونها كما سمعوها ، وإن كان ذلك التغيير لا يبدل معناها ، نحو (نما — نمى) فى حديثه صلى الله عليه وسلم « ليسَ الـكاذِبُ مَنْ أصلحَ بينَ الناسِ فقال خيراً أو نمّى خيراً » . قال حماد : سمعت هذا الحديث من رجلين ، فقال أحدهم نما خيراً (خفيفة) وقال الآخر نمى خيراً (مثقلة)[٤] .

---

(١) الـكفاية ص ١٧٦

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧

(٣) الـكفاية ص ١٧٨

(٤) المصدر السابق ص ١٨٠ — ١٨١

وبلغ من حرص بعض المحدثين على لفظ الحديث أنهم لم يكونوا يحدثون طلابهم إلا إذا كتبوا عنهم ، إذ كانوا يكرهون أن يحفظوا عنهم ، خوفا من الوهم عليهم، من هذا ما يرويه الخطيب البغدادى بسنده عن ابن عيينة قال : « قال محمد بن عمرو : لا والله لا أحدثكم حتى تكتبوه ، إنى أخاف أن تكذبوا على — وفى رواية — أخاف أن تغلطوا على »[١] .

ومنه مارواه الرامهرمزى بسنده عن طلحة بن عبد الملك ، قال : « أتيت القاسم وسألته عن أشياء ، فقلت : أكتبها ؟ قال : نعم ، فقال لابنه : انظر فى كتابه ، لا يزيد على شيئاً ، قلت : يا أبا محمد إنى لو أردت أن أكذب لم آتك ، قال : إنى لم أرد ، إنما أردت إن اسقطت شيئاً يعدله لك[٢] » .

وكان الأعمش يقول : « كان هذا العلم عند أقوام ، كان أحدهم لأن يخر من السماء أحب إليه من أن يزيد فيه واوا ، أو ألفاً ، أو دالا . . .[٣] »

وقد أدرك ابن عون ثلاثة ممن يشددون فى رواية الحديث على حروفه ، وهم القاسم بن محمد بالحجاز ، ومحمد بن سيرين بالبصرة ، ورجاء بن حيوه بالشام[٤] ، وكان إبراهيم بن ميسرة وطاوس يحدثان الحديث على حروفه[٥] ، وكان طاوس يعد الحديث حرفاً حرفاً[٦] . ويروى عن ابن عيينة قوله « محدثو الحجاز ابن شهاب ويحيى بن سعيد وابن جريج يجيئون بالحديث على

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠١ : آ

(٢) المحدث الفاصل ص ١٢٨ : آ

(٣) الكفاية ص ١٧٨

(٤) انظر المحدث الفاصل ص ١٢٦ : ب والكفاية ص ٢٠٥ والجامع لأخلاق الراوى وآدب السامع ص ١٠٠ : ب وجامع بيان العلم وفضله ص ٨٠ ج ١

(٥) انظر الكفاية ص ٢٠٥

(٦) المحدث الفاصل ص ١٢٧ : ب

وجهه[١] » ، وكان مالك بن أنس يحرص على أداء حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على حروفه[٢].

وإلى جانب هذه الأخبار نرى أخبارا أخرى تدل على أن بعض الصحابة والتابعين رووا بعض الأحاديث بمعانيها ، أو أنهم أجازوا إبدال كلمة بأخرى عند الضرورة ، وكان أحدهم إذا اضطر إلى هذا أشار إلى أن ما يرويه ليس لفظه صلى الله عليه وسلم . لذلك نرى بعض الصحابة يتورعون كثيراً عند ذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشية الخطأ .

وقد روينا أن عبد الله بن مسعود كان إذا قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هكذا أو نحوا من هذا ، أو قريباً من هذا ، وكان يرتعد[٣] . »

وكان أبو الدرداء إذا فرغ من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هذا أو نحو هذا أو شكله ، وقد يقول : « اللهم إلا هكذا ، فكشكله »[٤] .

وقال محمد بن سيرين : « كان أنس بن مالك قليل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : وكان إذا حدث عنه قال : أو كما قال[٥] » .

---

(١) تقدمة الجرح والتعديل ص ٤٣

(٢) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٠٦ : ب وجامع بيان العلم وفضله ص ٨١ ج ١ والكفاية ص ١٨٨

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٠٧ : آ وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٩ ج ١ ، وانظر سنن ابن ماجه ص ٨ ج ١

(٤ و ٥) الكفاية ص ٢٠٥ وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٩ ج ١ والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٢٠٧ . وذكر ذلك زهير بن حرب عن أبي الدرداء في كتاب العلم ص ١٩١ : ب .

وعن عروة بن الزبير قال : « قالت لى عائشة رضى الله عنها : يابنى يبلغنى أنك تكتب عنى الحديث ثم تعود فتكتبه ، فقلت لها : أسمعه منك على شىء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافا ؟ قلت : لا ، قالت : لا بأس بذلك [١] » .وعن أيوب عن محمد بن سيرين قال : ربما سمعت الحديث عن عشرة كلهم يختلف فى اللفظ والمعنى واحد [٢] .

قال مكحول : دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع ، فقلنا له : يا أبا الأسقع ، حدثنا بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس فيه وهم ولا تزيد ولا نسيان ، قال : هل قرأ أحدٌ منكم من القرآن شيئا ؟ قال : فقلنا نعم ، وما نحن له بحافظين جدا ، إنا لنزيد الواو والألف وننقص . قال : فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تألون حفظا ، وأنتم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عسى ألا نكون سمعناها منه إلا مرة واحدة ، حسبكم إذا حدثناكم بالحديث على المعنى [٣] .

وروى قتادة عن زرارة بن أبى أوفى قال : لقيت عدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، فاختلفوا على فى اللفظ واجتمعوا فى المعنى [٤] .

وقال جرير بن حازم : « سمعت الحسن يحدث بالحديث : الأصل واحد والكلام مختلف [٥] » ، وقال عمران القصير : « قلت له (للحسن البصرى) :

---

(١) الكفاية ص ٢٠٥

(٢) المحدث الفاصل ص ١٢٦ : ب وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٩ ج ١ والكفاية ص ٢٠٥

(٣) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٠٦ وتدريب الراوى ص ٣١٢ وموجزا فى كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩١ : ب

(٤) المحدث الفاصل ص ١٢٥

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٦ : آ

إنا نسمع الحديث فلا نجيء به على ما سمعناه ، قال : لو كنا لا نحدثكم إلا كما سمعنا ما حدثنا كم بحديثين ، ولكن إذا جاء حلاله وحرامه فلا بأس[١] » .

ورويت إجازة التحديث بالمعنى عن عبد الله بن مسعود وأبي الدرداء وأنس ابن مالك ، وعائشة أم المؤمنين ، وعمرو بن دينار ، وعامر الشعبي وإبراهيم النخعي ، وابن أبي نجيح ، وعمرو بن مرة ، وجعفر بن محمد بن علي ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى بن سعيد القطان[٢] .

وقد أدرك ابن عون ثلاثة ممن يرخصون في رواية الحديث على المعنى هم : الحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، وعامر الشعبي[٣] .

ونرى هؤلاء الذين أجازوا رواية الحديث على المعنى عند الضرورة ، كانوا يبينون للسامعين أنهم رووا بعض الحديث على المعنى بقولهم بعد التحديث ، أو كما قال ، ونحو هذا ، ومنهم من كان لا يبيح لمن يسمع أن يكتب عنه الحديث حتى لا يظن أن ما رواه لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان عمرو ابن دينار يحدث على المعنى ويقول : « أحرج على من يكتب عني[٤] » .

ولا بد من أن نقرر أن من أباح رواية الحديث على المعنى أباحها بشروط ، ولم يطلق هذا لأي إنسان ، وأجازوا ذلك للضرورة ، كأن يند اللفظ عن الذاكرة ، أو يغيب لفظ الحديث عن المحدث عند الحاجة إلى روايته فيرويه بالمعنى ، والضرورة تقدر بقدرها . قال الإمام الشافعي في صفات الراوي : « أن يكون من حدث به ثقة في دينه ، معروفاً بالصدق في حديثه ، عاقلا لما يحدث

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٠٦ : آ
(٢) أنظر المرجع السابق ص ١٠٦
(٣) انظر المحدث الفاصل ص ١٢٦ : ب وجامع بيان العلم : ص ٨٠ ج ١ والكفاية ص ٢٠٥
(٤) تذكرة الحفاظ : ص ١٠٧ ج ١

به، عالماً بما يحيل معانى الحديث من اللفظ ، وأن يكون ممن يؤدى الحديث بحروفه كما سمع لا يحدث به على المعنى ، لأنه إذا حدث به على المعنى وهو غير عالم بما يحيل معناه — : لم يدر لعله يحيل الحلال إلى الحرام وإذا أداه بحروفه فلم يبق وجه يُخاف فيه إحالَتُه الحديثَ[1] . . » .

قال الرامهرمزى : « وقد دل قول الشافعى فى صفة المحدث مع رعايته اتباع اللفظ ، على أنه يسوغ للمحدث أن يأتى بالمعنى دون اللفظ ، إذا كان عالما بلغات العرب ووجوه خطابها ، بصيراً بالمعانى والفقه ، عالماً بما يحيل المعنى وما لا يحيله ، فإنه إذا كان بهذه الصفة جاز له نقل اللفظ ، فإنه يحترز بالفهم عن تغيير المعانى وإزالة أحكامها ، ومن لم يكن بهذه الصفة كان أداء اللفظ له لازماً ، والعدول عن هيئة ما يسمعه عليه محظوراً ، وإلى هذا رأيت الفقهاء من أهل العلم يذهبون . ومن حجتهم فى جواز ذلك : أن الله عز وجل قد قص من أنباء ما قد سبق قصصاً كرر ذكر بعضها فى مواضع بألفاظ مختلفة ، والمعنى واحد ، ونقلها من ألسنتهم إلى اللسان العربى ، وهو مخالف لها فى التقديم والتأخير والحذف والإلغاء والزيادة والنقصان وغير ذلك[2] » .

ولم يكن الصحابة والتابعون بدعا فى رواية بعض الأحاديث بمعناها ، بل وجدوا دليل الجواز فى منهج القرآن الكريم — كما ذكر الرامهرمزى — وفى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان يرسل سفراءه ورسله فينقلون رسائله

---

(١) الرسالة ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ الفقرة ١٠٠١ وانظر فيما يتعلق بالرواية على المعنى الفقرات : ٧٤٤ ، ٧٥٧ ، ١٠١٣ ـ ١٠١٥ و ١٠٣٦ ـ ١٠٤٢ من الرسالة . ونقل الرامهرمزى قول الشافعى فى المحدث الفاصل ص ٧٩ : ب و ص ١٢٨ : آ ، وانظر أيضا معرفة السنن والآثار للبيهقى ص ٩ ج ١

(٢) المحدث الفاصل ص ١٢٤ : ب

ويترجمونها إلى غير العربية ، فإباحة ترجمة الحديث إلى لغة ثانية دليل على إباحة نقله بنفس اللغة على معناه ، بلفظ عربي هو أقرب إلى لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم من ألفاظ اللغة الأجنبية[١] ، بل هذا أولى بأن يكون مباحا .

وللذين كرهوا الرواية على المعنى أدلة منها حديث « نضر الله امرءا سمع منا حديثا فأداه كما سمعه » ، وما رواه البراء بن عازب « أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يا براء كيف تقول إذا أخذت مضجعك ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال : « إذا أويت إلى فراشك طاهرا فتوسد يمينك ، ثم قل اللهم أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت » . فقلت كما علمني غير أني قلت ورسولك فقال بيده في صدري و (بنبيك) فمن قالها من ليلته ثم مات ، مات على الفطرة[٢] .

وقد أطال بعض العلماء القول في أدلة كل من المجيزين للرواية على المعنى والمانعين لها[٣] . وأجمع العلماء كلهم على أنه لا يجوز للجاهل بمعنى ما ينقل أن يروي الحديث على المعنى . ومن أجاز هذه الرواية إنما أجازها للعالم بشروط ، قال الماوردي : « إن نسي اللفظ جاز ، لأنه تحمل اللفظ والمعنى ، وعجز عن أداء

---

(١) انظر الكفاية ص ٢٠٣

(٢) الكفاية ص ١٧٥ والمحدث الفاصل ص ١٢٥ : آ

(٣) تكلم الخطيب البغدادي في الرواية على المعنى واللفظ وذكر الأدلة في ذلك راجع الكفاية ص ١٩٨ ـ ٢٠٣ وتكلم العراقي حول الرواية بالمعنى انظر فتح المغيث ص ٤٨ ج ٣ وما بعدها ، وكذلك السيوطي في تدريب الراوي انظر ص ٣١١ وما بعدها . وكذلك الحافظ ابن كثير انظر الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ١٥٧ وما بعدها ، وفصل الشيخ طاهر الجزائري أقوال العلماء وأدلتهم في (توجيه النظر) ص ٢٩٨ ـ ٣١٤ وهو خير من استوفى هذا البحث من المتأخرين .

أحدها ، فيلزمه أداء الآخر ، لاسيما أنّ تركه قد يكون كتما للأحكام ، فان لم ينسه لم يجز أن يورده بغيره ، لأن فى كلامه صلى الله عليه وسلم من الفصاحة ماليس فى غيره [١] » . وقال السيوطى : « ولا شك فى اشتراط ألا يكون مما تعبد بلفظه... وعندى أنه يشترط ألا يكون من جوامع الكلم [٢] » .

بعد هذا يمكننا أن نحكم أن رواية الحديث بالمعنى كانت للضرورة ، وكانت بقدر وخاصة بعد أن عرفنا ورع الصحابة والتابعين ، ودقتهم فى رواية الأخبار ، وتحفظهم وتثبتهم مما يروون أو يسمعون ، وهذا يرجح عندى أن الرواية بالمعنى إن وقعت تاريخيا من بعض الصحابة ، فإنما كانت بألفاظ قريبة جدا من ألفاظه صلى الله عليه وسلم ، لأنهم رأوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وسمعوا منه وتخرجوا بحلقاته، واستضاءت قلوبهم بتوجيهه وعنايته ، وكانوا على جانب عظيم من البيان والفصاحة ، وهم أعلم الأمة بلغة العرب ، لم يتسرب إلى كلامهم اللحن ، ولم يغير سليقتهم ولسانهم امتزاج الأمم والشعوب .

ويقوى عندى أن معظم ما رواه الصحابة والتابعون كان بلفظ الرسول صلى الله عليه وسلم — أن بعضهم كان يكتب الحديث بين يدى النبى الكريم، وكانوا يعقدون الحلقات يتذاكرون فيها ما يسمعونه منه عليه الصلاة والسلام ، ويصحح بعضهم أخطاء بعض ، وإذا شكوا فى أمر أو أشكل عليهم شىء رجعوا إلى النبى الأمين صلى الله عليه وسلم ، وكان أكثر الرواة من التابعين يكتبون ما يسمعون من الصحابة ويحفظونه ، فمنهم من يذاكر الحديث حتى إذا ما وعاه صدره محاه ، ومنهم من يحفظه ويحتفظ بصحفه وألواحه ، ومنهم من حرص

---

(١) تدريب الراوى ص ٣١٣

(٢) المرجع السابق ص ٣١٤

على كتابة الحديث وجمعه فى كراريس أو فى مصنف كالمصحف [1] .

وأما من كان لا يكتب من التابعين وأتباعهم فقد حرص على حفظ الحديث فى صدره ، وكانوا يتذاكرون الأحاديث بين آونة وأخرى ، ويرحلون من بلد إلى آخر ليسمعوا من الصحابة رضى الله عنهم ، أو ليتأكدوا من صحة ماسمعوه عن رسو الله صلى الله عليه وسلم ، فيفهموا معناه ويضبطوا حروفه وألفاظه ،

ويزيدنا ثقة بأن جل ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بلفظه عليه الصلاة والسلام ، تلك الحوافظ التى وهبها الله عز وجل لحملة الشريعة الإسلامية ، ورواة الحديث الشريف من الصحابة والتابعين وأتباعهم ، فيروى لنا التاريخ ما كان يحفظه أبو هريرة وغيره ، وإن المرء ليعجب عندما يطلع على أخبار صحيحة ، تذكر تلك الحوافظ العظيمة التى حملت إلينا السنة كذاكرة عبد الله بن عباس الذى اشتهر بسرعة حفظه ، حتى إنه كان يحفظ الحديث من مرة واحدة ، ويروى أنه سمع قصيدة لابن أبى ربيعة عدتها ثمانون بيتا فحفظها من المرة الأولى ، وفى الصحابة أمثاله كزيد بن ثابت الذى حفظ معظم القرآن قبل بلوغه ، وتعلم لغة اليهود فى سبعة عشر يوماً ، وفيهم عائشة أم المؤمنين التى كانت آية من آيات الذكاء والحفظ وغير هؤلاء .

وفى التابعين نافع مولى عبد الله بن عمر الذى لم يخطىء فيما حفظ ، وأجمع النقاد على دقة حفظه ، وفيهم ابن شهاب الزهرى حافظ زمانه ، وعامر الشعبى ديوان عصره ، وقتادة بن دعامة السدوسى مضرب المثل فى سرعة الحفظ والضبط والاتقان .

فإذا طالعنا ما اختلف فيه الرواة من حيث اللفظ ، مما تعددت طرقه وجدنا

---

(١) تعرضت لهذا فى الباب الرابع من هذا الكتاب ، وفصلت القول فيه .

معظمه مما كان أخباراً عن عمل من أعماله صلى الله عليه وسلم ، أو تبليغاً لحكم واقعة شاهدوها بأعينهم ، فنراهم يقولون : « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا » ، و « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا » ، والمعنى فى كل هذا واحد ، وهذا طبيعى لا يدخل الريب فى مروياتهم ، لاختلافهم فى صيغ الأداء ، لأن كل راو عبر عما شاهده بلفظه ، ومن النادر أن نرى اختلافاً فيما نقلوه إلينا من جوامع الكلم ، أو مما يتعبد بلفظه ، كصيغ الأذان والإقامة والدعاء والتشهد وغير ذلك .

وليس جميع ما نقل إلينا مما اختلف لفظه بسبب الرواية بالمعنى ، فجله يعود إلى تعدد مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم وكثرتها ، فقد يتناول موضوعاً واحداً فى مناسبات مختلفة ، ويجيب السائلين بما يتناسب مع مداركهم ، وقد يستفتيه أكثر من واحد فى واقعة واحدة ، فيفتى كل واحد بما يكفيه ويروى غليله ، بألفاظ مختلفة ، وعبارات متفاوتة ، تؤدى الغاية المقصودة ، وما روى بالمعنى مع هذا لا يكاد يخفى على أهل هذا العلم ، لكثرة دراستهم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وللأمانة العلمية التى كان عليها الرواة ، فكانوا مثلا رائعاً فى الضبط والدقة والإتقان ، يتبعون بعض ما يروونه بعبارة تفيد احتياطهم فيما نقلوه ، وينبهون فى أثناء سياق الحديث على موضع السهو أو الظن ، وكانوا يحرصون دائماً على نقل اللفظ النبوى كما صدر عنه عليه الصلاة والسلام .

بعد هذا لا نرى داعياً للتهويل الذى يثيره بعض الكتاب وبعض المغرضين حول رواية بعض الأحاديث بالمعنى ، ولا وجه لإثارة خلاف أصبح طى التاريخ ، وكان معظم ما ذهب إليه العلماء من إباحة رواية الحديث بالمعنى وعدم روايته خلافاً عقلياً نظرياً ، وإن وقع تاريخنا فإنما وقع فى الصدر الأول وبقدر

لاضرر منه ، لذلك نرى أنه من العبث إثارة مثل هذا الموضوع — الذى انصرم أوانه — وتشكيك الأمة فى حديث رسولها الأمين ، وليس هناك أى مسوغ لإدخال الريب فى النفوس ، بعد أن أجمعت الأمة على قبول الكتب الصحاح ، وعلى أنها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى نقل إلينا بأسلم الطرق العلمية ، على أيدى خيار علماء الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم .

وقد تناول (أبو رية) فى كتابه « أضواء على السنة المحمدية » هذا البحث ، إلا أنه أحاط الموضوع بهالة ، توهم من لا خبرة له بأن معظم الحديث النبوى قد روى بألفاظ الرواة[1] ، وجسم خطر الرواية بالمعنى ، بما لا يتفق والواقع التاريخى ، وتحدث عن بعض الخلاف العقلى النظرى على أنه مما وقع بالفعل ، ورتب على جواز الرواية بالمعنى نتائج ، إن صح ترتبها على رواية غير الحديث بالمعنى . لا يمكن أن تنتج عن رواية الحديث

---

(١) افتتح ابو رية موضوعه هذا فقال : « يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم ، ولا علم عندهم بالخبرة أن أحاديث الرسول التى يقرؤنها فى الكتب ، أو يسمعونها ممن يتحدثون بها ، قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواه مصونة كما نطق النبي بها ، بلا تحريف ولا تبديل ، وكذلك يحسبون أن الصحابة ومن جاء من بعدهم ، ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين ، قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغير ولا اعتراها تبديل ، ومما وقر فى أذهان الناس أن هؤلاء الرواة قد كانوا جميعاً صنفا خاصا بين بنى آدم فى جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة ... ولقد كان ولا جرم لهذا الفهم أثر بالغ فى أفكار شيوخ الدين — إلا من عصم ربك — فاعتقدوا أن هذه الأحاديث فى منزلة آيات الكتاب العزيز ، من وجوب التسليم بها ، وفرض الإذعان لأحكامها ، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من خالفها ، ويستتاب من أنكرها أو شك فيها . » انظر أضواء على السنة المحمدية ص ٤٥ . ولا مجال الرد على فرية هذه هنا ، وستظهر لنا عناية النقاد والرواة وضبطهم فى الفصول التالية من هذا الكتاب .

فضلا عن أنها لم تترتب من جراء رواية بعض الأحاديث بمعناها ، لما عرفنا من دقة النقاد والرواة ، وكثرة طرق الرواية ، ومقابلتها ومناقشتها ، وكل ما فى الأمر أن بعض الأحاديث رويت بمعناها ، ولم ينتج عن ذلك خطر على الدين ولا غاب ذلك عن المسلمين .

ونحن لا نشك أن الرواية بالمعنى قد توقع فى الخطأ ، ولكن هذا الخطأ — إذا وقع — لم يخف على علماء الأمة ، فلا وجه لذلك التهويل والإيهام ، لأن النقاد والعلماء اعتنوا عناية عظيمة بحفظ الحديث وروايته ، وأشاروا إلى كل كبيرة وصغيرة ورووا أكثر الأحاديث من طرق عدة تنفى الشك وتطرح الخبث ، فما الداعى — بعد هذا — لأن يثير (أبو رية) شبهة حول الحديث وروايته ؟

على أنه لم يكتف بذكر اختلاف السابقين فى الرواية وذكر أقوالهم ، بل حاول أن يثبت أن جميع ما روى مختلفاً لفظه إنما كان نتيجة لرواية الحديث بالمعنى ، وساق شواهد على هذا ، فذكر اختلاف صيغ التشهد ، واستطرد وخرج عن الموضوع ، ثم ذكر « حديث الإسلام والإيمان » وحديث « زوجتكها بما معك » وغير ذلك ، وما من شىء استشهد به إلا وللعلماء قول فيه .

وقد رد على (أبو رية) العلامة المعاصر (عبد الرحمن بن يحيي المعلمى اليمانى) ردا مفصلا [1] يكفى أن استشهد بفقرة واحدة منه .

---

(١) فى كتابه الأنوار الكاشفة الذى وضعه ردا على كتاب أبى رية أضواء على السنة . انظر ص ٨٢ — ٨٨ وانظر ظلمات أبى رية لمحمد عبد الرزاق حمزة ص ٦٨ — ٩٩ .

قال العلامة اليماني : (قال — أبو رية — « ص ٦٠ » : « صيغ التشهد » وذكر اختلافها[1] . أقول : يتوهم أبو رية — أو يوهم — أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما علمهم تشهدا واحدا ، ولكنهم أو بعضهم لم يحفظوه ، فأتوا بألفاظ من عندهم مع نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا باطل قطعا ، فإن التشهد يكرر كل يوم بضع عشرة مرة على الأقل في الفريضة والنافلة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحفظ أحدهم حتى يحفظ ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرىء الرجلين السورة الواحدة هذا بحرف وهذا بآخر . فكذلك علمهم مقدمة التشهد بكل ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما ذكر عمر التشهد على المنبر ، وسكوت الحاضرين فإنما وجهه المعقول هو تسليمهم أن التشهد الذى ذكره صحيح مجزىء . وقد كان عمر يقرأ فى الصلاة وغيرها القرآن ولا يرد عليه أحد . مع أن كثيرا منهم تلقوا عن النبي بحرف غير الحرف الذى تلقى به عمر ، ومثل هذا كثير ، ومن الجائز أن يكونوا — أو بعضهم — لم يعرفوا اللفظ الذى ذكره عمر ، ولكنهم قد عرفوا أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أصحابه بألفاظ مختلفة وعمر عندهم ثقة[2]) .

---

(١) بعد أن ذكر أبو رية صيغ التشهد عن الصحابة (ص ٦٠ — ٦٢) قال : « هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة وقد اختلفت ألفاظها ، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التى رويت بالمعنى لقلنا عسى ! ولكنها من الأعمال المتواترة التى كان يؤديها كل صحابى مرات كثيرة كل يوم ، وهم يعدون بعشرات الآلاف ، ومما يلفت النظر أن كل صاحب تشهد يقول ، إن الرسول كان يعلمه التشهد كما يعلمهم القرآن ، وأن تشهد عمر قد ألقاه من فوق منبر رسول الله والصحابة جميعا يسمعون ، فلم ينكر عليه أحد منهم ما قال ، كما ذكر مالك فى الموطأ . » أهـ ، انظر أضواء على السنة ص ٦٣ إنه يريد أن يشككنا حتى فيما نتعبد به وفيما ثبت متواترا ، والرد على أبى رية وعلى دعواه فى طى عبارته ، فلو تجرد وانطلق إلى أفق أوسع من أفقه ما استغرب تعدد هذه الصيغ ولا فتح على المسلمين باب الشك والريبة ولا شكك فى الصحابة حفظة الشريعة وحراسها .

(٢) الأنوار الكاشفة ص ٨٣

وأرى أن نستكمل بحثنا هذا بما ذهب إليه أئمة اللغة العربية ، الذين أجازوا الاستشهاد بالحديث النبوى لإثبات قواعد النحو .

قال عبد القادر البغدادى صاحب خزانة الأدب . « وأما الاستدلال بحديث النبي صلى الله عليه وسلم فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح المحقق (الرضى) فى ذلك ، وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضى الله عنهم ، وقد منعه ابن الضائع وأبو حيان وسندهما أمران :

أحدهما : أن الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبى صلى الله عليه وسلم ، وإنما رويت بالمعنى .

وثانيهما : أن أئمة النحو المتقدمين من المصريين لم يحتجوا بشىء منها .

ورد الأول — على تقدير تسليمه — بأن النقل بالمعنى إنما كان فى الصدر الأول قبل تدوينه فى الكتب ، وقبل فساد اللغة ، وغايته تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به فلا فرق ، على أن اليقين غير مشروط بل الظن كاف .

ورد الثانى : بأنه لا يلزم من عدم استدلالهم بالحديث عدم صحة الاستدلال به .

والصواب جواز الاحتجاج بالحديث للنحوى فى ضبط ألفاظه ، ويلحق به ماروى عن الصحابة وأهل البيت ، كما صنع الشارح المحقق » .

ثم قال نقلا عن الدمامينى فى الرد على من لا يحتج بالحديث فى اللغة :

«وقد رد هذا المذهب الذىذهبوا إليه البدر الدمامينى فى (شرح التسهيل) — ولله دره فإنه قد أجاد فى الرد — قال : قد أكثر المصنف من الاستدلال بالأحاديث النبوية ، وشنع أبو حيان عليه ، وقال : إن ما استند إليه من ذلك

لا يتم له ، لتطرق احتمال الرواية بالمعنى فلا يوثق بأن ذلك المحتج به لفظه صلى الله عليه وسلم ، حتى تقوم به الحجة . وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا خصوب رأى ابن مالك فيما فعله بناء على أن اليقين ليس بمطلوب فى هذا الباب ، وإنما المطلوب غلبة الظن الذى هو مناط الأحكام الشرعية ، وكذا ما يتوقف عليه من نقل مفردات الألفاظ وقوانين الإعراب ، فالظن فى ذلك كله كاف ، ولا يخفى أنه يغلب على الظن أن ذلك المنقول المحتج به لم يبدل ، لأن الأصل عدم التبديل ، ولا سيما أن التشديد فى الضبط والتحرى فى نقل الأحاديث شائع بين النقلة والمحدثين . ومن يقول منهم بجواز النقل بالمعنى ، فإنما هو عندى بمعنى التجويز العقلى الذى لا ينافى وقوع نقيضه فلذلك تراهم يتحرون فى الضبط ويتشددون مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ، فيغلب الظن من هذا كله أنها لم تبدل ويكون احتمال التبديل فيها مرجوحا فيلغى ، ولا يقدح فى صحة الاستدلال بها .

ثم إن الخلاف فى جواز النقل بالمعنى إنما هو فيما لم يدون ولا كتب ، وأما ما دون وحصل فى بطون الكتب فلا يجوز تبديل ألفاظه من غير خلاف بينهم ، قال ابن الصلاح بعد أن ذكر اختلافهم فى نقل الحديث بالمعنى : « إن هذا الخلاف لا نراه جاريا ولا أجراه الناس — فيما نعلم — فيما تضمنته بطون الكتب ، فليس لأحد أن يغير لفظ شيء من كتاب مصنف ويثبت فيه لفظا آخر » . اهـ

وتدوين الأحاديث والأخبار — بل تدوين[1] كثير من المرويات — وقع

(١) فى الأصل (بل وكثير) فحذفنا الواو لأنه لا يجتمع حرفا عطف معا وأضفنا كلمة (تدوين) تحريرا للعبارة .

فى الصدر الأول قبل فساد اللغة العربية حين كان كلام أولئك المبدلين — على تقدير تبديلهم — يسوغ الاحتجاج به ، وغايته يومئذ تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به ، فلا فرق بين الجميع فى صحة الاستدلال ، ثم دون ذلك المبدل — على تقدير التبديل — ومنع من تغييره ونقله بالمعنى ، كما قال ابن الصلاح فبقى حجة فى بابه ، ولا يضر توهم ذلك السابق فى شىء من استدلالهم المتأخر ، والله أعلم بالصواب[1] » .

(١) خزانه الأدب : ص ٤ — ٧ ج ١

الفصل الثاني

وفيه

النشاط العلمي في عصر الصحابة والتابعين

شعر الصحابة بالتبعة الملقاة على عاتقهم لحفظ الشريعة وتطبيقها ، فسارعوا إلى صيانة مصادرها الأولى خشية ضياع القرآن الكريم من صدور القراء (الحفاظ) ، إثر حروب الردة ، ومن ثم جمعوه في مصحف على عهد الصديق ، وخافوا عاقبة الاختلاف في القراءات في الأمصار المختلفة ، فنسخوه في مصاحف وزعت على الأقاليم الإسلامية في عهد عثمان رضي الله عنه وكانوا في أحكامهم يرجعون إلى الكتاب الكريم ثم إلى السنة ، يسألون عن حكم مأثور عن الرسول فيما يجد لهم من قضايا ، فإذا ما ثبت عندهم شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسكوا به وطبقوه ، وقد ذكرت طريقة اجتهادهم فيما سبق .

وقد وجد الصحابة الضرورة تلح لحفظ السنة ، فحاول الصديق ثم الفاروق حفظها كتابة — وما منعهم من ذلك إلا حرصهم على القرآن والسنة كما سيتبين لنا هذا في بحث تدوين السنة — فما كان منهم إلا أن أكبوا على دراستها والسؤال عنها ، والبحث عن الحديث عند حفاظه ، ويكفينا مثالا لهذا ما كان يفعله ابن عباس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عكرمه من ابن عباس أنه قال : « لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرجل من الأنصار : هلم فلنسأل أصحاب رسول الله ، فإنهم اليوم كثير ، قال : واعجبا لك يابن عباس ! أترى الناس يفتقرون إليك ، وفي الناس من أصحاب رسول الله مَنْ فيهم ؟ قال : فترك ذاك ، وأقبلت أنا أسأل أصحاب رسول الله عن الحديث ، فإنه كان يبلغني الحديث عن

الرجل ، فآتى بابه وهو قائل[١] ، فأتوسد ردائى على بابه ، تسفى الريح علىّ من التراب ، فيخرج فيقول : يابن عم رسول الله ما جاء بك ؟ ألا أرسلت إلى فآتيك ؟ فأقول : أنا أحق أن آتيك ، فأسأله عن الحديث[٢] . »

وكانت رغبة الصحابة فى سماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عظيمة ، وهل أحب إلى المرء من أن يسمع حكم مربيه وأحكامه وتشريعاته ؟ وهل من شىء أعز على المسلم من أن يحيى آثار منقذه من الضلال ورائده إلى الخير ؟ لقد كان الصحابة مندفعين بإخلاص إلى سماع حوادث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وحديثه ، فهذا أبو بكر الصديق يقف عند عازب والد البراء فيشترى منه رحلا وهو للناقة كالسرج للفرس ، ثم يقول له : « مر البراء فليحمله إلى منزلى ، فيقول : لا ، حتى تحدثنا كيف صنعت حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه . فقص عليه خبر الهجرة[٣] » .

وهذا على أمير المؤمنين يلتقى بكعب الأحبار فيقول له كعب : يا على أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى المنجيات ؟ قال : لا . ولكن سمعته يقول فى الموبقات ، فقال كعب لعلى : حدثنى بالموبقات حتى أحدثك بالمنجيات فقال على : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الموبقاتُ : تركُ السنة ، ونكث البيعة ، وفراق الجماعة . فقال كعب لعلى : المنجيات : كفُّ لسانك ، وجلوسٌ فى بيتك ، وبكاؤك على خطيئتك »[٤] .

---

(١) أى وهو فى نوم الظهيرة من القيلولة والقائلة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٢٤ : آ وانظر ص ٢٤ : ب منه وتذكرة الحفاظ ص ٣٨ جـ ١

(٣) مسند الإمام أحمد ١٠٤ - ١٥٦ جـ ١ وانظر فتح البارى ص ٤٣٥ جـ ٧

(٤) المحدث الفاصل ص ١٤٩ : آ

وقد روى بعض الصحابة عن بعض كثيراً سواء في حياته عليه الصلاة والسلام أو بعد وفاته ، من ذلك رواية الفاروق عمر عن الصديق رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث « لا نُورَثُ ما تركناه صدقة » وهو حديث صحيح أخرجه مسلم ، ومنها رواية عثمان رضى الله عنه عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً إلا حرم على النار : لا إله إلا الله » أخرجه مسلم في صحيحه ، ورواية أبي بكر عن بلال رضى الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا بلال أصبحوا بالصبح ، فإنه خير لكم . » ورواية عبد الرحمن بن عوف عن الفاروق رضى الله عنهما قال : رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده . وما رواه بجالة بن عبدة . قال : كنت كاتباً لجرير بن معاوية على مَنَاذِرَ[1] ، فجاءنا كتاب عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انظر مجوس هجر من قبلك ، فخذ منهم الجزية ، فإن عبد الرحمن ابن عوف أخبرني أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس اهل هجر ، وروت عائشة عن الصديق ، كما روى عنها ، وروى ابن عمر عن ابن عباس ، وابن عباس عن ابن عمر ، كما روت عائشة عنه ، وروى ابن عباس عنها وروى جابر بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري ، كما روى أبو سعيد عن جابر ، وأنس عن جابر ، وجابر عن أنس ، وروى ابن عباس عن جابر بن عبد الله كما روى جابر عنه ، وروى أبو سعيد الخدري عن ابن عباس كما روى ابن عباس عنه[2] ، ومن يراجع كتب السنن وتراجم الرواة يجد كثيراً من روايات بعض الصحابة عن بعض ،

---

(١) مناذر هما بلدتان بنواحي خوزستان ، مناذر الكبرى ومناذر الصغرى ، وهما من كور الأهواز ، وقد فتحتا سنة (١٨) هـ . انظر معجم البلدان ص ١٦٠ ج ٨

(٢) انظر اللطائف في دقائق المعارف من علوم الحفاظ الأعارف مخطوطة الظاهرية ص ١ : آ — ٣ : ب

وهذا دليل واضح على النشاط العلمى الذى كان بينهم ، يتبادلون الأحاديث ويسمعون ويسمع منهم ويروون ويروى عنهم . كل هذا فى سبيل معرفة الحق وحفظ السنة المطهرة .

ولم يكتف الصحابة بدراسة الحديث فيما بينهم ، بل حثوا على طلبه وحفظه وحضوا التابعين على مجالسة أهل العلم والأخذ عنهم ، ولم يتركوا وسيلة للتبليغ إلا أفادوا منها . من هذا ما روى عن عمر رضى الله عنه قال : « تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا [1] » وقال أيضاً « تعلموا الفرائض والسنة كما تتعلمون القرآن [2] » وكان أبو ذر مثلا رائعاً لنشر الحق وتبليغ سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروى عنه أنه قال : « لو وضعتم الصمصامة — السيف الصارم — على هذه ، وأشار إلى قفاه ، ثم ظننت أنى أنفذ كلمة سمعتها من النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن تجيزوا علىّ لأنفذتها [3] » . وما كان أبو ذر بدعا فى الصحابة ، إنما كان أحد الألوف الذين ساهموا فى حفظ السنة .

عن أبى قلابة قال : « قال ابن مسعود : عليكم بالعلم قبل أن يقبض ، وقبضه ذهاب أهله . . . [4] » وكان ينهى عن البدع ويأمر باتباع السنة فيقول : « الاقتصاد فى السنة أفضل من الاجتهاد فى البدعة [5] » . وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب : « تزاوروا وتذاكروا الحديث ، فإنكم إلا تفعلوا يدرس [6] » .

---

(١) فتح البارى ص ١٧٥ جـ ١

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص ٣٤ جـ ٢

(٣) فتح البارى ص ١٧٠ جـ ١

(٤ و ٥) تذكرة الحفاظ ص ١٥ جـ ١ ومجمع الزوائد ص ١٢٥ جـ ١ وانظر حضه على مذاكرة الحديث فى معرفة علوم الحديث ١٤١ .

(٦) شرف أصحاب الحديث ص ٦٩ . وانظر أيضا معرفة علوم الحديث ص ٦٠ و ١٤١

ووقف عمرو بن العاص على حلقة من قريش فقال : « ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة ؟ لاتفعلوا ، وأوسعوا لهم فى المجلس ، وأسمعوهم الحديث ، وأفهموهم إياه ، فإنهم صغار قوم أوشك أن يكونوا كبار قوم ، وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم[1] » .

وكان ابن عباس يحض طلابه على مذاكرة الحديث ، فيقول : تذاكروا هذا الحديث لاينفلت منكم ، فإنه ليس بمنزلة القرآن ، القرآن مجموع محفوظ ، وإنكم إن لم تذاكروا هذا الحديث تفلت منكم ، ولا يقل أحدكم حدثت أمس لا أحدث اليوم ، بل حدث أمس ، وحدث اليوم ، وحدث غداً . . ، كما كان يقول : إذا سمعتم منا شيئاً فتذاكروه بينكم[2] » .

وكان أبو سعيد الخدرى يحب طلاب العلم ويفسح لهم المجالس ، وكثيراً ما كان يقول : تحدثوا ، فإن الحديث يذكر بعضه بعضاً[3] .

ومما يروى عن أبى أمامة الباهلى أنه قال لطلابه : « إن هذا المجلس من بلاغ الله إياكم ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ما أرسل به ، وأنتم فبلغوا عنا أحسن ما تسمعون . وفى رواية كان يحدثهم حديثاً كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا سكت قال : اعقلوا ، بلغوا عنا كما بلغناكم[4] » .

وهكذا كان الصحابة الكرام يتواصون بحفظ الحديث ومذاكراته ويحضون طلابهم على ذلك ، ويحثونهم على تبليغ ما يسمعون منهم .

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٨٩ : ب

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٩٩ : آ وانظر نحوه فى الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع نسخة الظاهرية ص٤٨ : ب

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٠ : آ

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٠ : آ

وقد سار التابعون وأتباعهم على نهج الصحابة ، فكانوا يوصون أولادهم وتلاميذهم بحفظ السنة وحضور مجالس العلم ، فقد أوصى عروة بنيه بهذا كما أوصى طلابه[١] ، وكان علقمة يشجع طلابه على مذاكرة الحديث ودراسته[٢] كما كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول : إحياء الحديث مذاكرته فتذاكروه[٣] . واشتهرت بين العلماء عبارة « تذاكروا الحديث فإن الحديث يهيج الحديث[٤] » .

وأكثر من هذا ، كان بعض الآباء يشجعون أبناءهم على حفظ الحديث ، ويقدمون إليهم جوائز كلما حفظوا شيئا منه ، من هذا ما رواه النضر بن الحرث قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : قال لي أبي : يا بني ، أطلب الحديث ، فكلما سمعتَ حديثا وحفظتَه فلك درهم . فطلبتُ الحديث على هذا[٥] .

ومهما يكن موقف المربين في هذا العصر من هذا التشجيع فإنه وسيلة مبدئية لحفظ الحديث ودراسته ، إن كانت في نظر الطفل هي الغاية فإنها لا تلبث أن تصبح ، وسيلة فإذا ما ألف حفظ الحديث ، وتعطشت نفسه إليه تجسمت الغاية الأصلية أمامه ، وعرف قيمتها ، وقدر نفع الحديث ، وعرف معناه ، وأصبح من عشاقه ، سواء أنقطعت تلك الجوائز أم لم تنقطع .

وإن التاريخ ليحفظ لنا أخباراً كثيرة تثبت إقبال طلاب العلم على طلب

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٤ ـ ١٣٥ قسم ٢ جـ ٢ وانظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ١٥ : ب ، جـ ١

(٢ و٣ و٤) انظر شرف أصحاب الحديث ص ١٠ : ب ، وانظر كتاب العلم لزهير بن حرب فان فيه بعض هذا ص ١٨٩ : ب وكذلك في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ٤٦ : ب والمحدث الفاصل ص ١٢٩ : ب ـ ١٣٠ : ب

(٥) شرف أصحاب الحديث ص ٩٠ ، وإبراهيم بن أدهم عاصر الثوري ويغلب أن وفاته سنة (١٦١) كان ورعا مجاهدا . انظر البداية والنهاية ص ١٣٥ جـ ١٠

الحديث إقبالا لا مثيل له ، بدافع ذاتي ، وميل نفسي ، حتى إن بعض طلاب العلم المتفانين في حب الحديث كانوا يؤدون بعض الخدمات من أجل سماع حديث أو حديثين [١].

وقد كانت المنافسة العلمية المحببة قائمة بين طلاب الحديث في ذلك العصر، فالذكي من تمكن من حفظ أحاديث في باب كذا وباب كذا ، والمجد من أسرع إلى صحابي وأخذ عنه قبل وفاته ، والمفلح من حظي بحب شيخه ، وتمكن من الانفراد به ، والكتابة عنه ، والقراءة عليه ثم العرض والتصحيح بين يديه . . .

لكل هـــذا رأينا أصحاب الحديث يَجِدُّون في طلب العلم الشريف ، ويتبارون في تحصيله [٢] ، وكثر طلاب العلم كثرة تثلج لها الصدور ، ونشرق بها النفوس حتى إن أحد الصحابة كان يحدث الناس ، فيكثرون عليه ، فيصعد فوق بيت ويحدثهم [٣] قال أنس بن سيرين : قدمت الكوفة قبل الجماجم ، فرأيت بها أربعة آلاف يطلبون

---

(١) روى سفيان بن عيينه قال : كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبة الدين فحملنا إلى مكة فلما رحنا إلى المسجد لصلاة الظهر ، وصرت إلى باب المسجد إذا شيخ على حمار فقال لي يا غلام امسك على هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع ، فقلت : ما أنا بفاعل أو تحدثني ، قال : وما تصنع أنت بالحديث ؟ واستصغرني ، فقلت : حدثني. فقال : حدثني جابر بن عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت حماره ، وجعلت أتحفظ ما حدثني به فلما صلى وخرج قال : ما نفعك ما حدثتك به ، حبستني ؟ فقلت حدثتني بكذا وحدثتني بكذا، فرددت عليه جميع ما حدثني به فقال : بارك الله فيك تعال غدا إلى المجلس ، فاذا هو عمرو بن دينار (٤٨ ـ ١٢٦ هـ) انظر المحدث الفاصل مخطوطة دمشق ص ١٦ : ب ـ ١٧ : آ جـ ١

(٢) انظر المحدث الفاصل ص ١٤٣ : ب فيها أخبار من ذلك

(٣) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢

الحـديث[١] ، وفى رواية زاد : فقــال : وأربعمائة قد فقهوا[٢] . فقبل بداية الربع الأخير من القرن الأول أضحت الـكوفة محط أنظار أهل الحديث ، ولم يقتصر هذا النشاط على قطر دون آخر ، بل كان عاماً شاملا . فحلقات العلم كانت تعقد فى كل مكان ، فنى جامع دمشق حلقات أبى الدرداء التى تضم نيفا وخمسمائة وألف طالب[٣] إلى جانب حلقات غيره من شيوخ دمشق ، التى كان يكتب فيها الطلاب[٤] ، كما كانت تعقد فى حمص وحلب والفسطاط والبصرة والـكوفة واليمن إلى جانب حلقات ينبوع الإسلام فى مكة والمدينة ، فقد كانت فى المدينة كالروضة يختار منها طالب العلم ما يشاء[٥] .

وفى عهد عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى ، كان المسجد الحرام يغص بطلاب العلم ، حتى إن الخليفة أعجب بهم عندما زاره فوجد فيه حلقاً لا تحصى ، تضم أبناء المسلمين وطلاب العلم ، فسأل عن شيوخ هذه الحلقات ، فـكان فيها عطاء ، وسعيد بن جبير ، وميمون بن مهران ، ومكحول ، ومجاهد ، وغيرهم ، فحث أبناء قريش على طلب العلم والمحافظة عليه[٦] .

وسيتجلى لنا نشاط المراكز العلمية فى الدولة الإسلامية عندما نتـكلم عن انتشار العلم فى عهد الصحابة والتابعين .

---

(١) المحدث الفاصل ٨١ : آ وكانت دير الجماجم وقعة مشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث سنة (٨٢ هـ) وفيها قتل عبد الرحمن بن الأشعث وكثير من القراء . انظر تاريخ الطبرى ص ١٥٧ ج ٥ . ودير الجماجم بظاهر الـكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف البر السالك إلى البصرة : معجم البلدان ص ١٣١ ج ٤ .

(٢) المحدث الفاصل ص ١٣٥ : ب .

(٣ و ٤) انظر التاريخ الـكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١

(٥) انظر المحدث الفاصل ص٩ : ب

(٦) انظر المرجع السابق ص ٣٥ : ب ــ ٣٦

وقد قيض الله لهذه الأمة أساتذة أوتوا العلم والأدب وأصول التربية ، ترعرعوا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبدى أصحابه الكرام، واجتهد القائمون على التعليم منهم فى ذلك العصر فى تعليم تلاميذهم وجلسائهم ، واعتنوا عناية عظيمة بالنشء الجديد ، فنرى اسماعيل بن رجاء — من أقران الأعمش — يجمع الصبيان ويحدثهم[1] . ومر رجل بالأعمش — سليمان بن مهران — وهو يحدث فقال له : تحدث هؤلاء الصبيان ؟ فقال الأعمش : هؤلاء الصبيان يحفظون عليك دينك[2] . وكان مطرف بن عبد الله يقول : لأنتم أحب إلى مجالسة من أهلى[3] . وكان سفيان الثورى يقول : لو لم يأتونى — (يعنى طلاب الحديث) لأتيتهم فى بيوتهم[4] . وكانوا يعلمونهم الحديث والأدب فيه ، واحترامه واجلاله[5] ، وكانت لحلقات العلم مكانة جليلة ، وكان طلاب الحديث يوقرون أساتذتهم ، ويفخرون بخدمتهم ، والأخذ عنهم ، وكان سلوكهم مع أساتذتهم فى غاية الأدب والاحترام ، سواء أكان هذا فى التلقى عنهم أم فى مناقشتهم ، ويؤثر عن كثير من الصحابة والتابعين نصائح لطلاب العلم فى هذا الصدد[6] .

وأما حلقات العلم وشيوخها وطريقة تعليمهم فإنها تحتاج إلى بحث كبير قائم بذاته ، وإن لدينا من الأخبار ما يملأ أكثر من مجلد فى هذا . ولكن المقام يضيق بإيرادها ، ويكفينا أن نذكر شيئا موجزا عن الصحابة والتابعين يتناول طريقة تعليمهم .

---

(١) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠

(٢) شرف أصحاب الحديث ص ٨٩ : آ وانظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ١٠ جـ ١

(٣) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٢ : ب

(٤) شرف أصحاب الحديث ص ١٠٣ : ب واشتهر عن عروة بن الزبير أنه كان يتألف الناس على حديثه ، انظر كتاب العلم لابن حرب ص ١٨٧

(٥) انظر طبقات ابن سعد ص ٣٤٥ جـ ٥

(٦) انظر العقد الفريد ص ٧٨ جـ ٢ .

وأول ما يسترعى انتباهنا فى هذا خطوط كبرى تعتبر من الأسس الهامة فى التربية الحديثة ، من هذه الأسس :

١ — مراعاة أحوال المحدثين :

فقد لاحظ الصحابة والتابعون أحوال طلابهم ملاحظة دقيقة ، فكانوا لايحدثونهم إلا بما يناسب مداركهم ، ويشرحون الأحاديث ، ويبينون مناسباتها حتى يدرك الطلاب ما يرويه شيوخهم ، يروى عن ابن مسعود أنه قال : « إن الرجل ليحدث بالحديث فيسمعه من لا يبلغ عقله فهمَ ذلك الحديث ، فيكون عليه فتنة[١] » وفى رواية عنه « ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم[٢] » وعن حماد بن زيد قال : قال أيوب : لا تحدثوا الناس بما لايعلمون فتضروهم[٣] .

٢ — الحديث لمن هو أهل له :

وكما حرص الصحابة والتابعون على مراعاة أحوال الرواة ، حرصوا على نشر الحديث بين أهله وطلابه ، ورفعه عن السفهاء وأهل الغايات والأهواء ، فكانوا يحاولون جهدهم ألا يحضر مجالسهم إلا طلاب العلم ، وفى هذا كان يقول الزهرى : « ... وهجنته (أى الحديث) نشره عند غير أهله[٤] » ، وكان الأعمش

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢٩ : ب .

(٢) تذكرة الحفاظ ص ١٥ جـ ١ وروى نحو هذا عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، انظر المحدث الفاصل ص ١٤٣ : ب

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢٩ : ب .

(٤) المحدث الفاصل ص ١٤١ : آ والهجنة والتهجين الأمر تقبيحه .

يرى أن إضاعة الحديث التحديث به عند غير أهله[1] » وكثيرا ما كان يقول : « لاتنثروا اللؤلؤ على أظلاف الخنازير يعنى الحديث[2] » أى لا تحدثوا الحديث لغير أهله .

ورأى الأعمش شعبة بن الحجاج يحدث قوما ، فقال له : ويحك يا شعبة ! تعلق الدُّرّ فى أعناق الخنازير[3] ؟ قال مجالد بن سعيد : حدثنى الشعبى بحديث.. فرويته عنه ، فأتاه قوم فسألوه عنه، فقال : ماحدثت بهذا الحديث قط ، فأتونى ، فأتيته ، فقلت : أو ما حدثتنى ؟ قال أحدثك بحديث الحكماء ، وتحدث به السفهاء[4] ! ؟ وكان يقول : إنما كان يطلب هذا العلم من جمع النسك والعقل ، فإن كان عاقلا بلا نسك قيل : هذا لا يناله ، وإن كان ناسكا بلا عقل قيل : هذا أمرٌ لا يناله إلا العقلاء[5] .

وأختم هذه الفقرة بذكر شىء من أساليب الحيطة ، التى كان يفعلها زائدة ابن قدامة[6] مع من يأتيه طالباً الحديث ، حرصاً منه على صيانة السنة المطهرة وحفظها . روى عمرو بن المهلب الأزدى قال : « كان زائدة لا يحدث أحداً حتى يمتحنه ، فإن كان غريبا قال له : من أين أنت ؟ وإن كان من أهل البلد قال : أين مصلاك ؟ ويسأل كما يسأل القاضى عن البينة . فإذا قال له سأل عنه ، فإن كان صاحب بدعة قال : لا تعودن إلى هذا المجلس ،

(١ و ٢) المحدث الفاصل ص ١٤١ : آ

(٣) المحدث الفاصل ص ١٤٢ : آ

(٤) المحدث الفاصل ص ١٤١ : ب ، ولعل الشعبى أنكر ذلك لأنه خشى من القوم السفهاء أن يتخذوا ما حدث به ذريعة إلى أهوائهم .

(٥) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١

(٦) انظر ترجمته فى تذكرة الحفاظ ص ١٩٤ ج ١ وهو إمام حجة توفى سنة ١٦١ هـ .

فإن بلغه عنه خبر أدناه وحدثه ، فقيل له : يا أبا الصلت لم تفعل هذا ؟ قال : أكره أن يكون العلم عندهم ، فيصيروا أئمة يحتاج إليهم ، فيبدلوا كيف شاءوا [١] » .

قد يُظَنُّ أن في تشدد زائدة منعاً للعلم ونشره ، وأن طريقته هذه تتنافى مع رسالة المعلمين المرشدين الهادين ، والحقيقة أن منهجه هذا كان من وسائل المحافظة على السنة ، كما كان حائلا دون أهل البدع والأهواء من أن يستغلوا الحديث الشريف ، أو يحرفوه تبعاً لأهوائهم .

٣ – طلب الحديث بعد القرآن الكريم :

من البدهي أن يهتم المسلمون بكتاب الله تعالى وحفظه ودراسته وتلاوته ، وفهمه وتفسيره . وقد أجمع المحدثون على أنه لا ينبغي أن يطلب المرء الحديث إلا بعد قراءته القرآن وحفظه كله أو أكثره ، ثم يبدأ سماع الحديث وكتابته عن الشيوخ ، وكان كثير من المحدثين لا يقبلون الطلاب في حلقاتهم إلا إذا وثقوا من دراستهم القرآن الكريم وحفظ بعضه على الأقل ، وفي هذا قال حفص بن غياث : أتيت الأعمش فقلت : حدثني ، قال : أتحفظ القرآن ؟ قلت : لا . قال : اذهب فاحفظ القرآن ، ثم هلم أحدثك . قال . فذهبت فحفظت القرآن ، ثم جئته ، فاستقرأني ، فقرأته ، فحدثني [٢] .

٤ – عدم تتبع المنكر من الحديث :

خشي الصحابة والتابعون من بث بعض الأحاديث الواهية والضعيفة ،

---

(١) المحدث الفاصل ص ١٤٢ : ب

(٢) المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ١٩ جـ ١

فنهوا عن روايتها وطلبوا التثبت فى الرواية كما سبق أن ذكرنا ، وحثوا على رواية الأحاديث المعروفة ونشرها بين طلاب العلم وخاصة الجدد منهم . وفى هذا يروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب : « حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ! أتحبون أن يكذّب الله ورسوله[١] » . قال الإمام الذهبى : « فقد زجر الإمام على رضى الله عنه عن رواية المنكر ، وحث على التحديث بالمشهور ، وهذا أصل كبير فى الكف عن بث الأشياء الواهية ، والمنكرة من الأحاديث فى الفضائل والعقائد ، والرقائق ، ولا سبيل إلى معرفة هذا من هذا إلا بالامعان فى معرفة الرجال[٢] » .

وأما الأحاديث المنكرة والشاذة وطرقها ، والأحاديث الموضوعة — فقد كان يحفظها الشيوخ حتى إذا ذكر لهم حديث منها بينوه ، وكانوا يروون منها لطلابهم بعد بيان عللها ، وبعد أن يقطع الطلاب مرحلة جيدة فى دراساتهم . وسنبين هذا عندما نتكلم عن الحديث الموضوع .

٥ — التنويع والتغيير دفعا للملال :

عرف الصحابة والتابعون ما يجدد نشاط طلابهم ، فعملوا به ، وأفادوا منه لتتحقق الغاية من دروسهم وحلقاتهم ، فكانوا يتناولون دراسة الأحاديث المختلفة حينا ، ويتكلمون فى الرجال أحيانا ، وينتقلون إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تارة ، ويذكرون أسباب ورود الحديث ومناسبته تارة أخرى .

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ١٢ — ١٣ جـ ١ وفتح البارى ص ٢٣٥ جـ ١

(٢) تذكرة الحفاظ ص ١٢ — ١٣ جـ ١

فكانت دراسة الحديث شيقة ، تجذب الطالب إليها لتعدد موضوعاتها وتناولها كثيراً من الأمور التي تتعلق بدينه ودنياه . ومع هذا كان شيوخ الحلقات يخشون إدخال السآمة إلى نفوس تلاميذهم ، فكانوا يتخولونهم بالموعظة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكما فعل الصحابة من بعده[١] وكانت السيدة عائشة توصي التابعين بهذا ، فقد قالت لعبيد بن عمير : إياك وإملال الناس وتقنيطهم[٢] . ولهذا كانوا لا يطيلون المجلس حتى لا تضيع الفائدة عليهم ، وفي هذا يقول الإمام الزهري : « إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب[٣] » (ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يقول — إذا فاض مَنْ عنده بالحديث بعد القرآن والتفسير — : أحمضوا . أي خوضوا في الشعر وغيره . . . ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال : إني لأستجم قلبي بالشيء من اللهو ، لأقوى به على الحق[٤] .)

وقد كان الصحابة أحيانا يتناولون في مجالسهم بعض الشعر وأيام الجاهلية ليسروا عن أنفسهم ، فيبدلوا الموضوع ليستعيدوا نشاطهم ، فعن أبي خالد الوالي قال : « كنا نجالس أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فيتناشدون الأشعار ويتذاكرون أيامهم في الجاهلية[٥] » ، وكان الزهري يحدث ثم يقول :

---

(١) انظر هذا عن عبد الله بن مسعود في مسند الإمام أحمد ص ٢٠٢ حديث ٣٥٨١ ج ٥ . وجامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٣٦ : آ

(٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٣٦ : آ

(٤) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٤١ واللهو المقصود هنا اللهو المشروع مما يروح القلب ويجدد النشاط .

(٥) جامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١

« هاتوا من أشعاركم ، هاتوا من أحاديثكم ، فإن الأذن مجاجة ، وإن للنفس حمضة[١] » .

وكان يقول : روحوا القلوب ساعة وساعة[٢]

٦ — احترام حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوقيره :

ذكرت تمسك الصحابة والتابعين بالسنة ، وتقديمها على كل شيء بعد القرآن ، فقد كانوا لا يقبلون رأيا مع السنة مهما يكن شأنه ، ومهما تكن منزلة صاحبه ، وكما تمسكوا بالسنة احترموا مجالس الحديث ، ووقروا حفاظه ، وتأدب الناس مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم شيوخا وطلابا .

عن الأعمش عن ضرار بن مرة قال : كانوا يكرهون أن يحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم على غير وضوء[٣] وكان الأعمش إذا أراد أن يحدث وهو على غير وضوء تيمم[٤] . وقال قتادة : لقد كان يستحب أن لا تقرأ الأحاديث التي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهور ، وفي رواية إلا على وضوء[٥] ، وروى هذا عن كثير من العلماء .

ويذكر سعيد بن المسيب — وهو على فراش المرض — حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : أجلسوني ، فإني أكره أن أحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع[٦] .

---

(١) جامع بيان العلم ص ١٠٤ ج ١ . مج الشراب من فيه رمى به ، ومج الحديث طرحه ومل سماعه والحمضة الشهوة للشيء ، وحمضت الإبل عن الحمض كرهته وبه اشتهته . انظر القاموس المحيط .

(٢) جامع بيان العلم ص ١٠٥ ج ١

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٨ ج ٢ والمحدث الفاصل ص ١٤٧ : آ

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٩ ج ٢

(٥ و ٦) جامع بيان العلم وفضله ص ١٩٩ ج ٢ .

قال الرامهرمزى : كان أكثرهم يتطهرون عندما يتصدرون للتحديث فيلبس العالم أحسن ثيابه ، ويتوضأ وضوءه للصلاة ، ومن ذلك قول أبي العالية : « إذا حدثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فازدهر » ، وكان مالك رضى الله عنه إذا أراد أن يخرج يحدث توضأ وضوءه للصلاة ، ولبس أحسن ثيابه ، ولبس قلنسوة ، ومشط لحيته ، فقيل له فى ذلك ، فقال : « أوقر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] » . وكان مالك أحيانا يحدث أبناء كل قطر حتى لا يزداد الازدحام فى داره ، فكان مناد على بابه ينادى : ليدخل أهل الحجاز ، فلا يدخل غيرهم ، ثم يخرج فينادى أهل الشام[2] ... يفعل هذا حتى لا يكثر الطلاب ، فيكثر السؤال ، وتفوت الفائدة جل الحاضرين .

وهناك آداب كثيرة ، وأصول متبعة للسؤال والقراءة والعرض على المحدث ، والجلوس بين يديه ، وحضور حلقات العلم ، تكفلت بذكرها كتب خاصة[3] ، وأفردت لها أبواب فى أكثر كتب مصطلح الحديث وعلومه .

٧ — مذاكرة الحديث :

لم يكن طلاب العلم يكتفون بحضور مجالس الحديث ثم ينصرفون إلى أعمالهم حتى يحين المجلس القادم ، من غير أن يذاكروا ما يسمعونه . ولم يكن حضور حلقات العلم للتسلية وشغل أوقات الفراغ . . ، متى شاء الطالب حضر ومتى أحب

(١) انظر المحدث الفاصل ص ١٤٦ : ب

(٢) انظر المرجع السابق ص ١٤٧ : أ

(٣) فقد ألف الخطيب كتابا كبيرا فى هذا سماه (الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع) تعرض فيه لجميع مايتعلق بطلاب الحديث وأساتذتهم ودروسهم ومذاكرتهم . . الخ ، ولا يزال هذا المؤلف مخطوطا ، ومنه نسخة كاملة فى دار الكتب فى الإسكندرية ، صورت عنها نسخة ونقلت إلى دار الكتب المصرية فى « ١٩٦ » لوحة ، كل لوحة فوتوغرافية صفحتان من النسخة الأصلية ، وقد باشرت تحقيقه مع بعض اخوانى ، أرجو أن نوفق لنشره فينتفع المسلمون به .

انصرف منها ، كلا ، بل كان الطلاب يحضرون فى أوقات معينة يخصصها لهم أستاذهم بعد صلاة الفجر مثلا حتى الضحى ، أو بين الظهر والعصر ، فيتسابق الطلاب إلى الحلقة قبل انعقادها ، ليتخذوا أماكنهم[1] ، حتى إذا ما حضر الأستاذ كان جميع الطلاب على استعداد لتلقى الحديث عنه . وقد يتغيب عن الحلقة طالب ، فيسأل عنه الشيخ ويعرف سبب غيابه ، وقد يكلف بعض إخوانه السؤال عنه ، فالحلقات فى العصور الماضية كانت كالفصول النظامية فى مدارسنا الحديثة .

لهذا كان أصحاب الحديث يحرصون على حضور مجالسه ، ويحفظون ما يسمعونه ، ويذاكرونه .

وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يفعلون هذا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن أنس بن مالك قال : « كنا نكون عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فنسمع منه الحديث ، فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه[2] » .

وكان التابعون وأتباعهم يذاكرون حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام جماعات وأفرادا ، عن أبى صالح السمان[3] قال حدثنا ابن عباس يوما بحديث فلم نحفظه ، فتذاكرناه بيننا حتى حفظناه[4] . وعن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن عطاء قال : « كنا نكون عند جابر بن عبد الله فيحدثنا ، فإذا خرجنا من عنده تذاكرنا حديثه[5] » ، وعن مسلم البطين قال : « رأيت أبا يحيى الأعرج — وكان عالما بحديث ابن عباس — اجتمع هو وسعيد بن جبير فى مسجد الكوفة ،

---

(١) انظر انعقاد المجالس فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع حيث بسط القول فى هذا .
(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٦ : ب
(٣) لم يذكر الحاكم لقبه وهو من أصحاب أبى هريرة وقد سمع من ابن عباس وهو ذكوان المدنى . انظر تهذيب التهذيب ص ١٣٢ ج ١٢ .
(٤) معرفة علوم الحديث ص ١٤١
(٥) كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠ : آ

فتذاكرا حديث ابن عباس[١] » . وقال مرة عبد الرحمن بن أبي ليلى : « إحياء الحديث مذاكرته ، فتذاكروه ، فقال عبد الله بن شداد : يرحمك الله ! كم من حديث أحييته من صدرى قد كان مات[٢] » .

وقد تطول مجالس المذاكرة من أول الليل حتى نداء الفجر[٣] ، وكان من طلاب العلم من ينتظر انصرام الليل ليلقى إخوانه فيذاكرهم ، وكان إبراهيم النخعى يقول : إنه ليطول على الليل حتى ألقى أصحابى فأذاكرهم[٤] . ومما يروى عن شعبة بن الحجاج أنه خرج من عند عبد الله بن عون ، وقد عقد بيديه جميعاً فكلمه بعض إخوانه ، فقال : « لا تكلمنى فإنى قد حفظت عن ابن عون عشرة أحاديث أخاف أن أنساها[٥] . »

هكذا كان يذاكر أصحاب الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يثبت فى صدورهم ولا ينسوه .

وكان بعضهم يتخذ التحديث بما سمع وسيلة إلى حفظه ، فإذا لم يجد من يحدثه حدث خادمه أو بنيه ، وفى هذا يروى عن الإمام الزهرى أنه كان يبتغى العلم من عروة وغيره ، فيأتى جارية له نائمة فيوقظها فيقول لها : حدثنى فلان بكذا ، وفلان بكذا فتقول : مالى ولهذا ، فيقول : قد علمت أنك لا تنتفعين به ، ولكن سمعت الآن ، فأردت أن استذكره[٦] ، ولا يجد إسماعيل بن رجاء من يذاكر الحديث معه فيجمع غلمان المكاتب ويحدثهم كيلا ينسى حديثه[٧] .

(١) الجامع لأخلاق الرواى وآداب السامع ص ١٨٤ : آ

(٢) كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٠ : آ (٣) انظر المرجع السابق ص ١٩١ : ب .

(٤) الجامع لأخلاق الراوى و آداب السامع ص ١٨٢ : ب

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٧ : آ

(٦) تاريخ الإسلام الذهبى ص ١٤٨ جـ ٥

(٧) انظر المحدث الفاصل نسخه دمشق ص ١٥ : ب ، وانظر عيون الأخبار ص ١٣٤ جـ٢ وتهذيب التهذيب ص ٢٩٦ جـ ١

وكثيراً ما كانت تعقد مجالس المذاكرة وتقام المناظرات بين أصحاب الحديث لتعرف طرقه ، ويكشف عن القوى والضعيف منها ، وفى هذا يقول يزيد بن هارون : أدركت الناس يكتبون عن كل — من المشايخ الأقوياء والضعفاء — فإذا وقعت المناظرة حصلوا . (١)

مما سبق يتبين لنا إهتمام الصحابة والتابعين وأتباعهم بالسنة المطهرة ، وحرصهم على الحديث النبوى الشريف ، فعرفنا كيف كانوا يحدثون طلابهم ، وكيف كانوا يعتنون بصغارهم ، ويحرصون على تربيتهم التربية الصالحة ، على هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، كما عرفنا آدابهم فى الحديث وطلبه ، واحترامهم لعلمائهم ؛ وحرص الطلاب على دراسة السنة وحفظها ومذاكرتها وتثبيتها فى صدورهم والعمل بها ، كل ذلك يعطينا صورة حية عن النشاط الحديثى فى ذلك العصر ، صورة مخطوطة عن الحركة العلمية القوية التى كانت فى عصر الصحابة والتابعين ، تلك الحركة التى كان لها الفضل العظيم فى حفظ السنة .

وإن ما قدمناه لا يعدو الخطوط العريضة لتلك الحركة الواسعة ، التى كانت فى الصدر الأول وقد أغفلنا كثيراً من التفصيلات التى تتعلق بسن السماع وطريقة الرواية والتلقى ، وكيفية القراءة على المحدث ، وكل ما يتعلق بدرجات تحمل الحديث وأدائه ، مما تكفلت بشرحه كتب مصطلح الحديث وعلومه .

وهكذا خرجنا من هذا البحث بخلاصة هامة ، هى أن الحديث الشريف لقى عناية وحفظا واهتماماً عظيما من أبناء ذلك العصر ، الذين تولوا نقله بأمانة وإخلاص إلى الجيل الذى تلاهم ، ثم أدت الأجيال المتعاقبة هذه الأمانة حتى وصلت إلينا فى أمهات الكتب الصحيحة .

---

(١) المحدث الفاصل ص٨٣ : ب ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٦٧ : آ .

انتشار الحديث فى عصر الصحابة والتابعين

انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن عم الإسلام الجزيرة العربية كلها ، وأصبحت هذه البلاد قلعة حصينة للإسلام ، وقاعدة تنبعث منها أضواء الهداية فى العالم ، وقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته لواء جيش أسامة لفتح الشام ، ولكن المنية اخترمته قبل إنفاذه ، وخلفه الصديق فوجه جيش الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بلاد الشام ، واتسعت الفتوحات الإسلامية ، وامتدت الدولة الإسلامية حول الجزيرة العربية ، ففتحت بلاد الشام كلها (فلسطين والأردن وسوريا ولبنان) والعراق جميعها فى سنة سبع عشرة هجرية[١] ، وفتحت مصر سنة عشرين من الهجره[٢] ، ووصل المسلمون إلى ما وراء النهر فى خلافة عثمان بعد أن فتحوا (فارس) سنة إحدى وعشرين ، ووصلوا سمرقند سنة ست وخمسين[٣] ، وما لبثت الرايات الإسلامية أن خفقت فى ربوع الأندلس غرباً سنة ثلاث وتسعين[٤] وارتفعت بنود الإسلام وأعلامه على ذرا جبال البرانس[٥] سنة ست وتسعين ، وعلى حدود الصين شرقاً سنة ست وتسعين أيضاً[٦] .

كان فى طليعة الجيوش الإسلامية صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٢٩٩ جـ ١ وما بعدها .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٣٦ جـ ١

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٧٩ وما بعدها جـ ١

(٤) انظر المرجع السابق ص ٣١٣ جـ ١

(٥) انظر المرجع السابق ٣١٨ وما بعدها جـ ١

(٦) انظر المرجع السابق ص ٣٠٥ جـ ١

وكانوا كلما دخلوا بلداً أقاموا فيه المساجد[1] ، ومكث فيه بعض الصحابة والتابعين يدبرون أموره ، وينشرون فيه الإسلام ، ويعلمون أبناءه القرآن الكريم وسنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وكان الخلفاء يمدون البلاد الجديدة بالعلماء ، وقد استوطن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم تلك الأمصار ، يرشدون أهلها ، ويعلمون أبناءها . وقد دخل الناس فى دين الله أفواجا ، والتفوا حول أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، ينهلون من الينابيع التى أخذت عن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، وتخرج فى حلقاتهم التابعون الذين حملوا لواء العلم بعدهم ، وحفظوا السنة الشريفة ، وهكذا أصبحت فى الأقاليم والأمصار الإسلامية مراكز علمية عظيمة ، تشع منها أنوار الإسلام وعلومه ، إلى جانب مراكز الإشعاع الأولى التى أمدت هذه الأقطار بالأساتذة الأول .

ويجدر بنا أن نذكر لمحة موجزة عن مراكز التعليم هذه فيما يخص بحثنا ، فنتناول أهم تلك المراكز العلمية والقائمين عليها فى الأمصار الإسلامية :

١ — المدينة المنورة :

هى دار الهجرة ، وحاضرة الدولة الإسلامية ، التى آوت الرسول الكريم بعد هجرته ، ومعه الصحابة رضوان الله عليهم ، وشهدت الجانب التشريعى الأول فى صدر الإسلام ، وفى مساجدها التف المسلمون حول محمد عليه الصلاة والسلام ، يتلقون القرآن العظيم ، ويسمعون الحديث الشريف ، وفيها شاهدوا قضاءه وقسمته للغنائم ، واستنفاره للجيوش ، وموادعته لخصومه ، وإليها التجأ المسلمون المهاجرون بدينهم ، تحت ضغط قريش والقبائل الأخرى فى أطراف الجزيرة العربية ، وتعلقت بها الأنظار ، وعقدت عليها الآمال ، حتى كان صلح الحديبية

---

(١) انظر الخطط المقريزى ص ٢٤٦ ج ٢

ثم الفتح الأعظم ، فأصبحت مركز الحجاز السياسى ، وعاصمة الدولة الإسلامية إلى أوائل خلافة على رضى الله عنه .

وقد يخطر ببالنا أن المهاجرين عادوا إلى مكة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، ولكن التاريخ يؤكد لنا أن الصحابة والخلفاء آثروا أن يجاوروا رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] ، ويقيموا حيث أقام . لذلك نرى فى المدينة كبار الصحابة الذين رسخوا فى العلم ، وكانت لهم مكانة عظيمة فى الحديث ، ومن هؤلاء أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأبو هريرة وعائشة أم المؤمنين ، وعبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدرى ، وزيد بن ثابت الذى اشتهر بفهم القرآن والحديث والفرائض خاصة ، وكانت له مكانة رفيعة عند الخلفاء الراشدين حتى إنهم ما كانوا يقدمون عليه أحداً فى القضاء أو الفتوى والفرائض والقراءة[٢] .

وقد تخرج فى المدينة كبار التابعين ، ومنهم سعيد بن المسيب ، وعروة ابن الزبير ، وابن شهاب الزهرى ، وعبيد الله بن عتبة بن مسعود ، وسالم ابن عبد الله بن عمر ، ومحمد بن المنكدر وغير هؤلاء ممن كانوا مرجع الأمة فى السنة والقضاء والفتوى .

٢ — مكة المكرمة :

لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، خلف فيها معاذاً يعلم

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٣٢٨ جـ ٥ وفيه كان يكره المسلمون المهاجرون أن يعود أحدهم إلى مكة بعد أن فارق الرسول صلى الله عليه وسلم فى المدينة .

(٢) انظر تاريخ دمشق ص ٢٨٤ جـ ٦ وسير أعلام النبلاء ص ٢١٥ جـ ١ وتذكرة الحفاظ ص ٣٠ جـ ١ .

أهلها الحلال والحرام ، ويفقههم فى الدين ، ويقرئهم القرآن الكريم ، وكان معاذ من أفضل شباب الأنصار علماً وحلماً وسخاء ، شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد كلها ، وكان يعدُّ من أعلم الصحابة بالحلال والحرام . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه : « معاذ بن جبل أعلم الناس بحرام الله وحلاله[1] » وقال عليه الصلاة والسلام : « خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود ، وأبى ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبى حذيفة[2] » وقد روى عنه عدد كبير من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس ، الذى كانت له الصدارة بعد أن عاد من البصرة إلى مكة المكرمة ، كما كان فى مكة عتاب ابن أسيد الذى أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة فى أهلها[3] ، وأخوه خالد بن أسيد ، والحكم بن أبى العاص ، وعثمان بن أبى طلحة وغيرهم[4] .

وقد تخرج فى مكة على أيدى الصحابة مجاهد بن جبر ، وعطاء بن أبى رباح ، وطاوس بن كيسان ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وغيرهم[5] .

ولا بد أن نذكر هنا علو منزلة مكة المكرمة ، وأثرها فى تبادل الثقافة ونشر الحديث النبوى فى مواسم الحج ، حيث يلتقى فيها المسلمون ويجتمع أكثرهم بصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالتابعين ، يحملون معهم الكثير الطيب من حديثه عليه الصلاة والسلام إلى بلادهم ، ولا تزال لمكة والمدينة هذه المكانة إلى يومنا هذا ، وستبقى ما بقى الإسلام إلى يوم الدين .

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٣٢٠ ج ١
(٢) سير أعلام النبلاء ص ٣١٩ ج ١ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٢١ ج ١ .
(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ .
(٥) انظر فجر الإسلام ص ١٧٤ .

٣ — الكوفة :

لقد نزل فى الكوفة عدد كبير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى عهد عمر رضى الله عنه ، حين فتحت العراق للمسلمين ، وأصبحت الكوفة والبصرة قاعدتى الفتح الإسلامى فى خراسان وفارس والهند ، فقد هبط الكوفة ثلاثمائه من أصحاب الشجرة ، وسبعون من أهل بدر[١] من أشهرهم على بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعبد الله بن مسعود وغيرهم[٢] . وكان لعبد الله بن مسعود أثر كبير فى رفع اسم الكوفة ، لما بذله فى سبيل تعليم أبنائها ، وقد تخرج فى هذه المدرسة كبار التابعين الذين حفظوا الشريعة وحافظوا على السنة المطهرة ، فقد كان فى الكوفة ستون شيخاً من أصحاب عبد الله بن مسعود ، وكان فى بنى ثور الذين نزلوا الكوفة ثلاثون رجلا ، ما فيهم رجل دون الربيع بن خثيم[٣] المشهور بعبادته وورعه وعلو مكانته فى الحديث ، وكان فيها كميل بن زيد النخعى ، وعامر بن شراحيل الشعبى ، وسعيد بن جبير الأسدى ، وإبراهيم النخعى ، وأبو إسحاق السبيعى ، وعبد الملك بن عمير[٤] وغيرهم .

٤ — البصرة :

ونزل البصرة من الصحابة رضوان الله عليهم أنس بن مالك ، وكان إمام البصرة فى الحديث ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله بن عباس الذى ولى إمرتها لأمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ونزل فيها غير هؤلاء

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٤ جـ ٦ .
(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩١ .
(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ٤ جـ ٦ .
(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٣ — ٢٤٨ .

عتبة بن غزوان ، وعمران بن حصين ، وأبو برزة الأسلمى ، ومعقل بن يسار ، وعبد الرحمن بن سمرة ، وأبو زيد الأنصارى ، وعبد الله بن الشخّير ، والحكم وعثمان بنا أبى العاص وغيرهم[١] .

وأشهر من تخرج فى مدرسة البصرة الحسن البصرى الذى أدرك خمسمائة من الصحابة ، ومحمد بن سيرين ، وأيوب السختيانى ، وبهز بن حكيم القشيرى ، ويونس بن عبيد ، وخالد بن مهران الحزاء ، وعبد الله بن عون ، وعاصم بن سليمان الأحول ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، وهشام بن حسان[٢] وغيرهم .

وأما بغداد فلم تشتهر إلا منذ عهد المنصور العباسى .

٥ — الشام :

نزل الشام من الصحابة عدد كبير كانوا فى جيش الفتح الإسلامى ، وقد استوطن أكثرهم المدن الكبرى بادىء الأمر ، ثم ما لبث سكان القرى أن تمسكوا ببعضهم عندما شعروا بالفائدة العلمية الكبرى التى حملها إليهم المسلمون ، ومن الصعب حصر عدد الصحابة الذين حلوا فى بلاد الشام ، ولكن الوليد بن مسلم يقرب هذا لنا فيقول : « دخلت الشام عشرة آلاف عين رأت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم[٣] » ، وكان يزيد بن أبى سفيان قد كتب إلى عمر بن الخطاب ليعينه بالعلماء ، ليفقهوا أهل الشام[٤] فأرسل إليه معاذ بن جبل ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الدرداء — الذين توزعوا فى بلاد الشام ، فأقام عبادة

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٢ .
(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٨ .
(٣) التاريخ الكبير ص ١٦٩ ج ١
(٤) انظر غوطة دمشق ص ١٣١ .

فى حمص ، وأبو الدرداء فى دمشق ، ومعاذ فى فلسطين ، ثم أرسل عمر بعد هؤلاء عبد الرحمن بن غنم[١] .

ونشطت الحركة العلمية فى بلاد الشام وخاصة فى دمشق أيام الأمويين ، وما زال بها فقهاء ومحدثون ومقرئون[٢] ، وانتشر فيها العلماء حتى أضحت قرية داريا حاضرة العلم والأدب فى غوطة دمشق ، ويقول السمعانى : إنه كان فى داريا جماعة كثيرة من العلماء المحدثين قديماً وحديثاً ، وممن نبغ فيها من الصحابة عبد الرحمن بن يزيد الأزدى الدارانى ، ويعد فى الطبقة الثانية من فقهاء الشام[٣] .

وقد نزل بلاد الشام غير الصحابة المذكورين أبو عبيدة بن الجراح ، وبلال ابن رباح ، وشرحبيل بن حسنة ، وخالد بن الوليد ، وعياض بن غنم ، والفضل ابن العباس بن عبد المطلب — وهو مدفون بالأردن — ، وعوف بن مالك الأشجعى ، والعرباض بن سارية[٤] وغيرهم .

وتخرج على أيدى الصحابة فى هذه المدرسة كبار علماء الشام من التابعين ، منهم سالم بن عبد الله المحاربى قاضى دمشق ، وأبو ادريس الخولانى (عائذ بن عبد الله) الذى تولى القضاء بدمشق لمعاوية وابنه يزيد ، ومنهم أبو سليمان الدارانى ، قاضى دمشق لعمر بن عبد العزيز ، وليزيد وهشام ابنى عبد الملك ، قضى لهم ثلاثين سنة ، ومنهم عمير بن هانىء العنسى الدارانى المحدث[٥] .

---

(١) انظر فجر الإسلام ص ١٨٨ — ١٨٩ .

(٢) انظر الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٨ .

(٣) انظر غوطة دمشق ص ١٣٤ .

(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٣ .

(٥) انظر غوطة دمشق ص ١٣٤ — ١٣٥ وانظر تاريخ داريا للقاضى عبد الجبار الخولانى ص ٢٩ — ٧٢ .

وتخرج فى هذه المدرسة عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ، الذى يقرن بمالك وأبى حنيفة ويلقب بإمام أهل الشام ، ومكحول الدمشقى ، وعمر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة[١] ، وبحير بن سعد الكلاعى ، وثور بن يزيد الكلاعى ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر[٢] وغيرهم .

٦ — مصر :

دخل المسلمون مصر فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، بإمرة عمرو بن العاص رضى الله عنه ، وكان معه من الصحابة عدد كبير منهم الزبير بن العوام ، وعبادة بن الصامت ، ومسلمة بن مُخَلَّد ، والمقداد بن الأسود ، كانوا على رأس المدد الذى أرسله عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص[٣] ، كما كان معه عبد الله ابن عمرو : أحد الصحابة المكثرين عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، والذى كان يدون الحديث بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد مكث بمصر إلى مابعد وفاة والده ، وعنه روى كثير من محدثيها .

ونزل مصر من الصحابة عقبة بن عامر الجهنى ، وخارجة بن حذافة وعبد الله ابن سعد بن أبى سرح ، ومحمية بن جزء ، وعبد الله بن الحارث بن جزء ، وأبو بصرة الغفارى ، وأبو سعد الخير ، ومعاذ بن أنس الجهنى ، ومعاوية بن حُديج ، وزياد بن الحارث الصدائى وغيرهم[٤] .

وتخرج على أيدى هؤلاء فى هذه المدرسة ، يزيد بن أبى حبيب محدث

---

(١) انظر فجر الإسلام ص ١٨٩ .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤٢ .

(٣) انظر تاريخ الإسلام السياسى ص ٢٣٦ جـ ١ .

(٤) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٣ وانظر فتوح مصر لابن عبد الحكم ص ٢٤٨ — ٣١٩ ، وانظر حسن المحاضرة ص ٧٢ وما بعدها جـ ١ .

الديار المصرية ، وعمر بن الحارث ، وخير بن نعيم الحضرمى ، وعبد الله بن سليمان الطويل ، وعبد الرحمن بن شريح الغافقى ، وحيوة بن شريح التجيبى ، وغيرهم ، وقد كان ليزيد بن أبى حبيب أثر بعيد فى نشر الحديث فى مصر ، فقد تتلمذ عليه الليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة[١] اللذان تتلمذ عليهما خلق كثير ، وكانا فى عصرهما محدثى الديار المصرية .

٧ — المغرب والأندلس :

كان عمرو بن العاص قد وصل إلى برقة وطرابلس سنة (٢١ هـ) فى عهد عمر بن الخطاب ، فاستأذن عمرو الخليفة بفتح أفريقية فلم يأذن له ، فاستجاب لأمر أمير المؤمنين وعاد إلى مصر ، فكان عمرو وأصحابه أول المسلمين الذين دخلوا أطراف المغرب ، وعند ما تولى عثمان رضى الله عنه الخلافة أذن لأمير مصر عبد الله بن سعد بن أبى سرح بغزو أفريقية ، وكان ذلك سنة (٢٥ هـ) ثم أمده بجيش من المدينة فيه جماعة من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن جعفر ، والحسن والحسين ، وعبد الله ابن الزبير ، ولقيهم عقبة بن نافع ببرقة ، فتابعوا فتح البلاد[٢] ، ثم خرج لفتح المغرب معاوية بن حُديج سنة (٣٤ هـ) وكان فى غزاته هذه جماعة من المهاجرين والأنصار[٣] ، وقال سليمان بن يسار : (غزونا أفريقية مع بن حُديج ومعنا من المهاجرين والأنصار بشر كثير[٤]) . ثم ولى عقبة بن نافع المغرب ، وكان فى جيشه كثير من الصحابة والتابعين وهو الذى فتح المغرب الأقصى ووطد أركان الإسلام فى شمال إفريقية[٥] .

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ٢٤١ .

(٢) انظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ص ٦٧ — ٧٠ ج ١ .

(٣) و (٤) فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم ص ١٩٣ .

(٥) انظر فتوح مصر وأخبارها ص ١٩٣ وما بعدها . والاستقصا ص ٦٩ — ٧٠ ج١ .

وقد نزل أفريقية من الصحابة غير الذين ذكرناهم مسعود بن الأسود البلوى أحد الصحابة الذين بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ، والمِسْوَرُ ابن مُخَرِمَة ، والمقداد بن الأسود الكندى أحد الصحابة السابقين[1] ، وبلال ابن حارث بن عاصم المزنى صاحب لواء مزينة يوم الفتح ، وجبلة بن عمرو ابن ثعلبة أخو أبى مسعود البدرى ، كان فاضلا من فقهاء الصحابة ، وسلمة ابن الأكوع الصحابى المشهور وغيرهم كثير[2] .

ودخل أفريقية من التابعين خلق كثير منهم السائب بن عامر بن هشام ، ومعبد أخو عبد الله بن عباس . وعبد الرحمن بن الأسود ، وعاصم بن عمر بن الخطاب ، وعبد الملك بن مروان ، وعبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وسليمان بن يسار فقيه المدينة ، وعكرمة مولى ابن عباس[3] ، وأبو منصور والديزيد بن منصور من كبار التابعين ، كما أرسل عمر بن عبد العزيز عشرة من التابعين يفقهون أهل أفريقية منهم : حبان بن أبى جبلة ، واسماعيل بن عبيد الله الأعور ، واسماعيل بن عبيد[4] ، وعبد الرحمن بن رافع التنوخى الذى ولى قضاء أفريقية ، وسعيد بن مسعود التجيبى وغيرهم[5] ممن ساهموا فى نشر الإسلام وتعليم أبنـــاء البلاد وتفقيههم .

---

(١) انظر الاستقصا ص ٧٥ — ٨٠ ج ١ .

(٢) انظر فتوح مصر وأخبارها ص ٢٤٨ — ٣١٩ . وطبقات علماء أفريقية ص ١٦ — ١٧ .

(٣) لم يدخل عكرمة غازيا ، وكان له مجلس فى مؤخر مسجد الجامع فى غربى المنارة ، الموضع الذى يسمى بالركيبة . انظر طبقات علماء أفريقية ص ١٩ .

(٤) هو صاحب سوق مسجد اسماعيل والأحباس ، وهو الذى يقال له تاجر الله انظر طبقات علماء أفريقية ص ٢٠ .

(٥) انظر طبقات علماء أفريقية ص ١٩ — ٢١ .

وقد تخرج على أيدى هؤلاء من أهل أفريقية خلق كثير منهم : زياد بن أنعم المعافرى ، وعبد الرحمن بن زياد ، ويزيد بن أبى منصور ، والمغيرة بن أبى بردة ، ورفاعة بن رافع ، وعمرو بن راشد بن مسلم الكنانى ، وعمران بن عبد المعافرى ، والمغيرة بن سلمة ، ومسلم بن يسار الأفريقى ، وغيرهم ممن حمل لواء العلم (١) .

وما لبثت مدينة القيروان أن أضحت محط أنظار أهل المغرب فكان فيها سحنون بن سعيد ، وسعيد بن محمد الحداد (٢) . كما لمت قرطبة واشبيلية وغرناطة وبلنسية ، من بلدان الأندلس فى مطلع القرن الثالث الهجرى بيحيى بن يحيى ، وابن حبيب ، وبقى بن مخلد وغيرهم (٣) .

٨ — اليمن :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجه معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعرى إلى اليمن ، كما نزل غيرهما من الصحابة فيها ، وتخرج فى اليمن علماء من ألمع التابعين ، منهم همام ووهب بنا منبه ، وطاوس وابنه ، ثم معمر بن راشد ، ثم عبد الرزاق بن همام وأصحابه (٤) .

٩ — خراسان :

نزل خراسان من الصحابة وتوفى بها بريدة بن حصيب الأسلمى ، وهو مدفون بمرو ، وأبو برزة الأسلمى ، والحكم بن عمرو الغفارى ، وعبد الله بن

---

(١) انظر طبقات علماء أفريقية ص ٢١ — ٢٤ .

(٢) انظر إعلام الموقعين ص ٢٧ ج ١ .

(٣) انظر الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٤٠ ، وانظر إعلام الموقعين ص ٢٧ ج ١ .

(٤) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٣٩ — ١٤٠ .

خازم الأسلمي المدفون بنيسابور ، وقثم بن العباس المدفون بسمرقند[1] ، وفي هذه البلاد ظهر كبار المحدثين .

ففي (بخارى) كان عيسى بن موسى غنجار ، وأحمد بن حفص الفقيه ، ومحمد بن سلام البيكندي ، وعبد الله بن محمد السندي ، ثم أبو عبد الله محمد ابن اسماعيل البخاري .

وفي (سمرقند) أبو عبد الله بن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، ثم محمد ابن نصر المروزي .

كما ظهر في الشاس فيما بعد الحسن بن الحاجب والهيثم بن كليب .

وفي (فرياب) تخرج جماعة من العلماء أقدمهم محمد بن يوسف الفريابي صاحب الثوري ، ثم القاضي جعفر بن محمد الفريابي صاحب التصانيف المتوفى سنة (٢٢٦ هـ)[2] .

من كل ما تقدم يتبين لنا أن المسلمين عند ما ساروا إلى البلاد المجاورة ، لم يسيروا وراء دنيا يصيبونها ، ولاخلف تجارة يربحون منها ، وإنما انطلقوا ليحرروا الأمم من الظلم والطغيان ، وينشروا بين أبناء البلاد الجديدة تعاليم الإسلام ، ويأخذوا بأيديهم إلى جادة الصواب ، ويفتحوا عيونهم على نور الهداية والحق . وبهذا ، تتميز الفتوحات الإسلامية عن جميع الفتوحات التي عرفها التاريخ ، إلى جانب ميزات كثيرة يضيق المقام بذكرها ، ومن أجل تحقيق تلك الغاية المذكورة ، استقر علماء الصحابة في الأقطار المختلفة ، وأمد الخلفاء الأمصار

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ١٩٤ .

(٢) انظر الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٤٣ .

بالعلماء ليسرعوا فى حركة التحرير والهداية والتعليم ، وقد التف المسلمون الجدد حول من عندهم من الصحابة .

وكان الصحابة يتفاوتون فى العلم ، ولم يكن عند كل واحد منهم جميع ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وشرعه ، ولهذا بدأت الرحلات العلمية فى سبيل جمع الحديث وتلقيه ، وقد ظهرت هذه أيضاً بين الصحابة ، وكثرت الرحلات من التابعين وأتباعهم ليسمعوا ما فاتهم ، أو ليثبتوا كدوا مما سمعوا ، ولهذا نرى كثيراً من التابعين يقصدون الصحابة فى أقاصى البلاد يسافرون الليالى والأيام فى طلب حديث أو حديثين كما سيظهر لنا بعد قليل . وقد رأينا بروز بعض الصحابة ولمعانهم فى الأقطار المختلفة ، فانطبع تلامذتهم بطابعهم وساروا على نهجهم ، ثم حلوا محلهم وحملوا لواء العلم ونشره .

* * *

الرحلة فى طلب الحديث

كانت الرحلة فى طلب الحديث قائمة فى عهده صلى الله عليه وسلم ، فكان بعض من يسمع بالرسالة الجديدة ، يسافر إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ليسمع القرآن الكريم ، ويتفهم تعاليم الإسلام ، ثم ينصرف إلى قومه بعد أن يعلن إسلامه كما فعل ضمام بن ثعلبة .

فالرحلة فى عهد الرسول كانت عامة من أجل معرفة تعاليم الدين الجديد .

وأما فى عهد الصحابة والتابعين وأتباعهم فقد تمت رحلات كثيرة من العلماء فى طلب الحديث خاصة ، وكثيرا ما كانوا يقطعون المسافات الطويلة لسماع حديث أو التأكد من حديث وضبطه ، أو للالتقاء بصحابى وملازمته ، للأخذ عنه ، لأن الصحابة فى عهد التابعين توزعوا فى البلدان ونقلوا فى صدورهم الحديث النبوى ، فكان لا بد لمن أراد أن يجمع حديث محمد صلى الله عليه وسلم من أن ينتقل من بلد إلى آخر ، وراء الصحابة الذين سمعوا منه ورأوه وأخذوا الأحكام عنه ، ثم رحل أتباع التابعين إلى التابعين ، ولازموهم وأخذوا عنهم ، حتى تم جمع الحديث فى مراجعه الكبرى ، ومع هذا لم تنقطع رحلة العلماء فى سبيل المذاكرة والعرض على الشيوخ المشهورين .

ومما يروى فى رحلة الصحابة ما حدّث به عطاء بن أبى رباح قال : (خرج أبو أيوب الأنصارى إلى عقبة بن عامر ، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، غيره وغير عقبة ، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى ــ وهو أمير مصر ــ

فأخبره فعجل عليه ، فخرج إليه فعانقه ، ثم قال له : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وغير عقبة ، فابعث من يدلنى على منزله ، قال : فبعث معه من يدله على منزل عقبة ، فأخبر عقبة ، فعجل فخرج إليه فعانقه ، فقال : ما جاء بك يا أبا أيوب ؟ فقال : حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق أحد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم غيرى وغيرك فى ستر المؤمن ، قال عقبة : نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَتَرَ مؤمناً فى الدنيا على خِزيةٍ[1] ستره اللهُ يومَ القيامةِ » . فقال له أبو أيوب : صدقت . ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعاً إلى المدينة ، فما أدركته جائزة مسلمة بن مخلد إلا بعريش مصر[2] .

لقد خشى أبو أيوب أن يكون نسى شيئاً من حديث « ستر المؤمن » ، فأحب أن يتأكد من ذلك ، ويتثبت من صحة ما يحفظه عن الرسول الكريم ، فرحل من الحجاز إلى مصر ، يقطع الفيافى والقفار فى سبيل ذلك ! !

وعن ابن عقيل أن جابر بن عبد الله حدثه : أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال : (فابتعت بعيرا ، فشددت إليه رحلى شهراً حتى قدمت الشام ، فإذا عبد الله بن أنيس ، فبعثت إليه أن جابرا بالباب ، فرجع الرسول فقال : جابر بن عبد الله ؟ فقلت : نعم فخرج فاعتنقنى . قلت : حديث بلغنى لم أسمعه ، خشيت أن أموت أو تموت ، قال : سمعت النبى

---

(١) الخزية هو الشيء الذى يستحيا منه . وانظر لسان العرب ص ٢٤٧ ج ١٨

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٨ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٣ ــ ٩٤ ج ١ وذكره زهير ابن حرب فى كتابه « العلم » عن رجل ولم يذكر أبا أيوب الانصارى انظر ص ٨٧ هـ : بدكما ذكر الخطيب مثله فى الجامع لأخلاق الراوى ص ١٦٨ : ب ـ ١٦٩ : آ

صلى الله عليه وسلم يقول : « يحشر اللهُ العبادَ — أو الناسَ عراةً غرلا [1] بُهماً » قلنا : ما بُهماً ؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم بصوتٍ يسمعُه من بَعُدَ — أحسبه قال : — كما يسمعه من قَرُبَ : أنا الملكُ ، لا ينبغى لأحدٍ من أهلِ الجنةِ يدخلُ الجنة وأحدٌ مِنْ أهل النارِ يطلُبُه بمظلمةٍ ، ولا ينبغى لأحدٍ من أهلِ النارِ يدخلُ النارَ ، وأحدٌ من أهلِ الجنةِ يطلبه بمظلمةٍ ، قلتُ : وكيف ؟ وإنما نأتى اللهَ عُراةً بهما ؟ قال : « بالحسنات والسيئات » [2]).

وتنشط الرحلات فى طلب الحديث بين التابعين وأتباعهم ، حتى لقد كان أحدهم يخرج وما يخرجه إلا حديث عند صحابى يريد أن يسمعه منه لأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا يروى عن أبى العالية قوله : « كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة ، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم [3] . »

وخرج الشعبى فى ثلاثة أحاديث ذكرت له ، فقال لعلى : ألقى رجلا لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] ، وروى الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : إن كنت لأسير ثلاثاً فى الحديث الواحد [5] . وأقام أبو قلابة بالمدينة وليس له بها حاجة إلا رجل عنده حديث واحد ليسمعه منه [6] . ويروى أن « مسروقا »

---

(١) غرلا جمع (أغرل) وهو الذى لم يختن .

(٢) الأدب المفرد ص ٢٣٧ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٣ ج ١ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ : ب

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ : ب والكتابة ص ٤٠٢

(٤) انظر المحدث الفاصل ص ٢٩ : آ

(٥) انظر المحدث الفاصل ص ٢٨ : ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٩ : ب ، وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج ١ وجامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ .

(٦) انظر المحدث الفاصل ص ٢٨ : ب

رحل فى حرف[1] ، ويظهر أن « مسروقا[2] » كان كثير الترحال ، ولذلك قال عامر الشعبى : ما علمت أن أحداً من الناس كان أطلب لعلم فى أفق من الآفاق من مسروق[3] . ويروى عن الشعبى أنه حدث بحديث ثم قال لمن حدثه : (أعطيتُكَهُ بغير شيء ، وإن كان الراكب ليركب إلى المدينة فيما دونه[4]) .

وكان الصحابة الكرام يشجعون على طلب العلم ، وعلى الرحلة من أجله ، من هذا ما روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال : « لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله تعالى منى تبلغه الإبل لأتيته[5] » وكانوا يرحبون بطلاب العلم كما سبق أن ذكرنا ، وكل هذا حبب إلى التابعين الرحلة ، حتى إن عامرا الشعبى قال : « لو أن رجلا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن ، ليسمع كلمة حكمة ما رأيت أن سفره ضاع[6] » ، وفعلا كانوا يرحلون إلى الصحابة ولا يرون أن سفرهم قد ضاع .

عن كثير بن قيس قال : كنت جالسا عند أبى الدرداء فى مسجد دمشق ، فأتاه رجل ، فقال : يا أبا الدرداء ! أتيتك من المدينة ، مدينة رسول الله

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١

(٢) ومسروق هو ابن الاجدع الهمدانى ابو عائشة تابعى ثقة يمنى الأصل ، رحل الى المدينة أيام أبى بكر ثم سكن الكوفة وشهد حروب على وكان يفتى توفى سنة (٦٢) هـ . انظر : تهذيب التهذيب ص ١٠٩ ج ١٠ .

(٣) جامع بيان العلم فضله ص ٩٤ ج ١ والمحدث الفاصل ص ٢٩ : آ

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١ ، ومعرفة علوم الحديث : ٧ وقد أخرج الشيخان نحوه انظر صحيح البخارى بحاشية السندى ص ١٧١ ج ٢ وانظر الأدب المفرد ص ٨١ ، وصحيح مسلم ص ١٣٥ ج ١ ، كما أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه .

(٥) الكفاية ص ٤٠٢ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٥ ج ١ ، والرحلة الحجازية والرياض الأنسية ص ١٤

صلى الله عليه وسلم لحديث بلغنى أنك تحدث به عن النبى صلى الله عليه وسلم. قال : فما جاء بك تجارة ؟ قال : لا . قال : ولا جاء بك غيره ؟ قال : لا ، قال : فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ سَلَكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهلَ اللهُ له طريقاً إلى الجنةِ ، وإنّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضا لطالب العلم ، وإن طالبَ العلم يستغفرُ له من فى السماء والأرض ، حتى الحيتان فى الماء ، وإنّ فضلَ العالم على العابدِ كفضلِ القمر على سائرِ الكواكبِ . إنّ العلماء ورثةُ الأنبياء إن الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً ، إنما ورّثوا العلم فمن أخذهُ أخذَ بحظٍ وافر [1] . »

وعن زِرِّ بنِ حبيش [2] ، قال : أتيت صفوان بن عسال المرادى ، فقال : ما جاء بك ؟ قلت : أنبط العلم . قال : فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من خارج خرجَ من بيتهِ فى طلبِ العلمِ إلا وضَعت لهُ الملائكةُ أجنحتَها ، رضا بما يصنعُ [3] » .

وأخبار العلماء ورحلاتهم كثيرة يضيق المقام بذكرها ، ويكفينا أن نذكر شيئاً منها ، فقد رحل ابن شهاب إلى الشام ليلقى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوة ، ورحل يحيى بن أبى كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصحابة ، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة فلقى بها عبيدة وعلقمة وعبد الرحمن

---

(١) سنن البيهقى ص ٨١ ج ١ ، والجرح والتعديل ص ١٢ ج ١ وقد رواه ابن ماجه فى سننه ص ٨١ ج ١ .

(٢) زر بزاى مكسورة فراء مشددة بوزن هر

(٣) سنن ابن ماجه ص ٨٢ حديث ٢٢٦ ج ١ طبعة عيسى البابى الحلبى وانظر مجمع الزوائد ص ١٣١ ج ١ ، والجرح والتعديل ص ١٣ ج ١ وأنبط العلم أى أطلبه وأستخرجه من عند أهله .

ابن أبى ليلى ، ورحل الأوزاعى إلى يحيى بن أبى كثير باليمامة ودخل البصرة ، ورحل سفيان الثورى إلى اليمن ثم دخل البصرة ، ورحل عيسى بن يونس إلى الأوزاعى بالشام . . . ورحل شعيب بن أبى حمزة إلى الزهرى وهو يومئذ بالشام . وأما رحلة العلماء من بلد إلى بلد فى الإقليم الواحد ، فكثيرة كثرة تفوق الحصر [1] .

وكان لرحلات العلماء فى طلب الحديث أثر بعيد فى انتشار السنة ، فما لا شك فيه أن الراوى يرى من يروى عنه ، ويقف على سيرته ، ويسأل أهل بلده عنه ، وكثيراً ما كانوا يتشددون فى السؤال عن الراوى ، حتى يقال لهم أتريدون أن تزوجوه ؟

كذلك كان للرحلات فائدة عظيمة فى معرفة طرق كثيرة للحديث الواحد فقد يسمع الراوى من علماء المصر الذى رحل إليه زيادات لم يسمعها من علماء مصره وكثيراً ما يجد عندهم ما لم يجده عند شيوخه ، وقد تقع مناظرات بين علماء الأمصار ، تعارض فيها طرق الحديث الواحد ، فيحصَّلُ فيها القوى ويعرف الضعيف ، ويزداد طلاب العلم معرفة لأسباب ورود الأحاديث ، حين يلقون من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو أفتاه أو قضى له .

ويكفى الرحلة فائدة أن تساعد على نشر الحديث وجمعه ، وتمحيصه والتثبت فيه ، فكان لرحلات الصحابة والتابعين وأتباعهم أثر جليل فى المحافظة على السنة وجمعها وتدلنا تراجم الرواة على الصعاب التى كانوا

(١) انظر المحدث الفاصل ص ٣١ : ب و ٣٢ : ب وراجع جامع بيان العلم ص ٩٤ و ٩٥ ج ١ .

يستعذبونها فى سبيل حفظ السنة ، وسماع أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منابعها الصحيحة ، ويكفينا أن نقرأ فى ترجمة أحدهم ، هو فلان اليمنى ، ثم المكى ، ثم المدنى ، ثم الشامى ، ثم الكوفى ، ثم البصرى ، ثم المصرى ، لنعرف مقدار ما قاسى فى قطع الفيافى والبعد عن الأهل والأوطان ، وما تحمله من مشاق حتى أصبح من رجال الحديث فى عصره. فلم يصلنا الحديث النبوى فى مصنفاته وكتبه ، مرتباً بأسانيده ، وعلى أبواب جامعة كل منها فى موضوع خاص ، إلا بعد أن خدمه الصحابة ، والتابعون وأتباعهم ، والعلماء من بعدهم ووقفوا عليه حياتهم ، فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وأسكنهم فسيح جنانه .

لا نشك فى أن الحديث النبوى قد انتشر جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم ، ووصل إلى الأقاليم الإسلامية الجديدة ، ولا نشك فى أن العلم لم يبق مقصوراً على مكة والمدينة ، بل تعددت مراكزه ومجالسه ، وشهدت الأمصار البعيدة ما شهدته حواضر العالم الإسلامى ، من نشاط علمى على يدى الصحابة رضوان الله عليهم ، ويمكننا أن نتصور مدارس متنقلة فى مختلف الأمصار ، روادها الصحابة وكبار التابعين ، إذ كان يكفى لأهل خراسان مثلا أن يحل بينهم صحابى حتى يسرعوا إليه ، ويلتفوا حوله ويسألوه ويستقرئوه القرآن ويسمعوا منه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

هذا جانب عظيم يصور لنا انتشار السنة فى أبعد حدود الدولة الإسلامية ولكن لا بد لنا من أن نقول الحق وإن كان مراً ، فإن بعض من دخل الإسلام — إثر الفتح — إنما دخله نفاقاً ، أو اعتنقه على

أنقاض عقائد فاسدة بقيت رواسبها فى نفسه ، فجعلته ينتهز أية فرصة للطعن فى الدين الجديد ، الذى قوض أمجاد آبائه ، وأطاح بمصالحه الشخصية ، ومنهم من كان متعصبا لقومه وبلده . وهناك بعض الخلافات السياسية التى حدثت عقب الفتنة وظهور الفرق والأحزاب، كل هذا كان عاملا فى ظهور الوضع فى الحديث الشريف إلى جانب انتشاره فى الآفاق . وهذا ما سندرسه فى الباب التالى ونفصل أسبابه ونبين جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم ، والعلماء من بعدهم ، فى سبيل المحافظة على السنة ، وصيانتها من عبث أعداء الدين .

الباب الثالث

الوضع في الحديث ...

الفصل الأول : ابتداء الوضع وأسبابه .

الفصل الثاني : جهود الصحابة والتابعين ومن تبعهم فى مقاومة الوضع وحفظ الحديث .

الفصل الثالث : آراء بعض المستشرقين وأشياعهم فى السنة ونقدها .

الفصل الرابع : أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات وهو ثمار جهود العلماء فى المحافظة على الحديث .

الفصل الأول

ابتداء الوضع وأسبابه ..

أولا ـ ابتداء الوضع :

بقى الحديث النبوى صافيا لا يعتريه الكذب ، ولا يتناوله التحريف والتلفيق طوال اجتماع كلمة الأمة على الخلفاء الأربعة الراشدين ، قبل أن تنقسم إلى شيع وأحزاب ، وقبل أن يندس فى صفوفها أهل المصالح والأهواء ، وكانت البادرة الأولى التى ترتبت عليها الاضطرابات الكثيرة فى القرن الهجرى الأول هى فتنة عثمان رضى الله عنه واستشهاده ، فقد هزت العالم الإسلامى هزة عظيمة ، وأورثت الأمة عواقب وخيمة ، امتدت آثارها إلى يومنا ، ثم اجتمعت — بعد الفتنة — كلمة المسلمين على أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، إلا أن الأحداث كانت أقوى من أن تفسح للهدوء والسلام سبيلهما إلى الدولة آنذاك ، فحصل انقسام كبير فى صفوف الأمة ، تجسم فى معسكر أمير المؤمنين على الذى انطوى تحت جناحه أهل الحجاز والعراق ، ومعسكر أمير الشام معاوية الذى انضم إليه أكثر أهلها وأهل مصر .

وقد جر هذا الإنقسام على الأمة الحروب الطاحنة ، وما لبث أن انتهى بالتحكيم الذى كان سبباً لظهور فرق سياسية مختلفة [1] ، فالجمهور يؤيدون عليا

---

(١) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم ص ٢٦٨ ج ١ ، والتبصير فى الدين ص ٦ ، وفجر الإسلام ص ٢٥٦ .

رضى الله عنه ، لأنه الخليفة الذى بايعته الأمة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه ، وحزب معاوية قام مطالبا بدم عثمان ، وانتهى به الأمر إلى طلب الخلافة ، وممارسة الحكم فعلا بعد التحكيم ، والخوارج قوم من شيعة أمير المؤمنين على انشقوا عنه لأنه قبل التحكيم ونادوا (لا حكم إلا لله) ، ونقموا على معاوية لأنه يريد أن يتولى أمر المؤمنين ، وهذا لا يكون إلا بالشورى بينهم ، وكان هؤلاء أشداء أقوياء ، جلهم من العرب الجفاة القساة ، وكان لأمير المؤمنين على رضى الله عنه معهم مواقع كثيرة وحروب دامية مدة خلافته ، كما كان لهم أثر بعيد فى إقلاق مضاجع خلفاء بنى أمية طيلة الحكم الأموى .

وبعد استشهاد على رضى الله عنه قام بعض شيعته يطالبون بحقهم فى الخلافة .

وهكذا نشأت الأحزاب والفرق التى اتخذت شكلا دينياً كان له أبلغ الأثر فى قيام المذاهب الدينية فى الإسلام[١] . وقد حاول كل حزب أن يدعم ما يدعى بالقرآن والسنة ، ومن البدهى ألا يجد كل حزب ما يؤيد دعواه فى نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فتأول بعضهم القرآن ، وفسروا بعض نصوص الحديث بما لا تحتمله ، إلا أن هذا لم يحقق ما يرمون إليه ، ولم يجد بعضهم إلى تحريف القرآن أو تأويله سبيلا ، لكثرة حفاظه ، فتناولوا السنة بالتحريف وزادوا عليها ، ووضعوا على رسول الله ما لم يقل[٢] ، ونشطت حركة الوضع مع الزمن ، حتى اختلط الحديث الصحيح بالموضوع ، وظهرت أحاديث موضوعة فى فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم من رؤساء الفرق وزعماء الأحزاب ، ثم ظهرت

---

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٨٩
(٢) انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

أحاديث صريحة فى دعم المذاهب السياسية والفرق الدينية ، وكانت الأحاديث الموضوعة تولد مع ظهور الفرق ، فينبرى من يضع أحاديث تنتقص تلك الفرق ، كما يقف الواضعون من الخصوم للدفاع عنها وهكذا ، حتى تكونت مجموعة من الأحاديث الموضوعة التى كشف عنها جهابذة هذا العلم ورجاله ، ولم يقتصر الوضع على فضائل الأشخاص ، ودعم الآراء والأفكار العقائدية والمذاهب السياسية ، بل تعداها إلى مختلف أبواب الحديث ، وكادت الأحاديث الموضوعة تتناول جميع جوانب الحياة الخاصة والعامة ، فوضعت أحاديث فى الفضائل والمثالب ، وأحاديث فى مناقب البلدان والأيام ، وأخرى فى العبادات المختلفة وفى المعاملات والأطعمة والأدب والزهد ، والذكر والدعاء ، وفى الطب والمرض والفتن والمواريث وغيرها .

ويجدر بنا أن نبين أن الوضع لم يصل إلى ذروته فى هذا القرن ، لأنه نشأ قبل منتصف القرن الهجرى الأول بقليل ، وسرعان ما كان يعرف الحديث الموضوع لكثرة الصحابة والتابعين الذين عرفوا الحديث وحفظوه ، ولم يؤخذوا بأراجيف الكذابين ، وأخبار الوضاعين ، هذا إلى أن أسباب الوضع فى ذلك القرن لم تكن كثيرة ، وكانت الأحاديث الموضوعة تزداد بازدياد البدع والفتن ، وكان الصحابة وكبار التابعين وعلماؤهم فى معزل عنها .

ويصور لنا الإمام ابن تيمية ذلك فى قوله : « والصحابة رضى الله عنهم كانوا أقل فتنا من سائر من بعدهم ، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف ، ولهذا لم يحدث فى خلافة عثمان بدعة ظاهرة ، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان بدعة الخوارج المكفرين لعلى ، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته

أو إلاهيته[١] ، ثم لما كان آخر عصر الصحابة فى إمارة ابن الزبير وعبد الملك حدثت بدعة المرجئة والقدرية . ثم لما كان فى أول عصر التابعين ، فى أواخر الخلافة الأموية ، حدثت بدعة الجهمية والمشبهة الممثلة ، ولم يكن على عهد الصحابة شىء من ذلك ، وكذلك فتن السيف ، فإن الناس كانوا فى ولاية معاوية رضى الله عنه متفقين يغزون العدو ، فلما مات معاوية قتل الحسين ، وحوصر ابن الزبير بمكة ، ثم جرت فتنة الحرة بالمدينة[٢] ، ثم لما مات يزيد جرت فتنة بالشام بين مروان والضحاك بمرج راهط ، ثم وثب المختار على ابن زياد فقتله وجرت فتنة ، ثم جاء مصعب بن الزبير فقتل المختار وجرت فتنة ، ثم ذهب عبد الملك إلى مصعب فقتله وجرت فتنة ، وأرسل الحجاج إلى ابن الزبير فحاصره مدة ثم قتله وجرت فتنة ، ثم لما تولى الحجاج العراق خرج عليه محمد ابن الأشعث مع خلق عظيم من العراق وكانت فتنة كبيرة ، فهذا كله بعد موت معاوية ، ثم جرت فتنة ابن المهلب بخراسان ، وقتل زيد بن على بالكوفة وقتل خلق كثير آخرون ، ثم قام أبو مسلم وغيره بخراسان وجرت حروب وفتن يطول وصفها[٣] .

وعلى هذا فإنا نستبعد ظهور الوضع قبل الفتنة ، كما نستبعد تطوع أحد من الصحابة بوضع الحديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن يتصور مسلم الصحابة الأجلاء ، الذين بذلوا نفوسهم وأموالهم فى سبيل الله

---

(١) على اختلاف الرافضة فى ذلك بحسب فرقهم وما ذهبت إليه كل فرقة منهم .

(٢) وقعة الحرة مشهورة كانت سنة ثلاث وستين أيام خلافة يزيد بن معاوية ، وسميت بذلك نسبة إلى « حرة واقم » قرب المدينة . انظر هامش صفحة : ٢٩٣ من المنتقى من منهاج الاعتدال .

(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٣٨٦ – ٣٨٧

ودافعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهجروا أوطانهم وقاسوا ألوان العذاب ، ومرارة العيش استجابة للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، لا يعقل أن يتصورهم يفترون ويكذبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهم الذين نشؤوا فى رعايته ، وتخرجوا فى جامعته ، ونهلوا من معينه ، وتأسوا بعمله ، فكانوا على جانب عظيم من التقى والورع والخشية ، لذلك ننفى إقدام الصحابة الكرام على الكذب على رسول الله .

وإن ما نقله بعض أهل الأهواء — من أن بعض الصحابة والتابعين كانوا يضعون فى على عليه السلام الأخبار القبيحة التى تقتضى الطعن فيه والبراءة منه ، إرضاء لمعاوية الذى (جعل لهم على ذلك جُعلا يرغب فى مثله فاختلقوا ما ارضاه . منهم : أبو هريرة ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير [1]) إن ما نقله هؤلاء وغيرهم لا يرقى إلى الصحة ، وتاريخ الصحابة ينفى هذه الادعاءات ويدحض مثل هذه المزاعم .

وإن الواقع التاريخى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته ينفى كل افتراء على الصحابة فى هذا الموضوع ، والصحابة أسمى بكثير من أن يخوضوا فى الكذب والوضع ، وهم الذين سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواطن كثيرة قوله : « مَنْ تعمدَ علىَّ كذبا فليتبوأ مقعدَهُ من النار [2] » وقوله صلى الله عليه وسلم « إن كذباً علىَّ ليسَ ككذبٍ على أحدٍ ،

---

(١) نقله ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافى ، انظر شرح نهج البلاغة طبعة بيروت ص ٤٦٧ جـ ١ وقد رددنا رداً مفصلا على هذا الادعاء فى الفصل الثانى من (أبى هريرة) ، وانظر كتابنا « أبو هريرة راوية الإسلام » .

(٢) أخرجه الشيخان والترمذى والنسائى وابن ماجه والدارقطنى وأخرج نحوه الإمام أحمد انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ .

مَنْ كذب عليَّ فليتبوأ مقعدَهُ مِنَ النارِ[1] ، فلا يعقل أن يقدم أحد من الصحابة — بعد أن عرف جزاء الكذب على رسول الله — على وضع واختلاق ما لم يقله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعقل أن يجازف أحد منهم بالنور النبوى الذى خالط قلبه وروحه ، فيطفئه بوضع حديث فى سبيل دعم فكرة أو للانتصار لحزب أو للتقرب من شخص ، وإن أية محاولة فى سبيل إثبات الوضع من قبل الصحابة ستبوء بالفشل ، لكثرة الأدلة القاطعة على ورعهم وخشيتهم وبعدهم عن المعاصى ، واعتزال أكثرهم الفتن وابتعادهم عن الضلالات والبدع ، بل إن الأدلة على أنهم كانوا حفظة للشريعة يذبون عن السنة التحريف والتأويل أكثر من أن تحصى ، ولو فرضنا جدلا وقوع الوضع من بعض الصحابة — وهذا بعيد — فإن ذلك سينكشف أمره وينتقل إلينا كما انتقلت أخبار كثير من الحوادث الجليلة والدقيقة[2] ويقوى هذا عندنا ، ذلك الوعى الرفيع الذى كان يتميز به الصحابة وكبار التابعين ، إلى جانب رسوخهم فى الحديث النبوى الشريف ، الذى يسهل عليهم معرفة الصحيح من الموضوع ، وراء هذا كله جرأتهم

---

(١) أخرجه الشيخان والترمذى عن المغيرة بن شعبة ، أنظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٢ : ب .

(٢) وقد ذكر لنا المؤرخون والمحدثون حادثة واحدة كذب فيها رجل على رسول الله فكان مصيره الموت : اخرج الطبرانى فى الأوسط من عبد الله بن عمرو أن رجلا لبس حلة مثل حلة النبى صلى الله عليه وسلم ثم أتى أهل بيت من المدينة فقال : إنه عليه الصلاة والسلام أمرنى أى أهل بيت من المدينة شئت استطلعت ، فأعدوا له بيتا وأرسلوا رسولا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبروه ، فقال : لأبى بكر وعمر انطلقا إليه فان وجدتماه حيا قد كفيتماه ، ولا أراكما إلا قد كفيتماه ، فحرقاه ، فأتياه فوجداه قد خرج من الليل يبول فلدغته حية فمات ، فحرقاه بالنار ثم رجعا إليه صلى الله عليه وسلم فأخبراه الخبر ، فقال عليه السلام : « من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » . انظر : تمييز المرفوع عن الموضوع ص ٤ : ب . وفى سنده عطاء بن السائب قد اختلط . انظر مجمع الزوائد ص ١٤٥ ج ١ .

المثالية فى الحق ، وهى جرأة لم ترض لهم أن يسكتوا عن آبائهم وأعز الناس إليهم إذا انحرفوا عن سواء السبيل ، ولم يكن يخيفهم آنذاك سلطان الحاكم ، ولا نفوذ القوى ، بل كثيرا ما كانوا يعترضون على الحكام والعلماء وغيرهم ، يبينون وجه الحق ، لا يخافون فيه لومة لائم . وإن التاريخ الإسلامى ليعتز بذلك الجيل الذى تمثل الإسلام ، وعمل به فكان قدوة حسنة للأجيال التالية ، وإن هذا كله ليدفع كل شبهة تحوم حول إيقاع الصحابة فى نار الوضع[1] .

وكما نفينا عن الصحابة انغماسهم فى الوضع ننفى عن كبار التابعين وعلمائهم ذلك أيضا ونقرر أنه إذا حصل الوضع فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، فإنما صدر عن بعض المستهترين الجاهلين من طبقة التابعين وأتباع التابعين ، الذين حملتهم الخلافات السياسية والأهواء الشخصية على انتحال الكذب ، ووضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى هذا العصر — عصر التابعين — كان الوضع أقل من الوضع فى عصر أتباع التابعين ، لكثرة الصحابة والتابعين الذين مارسوا السنة وبينوا السقيم من الصحيح ، ولعدم تفشى التحلل والكذب فى الأمة ، لقربها من عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لا تزال متأثرة بتوجيهاته ، محافظة على وصاياه ، تعمها التقوى والورع والخشية ، كل هذا خفف من انتشار الكذب والوضع ، إلى جانب أن دواعى الوضع وأسبابه كانت ضيقة محدودة فى نشأتها الأولى ، ثم كثرت وازدادت فيما بعد .

---

(١) لقد سبق أن بينت أن الصحابة كانوا لا يكذبون فى عهد الرسول وبعد وفاته فى بحث (تلقى الصحابة السنة من الرسول الكريم) صفحة : ٥٧ وكيف كانوا يصدق بعضهم بعضا ، وانظر المحدث الفاصل ص ٣٢ : ب ـ ٣٣ : آ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٢ : آ

ونرى الأحاديث الموضوعة قد ظهرت بكثرة في العراق ، حيث قامت أكثر الفتن والحوادث في هذا الإقليم ، كما نشأت بذور الفرق الدينية فيه ، وكادت ثقة المحدثين تفقد بعلماء هذا القطر ، لولا قيام نقاد الحديث ورجاله وعلمائه بالكشف عن الكذابين ، وبيان أحوالهم وتتبعهم .

وقد اشتهرت العراق بالوضع حتى سميت « دار الضرب » تضرب فيها الأحاديث كما تضرب الدراهم ، وكان أهل المدينة يتوقون أحاديثهم ، وكان مالك يقول : « نزلوا أحاديث أهل العراق منزلة أحاديث أهل الكتاب : لا تصدقوهم ولا تكذبوهم . وقال له عبد الرحمن بن مهدى : يا أبا عبد الله ، سمعنا في بلدكم — (المدينة) — أربعمائة حديث في أربعين يوما ، ونحن (أي في العراق) في يوم واحد نسمع هذا كله ، فقال له : يا عبد الرحمن ، من أين لنا دار الضرب التي عندكم ؟ دار الضرب تضربون بالليل وتنفقون بالنهار[١] » وقال ابن شهاب : « يخرج الحديث من عندنا شبرا فيعود في العراق ذراعا[٢] » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لجماعة من أهل العراق جاؤوا يسألونه أن يحدثهم: « إن من أهل العراق قوماً يَكْذِبُون ويكذِّبون ويسخرون[٣] » .

* * *

ثانياً — أسباب الوضع

ذكرت فيما سبق أن أسباب الوضع الرئيسية هي انقسام الأمة إلى أحزاب سياسية ، اتخذت شكلا دينياً ، وحاول كل حزب أن يدعم موقفه ويؤيد آراءه

(١) المنتقى من منهاج السنة ص ٨٨ ، ثم قال ابن تيمية بعد هذا : (ومع هذا إنه كان في الكوفة وغيرها من الثقات الأكابر كثير .)

(٢) ضحى الاسلام ص ١٥٢ ج ٢

(٣) طبقات ابن سعد ص ١٣ قسم ٢ ج ٤

بوضع أحاديث على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدادت الأسباب التى كان لها أثر بعيد فى وضع الحديث ، ونجمل هذه الأسباب فيما يلى :

١ — الأحزاب السياسية :

كان أول ما ظهر عقب فتنه أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه شيعة الإمام على ، وحزب معاوية ، ثم ظهر الخوارج بعد وقعة « صفين » ، وسنتناول بإيجاز أثر كل حزب فى وضع الحديث .

(أ) أثر الشيعة وخصومهم فى وضع الحديث :

قال ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة : « إن أصل الأكاذيب فى أحاديث الفضائل كان من جهة الشيعة ، فإنهم وضعوا فى مبدأ الأمر أحاديث مختلفة فى صاحبهم ، حملهم على وضعها عداوة خصومهم . فلما رأت البكرية ما صنعت الشيعة وضعت لصاحبها أحاديث فى مقابلة هذه الأحاديث[1] » .

ومما يؤسف له أن بعض أهل الأهواء وأعداء الإسلام اتخذوا التشيع ستاراً لتحقيق أهوائهم ، والوصول إلى مآربهم ، فكان كثير من الفتن يقوم باسمهم ، فنكب أهل البيت نكبات متوالية ، ذهب ضحيتها خيرة أبناء أمير المؤمنين على رضى الله عنه وأحفاده ، وسجل لهم التاريخ مآسى تنفطر لها القلوب ، وتقشعر لها الأبدان ، كل ذلك بسبب استغلال أعداء الدين اسم أهل البيت ، وهؤلاء المستغلون هم الذين وضعوا الأحاديث فى سبيل تأييد حركاتهم وشجعوا على وضعها[2] .

---

(١) شرح نهج البلاغة ص ٢٦ ج ٣ .

(٢) من هذا ما روى عن أبى أنس الحرانى قال : قال المختار (الثقفى) لرجل من أصحاب الحديث — : ضع لى حديثا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كائن بعده خليفه مطالبا له بترة ولده ، وهذه عشرة آلاف درهم وخلعة ومركوب وخادم فقال له الرجل : أما عن النبى صلى الله =

وإنا لا نتصور قط أن يوافق الحسن أو الحسين أو محمد بن الحنفية أو جعفر الصادق أو زيد بن علي وغيرهم من أهل البيت على الكذب على رسول الله جدهم وهم على جانب عظيم من الورع والتقى والصفاء ، وإن أهل البيت لأرفع بكثير من أن يكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لهذا أحببت أن أبين من أول هذا البحث أن أهل البيت براء من هذا كله ، وإنما حمل إثم الوضع باسمهم من لف حولهم من شيعتهم ، وكثر الوضع ، وأساؤوا إلى إمامهم علي رضي الله عنه أكثر مما أحسنوا إليه بذلك . قال أبو الفرج بن الجوزي : « فضائل علي الصحيحة كثيرة ، غير أن الرافضة لا تقنع ، فوضعت له ما يضع ، لا ما يرفع[1] » .

وقد كثر الوضع منهم حتى أساءوا إلى سمعة العراق ، وأصبح أهل المدينة يتوقون حديثهم ، (وصار الأمر يشتبه على من لا يميز بين هذا وهذا ، بمنزلة الرجل الغريب إذا دخل إلى بلد نصف أهله كذابون خوانون ، فإنه يحترس منهم حتى يعرف الصدوق الثقة[2] ..) ، وقال أحد أصحاب علي رضي الله عنه : « قاتلهم الله ! أي علم أفسدوا[3] » ، وقال عامر الشعبي : « ما كُذِبَ على أحد في هذه الأمة ما كُذِبَ على علي رضي الله عنه[4] . » ، ويقول ابن تيمية : « وكذِبُ الرافضة مما يضرب به المثل[5] » ، وقال ابن المبارك : « الدين لأهل الحديث ، والكلام والحيل لأهل الرأي ، والكذب للرافضة[6] » ، و « سئل

= عليه وسلم فلا ، ولكن اختر من عشت من الصحابة ، وحط لي من الثمن ما شئت، قال : عن النبي صلى الله عليه وسلم أوكد ، والمناب عليه أشد . انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ نقله من ابن الجوزي .

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠

(٢) المرجع السابق ص ٨٨

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٣ ج ١

(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١

(٥ و ٦) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠ .

مالك رضى الله عنه عن الرافضة ، فقال : لا تكلموهم ، ولا تروعنهم ، فإنهم يكذبون[١] » ، وقال الشافعى : « لم أر أحـــدا أشهد بالزور من الرافضة[٢] » ، وقال يزيد بن هارون : « يكتب عن كل مبتدع — إذا لم يكن داعية — إلا الرافضة ، فإنهم يكذبون[٣] » ، وقال حماد بن سلمة : « حدثنى شيخ لهم تاب — يعنى الرافضة — قال : كنا إذا اجتمعنا ، فاستحسنا شيئا — جعلناه حديثا[٤] » .

وقد صنع الشيعة أحاديث كثيرة ، وحرفوا بعض الأحاديث حسب أهوائهم وفرقهم التى كانت تزداد يوما بعد يوم ، فوضعوا أحاديث فى مناقب على رضى الله عنه ، وأخرى وضعوها فى مثالب معاوية والأمويين ، وكتب الموضوعات مملوءة بأكاذيبهم ، وسنذكر بعض ما وضعوا على سبيل المثال ، ونبين أثره فى الأحزاب المعادية لهم .

وكان يهم الشيعة إثبات وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى بالخلافة من بعده ، فوضعوا كثيراً من الأحاديث فى هذا ، منها : «وصيى ، وموضع سرى، وخليفتى فى أهلى ، وخير من أخلف بعدى — على[٥]» و « يا على ، أخصك بالنبوة ولا نبى بعدى[٦] . » و« إن لـكل نبى وصيا ووارثا ، وإن وصيى ووارثى على بن أبى طالب[٨] »وحديث « لما أن عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم أراه الله من

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الـكفاية ص ١٢٦ .
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢١ ، وانظر الـكفاية ص ١٢٦
(٣) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٢٢ وانظر الجرح والتعديل ص ٢٨ قسم ١ ج ١
(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢
(٥) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩
(٦) اللآلىء المصنوعة ص ٣٢٣ ج ١
(٧) اللآلىء المصنوعة ص ٣ ج ١

العجائب فى كل سماء ، فلما أصبح جعل يحدث الناس من عجائب ربه ، وكذبه من كذبه من أهل مكة ، وصدقه من صدقه ، فعند ذلك انقض نجم من السماء، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : فى دار من وقع هذا النجم فهو خليفتى من بعدى ، وطلبوا ذلك النجم فوجدوه فى دار على بن أبى طالب رضى الله عنه، فقال أهل مكة : ضل محمد وغوى ، وهوى أهل بيته ، ومال إلى ابن عمه ، فعند ذلك نزلت هذه السورة « والنجم إذا هوى . . ! ![1] » وحديث « خُلقت أنا وعلى من نور ، وكنا على يمين العرش . . .[2] » وافتنوا فى وضع الأحاديث كما يحبون ويهوون ، من ذلك « ستكون فتنة ، فإن أدركها أحد منكم فعليه بخصلتين : كتاب الله وعلى بن أبى طالب . . . . وهو خليفتى من بعدى[3] » ، و « من لم يقل على خير الناس فقد كفر[4] » ، و « النظر إلى على عبادة[5] » ، و « حب على يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب[6] » ، و « من أراد أن ينظر إلى آدم فى علمه ، ونوح فى فهمه ، وإبراهيم فى حكمه ، ويحيى فى زهده ، وموسى فى بطشه — فلينظر إلى على[7] » ، و « من مات وفى قلبه بغض لعلى بن أبى طالب — فليمت يهوديا أو نصرانيا[8] » ، وحديث « مثلى مثل شجرة ، أنا أصلها ، وعلى فرعها ، والحسن والحسين ثمرتها ، والشيعة ورقها ، فأى شىء يخرج من الطيب إلا الطيب[9] » ، و حديث : « من أحبنى فليحب عليا ، ومن أبغض عليا

---

(١) الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٦٩ وانظره فى المنتقى من منهاج السنة ص ٤٢٦ وفى رواية « فهو الوصى من بعدى » ، واختراع اسطورة الوصى كانت من عند عبد الله بن سبأ انظر هامش الصفحة ٣٠٧ من المنتقى من منهاج السنة .

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٤٢

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٤٥

(٤) الفوائد المجموعة ص ٣٤٧

(٥) المرجع السابق ص ٣٥٩

(٦) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٧) المرجع السابق ص ٣٦٧

(٨) الفوائد المجموعة ص ٣٧٣

(٩) المرجع السابق ص ٣٧٩

فقد أبغضني ، ومن أبغضني فقد أبغض الله ، ومن أبغض الله أدخله الله النار[١] » ، وحديث : « يا علي ، إن الله غفر لك ولذريتك ولوالديك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك[٢] » .

وإلى جانب هذا وضع الشيعة أخبارا بشعة تنال من أبي بكر وعمر وغيرهما يزعمون فيها إساءة هؤلاء الصحابة إلى علي رضي الله عنه وأهله ، وفي هذا يقول ابن أبي الحديد : (فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة . . . وأن عمر ضغطها بين الباب والجدار . . . وجعل في عنق علي حبلا يقاد به فكله لا أصل له عند أصحابنا ولا يثبته أحد منهم ، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه ، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله[٣]) .

لقد رأى بعض الوضاعين من الأحزاب الأخرى أن هذه الأحاديث تنتقص أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، فوضعوا مقابلها أحاديث أخرى ترفع من شأن الشيخين ومعاوية ، من ذلك الحديث الموضوع : « لما عرج بي إلى السماء قلت : اللهم اجعل الخليفة من بعدي علي بن أبي طالب ، فارتجت السموات ، وهتف بي الملائكة من كل جانب ، يامحمد اقرأ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ، قد شاء الله أن يكون من بعدك أبو بكر الصديق[٤] » ، وما روي عن عبد الله بن جراد قال : « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتي بفرس فركبه ثم قال : يركب هذا الفرس من يكون الخليفة بعدي ، فركبه أبو بكر[٥] » .

---

(١) الفوائد المجموعة ص٣٨٣ (٢) المرجع السابق ص ٣٨٤
(٣) شرح نهج البلاغة ص ١٥٨ ــ ١٥٩ ج ١ (٤) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٣٤٥ ج ١
(٥) المصدر السابق ص ٣٤٦ ج ١

وحديث « أن أبا بكر قال للنبى صلى الله عليه وسلم : إنى كنت معك فى الصف الأول ، فكبرتَ وكبرتُ فاستفتحت بالحمد فقرأتُها ، فوسوس إلىّ شىء من الطهور فخرجتُ إلى باب المسجدِ ، فإذا أنا بهاتف يهتف بى وهو يقول : وراءك ، فالتفت ، فإذا أنا بقدح من ذهب مملوء ماء أبيض من الثلج وأعذب من الشهد ، وألين من الزبد ، عليه منديل أخضر مكتوب عليه لا إله إلا الله الصديق أبو بكر ، فأخذت المنديل فوضعته على منكبى ، وتوضأت للصلاة وأسبغت الوضوء ، ورددت المنديل على القدح ، ولحقتك وأنت راكع الركعة الأولى فتممتُ صلاتى معك يا رسول الله ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أبشر يا أبا بكر ، الذى وضأك للصلاة جبريل ، والذى مندلك ميكائيل ، والذى مسك ركبتى حتى لحقت الصلاة إسرافيل [(١)] »

وحديث « إن الله جعل أبا بكر خليفتى على دين الله ووحيه ، فاسمعوا له تفلحوا ، وأطيعوه ترشدوا [(٢)] » ، وحديث « عرج بى إلى السماء ، فما مررت بسماء إلا وجدت فيها إسمى مكتوباً محمد رسول الله ، وأبو بكر الصديق من خلفى [(٣)] » ، وحديث « إن الله فى السماء يكره أن يخطأ أبو بكر الصديق [(٤)] » ، وحديث « لما أسرى بى رأيت فى السماء خيلا موقوفة مسرجة ملجمة . . . رؤوسها من الياقوت الأحمر . . . ذوات أجنحة ، فقلت : لمن هذه ؟ فقال جبريل : هذه لمحبى أبى بكر وعمر ، يزورون الله عليها يوم القيامة [(٥)] » ، وحديث عن

---

(١) الفوائد المجموعة ص ٣٣٠ ، وقد روى نحو هذا لعلى بن أبى طالب وفيه : ذكر السطل والمنديل ، والسكل كذب موضوع . انظر الفوائد المجموعة ص ٣٣١

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٢

(٣) الفوائد المجموعة ص ٣٣٣

(٤) المرجع السابق ص ٣٣٥

(٥) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ ج ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٧

عبد الله بن أبى أوفى « رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متكئا على على ، وإذا أبو بكر وعمر أقبلا ، فقال : يا أبا الحسن أحبهما فبحبهما تدخل الجنة[١] » ، وحديث « إن فى السماء الدنيا ثمانين ألف ملك يستغفرون الله لمن أحب أبا بكر وعمر ، وفى السماء الثانية ثمانون ألف ملك يلعنون من أبغض أبا بكر وعمر[٢] » ، وحديث « ما فى الجنة شجرة إلا مكتوب على كل ورقة منها لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، أبو بكر الصديق وعمر الفاروق ، وعثمان ذو النورين[٣] » .

ووضع بعض الكذابين من حزب معاوية بعض الأحاديث ، منها « أن جماعة من بنى هاشم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحول الكتابة من معاوية ، فنزل الوحى باختياره[٤] » ، ووضعوا أحاديث مطولة فى كتابته آية الكرسى وغيرها ، ذكرتها كتب الموضوعات ، منها « أنه صلى الله عليه وسلم أخذ القلم من يد على فدفعه إلى معاوية[٥] » ، و « الأمناء عند الله ثلاثة : أنا وجبريل ومعاوية[٦] . » ، وحديث « أن النبى صلى الله عليه وسلم ناول معاوية سهما وقال : خذ هذا السهم حتى تلقانى به فى الجنة[٧] » ، وما روى عن ابن عباس أنه « جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وسلم بورقة آس أخضر مكتوب عليها : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، حب معاوية فرض على عبادى[٨] » ،

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٣٤٧ ج ١ والفوائد المجموعة ص ٣٣٨

(٢) الفوائد المجموعة ص ٣٣٨ (٣) المرجع السابق ص ٣٤٢

(٤) الفوائد المجموعة ص٤٠٣ وانظر تنزية الشريعة المرفوعة ص ١٩ ج ٢ ذكره بطوله .

(٥) الفوائد المجموعة ص ٤٠٣

(٦) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٤ ونحوه فى ص ٦ ج ٢

(٧) تنزيه الشريعة ص ٦ ج ٢

(٨) المرجع السابق ص ٢١ ج ٢

وحرف الشيعة حديث « اللهم اركسهما فى الفتنة ركساً ، اللهم دعهما إلى النار دعا[1] » فى أنه قيل فى معاوية وعمرو بن العاص حين كانا يتغنيان ، والواقع أنهما لم يفعلا شيئاً من هذا ، إنما قيل هذا فى معاوية بن رافع وعمرو بن رفاعة ابن التابوت ، فحرف الراوى الأسماء .

ووضع بعضُ المغرضين من أتباع حزب معاوية « . . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا هريرة ، إن فى جهنم كلاباً زرق الأعين ، على أعرافها شعر كأمثال أذناب الخيل ، لو أذن الله تعالى لـكل منها أن تبلع السموات السبع فى لقمة واحدة لهان ذلك عليه ، تسلط يوم القيامة على من لعن معاوية بن أبى سفيان[2] » .

وأمثال هذه الأحاديث كثيرة ، كلها من صيغة الأحزاب المتناوئة ، التى حاولت أن تدعم بها موقفها ، وترفع من قدر أصحابها وزعمائها ، وكان بوسع هؤلاء الابتعاد عن الـكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتفين بما للصحابة من فضائل ثابتة ، ولـكن الهوى ساق بعضهم إلى ذلك والجهل أعمى قلوب بعضهم .

وقد رأى بعض ذوى النيات الحسنة ما كان من هذه الأحزاب ، وما دار بينهم من طعون مختلفة تناولت الصحابة ، وانتقصتهم وكادت تقضى على فضائلهم ، فدفعهم حبهم للصحابة جميعا إلى وضع أحاديث تذكر فضلهم ، وترفع من شأنهم ، وتبيّن أنه لا فرق بين الخلفاء الأربعة ، وقد ظن هؤلاء — بحسن نيتهم — أنهم يفعلون خيراً ، لأنهم يمنعون بوضع هذه الأحاديث اللعن التى

---

(١) تنزيه الشريعة ص ١٦ جـ ٢ ، والفوائد المجموعة ص ٤٠٧

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٢٣ جـ ٢

كان يتبادله أتباع كل صحابى ، ويقطعون دابر الشتم والسباب فيجمعون أمر الأمة وكأنهم لم يعلموا أنهم يفتئتون على رسول الله الكذب . ومن ذلك حديث : « إن الله أمرنى أن أتخذ أبا بكر والدا ، وعمر مشيرا ، وعثمان سندا ، وأنت يا على ظهيراً . أنتم أربعة ، قد أخذ الله لكم الميثاق فى أم الكتاب ، لا يحبكم إلا مؤمن تقى ، ولا يبغضكم إلا منافق مسىء ، أنتم خلفاء نبوتى ، وعقد ذمتى[1] » حديث « ينادى مناد يوم القيامة من تحت العرش : أين أصحاب محمد ؟ فيؤتى بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم[2] » ، و « أبو بكر وزيرى ، والقائم فى أمتى من بعدى ، وعمر حبيبى ينطق على لسانى ، وأنا من عثمان وعثمان منى ، وعلى أخى وصاحب لوائى[3] » ، و « أبو بكر أوزن أمتى وأرحمها ، وعمر بن الخطاب خير أمتى وأكملها ، وعثمان بن عفان أحيى أمتى وأعدلها ، وعلى بن أبى طالب ولى أمتى وأوسعها ، وعبد الله بن مسعود أمين أمتى وأوصلها ، وأبو ذر أزهد أمتى وأرقها ، وأبو الدرداء أعدل أمتى وأرحمها ، ومعاوية بن أبى سفيان أحلم أمتى وأجودها[4] » ، و « من شتم الصديق فإنه زنديق ، ومن شتم عمر فمأواه سقر ، ومن شتم عثمان فخصمه الرحمن ، ومن شتم عليا فخصمه النبى صلى الله عليه وآله وسلم[5] » ومن حديث طويل : « .. ثم قال — رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا لعنة الله على مبغضى أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى[6] » .

وإذا رجعنا إلى كتب الموضوعات رأينا أن الشيعة قد أسرفوا فى الوضع أكثر من غيرهم .

(١ و ٢) الفوائد المجموعة ص ٣٨٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٣٨٦ .
(٤) الفوائد المجموعة ص ٤٠٩
(٥) المرجع السابق ص ٣٣٩
(٦) المرجع السابق ص ٣٣٨

(ب) الخوارج ووضع الحديث :

لم نعثر فى المراجع القريبة منا على ما يدل على وضع الخوارج للحديث ، أو على اعتمادهم على ذلك لدعم موقفهم وإثبات دعواهم ، اللهم إلا ما ذكر عن ابن لهيعة قال : سمعت شيخا من الخوارج تاب ورجع ، وهو يقول : « إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا[1] » . وما رواه عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم قال : « قال لى رجل من الخوارج : إن هذا الحديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، إنا كنا إذا هوينا أمرا جعلناه فى حديث[2] » . وما رواه السيوطى : « روى عن شيخ خارجى أنه قال : إن هذه الأحاديث دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم ، فإنا كنا إذا هوينا أمرا صيرناه حديثا[3] » .

هذه أخبار ثلاثة بمعنى واحد ، وطرق مختلفة ، تدل على وضع الخوارج للحديث . إلا أننا لم نجد دليلا يثبت عليهم هذا بين الأحاديث الموضوعة ، وربما كان عدم كذبهم هذا لاعتقادهم أن مرتكب الكبيرة كافر ، والكذب من الكبائر .

وهناك أدلة كثيرة على أنهم أصدق من نقل الحديث ، ومن هذا ما قاله ابن تيمية للرافضة فى الرد عليهم : « ونحن نعلم أن الخوارج شر منكم ، ومع هذا فما نقدر أن نرميهم بالكذب ، لأننا جربناهم ، فوجدناهم يتحرون الصدق لهم

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى و آداب السامع ص ١٨ : ب وانظر المدخل للحاكم ص ١٩

(٢) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ٨٣ : آ

(٣) اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

وعليهم[١] » ، كما قال أيضا : « ومن تأمل كتب الجرح والتعديل رأى المعروف عند مصنفيها بالكذب فى الشيعة أكثر منهم فى جميع الطوائف ، والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتى قيل إن حديثهم من أصح الحديث[٢] » . وقال أبو داود « ليس فى أصحاب الأهواء أصح حديثا من الخوارج[٣] » .

لابد لنا بعد هذا من مخرج لما روى عنهم من الكذب ، فالأخبار الأولى تدل على وقوع الوضع منهم ، باعتراف أحد شيوخهم ، إلا أننا لم نعرف هذا الشيخ !! وقد روى الخطيب عن حماد بن سلمة[٤] نحو حديث ابن لهيعة عن (شيخ من الرافضة) ، فى نفس الصفحة التى روى فيها خبر ابن لهيعة ، فيمكن أن يحمل على أنه خطأ من الكاتب أو الراوى . وإذا فرضنا أنه خطأ ، فما موقفنا من الخبرين الآخرين اللذين لا سبيل إلى تسرب الخطأ إليهما ؟ إلا أن الأخبار التى تدل على صدقهم تعارض هذه الروايات ، والبحث لا يؤدى إلى دليل يدين الخوارج بالوضع فلا بد من حمل تلك الأخبار على وهم الراوى : أن « الشيخ » خارجى ، وهو ليس كذلك . وأُرَجِّحُ من هذا أن الخبرين ضعيفان لجهالة « الشيخ » .

وأما ما روى عن عبد الرحمن بن مهدى : أن الخوارج والزنادقة قد وضعوا هذا الحديث « إذا أتاكم عنى حديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقَ كتابَ الله فأنا قلته . . » — فقد فند الدكتور مصطفى السباعى هذا القول ، وبين أنه

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال ص ٤٨٠
(٢) المرجع السابق ص ٢٢
(٣) الكفاية ص ١٣٠
(٤) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨ : ب

من وضع الزنادقة[1] . وهكذا يثبت أن الخوارج لم ينغمسوا فى حمأة الوضع ، لما عرف عنهم من الورع والتقوى .

٢ — أعداء الإسلام (الزنادقة) :

لقد قوضت دولة الإسلام دولتى كسرى وقيصر ، وقضت على عروش الملوك والأمراء الذين كانوا يحكمون الشعوب الخاضعة لهم ، يذيقونها العذاب ويستنزفون خيراتها ، ويسترقون أبناءها ، وكان حول هؤلاء الحكام طبقة من الخواص والمستغلين ، الذين يفيدون من وراء أولئك الملوك والأمراء ، وكانت لهم وسائلهم الخاصة فى استغلال رعاياهم ، فعندما انتشر الإسلام ، وخالط قلوب الأمم المظلومة ، والشعوب المغلوبة على أمرها من قبل رعاتها — تذوق هؤلاء نعمة الحرية ، وشعروا بالكرامة الإنسانية ، فى حين أفلتت السلطة من يد الحكام ، وخسروا مناصبهم ، وضاعت تلك المنافع التى كانوا ينالونها باستغلال أبناء الشعب ، الذى عرف قيمة الحياة بعد أن حطم قيود الظلم باعتناق الإسلام ، ولم يرق الوضع الجديد أولئك المتسلطين ، فأضمروا الحقد والكيد للإسلام والمسلمين ، ولم يستطيعوا أن يحققوا آمالهم بقوة السيف ، لقوة الدولة الإسلامية ، فراحوا ينفرون المسلمين من العقيدة الجديدة ، بدس الأباطيل والأكاذيب السخيفة على رسول الله ، قاصدين من وراء ذلك إبعاد الناس عن الإسلام ، الذى حاولوا أن يصوروه أبشع الصور فى عقائده وعباداته وأفكاره ، وظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة ، وتحت أسماء فرق متعددة ، إلا أنهم لم يوفقوا إلى

---

(١) انظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٩٧ .

ما أرادوا ، وباءت محاولاتهم بالفشل أمام قوة الإسلام ، وسمو مقاصده ، وصفاء عقيدته .

وسنذكر أمثلة موجزة مما صنعوه ليضللوا أتباع الدين ، وينفروا منه من يحب اعتناقه ، فمن ذلك : ما رووه : « أن نفرا من اليهود أتوا الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا من يحمل العرش ؟ فقال : تحمله الهوام بقرونها ، والمجرّة التى فى السماء من عرقهم ، قالوا : نشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] » . قال أبو القاسم البلخى : « هذا والله تقوّلٌ ، وقد أجمع المسلمون على أن الذين يحملون العرش ملائكة[2] » ، وحديث « عن النبى صلى الله عليه وسلم : المجرّةُ التى فى السماء عرق الأفعى التى تحت العرش[3] » . وقال أبو القاسم : « وما يستجيز أن يروى مثل هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا من لا يبالى بدينه ، ومتى قال المسلمون إن تحت العرش أفعى ؟ وهل يجوز أن يكون هذا إلا من دسيس الزنادقة ليقبحوا الإسلام[4] » ؟ ، وحديث : « قيل : يارسول الله ، مم ربنا ؟ قال : من ماء مرور ، لا من أرض ولا سماء ، خلق خيلا فأجراها ، فعرقت ، فخلق نفسه من ذلك العرق[5] » . إنه لا يضع مثل هذه الأحاديث مسلم ولا عاقل ! !

وإن هؤلاء لأشد ضررا وبلاء على الإسلام من غيرهم ، فقد كان منهم من يفحش فى الكذب والافتراء ، ومن هؤلاء عبد الكريم بن أبى العوجاء ، الذى اعترف قبل أن تضرب عنقه بوضعه الحديث ، فقال : « والله لقد وضعت فيكم

(١ و ٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ١٤

(٥) تنزية الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١

أربعة آلاف حـديث ، أحرم فيها الحـلال ، وأحل فيها الحرام[١] » وقال المهدى : « أقر عندى رجل من الزنادقة أنه وضع أربعمائة حديث ، فهى تجول فى أيدى الناس[٢] » وقال حماد بن زيد : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم إثنى عشر ألف حديث ، بثوها فى الناس[٣] » ، وفى رواية قال : « وضعت الزنادقة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر ألف حـديث[٤] » .

إلا أن هذه الأحاديث لم تخف على رجال هذا العلم ، فبينوها وتتبعوا الـكاذبين الذين وضعوها .

٣ — التفرقة العنصرية والتعصب للقبيلة والبلد والإمام :

اعتمد الأمويون فى إدارة دولتهم وتسيير أمورها على العرب خاصة، وتعصب بعضهم للعرب والعربية ، وربما نظر بعض العرب إلى المسلمين من العناصر الأخرى نظرة لا توافق روح الإسلام ،حتى إن طبقة الموالى «وهم المسلمون من غير العرب» شعرت بهذه العنصرية ، فكانوا يحاولون المساواة بينهم وبين العرب وانتهزوا أكثر الاضطرابات والحركات الثورية فانضموا إليها فى سبيل تحقيق ذلك ،[٥]

---

(١) اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ . وعبد الـكريم هذا خال معن بن زائدة الشيبانى المعروف وقد أمر بضرب عنقه محمد بن سليمان بن على أمير مـكة وقال الذهبى فى الميزان : أمير البصرة ، انظر توضيح الأفكار ص ٧٥ ج ٢ ، وانظر ميزان الاعتدال ص ١٤٤ ج ٢ .

(٢) الـكفاية ص ٤٣١ ، واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

(٣) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٢ ، والـكفاية ص ٤٣١

(٤) تدريب الراوى ص ١٨٦ وتوضيح الأفـكار ص ٧٥ ج٢ . وذكر عنه أربعة آلاف ، انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ ، وأظن أنه خطأ مطبعى أو خطأ من الراوى .

(٥) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن إبراهيم حسن ص ٣٤٢ ج ١

وإلى جانب هذا كانوا يبادلون العرب الاعتزاز والفخار ، فحملهم هذا على وضع أحاديث ترفع من قدرهم ، وتبين فضائلهم ، ومن ذلك حديث : « إن كلام الذين حول العرش بالفارسية ، وإن الله إذا أوحى أمرا فيه لين أوحاه بالفارسية ، وإذا أوحى أمرا فيه شدة أوحاه بالعربية[1] » فوضع مقابله حديث « أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية ، وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية[2] » ، وحديث : « دعونى من السودان إنما الأسود لبطنه وفرجه[3] » .

ومنشأ وضع الأحاديث فى فضائل بعض القبائل العربية يرجع — فى غالب ظنى — إلى إثارة تلك العصبية القبلية التى ظهرت فى الدولة الأموية عقب وفاة يزيد بن معاوية[4] .

وكما وُضعت أحاديث فى الجنس والقبيلة واللغة وضعت أحاديثُ فى تفضيل البلدان والأئمة ، وأظن أن انتقال مركز إدارة الدولة الإسلامية من بلد إلى آخر كان له أثر بعيد فى دفع بعض المتعصبين إلى وضع الأحاديث فى فضائل بلدانهم أو أئمتهم .

ومما لا شك فيه أن التعصب للأئمة لم يظهر إلا فى القرن الثالث الهجرى ، ولم تبد هذه الظاهرة إلا من الأتباع الجاهلين ، فوُضعت أحاديث كثيرة فى فى فضائل البلدان منها : « أربع مدائن من مدن الجنة فى الدنيا : مكة ، والمدينة ،

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٦ ج ١
(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٧ ج ١
(٣) المرجع السابق ص ٣١ ج ٢
(٤) انظر تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن ص ٣٣٧ ج ١

وبيت المقدس ، ودمشق[١] ... » وفى الأئمة حديث : « يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتى من ابليس ، ويكون فى أمتى رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتى[٢] » ، و « سيأتى من بعدى رجل يقال له النعمان ابن ثابت ويكنى أبا حنيفة ، ليحيين دين الله وسنتى على يديه[٣] » .

٤ — القصاصون :

ظهرت حلقات القصاصين والوعاظ فى أواخر عهد الخلافة الراشدة[٤] ، وكثرت هذه الحلقات فيما بعد فى مختلف مساجد الأقطار الاسلامية[٥] ، وكان بعض القصاص لا يهمه إلا أن يجتمع الناس عليه ، فيضع لهم ما يرضيهم من الأحاديث التى تستثير نفوسهم ، وتحرك عواطفهم ، وقد كان معظم البلاء من هذا الصنف الذى يكذب على رسول[٦] الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى فى ذلك إثما ولا بهتانا .

ومما يؤسف له أن هؤلاء القصاص — على تعالمهم وكذبهم على رسول الله

---

(١) تنزية الشريعة المرفوعة ص ٤٨ ج ٢

(٢ و ٣) المرجع السابق ص ٣٠ ج ٢

(٤) استشار تميم الدارى — صحابى مشهور — عمر رضى الله عنه ليقص على الناس فأبى عليه ولم يسمح له انظر ص ١٨ : ب من تمييز المرفوع عن الموضوع . وعن نافع عن ابن عمر أنه لم يقص على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا على عهد أبى بكر ولا عمر ولا عثمان وإنما قص حين وقعت الفتنة انظر كتاب العلم المقدسى ص ٥٢ ، وانظر ذكر أخبار أصبهان ص ١٣٦ ج ١ ، طبع ليدن سنة ١٩٣١ .

(٥) انظر الخطط للمقريزى ص ٢٤٦ و ٢٥٦ ج ٢ حيث يذكر بعض القصاص والمساجد التى كانوا يقصون فيها ، وكذلك البيان والتبين ص ٣٦٨ ج ١

(٦) انظر اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٩ ج ٢

صلى الله عليه وسلم — قد وجدوا آذانا تسمع لهم وتصدقهم وتدافع عنهم ، وكان هؤلاء من جهلة العامة التى لايهمها البحث والتقصى .

ومما وضعه القصاص حديث : « إن فى الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحلل ، ومن أسفلها خيل بلق من ذهب مسرجة ملجمة بالدر والياقوت ، لا تروث ولا تبول ، ذوات أجنحة ، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاءوا[1] .. »

وقد قاوم رجال الحديث القصاص ، وبينوا كذبهم ، فلقوا من أتباعهم الإنكار والأذى ، وفى ذلك حوادث طريفة منها : أن الشعبى أنكر على أحد القصاص فى بلاد الشام ، فقامت عليه العامة تضربه ، ولم يدعه أتباع القاص حتى قال الشعبى برأى شيخهم نجاة بنفسه[2] .

وكان رجال الحديث ينهون طلابهم وإخوانهم عن مجالسة القصاص ، من ذلك ما رواه عاصم قال : « كنا نأتى أبا عبد الرحمن السلمى ونحن غلمة أيفاع ، فكان يقول لنا : لا تجالسوا القصاص غير أبى الأحوص ، وإياكم وشقيقا ، قال وكان شقيق هذا يرى رأى الخوارج وليس بأبى وائل[3] .

وكان بعض هؤلاء القصاص شحاذين يضعون من الحديث ما يرغب الناس فى الإحسان إليهم والعطف عليهم ، من هذا ما روى ابن الجوزى باسناده إلى أبى جعفر بن محمد الطيالسى ، قال : « صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة ، فقام بين أيديهم قاص فقال : « حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، قالا حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة طيرا منقاره من ذهب ،

---

(١) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ٣٧٨ ج ٢

(٢) انظر تمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٦ : ب ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٠٠ ج ١

وريشه من مرجان ! ! وأخذ فى قصة نحوا من عشرين ورقة ، فجعل أحمد بن حنبل ينظر إلى يحيى بن معين ، وجعل يحيى بن معين ينظر إلى أحمد ، فقال له : حدثته بهذا ! ؟ فيقول : والله ما سمعت هذا الا الساعة ، فلما فرغ من قصصه وأخذ العطيات ، ثم قعد ينتظر بقيتها ، قال له يحيى بن معين بيده : تعال ، فجاء متوهما لنوال ، فقال له يحيى : من حدثك بهذا الحديث ؟ ! فقال أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ! فقال : أنا يحيى بن معين ، وهذا أحمد ابن حنبل ، ما سمعنا بهذا قط فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين أحمق ، ما تحققت هذا إلا الساعة ! كأن ليس فيها يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما ؟ وقد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ! ! فوضع أحمد كمه على وجهه ، وقال : دعه يقوم ، فقام كالمستهزىء بهما[1] » ! !

وكان من هؤلاء القصاص المتكسبين من يحفظون أسانيد مشهورة ، يكررونها كالببغاء ويلصقون بها ما يضعون من الأحاديث العجيبة بكل وقاحة وصفاقة وجه ، كما فعل القاص المذكور مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ، وكما فعل قاص آخر حكى عنه أبو حاتم البستى جهله وكذبه ، قال أبو حاتم : دخلت مسجدا ، فقام بعد الصلاة شاب فقال : « حدثنا أبو خليفة : حدثنا أبو الوليد عن شعبة عن قتادة عن أنس ، وذكر حديثا ، قال أبو حاتم : « فلما فرغ دعوته ، قلت : رأيت أبا خليفة ؟ قال : لا ، قلت : كيف تروى عنه ولم تره ؟ فقال : إن المناقشة معنا من قلة المروءة ! أنا أحفظ هذا الإسناد ،

---

(١) الباعث الحثيث ص ٩٣ ـ ٩٤ ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ : آ ـ ١٤٩ : ب ، وتمييز المرفوع عن الموضوع ص ١٦ : ب ، وتوضيح الأفكار ص٧٦ ـ ٧٧ ج ٢

فكلما سمعت حديثاً ضممته إلى هذا الإسناد ! ![١] » .

وقد بين أيوب السختيانى أثر القصاص فى إفساد الحديث فقال : ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص وقال أيضاً : ما أمات العلم إلا القصاص[٢] .

والأحاديث التى وضعها القصاص فى القرن الأول قليلة ، ازدادت فيما بعد ، وقد كشف عنها رجال هذا العلم وبينوا واضعيها وتتبعوهم حتى تميز الصحيح من الباطل .

٥ — الرغبة فى الخير مع الجهل بالدين :

بينت فيما تقدم أن بعض ما حدث من الفتن ، وما ترتب عليه من ظهور الفرق والأحزاب السياسية والدينية ، قد دفع هذه الأحزاب إلى وضع الأحاديث لتأييد مذاهبهم ، ورفع شأن زعمائهم ، والحط من قيمة خصومهم ، وقد ظهر إثر هذا بعضُ الصالحين والزهاد والعباد ، الذين ساءهم هذا الإنشقاق وتفرقة الأمة ، فوضعوا الأحاديث يقربون فيها بين المتخاصمين ويرفعون قدر زعمائهم جميعا ، ومع الزمن ساء هؤلاء أن يروا إنشغال الناس بالدنيا عن الآخرة ، فوضعوا أحاديث فى الترهيب والترغيب حسبة لله[٣] ، وقد حملهم جهلهم بالدين

---

(١) الباعث الحثيث ص ٩٣ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٧ : ب .

(٣) ومن هذا ما يرويه على بن المدينى أن جرير بن عبد الواحد روى أن عبد الله بن المسور كان « يضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يضع إلا ما فيه أدب أو زهد ، فيقال له فى ذلك ، فيقول : إن فيه أجرا . » انظر ص ٧ — ٨ قبول الأخبار . وعبد الله بن المسور هو نفسه أبو جعفر المدائنى الهاشمى الذى أرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما =

على استساغة ما سولت لهم أنفسهم ليرغبوا الناس فى صالح الأعمال ، وكأن هذه الثروة من الأحاديث النبوية التى لا يدرك البيان وصفها — لم تشف صدورهم ، ولم ترو ظمأهم ، فراحوا يضعون الأكاذيب على رسول الله ، وإذا ما ذكِّروا بقوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ كَذَبَ علىَّ متعمِداً فليتبوأ مقعدهُ مِنَ النار » قالوا : نحن ما كذبنا عليه ، إنما كذبنا له[1] . ومن الغريب والمؤسف أن صلاحهم خدع العامة ، فكانوا يصدقونهم ويثقون بهم ، فكان خطرهم شديداً على الدين[2] ، بل هم أعظم ضرراً من غيرهم ، لما عرفوا به من الصلاح والورع والزهد ، الذى لا يتصور معه العامى إقدام مثل هؤلاء الصالحين على الكذب ، وفى هذا يروى محمد بن يحيى بن سعيد القطان عن أبيه قوله : « لم نر الصالحين فى شىء أكذب منهم فى الحديث[3] . » وقال أبو عاصم النبيل : « ما رأيت الصالح يكذب فى شىء أكثر من الحديث[4] » ، وفى رواية عن يحيى بن سعيد القطان : « ما رأيت الكذب فى أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى الخير والزهد[5] » .

ومما وضعه الصالحون أحاديث فضائل السور ، وفى هذا يروى الحاكم بسنده

=حقا ليس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتمله الناس فى الدعاء ونحوه . انظر أيضا قبول الأخبار ص ١٥ وعبد الله بن المسور هذا هو الذى يروى عنه خالد بن أبى كريمة انظر ترجمة فى ميزان الإعتدال ص ٧٨ ج ٢ ترجمة (٥٦٣) وذكر الإمام مسلم هذا فى صحيحه : انظر مسلم بشرح النووى ص ١٠٧ ج ١ .

(١) انظر اختصار علوم الحديث ص ٨٦

(٢) انظر تدريب الراوى ص ١٨٤

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٤ ج ١ ، ونحوه فى مقدمة التمهيد ص ١٤ : آ ، وفى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٩ : آ

(٤) المحدث الفاصل ص ٨٣ : آ

(٥) اللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

إلى ابى عمار المروزى أنه قيل لأبى عصمة نوح بن أبى مريم : « من أين لك ، عن عكرمة عن ابن عباس فى فضائل القرآن سورة سورة وليس عند أصحاب عكرمة هذا ؟ فقال : إنى رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن ، واشتغلوا بفقه أبى حنيفة، ومغازى ابن اسحاق ، فوضعت هذا الحديث حسبة[1] » ، وقال ابن مهدى لميسرة بن عبد ربه : « من أين جئت بهذه الأحاديث : من قرأ كذا فله كذا ؟ قال : وضعتها أرغب الناس فيها[2] » ، وقال أبو عبد الله النهاوندى لغلام خليل — هو أحمد بن محمد بن غالب الباهلى — : « ما هذه الرقائق التى تحدث بها ؟ قال : « وضعناها لنرقق بها قلوب العامة[3] » ، وقد كان مشهوراً بزهده حتى عرف بزاهد بغداد ، وقد غلقت أسواق بغداد لموته[4] ، وحمل فى تابوت إلى البصرة ، وكان يحفظ علماً كثيراً ؛ ومع هذا لم يحمل عنه العلماء وبينوا أمره وأمر غيره .

٦ — الخلافات المذهبية والكلامية :

وكما دعم أتباع الأحزاب السياسية آراءهم وأحزابهم بوضع الأحاديث ؛ وضع أتباع المذاهب الفقهية والكلامية أحاديث لتأييد مذاهبهم ؛ من هذا ما روى أنه قيل لمحمد بن عكاشة الكرمانى : إن قوما يرفعون أيديهم فى الركوع وفى الرفع منه ، فقال : حدثنا المسيب بن واضح . . . . عن أنس مرفوعا

(١ و ٥) تدريب الراوى ص ١٨٤ ، واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢

(٣) ميزان الإعتدال ص ٦٦ — ٦٧ ج ١ ، وتدريب الراوى ص ١٨٥ واللآلىء المصنوعة ص ٢٤٨ ج ٢ .

(٤) كانت وفاته فى رجب من سنه (٢٧٥ هـ) . انظر ميزان الإعتدال ص ٦٧ ج ١

« من رفع يديه فى الركوع فلا صلاة له[1] » ، وحديث : « كل ما فى السموات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن ، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود ، وسيجىء أقوام من أمتى يقولون القرآن مخلوق ، فمن قال منهم فقد كفر بالله العظيم ، وطلقت امرأته من ساعته ، لأنه لا ينبغى لمؤمنة أن تكون تحت كافر إلا أن تكون سبقته بالقول[2] » وعلائم الوضع ظاهرة جلية فى تعليلاته وركاكة لفظه .

ومن هذا ما رواه زهير بن معاوية قال أخبرنا محرز أبو رجاء — وكان يرى رأى القدر فتاب منه — فقال : لا ترووا عن أحد من أهل القدر شيئا ، فوالله لقد كنا نضع الأحاديث ندخل بها الناس فى القدر نحتسب بها ، ولقد أدخلت أربعة آلاف من الناس . قال زهير : فقلت له : كيف تصنع بمن أدخلتهم ؟ قال : ها أنا ذا أخرجهم الأول فالأول[3] .

٧ — التقرب من الحكام وأسباب أخرى :

لم يذكر أحد — فيما اطلعت — أن أحدا من رجال الحديث أو غيرهم تقرب من خلفاء بنى أمية وأمرائهم بوضع ما يرضى ميولهم من الحديث ، اللهم إلا ما اتهم به الشيعة بعض الصحابة والتابعين فى ذلك ، وقد رددنا هذا فى الفصل

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨١ ، والباعث الحثيث ص ٩٠ وقال فيه عن الحاكم : فهذا مع كونه كذبا من أنجس الكذب ، فان الرواية عن الزهرى بهذا السند بالغة مبلغ القطع باثبات الرفع عند الركوع وعند الاعتدال ، وهى فى الموطأ وسائر كتب الحديث أ ه من لسان الميزان ص ٢٨٨ — ٢٨٩ ج ٥ .

(٢) تنزيه الشريعة المرفوعة ص ١٣٤ ج ١

(٣) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ وفيه (هوذا) وما أثبته أصوب .

الثانى من « أبى هريرة » ، وطبيعى ان يتقرب بعض المرائين إلى الطبقة الحاكمة بوضع ما يرضيهم من الحديث ، وقد حدث هذا فعلا فى عهد العباسيين ، فقد أسند الحاكم « عن هارون بن أبى عبيد الله عن أبيه قال : قال المهدى ألا ترى ما يقول لى مقاتل ؟ قال : إن شئت وضعت لك أحاديث فى العباس ، قلت لا حاجة لى فيها[1] » .

وقد كذب غياث بن إبراهيم للمهدى فى حديث « لا سبق إلا فى نصل أو خف أو حافر » ، فزاد فيه أو جناح حين رآه يلعب بالحمام ، فتركها المهدى بعد ذلك ، وأمر بذبحها ، بعد أن أعطاه عشرة آلاف درهم ، وقال فيه بعد أن ولى : « أشهد على قفاك أنه قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] » وإن هذا الإنكار من المهدى لا يكفى ، بل كان عليه ألا يعطيه عشرة آلاف درهم من أموال المسلمين ، لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يمنعه من هذا ويزجره ويحبسه إذا لم يشأ أن يقتله[3] .

وهناك أسباب أخرى بينها رجال الحديث ، وضربوا لها الأمثال ، مثال ذلك ما أسنده الحاكم عن سيف بن عمر التميمى ، قال : كنت عند سعد ابن طريف ، فجاء ابنه من الكتاب يبكى ، فقال : مالك ؟ قال : ضربنى المعلم . قال : لأخزينهم اليوم ، حدثنى عكرمة عن ابن عباس مرفوعا : معلمو صبيانكم

---

(١) تدريب الراوى ص ١٨٧ والباعث الحثيث ص ٩٤ وأبو عبيد الله هو وزير للمهدى .

(٢) المدخل ص ٢٠ – ٢١ والباعث الحثيث ص ٩٤ ، وتدريب الراوى ص ١٨٧ ، وتوضيح الأفكار ص ٧٦ ج ٢ .

(٣) راجع السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ١٠٤ فقد كتب أستاذنا الدكتور السباعى كلمة طيبة جريئة لما كان اتساهل الخلفاء والأمراء مع الوضاعين من أثر سيء فى الدين .

شراركم ، أقلهم رحمة لليتيم ، وأغلظهم على المسكين[1] » . وحديث : « خير تجارتكم البز، وخير أعمالكم الخرز[2] » ،و «من سيادة المرء خفة عارضيه[3] » ، و « الناس أكفاء إلا حائك أو حجام[4] » .

ومن الوضاعين من جعل الأسانيد المشهورة للحكم القديمة ، وللأقوال المعسولة ، ومنهم من وضع الحديث للإغراب ليُقصدوا بالطلب لما عندهم من غريب الحديث ، وهؤلاء من جهال أهل الحديث ، بل من المتطفلين على الحديث النبوى وعلمائه ، ومنهم من وضع الأحاديث فى أصناف معينة من المآكل لترويجها ، أو فى مهن خاصة للرفع من قدرها .. وفى غير هذا وذاك ، وقد بين العلماء جميع هذا ، ووضعوا قواعد علمية دقيقة لحفظ الحديث .

---

(١) انظر تدريب الراوى ص ١٨٠ ــ ١٨١ ، والباعث الحثيث ص ٨٩ حيث قال : وسعد بن طريف هذا ، قال فيه ابن معين : « لا يحل لأحد أن يروى عنه » وقال ابن حبان : « كان يضع الحديث » وراوى القصة عنه سيف بن عمر ، قال فيه الحاكم : اتهم بالزندقة وهو فى الرواية ساقط » أ هـ .

(٢ و ٣ و ٤) قبول الأخبار ص ٢١ وانظر فى المدخل ص ٢٤ بعض ما وضعه الكذابون فى الشهوات والملذات .

الفصل الثاني

جهود الصحابة والتابعين وأتباعهم في مقاومة الوضع

كاد الوضاعون يسيئون إلى الدين إساءة خطيرة ، ويشوهون بكذبهم وجه الإسلام ، ويدخلون فى تعاليمه ماليس منه ، لولا عناية الله عز وجل الذى حفظ الإسلام من التحريف والتبديل ، وصان كلام نبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يكون مطية لأهل الأهواء ، وقيض للأمة رجالا أمناء مخلصين ، قاوموا الوضاعين وتتبعوهم ، ومازوا الباطل من الصحيح ، فلولا الجهود التى بذلها الصحابة والتابعون وعلماء الأمة من بعدهم لاشتبه على كثير من الناس بعض أمور دينهم ، لكثرة ما اختلقه الكذبة الوضاعون ، ونسبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً . وان المنصف لا يسعه إلا أن يقف اجلالا واكباراً لجهود علماء الأمة التى بذلوها — منذ عصر الصحابة الى أن تم تدوين السنة — فى تنقيح السنة الشريفة وتطهيرها مما أدخلته فيها يد الوضع ، وإن المرء ليزداد إعجابا بتلك القواعد العلمية الدقيقة التى طبقها العلماء ، وبذلك المنهج الخاص الذى اتبعوه فى سبيل الحفاظ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولندرك قيمة بحثهم ودراستهم وصبرهم وتتبعهم ازاء تلك الكثرة من الأحاديث الموضوعة ، التى يصعب استقصاؤها وحصرها — يكفينا لهذا أن نعلم أنه قد وضع أعداء الإسلام بشهادة حماد بن زيد أربعة عشر ألف حديث ، وأن عبد الكريم بن أبى العوجاء اعترف بوضع أربعة آلاف حديث ، وأقر محرز أبو رجاء القدرى التائب بأنهم وضعوا أحاديث فى القدر أدخلت أربعة آلاف

إنسان فيه ، وغير هؤلاء كثيرون ، فكانت مهمة العلماء شاقة لما يحف بها من الحذر ، وما يترتب عليها من الآثار الجليلة فى الدين والدنيا ، وبفضل الله ورحمته ذللت تلك الصعوبات على أيدى جهابذة الأمة ، الذين شهد بعلمهم وفضلهم وحسن منهجهم ودقة قواعدهم علماء المشرق والمغرب ، وحفظت السنة من عبث العابثين وتأويل المغرضين ، وتحريف الجاهلين المضلين ، وصدق ابن المبارك حين قيل له : هذه الأحاديث الموضوعة ! ! ؟ فقال تعيش لها الجهابذة « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ[1] » .

ونستعرض الآن ما بذله علماء الأمة فى سبيل حفظ الحديث الشريف ، فقد بحثوا فى كل ما يتعلق بالحديث النبوى رواية ودراية ، وخطوا خطوات جليلة كفلت سلامة السنة من العبث ، ونحن نلخصها فيما يلى :

أولا — التزام الإسناد :

لم يكن المسلمون فى صدر الإسلام — منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى فتنة عثمان — يكذب بعضهم بعضا ، بل كانت الثقة تملأ صدورهم ، والإيمان يعمر قلوبهم ، حتى إذا ما وقعت الفتنة ، وتكونت الفرق والأحزاب ، وبدأ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتخذ مطية لأهل الأهواء — وقف الصحابة والتابعون من هذه الظاهرة وقفة قوية للحفاظ على الحديث الشريف ، وأصبحوا يشددون فى طلب الإسناد من الرواة ، والتزموه فى الحديث ، لأن السند للخبر كالنسب للمرء ، ويخبرنا الإمام محمد بن سيرين عن ذلك فيقول : « لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا سموا

(١) تدريب الراوى ص ١٨٤ والكفاية ص ٣٧ ، والجرح والتعديل ص ١٨ ج ١ وروى عن عبد الرحمن بن مهدى نحو هذا فى توضيح الافكار ص ٧٩ ج ٢ والآية ٩ : الحجر .

لنا رجالكم ، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم[١] » .

وهذا لا يدل على أن الصحابة والتابعين لم يكونوا يسندون الأحاديث قبل الفتنة بل كان بعضهم يسند ما يروى تارة ولا يسنده أخرى ، لأنهم كانوا على جانب كبير من الصدق والأمانة والاخلاص ، وهناك أمثلة واضحة تبين اسناد الصحابة للروايات قبل الفتنة ، من هذا ما حدث به على رضى الله عنه البراء بن عازب « أن فاطمة أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تحل ، فحلت ونضحت البيت بنضوح[٢] » . وكان أبو أيوب الأنصارى يحدث عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يسمعه من رسول الله عليه الصلاة والسلام[٣] . وقد حدث الصحابة بعضهم عن بعض .

وخلاصة القول أن المسلمين قبل الفتنة لم يلتزموا الإسناد دائما لما كانوا عليه من الصدق والأمانة ، علما بأن الاسناد لم يكن طارئا وجديدا على العرب بعد الإسلام ، بل عرفوه قبل الإسلام ، وكانوا أحيانا يسندون القصص والاشعار فى الجاهلية[٤] . وإنما التزم هذا التثبت فى الاسناد بعد الفتنة فى عهد صغار الصحابة وكبار التابعين ، وفى هذا يروى الامام مسلم بسنده المتصل عن

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٤ ج ١ وسنن الدارمى ص ١١٢ ج ١ ومحمد بن سيرين تابعى جليل ولد سنة ٣٣ هـ وتوفى سنة ١١٠ هـ انظر ترجمته فى الباب الخامس من هذه الرسالة .

(٢) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨٢ : ب

(٣) انظر البداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ ، وسير أعلام النبلاء ص٤٣٦ ج ٢

(٤) وقد ينتهى الإسناد إلى الشاعر أو إلى راويته ، ولم يكن التزام الإسناد المتصل دائما بل من النادر ، أما الإسناد المرسل فهو أكثر و « يكاد يكون ملتزما فى رواية الأدب التزاما لا اخلال فيه » انظر : مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٥٨ .

مجاهد قال : « جاء بشير العدوى[١] إلى ابن عباس ، فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ، ولا ينظر إليه ، فقال : يا ابن عباس ، مالى لا أراك تسمع لحديثى ، أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتدرته أبصارنا ، وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا مانعرف[٢] » . وفى رواية عن طاوس « فجعل — بشير — يحدثه فقال له ابن عباس : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، ثم حدثه ، فقال له : عد لحديث كذا وكذا ، فعاد له ، فقال له : ما أدرى أعرفت حديثى كله وأنكرت هذا أم أنكرت حديثى كله وعرفت هذا ؟ فقال له ابن عباس : إنا كنا نحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ لم يكن يُكْذب عليه ، فلما ركب الناس الصعب والذلول تركنا الحديث عنه[٣] » ، وكان بعدهم التابعون يسألون عن الإسناد ويلتزمونه ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر عن الشعبى عن الربيع بن خُثَيم قال : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، وهو على كل شيء قدير ، عشر مرات كن له كمعتق رقاب أو رقبة : قال الشعبى فقلت للربيع بن خثيم : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عمرو بن ميمون الأودى فلقيت عمرو بن ميمون ، فقلت : من حدثك بهذا الحديث ؟ فقال : عبد الرحمن بن أبى ليلى . فلقيت ابن أبى ليلى فقلت : من

---

(١) هو بشير — مصغراً — ابن كعب بن أبى الحبر العدوى ، أبو أيوب البصرى ثقة ، مخضرم من الطبقة الثانية ، وفاته قبل سنة مائة من الهجرة . انظر تقريب التهذيب ص ١٠٤ ج ١

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨١ ج ١

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٨٠ ص ج ١

حدثك ؟ قال : أبو أيوب الأنصارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] »
قال يحيى بن سعيد : « وهذا أول ما فتش عن الإسناد[٢] » .

وقال أبو العالية : « كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رضينا حتى رحلنا إليهم ، فسمعناها من أفواههم[٣] » وكان التابعون وأتباعهم يتواصون بطلب الإسناد ، قال هشام بن عروة : « إذا حدثك رجل بحديث فقل عمن هذا[٤] ؟ » ، وكان الزهرى إذا حدث أتى بالإسناد ويقول : « لا يصلح أنْ يُرْقى السطحُ إلا بدَرَجه[٥] » ، وقال الأوزاعى : « ما ذهاب العلم إلا ذهاب الإسناد[٦] » ، وقال سفيان الثورى : « الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن معه سلاح فبأى شىء يقاتل[٧] ؟ » ، ويقول عبد الله ابن المبارك : الإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[٨] ، وعنه أنه قال : « بيننا وبين القوم القوائم يعنى الإسناد[٩] » .

وقد أتقن التابعون الإسناد وبرزوا فيه كما برزوا فى غيره من علوم الحديث وفى هذا يقول أبو داود الطيالسى : « وجدنا الحديث عند أربعة : الزهرى ، وقتادة ، وأبى اسحاق ، والأعمش ، فكان قتادة أعلمهم بالاختلاف ، والزهرى

---

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٤ : ب ، وقطار المحدث الفاصل ص ٢٠ : آ
(٢) المحدث الفاصل ص ٢٠ : آ
(٣) مقدمة التمهيد ص ١٥ : آ ونحوه فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٨ : ب
(٤) الجرح والتعديل ص ٣٤ ج ١
(٥) المرجع السابق ص ١٦ ج ١
(٦) مقدمة التمهيد ص ١٥ : ب
(٧) شرف أصحاب الحديث ص ٨٠ : ب مخطوط دار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم (ب — ٢٣٧٣٦) ومن مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق ص ٣٩ ج ١ .
(٨) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٨٧ ج ١
(٩) المرجع السابق ص ٨٨ ج ١

أعلمهم بالإسناد ، وأبو اسحاق أعلمهم بحديث على وابن مسعود ، وكان عند الأعمش من كل هذا . . [١] » .

وأصبح الإسناد أمراً بدهياً مسلما به عند العامة والخاصة ، ويظهر هذا فيما يرويه الأصمعى فيقول : « حضرت ابن عيينة وأتاه أعرابى فقال : كيف أصبح الشيخ يرحمه الله ؟ فقال سفيان : بخير نحمد الله ، قال : ماتقول فى امرأة من الحاج حاضت قبل أن تطوف بالبيت ؟ فقال : تفعل ما يفعل الحاج غير أنها لا تطوف بالبيت ، فقال : هل من قدوة ؟ قال : نعم ، عائشة حاضت قبل أن تطوف بالبيت ، فأمرها النبى صلى الله عليه وسلم أن تفعل ما يفعل الحاج غير الطواف ، قال هل من بلاغ عنها ؟ قال نعم حدثنى عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة بذلك . قال الأعرابى : لقد استسمنت القدرة ، وأحسنت البلاغ ، والله لك بالرشاد [٢] » ، وقال المدائنى سمع أعرابى رجلا يحدث بأحاديث غير مسندة فقال : لِمَ ترسلها بلا أزمة ولا خطم [٣] ؟ » .

ولا يطعن فيما قررناه من التزام التابعين للاسناد المتصل ماروى عن بعض التابعين من المراسيل ، لأن هناك روايات تؤكد أن التابعى كان يذكر من حدثه عندما يسأل عن الإسناد ، ومن هذا ما يرويه ابن عبد البر باسناده المتصل عن مالك بن أنس قال : « كنا نجلس إلى الزهرى وإلى محمد بن المنكدر فيقول الزهرى : قال ابن عمر كذا وكذا ، فإذا كان بعد ذلك جلسنا إليه فقلنا له : الذى ذكرت عن ابن عمر من أخبرك به ؟ قال : ابنه سالم . وقال حبيب بن الشهيد : قال لى محمد بن سيرين : سل الحسن ممن سمع حديث العقيقة ، فسألته ، فقال :

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ١٠٨ ج ١

(٢) الكفاية ص ٤٠٤

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ، نسخة الإسكندرية ص ١٦٤ : ب .

من معمرة . قال أبو عمر (ابن عبد البر) : فهكذا مراسيل الثقات ، إذا سئلوا أحالوا على الثقات . وقال سليمان الأعمش : قلت لإبراهيم : إذا حدثتني حديثاً فأسنده ، فقال : إذا قلت : عن عبد الله يعني ابن مسعود فاعلم أنه عن غير واحد (عنه) ، وإذا سميت أحدا فهو الذي سميت[1] » .

ومن هنا يتبين لنا أن أكثر من أرسلوا الحديث كانوا على جانب كبير من العلم ، وكانوا يعرفون السند ، وإنما لم يذكروه اختصاراً ، ويظهر لنا هذا فيما روى عن حماد بن سلمة قال : « كنا نأتي قتادة فيقول : بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغنا عن عمر ، وبلغنا عن علي ، ولا يكاد يسند ، فلما قدم حماد بن أبي سليمان البصرة جعل يقول : حدثنا إبراهيم وفلان وفلان ، فبلغ قتادة ذلك ، فجعل يقول : سألت مطرفا ، وسألت سعيد بن المسيب ، وحدثنا أنس بن مالك ، فأخبر بالإسناد[2] » ، ولم يكونوا يسألونه عن السند لثقة القوم به ، ويدل على هذا ما رواه ابن سعد عن معمر قال : « كنا نجالس قتادة ونحن أحداث ، فنسأل عن السند ، فيقول مشيخة حوله : مه ، إن أبا الخطاب سند ، فيكسرونا عن ذلك[3] » .

ويقول شعبة : « كنت أجالس قتادة ، فيذكر الشيء فأقول : كيف إسناده ؟ فيقول المشيخة الذين حوله : إن قتادة سند ، فأسكت ، فكنت أكثر مجالسته ، فربما ذكر الشيء وأذكره ، فعرف مكاني ، ثم كان بعد يسند لي[4] » .

وهكذا نرى أن الإسناد المتصل كان قد أخذ نصيبه من العناية والاهتمام

(١) مقدمة التمهيد لابن عبد البر ص ١٠ ، وإبراهيم هو ابن يزيد النخعي .
(٢) طبقات ابن سعد ص ٧ قسم ٢ ج ٢ .
(٣) المرجع السابق ص ٧ قسم ٢ ج ٢ .
(٤) تقدمة الجرح والتعديل ص ١٦٦

فى عهد التابعين حتى أصبح من واجب المحدث أن يبين نسب ما يروى ، وقد شبه بعضهم الحديث من غير إسناد بالبيت بلا سقف ولا دعائم ، ونظموه فى قولهم :

والعلمُ إن فاته إسنادُ مسندِهِ ... كالبيتِ ليسَ لهُ سقفٌ ولا طنبُ[1]

وكان المحدث بإسناده الحديث يرفع العهدة عن نفسه ، ويطمئن إلى صحة ما ينقل عند ما ينتهى سنده المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] .

ثانياً: مضاعفة النشاط العلمى والتثبت فى الحديث :

من نعم الله عز وجل على المسلمين أن انبث الصحابة فى الأمصار والبلدان ، وكُتِبَ لبعضهم طول العمر ليساهموا فى حفظ السنة المحمدية إثر الفتنة ، وبعد ظهور الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان طلاب العلم يسمعون

---

(١) المحدث الفاصل ص ٢٢ : آ

(٢) ونثبت هنا كلمة للدكتور ناصر الدين الأسد عن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث : يقول : « ويبدو لنا أن مرد التزام الإسناد المتصل فى رواية الحديث إلى أمرين : أمر داخلى ، وآخر خارجى ، أما الداخلى فبعثه من نفس الراوى ، ومصدره شعوره بالتحرج الدينى ، وذلك أنه ينقل كلاما من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قال فى حديثه المشهور : « من كذب على فليتبوأ مقعده من النار » وفى الإسناد المتصل ما يجعل المحدث يطمئن إلى أن غيره من شيوخه وشيوخ شيوخه ، ثم التابعين والصحابة — يشتركون معه فى تحمل تبعة هذا الحديث ونقله ، وأنه لا يستقل وحده بحمل هذا العبء ، وأن تبعته لا تعدو النقل الأمين لما سمعه عن شيخ ثقة ثبت .

وأما الأمر الخارجى ، فمرجعه إلى سامعى الحديث من المحدث ، وذلك أن الحديث يتضمن جزءا كبيرا من السنة ، أو هو السنة كلها ، وهو من أجل ذلك مصدر من مصادر التشريع الإسلامى ، بل إنه هو المصدر الثانى الذى يلى فى القيمة كتاب الله ، فلذلك كان من التدقيق والتحقيق ، ومما يبعث الطمأنينة فى نفوس السامعين ، ويوحى إليهم بالثقة فى حديث المحدث — أن يصل بين عصره وعصر الرسول الكريم بسلسلة متصلة من الرواة المحدثين ، كلهم يشهد أنه سمعه ممن قبله حتى يصل الإسناد إلى الصحابة فالرسول » . مصادر الشعر الجاهلى ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

من الصحابة ، وإذا ما سمعوا من غيرهم أسرعوا إلى من عندهم من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ليتأكدوا مما سمعوا ، فكانوا يبينون لهم الغث من السمين ، من هذا ما فعل ابن عباس مع ابن أبي مليكة ، قال ابن أبي مليكة : « كتبت إلى ابن عباس أسأله أن يكتب لي كتاباً ويخفي عني[1] . فقال : ولد ناصح أنا أختار له الأمور إختياراً وأخفي عنه . قال : فدعا بقضاء علي فجعل يكتب منه أشياء ويمر به الشيء فيقول والله ما قضى بهذا علي إلا أن يكون ضــــل[2] » .

وكان كثير من طلاب العلم يرحلون إلى الصحابة ، يقطعون الفيافي والقفار ، للتأكد من حديث سمعوه من تابعي عندهم ، وهذا معنى قول أبي العالية السابق : كنا نسمع الرواية عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم . بل إن الصحابة رحل بعضهم إلى بعض في سبيل هذا ، فقد إرتحل أبو أيوب إلى عقبة بن عامر في مصر[3] ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في حديث[4] ، وغير هؤلاء ممن سبق ذكرهم .

وأما التابعون وأتباعهم فقد كانوا على نطاق واسع من التنقل والارتحال في سبيل تحمل الحديث عن الثقات ومذاكرة الأحاديث ، فهناك من ارتحل

---

(١) يخفي عني أي يكتم عني أشياء ولا يكتبها . انظر صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٢ جـ ١ ، ولعله كان يخفي عنه ما لا يثق بصحته .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ص ٨٢ جـ ١ .

(٣) انظر جامع بيان العلم ص ٩٣ جـ ١ .

(٤) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٦٨ : ب ، وجامع بيان العلم ص ٩٣ جـ ١ ، وتهذيب التهذيب ص ١٤٩ ـ ١٥٠ جـ ٥ .

إلى أبى الدرداء لحديث عنده فى دمشق[1] ، كما رحل ابن شهاب إلى الشام إلى عطاء بن يزيد وابن محيريز وابن حيوه ، ورحل يحيى بن أبى كثير إلى المدينة للقاء من بها من أولاد الصحابة ، ورحل محمد بن سيرين إلى الكوفة لباقى عبيدة وعلقمة وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، ورحل الأوزاعى إلى يحيى بن أبى كثير باليمامة ودخل البصرة ، كما رحل سفيان الثورى إلى اليمن[2] . . . وقال سعيد بن المسيب : « إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد[3] » وعن الزهرى عن ابن المسيب « إن كنت لأسير ثلاثاً فى الحديث الواحد[4] » .

وقد كان مسروق كثير الرحلة فى طلب الحديث ومذاكرته[5] ، وحدث الشعبى بحديث ثم قال لسامعه : « خذها بغير شىء ، قد كان الرجل يرحل فيما دونها إلى المدينة[6] » .

وكثيراً ما كان التابعون وأتباعهم يتذاكرون الحديث ، فيأخذون ما عرفوا ويتركون ما أنكروا ، قال الإمام الأوزاعى « كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف ، على الصيارفة فما عرفوا منه أخذنا ، وما تركوا تركناه[7] » وكانوا دائما يرجعون إلى من يثقون به ، فإذا ما اختلف سعيد وأبو

---

(١) انظر الجرح والتعديل ص ١٢ ج ١

(٢) انظر المحدث الفاصل ص ٣١ : آ

(٣) جامع بيان العلم ص ٩٤ ج ١ ، وتذكرة الحفاظ ص ٥٢ ج ١ ونحوه فى الجامع لأخلاق الراوى ص ١٦٩ : آ .

(٤) المحدث الفاصل ص ٢٨ : ب

(٥) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٩٤ ج ١

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٩٢ ونحوه فى ٩٣ و ٩٤ ج ١ .

(٧) الجرح والتعديل ص ٢١ ج ١ والمحدث الفاصل ص ٦٤ : آ

هلال وشعبة فى قتادة رجعوا إلى هشام الدستوائى[١] ، وإذا اختلف شعبة وسفيان الثورى قالا : « اذهبا بنا إلى الميزان مسعر[٢] » . وعن الأعمش قال : « كان إبراهيم النخعى صيرفيا فى الحديث ، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريقى عليه، فأعرض عليه ما سمعت ، وكنت آتى زيد بن وهب وضرباءه فى الحديث فى الشهر المرة والمرتين ، وكان الذى لا أكاد أغبه إبراهيم النخعى[٣] » .

وكان أئمة الحديث فى هذا العصر على جانب عظيم من الوعى والاطلاع ، فقد كانوا يحفظون الصحيح والضعيف والموضوع حتى لا يختلط عليهم الحديث ، وليميزوا الخبيث من الطيب ، وفى هذا يقول الإمام سفيان الثورى : « إنى لأروى الحديث على ثلاثة أوجه ، أسمع الحديث من الرجل أتخذه دينا ، وأسمع من الرجل أقف حديثه ، وأسمع من الرجل لا أعبأ بحديثه وأحب معرفته[٤] » ويروى لنا أبو بكر بن الأثرم « أن أحمد بن حنبل رأى يحيى بن معين بصنعاء فى زاوية ، وهو يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس ، فإذا طلع عليه إنسان

---

(١) انظر المحدث الفاصل ص ٧٦ : آ وسعيد أرجح أنه ابن أبى صدقه البصرى من الطبقة السادسة ، وأبو هلال هو محمد بن سليم الراسبى بصرى من الطبقة السادسة مات سنة ١٦٧ هـ ، وشعبة هو ابن الحجاج الإمام المشهور من الطبقة السابعة توفى سنة ١٦٠ هـ ، وهشام الدستوائى هو ابن عبد الله حافظ مشهور من كبار الطبقة السابعة ، توفى سنة ١٥٤هـ وله (٧٨) سنة . انظر تفصيل تراجمهم فى تهذيب التهذيب .

(٢) المحدث الفاصل ص ٧٥ ب وسفيان هو ابن سعيد الثورى أبو عبد الله الكوفى أمير المؤمنين فى الحديث ، إمام حجة من رؤوس الطبقة السابعة ، كان آية فى الحفظ توفى سنة (١٦١هـ) وله أربع وستون سنة . تهذيب التهذيب ص١١١ ـ ١١٥ جـ ٤ وانظر طبقات ابن سعد ص ٢٥٧ جـ ٦ ، ومسعر هو ابن كدام الهلالى العامرى ، أبو سلمة الكوفى ، كان آية فى الحفظ ثقة من الطبقة السابعة توفى سنة (١٥٢ هـ) . تهذيب التهذيب ١١٣ جـ ١ .

(٣) الجرح والتعديل ص ١٧ جـ ١ ، انظر ترجمة إبراهيم النخعى فى الباب الخامس من هذا الكتاب .

(٤) الكفاية ص ٤٠٢ ، وانظر الكامل لابن عدى ص ٢ جـ ١ وعنه إنى لأكتب الحديث على ثلاثة وجوه . . انظر الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ : ب

كتمه ، فقال له أحمد بن حنبل : تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة ، فلو قال لك قائل : إنك تتكلم فى أبان ثم تكتب حديثه على الوجه ؟ فقال : رحمك الله يا أبا عبد الله ، أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه فأحفظها كلها ، وأعلم أنها موضوعة حتى لا يجيء بعدم إنسان فيجعل بدل أبان ثابتا ، ويرويها عن معمر عن ثابت عن أنس بن مالك ، فأقول له : كذبت إنما هى عن معمر عن أبان لا عن ثابت[1] ! » .

ثالثاً : تتبع الكذابة :

إلى جانب احتياط العلماء وتثبتهم فى قبول الأخبار كان بعضهم يحاربون الكذابين علانية ويمنعونهم من التحديث ، ويستعدون عليهم السلطان . فقد كان عامر الشعبى « يمر بأبى صالح صاحب التفسير ، فيأخذه بأذنه ويقول : ويحك ! كيف تفسر القرآن وأنت لا تحسن أن تقرأ[2] . » وقال الشافعى : « لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ، كان يجيء إلى الرجل فيقول : لا تحدث وإلا استعديت عليك السلطان[3] » . وقد كان شعبة شديداً على الكذابين ، قال عبد الملك بن إبراهيم الجدى الثقة المأمون : « رأيت شعبة مغضباً مبادراً فقلت : « مه يا أبا بسطام ، فأرانى طينة[4] فى يده وقال : أستعدى على جعفر

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى ص ١٥٧ : ب .

(٢) قبول الأخبار ص ٤٢ ، وفيه أن أبا صالح اعترف للكلبى بأن كل ما حدثه كان كذبا .

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ : آ .

(٤) هكذا فى الأصل . والطينة واحدة الطين وهو الوحل ، ولعل الراوى أراد بها (اللبنة) بفتح اللام وكسر الباء واحدة اللبن التى يبنى بها الجدار ، ولعله قال ذلك باعتبار أصلها .

ابن الزبير يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] . » وفى رواية « على هذا يعنى جعفر بن الزبير ، وضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة حديث كذب[٢] . »

وعن حماد بن زيد قال : كلمنا شعبة أنا وعباد بن عباد وجرير بن حازم فى رجل ، فقلنا : لو كففت عنه ؟ قال : فكأنه لان ، وأجابنا ، قال : فذهبت يوماً أريد الجمعة ، فإذا شعبة ينادى من خلفى فقال : « ذاك الذى قلتم لى فيه لا أراه يسعى[٣] . » وكان شعبة يفعل هذا كله حسبة لله[٤] .

وعن أحمد بن سنان قال : سمعت عبد الرحمن بن مهدى يقول استعديت ، على عيسى بن ميمون فى هذه الأحاديث التى يحدثها عن القسم ، فقال : لا أعود[٥] .

وكان الإمام سفيان الثورى شديداً على الكذابين ، لا يتوانى عن إظهار عيوبهم ، وفى هذا يقول ابن أبى غنية : « ما رأيت رجلا أصفق وجها فى ذات الله من سفيان الثورى رحمه الله[٦] » . وحدث حماد المالكى[٧] — وكان كذاباً — حديثاً فجاءه عمرو الأنماطى وقال له : « والله لا تفارقنى حتى استعدى عليك ، فأقر أنه لم يسمعه من الحسن ، وحلف لا يحدث به ، (قال) فكتبت عليه كتاباً وأشهدت عليه شهوداً[٨] »، وكان بعض المحدثين لا يتحملون كذب هؤلاء،

---

(١) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤٩ : ب

(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ جـ ٢ (٣و٤) انظر الجرح والتعديل ص ٢١ جـ ١

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٥٠ : ب ويروى نحو هذا عن أبى الوليد الطيالسى انظر تهذيب التهذيب ص ٢٤٢ جـ ١٠ .

(٦) الكامل لابن عدى ص ٢ جـ ١ .

(٧) هو حماد بن مالك ويقال المالكى شيخ روى عن الحسن رموه بالكذب ص ٢٨٢ جـ ١ ميزن الاعتدال .

(٨) المحدث الفاصل ص ٦٣ : ب والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع : ١٥٠ : آ

فيضربونهم ويهددونهم بالقتل، روى الامام مسلم باسناده المتصل عن حمزة الزيات قال : « سمعَ مرّةُ الهَمْدانى من الحارث (الأعور) شيئا فقال له : اقعد بالباب ، قال: فدخل مُرّةُ وأخذ سيفه ، قال: وأحس الحارث بالشر فذهب[١] ».

وكان نتيجة هذا أن توارى كثير من الكذابين ، وكفوا عن كذبهم ، كما أصبح عند العامة وعى جيد : يميزون به بين المتطفلين على الحديث وأهله ورجاله الثقات ، ويدل على هذا مارواه ابن حجر عن يزيد بن هارون قال : « كان جعفر بن الزبير وعمران بن حُدَيْر فى مسجد واحد مصلاهما ، وكان الزحام على جعفر بن الزبير وليس عند عمران أحد ، وكان شعبة يمر بهما فيقول : ياعجبا للناس ! اجتمعوا على أكذب الناس وتركوا أصدق الناس ، قال يزيد : فما أتى عليه قليل حتى رأيت ذلك الزحام على عمران ، وتركوا جعفرا وليس عنده أحد[٢] » . ، وكان الناس لا يجرؤون على الكذب فى زمن سفيان الثورى ، لأنه كان شديدا على الكذابين : يكشف عنهم ، ويبين عوارهم ، وفيه قال قتيبة بن سعيد : « لولا سفيان الثورى لمات الورع[٣] » .

رابعا : بيان أحوال الرواة :

وكان لابد للصحابة والتابعين ومن تبعهم من معرفة رواة الحديث ،

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٩ ج ١ ، وكان الحارث الأعور كذابا من غلاة الشيعة توفى سنة (٦٥) هـ انظر صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٨ و ٩٩ ج ١ وانظر ميزان الاعتدال ص ٢٠٢ ج ١ ، ومرة هو ابن شراحيل الهمدانى أبو اسماعيل الكوفى تابعى ثقة عابد جليل توفى سنة (٧٦ هـ) انظر تهذيب التهذيب ص ٨٨ ــ ٨٩ ج ١٠ .

(٢) تهذيب التهذيب ص ٩١ ج ٢ .

(٣) الكامل لابن عدى ص ٢ ج ١ .

معرفة تمكنهم من الحكم بصدقهم أو كذبهم ، حتى يتمكنوا من تمييز الحديث الصحيح من المكذوب، لذلك درسوا حياة الرواة وتاريخهم ، وتتبعوهم فى مختلف حياتهم ، وعرفوا جميع أحوالهم ، كما بحثوا أشد البحث (حتى عرفوا الأحفظ فالأحفظ ، والأضبط فالأضبط ، والأطول مجالسة لمن فوقه ممن كان أقل مجالسة[1] » .. ، وقد قال سفيان الثورى : « لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ[2] » .

وكانوا يبينون أحوال الرواة وينقدونهم ويعدلونهم حسبة لله ، لا تأخذهم خشية أحد ولا تتملكهم عاطفة ، فليس أحد من أهل الحديث يحابى فى الحديث أباه ولا أخاه ولا ولده ، فهذا زيد بن أبى أنيسة يقول : « لا تأخذوا عن أخى[3] !!! » وقال على بن المدينى لمن سأله عن أبيه : « سلوا عنه غيرى ، فأعادوا المسألة ، فأطرق ، ثم رفع رأسه فقال : هو الدين ، إنه ضعيف[4] » ، « وكان وكيع بن الجراح لكون والده كان على بيت المال يقرن معه آخر إذا روى عنه[5] » .

وكان أئمة النقاد يعينون أياما للتكلم فى الرجال وأحوالهم ، قال أبو زيد الأنصارى النحوى : أتينا شعبة يوم مطر ، فقال ليس هذا يوم حديث ، اليوم يوم غيبة ، تعالوا نغتاب الكذابين[6] » ، وكانوا يأمرون طلابهم وإخوانهم أن يبينوا حال الراوى الذى يكثر غلطه ، والمتهم فى حديثه ، قال عبد الرحمن

---

(١) شرف أصحاب الحديث ص ٣٨ : ب .
(٢) الكامل لابن عدى ص ٤ : ب ، ج ٣ ، والكفاية ص ١١٩ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٢١ ج ١ .
(٤ و ٥) الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٦٦ .
(٦) الكفاية ص ٤٥ .

ابن مهدى : « سألت شعبة وابن المبارك والثورى ومالك بن أنس عن الرجل يُتهم بالكذب ، فقالوا : انشره ، فإنه دين[١] » ، وعن يحيى بن سعيد قال : « سألت سفيان الثورى وشعبة ، ومالكا وابن عيينة عن الرجل لا يكون ثبتاً فى الحديث ، فيأتينى الرجل فيسألنى عنه ، قالوا : أخبر عنه أنه ليس بثبت[٢] » .

وكان طلاب العلم يسألون الأئمة ويكتبون إليهم ليخبروهم عن الرواة ، من ذلك ما رواه الإمام مسلم بإسناده عن عبيد الله بن معاذ العنبرى عن أبيه قال : « كتبت إلى شعبة أسأله عن أبى شيبة قاضى واسط ، فكتب إلىّ : لا تكتب عنه ، ومزق كتابى »[٣] .

وكان النقاد يدققون فى حكمهم على الرجال ، يعرفون لكل محدث ما له وما عليه ، قال الشعبى : « والله لو أصبت تسعاً وتسعين مرة وأخطأت مرة لعدّوا علىّ تلك الواحدة »[٤] . وكانت المظاهر لا تغريهم ، وكل ما يهمهم أن يخلصوا العمل لله ، ويصلوا إلى ما ترتاح إليه ضمائرهم ، لخدمة الشريعة ودفع ما يشوبها ، وبيان الحق من الباطل ، قال يحيى بن معين : « إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم فى الجنة منذ أكثر من مائتى سنة[٥] » قال السخاوى : « أى أناس صالحون ، ولكنهم ليسوا من أهل الحديث[٦] . »

وعن أبى بكر بن خلاد ، قال : قلت ليحيى بن سعيد القطان : أما تخشى

---

(١) مقدمة التمهيد ص ١٢ : ب .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ص ٩٢ ج ١ .
(٣) المرجع السابق ص ١١٠ ج ١ .
(٤) تذكرة الحفاظ ص ٧٧ ج ١ .
(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٦٠ : آ .
(٦) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ .

أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى ؟ قال : قال : لأن يكون هؤلاء خصمائى أحب إلىّ من أن يكون خصمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لِمَ حدثت عنى حديثاً ترى أنه كذب[1] ؟ » .

وهكذا تكون علم الجرح والتعديل الذى وضع أسسه كبار الصحابة والتابعين وأتباعهم على ضوء الشريعة الحنيفية متأسين برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد قال تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ[2] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الجرح : « بئسَ أخو العَشيرةِ » ، وفى التعديل : « إنَّ عبدَ اللهِ رجلٌ صالحٌ[3] » ، وقال السخاوى : (وأما المتكلمون فى الرجال فخلق من نجوم الهدى ومصابيح الظلام المستضاء بهم فى دفع الردى ، لا يتهيأ حصرهم فى زمن الصحابة رضى الله عنهم ، سرد ابن عدى فى مقدمة كامله منهم خلقاً إلى زمنه (٢٧٧ — ٣٦٥ هـ) فالصحابة الذين أوردهم : عمر ، وعلى ، وابن عباس ، وعبد الله بن سلام ، وعبادة بن الصامت ، وأنس ، وعائشة — رضى الله عنهم ، و « أورد »[4] تصريح كل منهم بتكذيب من لم يصدقه فيما قاله ، وسرد من التابعين عدداً كالشعبى ، وابن سيرين ، وسعيد بن المسيب ، وابن جبير ، ولكنهم فيهم قليل بالنسبة لمن بعدهم لقلة الضعف فى متبوعهم ، إذ أكثرهم صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات ، ولا يكاد يوجد فى القرن الأول الذى انقرض فيه الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد

(١) الكفاية ص ٤ .

(٢) ٦ : الحجرات .

(٣) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٥٢ وانظر الكفاية ص ٣٨ ـ ٣٩ .

(٤) ليست فى النص زدناها لتنقيم العبارة .

بعد الواحد ، كالحارث الأعور ، والمختار الكذاب .

فلما مضى القرن الأول ودخل الثانى كان فى أوائله من أوساط التابعين جماعة من الضعفاء الذين ضعفوا غالبا من قبل تحملهم وضبطهم للحديث .

فلما كان عند آخرهم [1] عصر التابعين وهو حدود الخمسين ومائة تكلم فى فى التوثيق والتجريح طائفة من الأئمة ، فقال أبو حنيفة : مارأيت أكذب من جابر الجعفى ، وضعف الأعمش جماعة ووثق آخرين ، ونظر فى الرجال شعبة وكان متثبتا لا يكاد يروى إلا عن ثقة ، وكذلك كان مالك . وممن إذا قال فى هذا العصر قُبل قوله : معمر ، وهشام الدستوائى ، والأوزاعى ، والثورى ، وابن الماجشون ، وحماد بن سلمة ، والليث بن سعد ، وغيرهم ، ثم طبقة أخرى بعد هؤلاء : كابن المبارك ، وهشيم ، وأبى اسحاق الفزارى ، والمعافى بن عمران الموصلى ، وبشر بن المفضل ، وابن عيينة ، وغيرهم . . . [2] » وقد بين هؤلاء من تقبل روايته ومن لا تقبل ، وتكلموا فى العدالة وموجباتها ، وفى الجرح وأسبابه ، وقد نص عمر رضى الله عنه فى كتابه إلى أبى موسى الأشعرى على العدالة ، ووضع أول الأسس فى ذلك ، وبين من تقبل شهادته ومن لا تقبل ، ولما كانت الرواية لا تختلف عن الشهادة من ناحية التحمل والأداء ، فبوسعنا أن نقول : إن عمر رضى الله عنه قد نص على العدالة التى يجب أن يتحلى بها كل مسلم حتى تقبل شهادته وروايته ، فقد قال رضى الله عنه : « والمسلمون عدول بعضهم على بعض ، إلا مجرباً عليه شهادة زور ، أو مجلوداً فى حد . . . فإن الله تعالى تولى من العباد السرائر [3] » وتكلم بعده الصحابة والتابعون ، وبينوا

---

(١) أى لما كان عند آخر التابعين انتهاء عصر التابعين .

(٢) الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(٣) إعلام الموقعين ص ٨٦ جـ ١ .

من تترك روايته مطلقا ، ومن لا تقبل روايته ولو تاب ، كالوضاعين الكاذبين على رسول الله ، وأصحاب البدع الداعين إلى بدعهم إذا استحلوا الكذب ، قال الإمام مالك : « لا يؤخذ العلم عن أربعة ، ويؤخذ ممن سوى ذلك : لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ، ولا من سفيه معلن بالسفه وإن كان من أروى الناس ، ولا من رجل يكذب فى أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث[1] » . وقيل لشعبة بن الحجاج : متى يترك حديث الرجل ؟ قال : إذا روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون فأكثر ، وإذا أكثر الغلط ، وإذا اتهم بالكذب ، وإذا روى حديثا غلطاً مجتمعاً عليه فلم يتهم نفسه فيتركه ، طُرِح حديثه . وما كان غير ذلك فارووا عنه[2] » .

وقال الإمام الشافعى : « كان ابن سيرين ، وإبراهيم النخعى ، وطاوس ، وغير واحد من التابعين — يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف ما يروى ويحفظ ، وما رأيت أحداً من أهل الحديث يخالف هذا المذهب[3] » .

هكذا بين جهابذة هذا العلم — منذ صدر الإسلام إلى عهد التدوين والتصنيف — أحوال الرواة : المقبول منهم والمتروك . وتكامل علم الجرح والتعديل ، وألفت مصنفات ضخمة فى الرواة وأقوال النقاد فيهم ، حتى إنه لم يعد يختلط الكذابون والضعفاء بالعدول الثقات ، كما ألفت مصنفات ومعاجم خاصة

---

(١) المحدث الفاصل ص ٧٩ : آ — ٧٩ : ب ، والجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ ، والكفاية ص ١١٦ .

(٢) الجرح والتعديل ص ٣٢ ج ١ والمحدث الفاصل ص ٨١ : ب — ٨٢ : آ وروى نحو هذا عن ابن المبارك انظر الكفاية ص ١٤٣ ، وأيضاً نحوه عن الإمام أحمد انظر الكفاية ص ١٤٤ .

(٣) مقدمة التمهيد ص ١٠ : ب .

بالضعفاء والمتروكين ، وأصبح من السهل جداً على أصحاب الحديث أن يميزوا الخبيث من الطيب فى كل عصر ، وقد بنى النقاد حكمهم فى الرواة على قواعد دقيقة ، فقدموا للحضارة الإنسانية أعظم إنتاج فى هذا المضمار ، يفخر به المسلمون أبد الدهر ، وتعتز به الأمة الإسلامية التى شهد لها كبار العلماء بأياديها البيضاء فى خدمة السنة الشريفة ، قال المستشرق المانى « شبرنجر » فى تصدير كتاب الإصابة لابن حجر — طبعة كلكتا سنة ١٨٥٣ — ١٨٦٤ — : « لم تكن فيما مضى أمة من الأمم السالفة ، كما أنه لا توجد الآن أمة من الأمم المعاصرة أتت فى علم أسماء الرجال بمثل ماجاء به المسلمون فى هذا العلم المظيم الخطر ، الذى يتناول أحوال خمسمائة ألف رجل وشؤونهم[١] . . . »

ولم يكتف العلماء بالتزام الإسناد ، والتثبت من الأحاديث بالارتحال إلى الصحابة وكبار التابعين ، وبمراجعتها ومقارنتها ومعرفة طرقها وأسانيدها ومعرفة رواتها وأحوالهم ، والثقة منهم والمجروح ، بل قسموا الحديث إلى درجات يعرف بها المقبول من المردود ، والقوى من الضعيف ، فقسموه إلى صحيح وحسن وضعيف ، وبينوا حد كل منها وما يندرج تحته ، أما الحديث الحسن فلم يكن معروفا عند المحدثين فى القرن الهجرى الثانى ، وإنما عرف بعد ذلك ، ويعتبر كتاب الترمذى أصلا فى معرفة الحسن[٢] ، كما (يوجد — الحسن — فى متفرقات من كلام بعض مشايخه والطبقة التى قبله ، كأحمد والبخارى وغيرهما[٣]) وتكلموا فى أنواع الضعيف ، وبنوا ذلك على منشأ الضعف من السند أو المتن ،

---

(١) أضواء على التاريخ الإسلامى ص ١٣٦ .

(٢) انظر اختصار علوم الحديث ص٤٣ .

(٣) الباعث الحثيث ص٤٤ أى فى كلام بعض مشايخ الترمذى .

وقد قسمه ابن حبان تسعة وأربعين قسما[1] ، وقسمه ابن الصلاح أقساما كثيرة باعتبار الصفة التي فقدها من صفات القبول الستة ، وهي : الاتصال ، والعدالة والضبط ، والمتابعة في المستور ، وعدم الشذوذ ، وعدم العلة ، وباعتبار فقد صفة مع صفة أخرى تليها أولا ، أو مع أكثر من صفة إلى أن تفقد الستة ، فبلغت فيما ذكره العراقي في شرح الألفية اثنين وأربعين قسما[2] ، وقسمه غيره إلى أنواع أكثر من ذلك لايتسع المجال لذكرها .

خامسا : وضع قواعد لمعرفة الموضوع من الحديث :

وكما وضع العلماء قواعد دقيقة لمعرفة الصحيح والحسن والضعيف من الحديث ، وضعوا قواعد لمعرفة الموضوع منه ، وذكروا ما يدل على الوضع في سند الحديث ، وما يدل عليه في متنه ، وسنوجز هذه العلامات فيما يلي :

(١) علامات الوضع في السند :

١ — أن يعترف راوي الحديث بكذبه ، ويقر باختلاقه ما يروى ، كما أقر عبد الكريم الوضاع ، وأبو عصمة نوح بن أبي مريم ، وكما اعترف أبو جزى وهو مريض فقال : « لولا أنه حضرني من الله ما ترون كنت خليقا ألا أقر ولا أعترف ، ولكني أشهدكم أني وضعت من الحديث كذا وكذا ، وإني أستغفر الله منها وأتوب إليه[3] » . وهذا أقوى دليل على كون الحديث موضوعا .

---

(١) انظر تدريب الراوي ص ١٠٥ .
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٠٥ ، وفتح المغيث ص٥٥ جـ ١ .
(٣) قبول الأخبار ص ٦ .

٢ — وجود قرينة تقوم مقام الاعتراف بالوضع :

كأن يروى عن شيخ لم يلقه ، أو يروى عن شيخ فى بلد لم يرحل إليه ، أو يروى عن شيخ ولد بعد وفاته ، أو توفى هذا الشيخ والراوى صغير لا يدرك ، قيل لشعبة : لم لا تحدث عن عثمان بن أبى اليقظان ، وهو عثمان بن عمير ؟ فقال : كيف أحدث عن رجل كنت جالساً معه فسألته عن سنه ، فأخبرنى بمولده ثم حدث عن رجل قد مات قبل أن يولد[1] !؟ وإن هذا الصنف لا يمكن معرفته إلا بمعرفة مولد الشيوخ ووفاتهم ، والبلدان التى رحلوا إليها ، والأماكن التى أقاموا فيها ، كيلا ينتحل الوضاعون الشيوخ الثقات لترويج ما يضعون ، وقد وفق علماء الأمة فى هذا ، فقسموا الرواة طبقات ، وعرفوا كل شىء عنهم ، ولم يخف عليهم من أحوالهم شىء ، وفى هذا قال حفص بن غياث : « إذا اتهم الشيخ فحاسبوه بالتاريخ — يعنى احسبوا سنه وسن من كتب عنه — وقال حسان ابن زيد : لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : كم سنه ؟ وفى أى تاريخ ولد ؟ فان أقر بمولده عرفنا صدقه من كذبه[2] » .

٣ — أن ينفرد راو معروف بالكذب برواية حديث ، ولا يرويه ثقة غيره فيحكم على روايته بالوضع وقد استقصى جهابذة الأمة الكذابين ، وبينوا ما كذبوا فيه حتى لم يخف منهم أحد .

٤ — ومن القرائن التى يدرك بها الوضع ، ما يؤخذ من حال الراوى ، كما وقع للمأمون بن أحمد ، أنه ذكر بحضرته الخلاف فى كون الحسن سمع من

---

(١) قبول الأخبار ص ٢٦ .

(٢) تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص٢٦ ج ١ .

أبى هريرة أولا ، فساق فى الحال إسناده إلى النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : سمع الحسن من أبى هريرة[١]) .

ومن هذا ما ذكرناه عن سيف بن عمر الذى روى خبر وضع سعد بن طريف لحديث «معلمو صبيانكم شراركم ... »[٢]

* * *

(ب) علامات الوضع فى المتن :

مقدمة : قال الإمام ابن قيم الجوزية : (وسئلت : هل يمكن معرفة الموضوع بضابط ، من غير أن ينظر فى سنده ؟ فهذا سؤال عظيم القدر ، وإنما يعلم ذلك من تضلع فى معرفة السنن الصحيحة ، واختلطت بدمه ولحمه ، وصار له فيها ملكة ، وصار له اختصاص شديد بمعرفة السنن والآثار ، ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه ، فيما يأمر به وينهى عنه ، ويخبر عنه ويدعو إليه ، ويحبه ويكرهه ، ويشرعه للأمة بحيث كأنه مخالط للرسول صلى الله عليه وسلم كواحد من أصحابه ، ومثل هذا يعرف — من أحوال الرسول صلى الله عليه وسلم وهديه وكلامه ، وما يجوز أن يخبر عنه ، وما لا يجوز — ما لا يعرفه غيره ، وهذا شأن كل متبع مع متبوعه ، فللأخص به ، الحريص على تتبع أقواله وأفعاله فى العلم بها والتمييز بين مايصح أن ينسب إليه وما لايصح — ماليس لمن لايكون كذلك . وهذا شأن المقلدين مع أئمتهم : يعرفون من أقوالهم ونصوصهم ومذاهبهم وأساليبهم ومشاربهم — مالا يعرفه غيرهم)[٣] .

(١) قواعد التحديث ص ١٣٣ وقيل للمأمون بن أحمد الهروى : ألا ترى إلى الشافعى ومن تبعه بخراسان ؟ فقال : حدثنا أحمد بن عبد الله . . . عن أنس مرفوعاً يكون فى أمتى رجل يقال له محمد بن ادريس أضر على أمتى من إبليس . انظر تدريب الراوى ص١٨١ .

(٢) انظر ص ٢١٧ ـ ٢١٨ فى الفصل السابق من هذا الباب .

(٣) المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٥ وانظر قواعد التحديث ص ١٤٨ .

قال ابن دقيق العيد : « وكثيراً مايحكمون بذلك (أى بالوضع) باعتبار يرجع إلى المروى وألفاظ الحديث ، وحاصله أنها حصلت لهم بكثرة محاولة ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم هيئة نفسانية وملكة يعرفون بها مايجوز أن يكون من ألفاظه وما لايجوز ، . . . . . فإن معرفة الوضع من قرينة حال المروى أكثر من قرينة حال الراوى . [1] » .

ومن القرائن التى تدل على الوضع فى المتن:

١ — ركاكة اللفظ فى المروى بحيث يدرك من له إلمام باللغة أن هذا ليس من فصاحة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وضعت أحاديث ركيكة تشهد ألفاظها ومعانيها لوضعها . قال الحافظ ابن حجر : « المدار فى الركة على ركة المعنى ، فحيثما وجدت دلت على الوضع ، وإن لم ينضم إليها ركة اللفظ ، لأن الدين كله محاسن ، والركة ترجع إلى الرداءة ، أما ركاكة اللفظ فقط فلا تدل على ذلك ، لاحتمال أن يكون رواه بالمعنى ، فغير ألفاظه بغير فصيح ، نعم إن صرح بأنه من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم فكاذب . » [2]

٢ — فساد المعنى :

كالأحاديث التى يكذبها الحس ، نحو حديث : الباذنجان لما أكل له ، [3] والباذنجان شفاء من كل داء [4] ، ومنها سماجة الحديث ، وكونه مما يسخر منه كحديث : « لو كان الأرز رجلا لكان حليما ، ما أكله جائع إلا أشبعه [5] » قال ابن قيم الجوزيه : فهذا من السمج البارد الذى يصان عنه كلام العقلاء ، فضلا

---

(١) توضيح الأفكار ص ٩٤ ج ٢ .
(٢) الباعث الحثيث ص ٩٠ .
(٣ و ٤) المنار لابن قيم الجوزيه ص ١٩ .
(٥) المنار لابن قيم الجوزية ص ٢٠

عن كلام سيد الأنبياء[١] ، وحديث : من اتخذ ديكا أبيض لم يقربه شيطان ولا سحر[٢] ، وكل ما يدل على إباحة المفاسد والسير وراء الشهوات كحديث : ثلاثة تزيد فى البصر : النظر إلى الخضرة ، والماء الجارى ، والوجه الحسن[٣] . وحديث : النظر إلى الوجه الجميل عبادة[٤] . قال ابن قيم الجوزيه : «وكل حديث فيه ذكر حسان الوجوه أو الثناء عليهم ، أو الأمر بالنظر إليهم ، أو التماس الحوائج منهم ، أو أن النار لا تمسهم — فكذب مختلق ، وإفك مفترى[٥] » .

ومن الموضوعات كل حديث تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه كحديث عوج بن عنق الطويل ، الذى قصد واضعه الطعن فى أخبار الأنبياء ، فإن فى هذا الحديث : (أن طوله كان ثلاثة آلاف ذراع ، وثلاثمائة وثلاثة وثلاثين وثلث ، وأن نوحا لما خوفه الغرق ، قال له : احملنى فى قصعتك هذه ، وأن الطوفان لم يطل إلى كعبه ، وأنه خاض البحر ، فوصل إلى حجزته ، وأنه كان يأخذ الحوت من قرار البحر فيشويه فى عين الشمس ، وأنه قلع صخرة عظيمة على قدر عسكر موسى ، وأراد أن يرميهم بها فطوقها الله فى عنقه مثل الطوق[٦]) .

وكذلك كل حديث يشتمل على سخافات لا تصدر عن العقلاء ، فكيف تصدر عن رسول الله الذى أوتى جوامع الكلم كحديث : «المجرة التى فى السماء من عَرَقِ الأفعى التى تحت العرش[٧] » وحديث «المؤمن حلو يحب الحلاوة[٨]»

---

(١) المنار لابن قيم الجوزيه ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٢١ .

(٣و٤و٥) المنار ص ٢٤ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٣ .

(٨) المنار ص ٢٥ .

وحديث « المريسة تشد الظهر[١] » — كلها وأمثالها من وضع الوضاعين الذين افتروا على رسول الله الكذب ، ووضعوا ما يخالف الشريعة وما ينافى رسالة الأنبياء الذين جاءوا يخاطبون أولى الألباب ويأمرون بالمعقول ، ولم تكن رسائلهم لتفضيل طعام على طعام ، وإثارة الشهوات ، ورواية الأساطير والخرافات ، والإتيان بما يرده الحق ويرفضه العقل . وفى هذا كلمة لابن الجوزى قال : « ما أحسن قول القائل : إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول ، فاعلم أنه موضوع[٢] » .

٣ — ما يناقض نص الكتاب أو السنة المتواترة أو الاجماع القطعى[٣] ، وما يناقض السنة مناقضة بينة :

قال ابن قيم الجوزيه : « ومنها[٤] مخالفة الحديث صريح القرآن . كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة . ونحن فى الألف السابعة[٥] . وهذا من أبين الكذب ، لأنه لو كان صحيحا لكان كل أحد عالما أنه قد بقى للقيامة من وقتنا هذا[٦] مائتان وخمسون سنة . والله تعالى يقول : « يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟ قُلْ : إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي ، لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ . ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً . يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ[٧] » وقال الله تعالى : « إن الله عِنْدَهُ

(١) المنار ص٢٥ . (٢) تدريب الراوى ص١٨٠ .
(٣) انظر توضيح الأفكار ص ٩٦ ج ٢ .
(٤) أى الأمور التى يعرف بها كون الحديث موضوعا .
(٥) لعله يريد أنه يجيء نهاية عمر الدنيا فى الألف السابعة .
(٦) عاش ابن قيم الجوزيه من سنة (٦٩١ إلى سنة ٧٥٢ هـ) .
(٧) ١٨٧ : الأعراف .

عِلْمُ السّاعةِ[1] » وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله[2] » .

ومما وضع مناقضاً للسنة مناقضة بينة (أحاديث مدح من اسمه محمد وأحمد ، وأن كل من يسمى بهذه الأسماء لايدخل النار . وهذا مناقض لما هو معلوم من دينه صلى الله عليه وسلم : أن النار لايجار منها بالأسماء والألقاب ، وإنما النجاة منها بالايمان والأعمال الصالحة)[3] .

وجميع الأحاديث التى تنص على وصاية على رضى الله عنه أو على خلافته غير صحيحة ، وهى موضوعة ، لأنها تخالف ما أجمعت عليه الأمة من أنه صلى الله عليه وسلم لم ينص على تولية أحد بعده .

٤ — كل حديث يدّعى تواطؤ الصحابة على كتمان أمر ، وعدم نقله ، كما تزعم الشيعة : (أنه صلى الله عليه وسلم أخذ بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه بمحضر من الصحابة كلهم ، وهم راجعون من حجة الوداع ، فأقامه بينهم حتى عرفه الجميع ، ثم قال : « هذا وصيي وأخى ، والخليفة من بعدى ، فاسمعوا وأطيعوا له » ثم اتفق الكل على كتمان ذلك وتغييره ، فلعنة الله على الكاذبين) .[4]

٥ — كل حديث يخالف الحقائق التاريخية التى جرت فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو اقترن بقرائن تثبت بطلانه . مثل حديث وضع الجزية عن أهل خيبر ، كذب من عدة وجوه :

(١) ٣٤ : لقمان .
(٢) المنار ص ٣١ .
(٣ و ٤) المنار ص ٢٢ .

أحدها : أن فيه شهادة سعد بن معاذ ، وسعد توفى قبل ذلك فى غزاة الخندق .

الثانى : أن الجزية لم تكن نزلت حينئذ ، ولا يعرفها الصحابة ولا العرب وإنما أنزلت بعد عام تبوك ، حين وضعها النبى صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران ويهود اليمن . . . وبين ابن قيم الجوزية كذب هذا فى عشرة أدلة قوية.[1]

ومثاله ما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبى وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بصفين ، فقال أبو نعيم : أتراه بعث بعد الموت[2] . فابن مسعود توفى قبل صفين سنة ٣٢ هجرية .

٦ ـ « أن يكون خبراً عن أمر جسيم كحصر العدو للحاج عن البيت ، ثم لا ينقله منهم إلا واحد ، لأن العادة جارية بتظاهر الأخبار فى مثل ذلك . قلت : ويمثله الأصوليون بقتل الخطيب على المنبر ، ولا ينقله إلا واحد من الحاضرين[3] » .

٧ ـ « موافقة الحديث لمذهب الراوى ، وهو متعصب مغال فى تعصبه ، كأن يروى رافضى حديثا فى فضائل أهل البيت ، أو مرجئ حديثاً فى الإرجاء ، مثل ما رواه حبة بن جوين قال : سمعت عليا رضى الله عنه قال : عبدت الله مع رسوله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة خمس سنين أو سبع سنين ، قال ابن حبان : كان حبة غالياً فى التشيع ، واهيا فى الحديث[4] » .

---

(١) انظر المنار ص ٣٧ ـ ٣٨ .
(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ص١١٧ ج ١ .
(٣) توضيح الأفكار ص ٩٦ ج ٢ .
(٤) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص١١٨ .

٨ — اشتمال الحديث على مجازفات وإفراط فى الثواب العظيم مقابل عمل صغير ، مثال ذلك : « من قال لا إله إلا الله ، خلق الله من تلك الكلمة طائرا له سبعون ألف لسان ، لكل لسان سبعون ألف لغة يستغفرون له » و « من فعل كذا وكذا ، أعطى فى الجنة سبعين ألف مدينة ، فى كل مدينة سبعون ألف قصر فى كل قصر سبعون ألف حوراء » .

وأمثال هذه المجازفات الباردة التى لا يخلو حال واضعها من أحد أمرين : إما أن يكون فى غاية الجهل والحمق . وإما أن يكون زنديقا قصد التنقيص بالرسول صلى الله عليه وسلم[1] .

وإلى جانب هذه القواعد ، فقد تكونت عند أكثر العلماء ملكة خاصة ، نتيجة لدراستهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحفظه ومقارنة طرقه ، فأصبحوا يعرفون — لكثرة ممارستهم هذا — ما هو من كلام الصادق المصدوق وما ليس من كلامه ، وفى هذا يقول ابن الجوزى : (الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم ، وينفر منه قلبه فى الغالب[2]) ويقول الربيع بن خثيم التابعى الجليل — أحد أصحاب ابن مسعود — : « إن من الحديث حديثا له ضوء كضوء النهار نعرفه به ، وإن من الحديث حديثا له ظلمة كظلمة الليل نعرفه بها[3] » .

هذه أهم القواعد التى وضعها جهابذة علم الحديث لتمييز الموضوع من

---

(١) المنار ص ١٩ .

(٢) الباعث الحثيث ص ٩٠ .

(٣) معرفة علوم الحديث ص٦٢ ، والمحدث الفاصل ص٦٣ : آ ، وانظر الكفاية ص٤٣١ : وذكر الربيع بن خثيم فى بعض المصادر (خيثم) كما فى كتاب (الجمع بين رجال الصحيحين) ص١٣٤ جـ١ والصواب (خثيم) كما فى طبقات ابن سعد ص١٢٧ جـ٦ وغيره .

الصحيح ، كما أنهم بحثوا بدقة تامة عن الأحاديث الموضوعة ، وصنفوها حتى تعرف لأهل العلم ولا تشتبه عليهم ، ونلاحظ أن هذه القواعد تناولت الحديث سندا ومتنا ، فلم تقتصر جهود العلماء على نقد سند الحديث فقط دون متنه ، كما ادعى بعض المستشرقين وأيدهم فى ذلك بعض الكاتبين المسلمين ، وسنستعرض بعض آرائهم فى هذا الموضوع ، ليظهر لنا بطلان ما ادعوا وزيف ما زعموا على ضوء ما بيناه .

* * *

الفصل الثالث

آراء بعض المستشرقين وأشياعهم فى السنة ونقدها

١ — رأى جولد تسيهر : يقول الدكتور على حسن عبد القادر : (وهنا مسألة جد خطيرة ، نجد من الخير أن نعرض لها ببعض التفصيل ، وهى (وضع الحديث) فى هذا العصر ، ولقد ساد إلى وقت قريب فى أوساط المستشرقين الرأى القائل « بأن القسم الأكبر من الحديث ليس إلا نتيجة للتطور الدينى والسياسى والاجتماعى للاسلام فى القرنين الأول والثانى ، وأنه ليس صحيحا ما يقال من أنه وثيقة للاسلام فى عهده الأول عهد الطفولة، ولكنه أثر من آثار جهود الإسلام فى عصر النضوج » ، ويقول فى الهامش هذا الرأى الذى ننقله هو رأى جولد تسيهر فى كتابه « دراسات اسلامية »[1] . وقد انتشر رأى (جولد تسيهر) هذا فى الغرب والشرق وأصبح من مسلمات البحث عند المستشرقين ، كما أن (جولد تسيهر) نفسه بين رأيه فى السنة واضحا فى كتابه « العقيدة والشريعة فى الإسلام » . فقد قال : (ولا نستطيع أن نعزو الأحاديث الموضوعة للأجيال المتأخرة وحدها ، بل هناك أحاديث عليها طابع القدم ، وهذه إما قالها الرسول ، أو هى من عمل رجال الإسلام القدامى ، ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس من السهل تَبَيّنُ هذا الخطر المتجدد عن بعد الزمان والمكان من المنبع الأصلى ،

---

(١) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى : ١٢٦ — ١٢٧ ، وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (حديث) و

Shorter Encyclopadia of Islam by H.A.R. Gibb and J.H. Kramers P, 116.

بأن يخترع أصحاب المذاهب النظرية والعملية أحاديث لا يرى عليها شائبة فى ظاهرها ، ويرجع بها إلى الرسول وأصحابه . فالحق أن كل فكرة ، وكل حزب وكل صاحب مذهب ، يستطيع دعم رأيه بهذا الشكل ، وأن المخالف له فى الرأى يسلك أيضا هذا الطريق ، ومن ذلك لا يوجد فى دائرة العبادات أو العقائد أو القوانين الفقهية أو السياسية مذهب أو مدرسة لا تعزز رأيها بحديث أو بجملة من الأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة . ولم يستطع المسلمون أنفسهم أن يخفوا هذا الخطر ، ومن أجل هذا وضع العلماء علما خاصا له قيمته ، وهو علم نقد الحديث ، لكى يفرقوا بين الصحيح وغير الصحيح من الأحاديث ، إذا أعوزهم التوفيق بين الأقوال المتناقضة ، ومن السهل أن يفهم أن وجهات نظرهم فى النقد ليست كوجهات النظر عندنا ، تلك التى تجد لها مجالا كبيرا فى النظر فى تلك الأحاديث التى اعتبرها النقد الإسلامى صحيحة غير مشكوك فيها ، ووقف حيالها لا يحرك ساكنا .

ولقد كان من نتائج هذه الأعمال النقدية الاعتراف بالكتب الستة أصولا ، وكان ذلك فى القرن السابع الهجرى ، فقد جمع فيها علماء من رجال القرن الثالث الهجرى أنواعا من الأحاديث كانت مبعثرة ، رأوها أحاديث صحيحة)[1] .

إن سوء ظن هذا الباحث فى السنة ظهر فى طيات كتابه المذكور ، فى أبحاث ونقاط كثيرة ، وإنما استشهدت ببعض ما يتناول بحثنا ، ويتجلى لنا مما أوردت عن جولد تسيهر ما يلى :

١ — يرى أن أكثر الحديث نتيجة للتطور الإسلامى السياسى والاجتماعى أى أنه موضوع .

---

(١) العقيدة والشريعة فى الإسلام : ٤٩ — ٥٠ .

٢ — يرى أن رجال الإسلام القدامى (الصحابة والتابعين) كان لهم يد في وضع الأحاديث .

٣ — إن بعد الزمان والمكان من عهد الرسالة يسمح لأصحاب المذاهب أن ينتحلوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، بل ما من مذهب نظرى أو عملى إلا وقد عزز رأيه فى مختلف النواحى العقائدية أو الفقهية أو السياسية حتى فى العبادات بأحاديث ظاهرها لا تشوبه أية شائبة .

٤ — وجهة نظر النقاد المسلمين تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب الذين لا يسلمون بصحة كثير من الأحاديث التى قرر المسلمون صحتها .

٥ — يصور الكتب الستة بأنها ضم لأنواع من الأحاديث التى كانت مبعثرة رأى جامعوها أنها صحيحة .

هذه النقاط الخمسة هى خلاصة رأى جولد تسيهر فى الوضع والنقد ، وله آراء كثيرة متفرقة خارجة عن اطار بحثنا[1] ، وسنناقش هذه النقاط بايجاز على ضوء ما سبق أن أثبتناه .

١ — إن ما ادعاه من أن أكثر الحديث نتيجة للتطور غير صحيح ، لأن المسلمين منذ القرن الأول ومن عهد الصحابة كانوا يتثبتون فى قبول الأحاديث ، وكانوا يتتبعون الكذابين والوضاعين، وعرفوا الأحاديث الموضوعة والصحيحة . ثم إن القرآن الكريم قد جاء بالقواعد الكلية التى تناسب كل زمان ومكان ولم يتعرض للجزئيات وطرق تنفيذها التى يمكن أن تتبدل وتتغير حسب البيئة والزمان دون أن تؤثر على القواعد الكبرى والأهداف العليا للاسلام ، وترك

---

(١) تصدى الدكتور مصطفى السباعي للمستشرقين ورد عليهم فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ورد على جولد تسيهر ردا قيما فليراجع هناك ص ٣٦٤ وما بعدها .

الله تعالى للحكام وسائل التطبيق والتنفيذ فى ظلال الكتاب والسنة والأصول التى تليها . فالمسلمون ليسوا بحاجة إلى اختلاق أحاديث تبرر ما يقومون به نتيجة لحياتهم الجديدة ، فقد كفاهم الله عز وجل هذا بما شرعه لهم من أسس وقواعد خالدة إلى يوم الدين ، رضيها لهم ورضوها لأنفسهم ، وقد قال تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِيناً[١] » .

٢ — يرى أن رجال الإسلام القدامى لهم يد فى الوضع . فمن هم رجال الإسلام القدامى إذا لم يكونوا الصحابة والتابعين ؟ فإذا كان يقصدهم فإننا قد بينا فيما سبق احتراز الصحابة عن ذلك وعدم انغماس كبار التابعين فى حمأة الوضع فلا داعى للتكرار .

٣ — إذا كان بعض أهل الأهواء قد استجازوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعم أهوائهم فهذا لا يعنى قط أن أصحاب المذاهب الفقهية والسياسية والعقائدية قد اختلقوا الأحاديث لدعم مذاهبهم ، ثم لِمَ يظن السوء بهذه المذاهب؟ولِمَ يدعى كذبها ووضعها بعض الأحاديث ؟ يجب أن يعلم كل إنسان أن الاختلافات الفقهية بين الصحابة أو الفقهاء لم يكن مردها هوى فى النفس أو تعصبا فى الرأى ، وإنما كانت لأسباب كثيرة أهمها أن بعض الأحاديث وصلت إلى الأئمة دون بعض فحكموا بها ، أو أنها وصلتهم ولكنها ثبتت عند بعضهم ولم تثبت عند الآخرين ، أو أنها ثبتت عند الجميع واختلفوا فى الاستنباط منها وما إلى هذا[٢] ، فالفقهاء جميعا متفقون على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهل يعقل

(١) ٣ : المائدة .

(٢) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية وهى رسالة صغيرة جليلة القدر عظيمة النفع .

من هؤلاء أن يكذبوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام لدعم مذاهبهم ؟! وإنما قامت مذاهبهم على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، وشربت من ينبوع الرسول الصافى عليه الصلاة والسلام .

إن تعميم جولد تسيهر لم يبن على دراسة موضوعية للمذاهب الفقهية والعقائدية بل اكتفى بما وجده عند أهل الأهواء من الأحاديث الموضوعة ، أو بما رآه فى كتب بعض أتباع المذاهب الفقهية التى دُسَّ فيها بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ، ثم ألصق هذا بأصحاب هذه المذاهب جريا وراء هواه ، لدعم رأيه فى وضع أكثر الأحاديث .

٤ — إن وجهة نظر النقاد المسلمين مبنية على القواعد والأصول التى وضعوها فى نقدهم ، وقد رأينا دقتها وعرفنا قيمتها ، فمن الطبيعى أن تختلف عن وجهة نظر النقاد الأجانب ، الذين لا يؤمنون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يعتقدون الإيحاء إليه ، فنحن مختلفون معهم من نقطة البداية ، لأن كثيرا من الأحاديث التى تتناول العقائد والغيبيات سلمنا بصحتها بعد التحقيق العلمى ، وسلمنا بكل ما جاء فيها لأنها عن الصادق المصدوق ، فاختلاف وجهة نظرهم لا يضيرنا ما دمنا قد سلكنا فى نقدنا وبحثنا أسلم طرق البحث العلمى وأدقها ، وقد شهد لنا بذلك المنصفون منهم .

٥ — أما رأيه فى الكتب الستة : أنها مجموعة من الأحاديث التى ضمها مؤلفوها بعد أن كانت مبعثرة فى القرن الثالث ، ورأوا أنها صحيحة — فهذا رأى مردود ، فيه إنكار لجهود العلماء الجبارة التى بذلوها خلال القرن الأول والثانى فى سبيل صيانة السنة وحفظها ، فالسنة لم تكن مبعثرة متفرقة ، بل كان معظمها عمليا ، يطبقه المسلمون ، ويقيمون تعاليم رسول الله صلى الله عليه وسلم على

هداه ، ولم يقتصر هذا على عهد الصحابة والتابعين ، أو على موطن الإسلام الأول، بل انتشرت سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام فى القرن الأول والقرون التالية ، وذاعت فى الآفاق عندما حرر المسلمون الأوائل البلاد المجاورة من طغيان الحكام ، وانتقلت السنة العملية والقولية والتقريرية ، جيلا عن جيل ، تحفظها صدور الحفاظ وصحفهم إلى أن جمعت فى كتب مصنفة ، وفى أجزاء مبوبة فى منتصف القرن الثانى الهجرى على أيدى كبار العلماء والحفاظ ، وإن ماجمعه البخارى ومسلم وغيرهما فى القرن الثالث لم يكن مبعثرا ، وإنما اختير من ألوف الأحاديث التى كانت عند الحفاظ متوخين الأحاديث الصحيحة وسيتضح هذا لنا جليا عندما نتكلم عن تدوين السنة .

* * *

ثانيا : رأى غاستون ويت : كاتب مقـــــال (الحديث) فى التاريخ العام للديانات .

أورد غاستون ويت رأى جولد تسيهر السابق وأيده[1] ، وتعرض لنقد الحديث فقال : «وقد درس رجال الحديث السنة بإتقان إلا أن تلك الدراسة كانت موجهة إلى (السند) ومعرفة الرجال ، والتقائهم وسماع بعضهم من بعض . . . ثم يقول : لقد نقل لنا الرواة حديث الرسول مشافهة ، ثم جمعه الحفاظ ودونوه ، إلا أن هؤلاء لم ينقدوا « المتن » ولذلك لسنا متأكدين من أن الحديث قد قد وصلنا كما هو عن رسول الله من غير أن يضيف إليه الرواة شيئاً عن حسن نية فى أثناء روايتهم الحديث ، ومن الطبيعى أن يكونوا قد زادوا شيئاً عليه فى أثناء

---

(١) انظر : Histoire Génèrale Des Religions (Islam) P. 366.

روايتهم (لأنه كان بالمشافهة) ، ومهما كان هذا الرأى صحيحاً فإن المسلمين يقبلون الحديث على أنه كلام صحيح[1] » .

* * *

ثالثا — رأى الأستاذ أحمد أمين :

قال : (وقد وضع العلماء للجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ، ولكنهم — والحق يقال — عنوا بنقد الإسناد أكثر مما عنوا بنقد المتن ، فقل أن نظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبى صلى الله عليه وسلم لا يتفق والظروف التى قيلت فيه ، أو أن الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه ، أو أن عبارة الحديث نوع من التعبير الفلسفى يخالف المألوف فى تعبير النبى ، أو أن الحديث أشبه فى شروطه وقيوده بمتون الفقه ، وهكذا ، ولم نظفر منهم فى هذا الباب بعشر معشار ما عنوا به من جرح الرجال وتعديلهم ، حتى نرى البخارى نفسه — على جليل قدره ، ودقيق بحثه — يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال ، كحديث : «لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة » وحديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات من عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل . »[2]) .

إن ما ذكره (غاستون ويت) والأستاذ أحمد أمين — فيه حيف وظلم للجهود التى بذلها علماء السنة لحفظ الحديث الشريف وتخليصه من كل ما يشوبه فإن علماء الجرح والتعديل تناولوا نقد سند الحديث كما تناولوا نقد متنه ، وإن الجهود التى بذلوها فى نقد المتن لا تقل عن جهودهم فى نقد السند ، وقد لمسنا تلك

(١) Histoire Générale Des Religions, P, 365. (Islam)

(٢) فجر الإسلام ص ٢١٧ — ٢١٨ .

الجهود حينما استعرضنا القواعد التى وضعوها لتمييز الموضوع من الصحيح .
ونستطيع أن نرد على كل من يدعى أن نقد العلماء كان منصبا على (السند) دون (المتن) بأنهم — كما وضعوا علامات لتمييز السند الضعيف من السند الصحيح — وضعوا علامات تميز متن الخبر الموضوع عن غيره ، وهذه العلامات ثمانية للمتن وأربعة للسند ، كما ثبت لدينا ، فهل بقيت مع هذا حجة لدعم ذلك الزعم ! ؟ .

وأما ما ادعاه (غاستون ويت) من زيادة الرواة شيئا على ما يروونه عن حسن نية ، فهذا مدفوع بما حققه العلماء فى أبحاثهم الدقيقة عن زيادة الراوى شيئا على الخبر ، وبينوا أن هذه الزيادة قد تكون فى المتن أو فى الإسناد[1] ، وما يضيفه الراوى يسمى (المدرج) والادراج على الحقيقة إنما يكون فى المتن ، وبينوا صور المدرج ونصوا على كثير من إدراجات الرواة ، فلم يلتبس على على علماء الأمة المدرج ، بل عرفوا كل ذلك .

ومعظم ما أدرج كان نتيجة لتفسير الشيخ ، يسمعه الطالب فيظنه من الحديث .

وقد عرف العلماء هذا ، وبينوا أن ما يقع من الراوى خطأ من غير عمد فلا حرج على المخطىء ، إلا إنْ كثُرَ خطؤه ، فيكون جرحا فى ضبطه واتقانه[2] ويعرف ما أدرجه الراوى بإقراره ، أو بمقارنة طرق الخبر ، فيتبين بهذه المقارنة ما أدرج من قبل الراوى . وقد عرف النقاد هذا كله ونصوا عليه .

وأما ما قاله الأستاذ أحمد أمين من أن (البخارى نفسه على جليل قدره

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ٨٠ .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٨٤ .

ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهدة التجريبية على أنها غير صحيحة ، لاقتصاره على نقد الرجال) . فهذا حكم لا نوافقه عليه ولا نقول به ، لأن ما استشهد به لدعم رأيه لا يثبت هذا بل يعارضه ، بل إن حديث « لا يبقى على ظهر الأرض بعد مائة سنة نفس منفوسة » صحيح ، وقد فهمه الأستاذ فهما مخالفا للحقيقة ، وذهب فى تأويله مذهبا بعيدا كل البعد عن الصواب ، فقد رُوى هذا الحديث من طرق عدة فسر بعضها بعضا ، فالمراد من الحديث أنه عند انقضاء مائة سنة من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يبقى أحد ممن كان موجودا فى عهده صلى الله عليه وسلم حين قال هذا النبأ ، وفعلا كان هذا الخبر من علامات نبوته عليه الصلاة والسلام لأنه لم يبق أحد ممن كان فى عهده عليه الصلاة والسلام أكثر من مائة عام ، فكل ما فى الأمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه أنهم لن يعمروا كما عمر من قبلهم من الأمم[1] ، ولذلك عليهم أن يجدوا فى طاعاتهم ، ويعملوا فى دنياهم لآخرتهم وليس فى هذا ما يخالف الحوادث الزمنية والمشاهدات التجريبية ، ويقول الدكتور مصطفى السباعى : (فأنت ترى أن هذا الحديث الذى كان فى الواقع معجزة من معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم ينقلب فى منطق النقد الجديد الذى دعا إليه صاحب فجر الإسلام إلى أن يكون مكذوبا مفترى ! .)[2]

وأما حديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك

---

(١) انظر فتح البارى ص ٢٢٢ جـ ١ ذكر البخارى بعض الحديث وبين ابن حجر أقوال العلماء فيه وأشار إلى الحديث كاملا فى (كتاب الصلاة) حيث تفسيره واضح كما بينا ، وانظر تأويل مختلف الحديث ص ١١٩ ، وانظر السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٥٩ ـ ٢٦٣ حيث فند الدكتور السباعى أخطاء الأستاذ أحمد أمين ورد عليه ردا مفصلا .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٦١ .

اليوم إلى الليل » فقد أخرجه الإمام البخاري في (كتاب الطب)[١] كما أخرجه الإمام مسلم[٢] والإمام أحمد[٣]، وقد بين العلماء هذا الحديث فمنهم من خصصه بتمر المدينة اعتمادا على الأحاديث المقيدة بذلك ومنهم من أطلقه ، (والذى ارتضاه الأكثرون تخصيصه بعجوة المدينة ، قال ابن القيم فى زاد المعاد : « والتمر غذاء فاضل حافظ للصحة ، ولاسيما لمن اعتاد الغذاء به . . . ونفعُ هذا العدد من التمر ، من هذا البلد ، من هذه البقعة بعينها — من السم والسحر بحيث تمنع إصابته — من الخواص التى لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والانقياد ، مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمين والظن . فمن كلامه كله يقين وقطع وبرهان ووحى ، أولى بأن تتلقى أقواله بالقبول وترك الاعتراض . هذا خلاصة ما ذكروه فى هذا المقام .

والذى أراه أن المبادرة إلى تكذيب حديث ورفضه لا تصح ، إلا إذا وهن طريقه ، أو حكم العقل والطب حكما قاطعا بتكذيبه وبطلانه ، وهذا الحديث قد صح سنده من غير طريق عن أئمة الحديث ، ورواه ثقات عدول لا مجال لتكذيبهم ومتنه صحيح على وجه الإجمال ، إذ أثبت للعجوة فائدة ، وحض على أكلها ومن المقرر حتى فى الطب الحديث أن العجوة مغذية ، ملينة للمعدة ، منشطة للجسم ، مبيدة للديدان المنتشرة فيه ، ولا شك فى أن الأمراض الداخلية : من تعفن الأمعاء وانتشار الديدان — سموم تودى بحياة الإنسان إذا استفحل أمرها ، وإذا فالحديث من حيث معالجة العجوة للسموم بالجملة صادق لا غبار عليه ، أما السحر فإذا ذهبنا إلى أنه مرض نفسى ، وأنه يحتاج إلى علاج نفسى وأن الإيحاء النفسى له أثر كبير

---

(١) صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠ ج ٤

(٢) صحيح مسلم ص ١٦١٨ ج ٣ .

(٣) فى مسنده حديث ١٤٤٢ ، ١٥٢٨ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ج ٣ .

فى شفاء المرضى بمثل تلك الأمراض ، وإذا أخذنا العجوة على أنها مغذية مفيدة للجسم ، مقوية للبنية ، قاتلة للديدان ، قاضية على تعفن الفضلات وأنها من عجوة المدينة ، مدينة النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا علاج وصفه عليه الصلاة والسلام وهو الذى لا ينطق عن الهوى فلا أشك فى أن ذلك يحدث أثرا طيبا فى نفس المسحور.

(إنك لا تشك معى فى أن إقدام مؤلف « فجر الإسلام » على القطع بتكذيب هـذا الحديث جرأة بالغة منه ، لا يمكن أن تقبل فى المحيط العلمى بأى حال ، ما دام سنده صحيحا بلا نزاع ، وما دام متنه صحيحا على وجه الإجمال ولا يضره بعد ذلك أن الطب لم يكتشف حتى الآن بقية ما دل عليه من خواص العجوة ويقينى أنه لو كان فى الحجاز معاهد طبية راقية ، أو لو كان تمر العالية موجودا عند الغربيين ، لاستطاع التحليل الطبى الحديث أن يكتشف فيه خواص كثيرة ، ولعله يستطيع أن يكتشف هذه الخاصة العجيبة ، إن لم يكن اليوم ففى المستقبل إن شاء الله [١]) . انتهى ما نقلناه عن الدكتور مصطفى السباعى .

ولم يكتف الأستاذ أحمد أمين بما ذكرناه ، بل حاول أن يستشهد بأحاديث عدة على اكتفاء النقاد بنقد السند دون المتن ، إلا أنه لم يوفق إلى إثبات ما ادعى بما استشهد به ، وما من حديث استشهد به إلا فند العلماء القول فيه ، وبينوا طرقه ، وأزالوا كل ما قد يستشكله الباحثون وأهل الأهواء [٢] .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢٦٣ ـ ٢٦٦

(٢) رد أستاذنا الدكتور مصطفى السباعى على الأستاذ أحمد أمين جميع شبهاته ردا علميا قويا فليراجع فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٢١٢ ـ ٣٠٣ وما يتعلق بموضوعنا هذا ص ٢٦٦ ـ ٢٧١ .

الفصل الرابع

أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات

وهو ثمار جهود العلماء فى المحافظة على الحديث

كان لظهور الوضع أثر بعيد فى نفوس العلماء حملهم على بذل تلك الجهود العظيمة للمحافظة على الحديث ، وكان الوضع من الأسباب القوية التى دفعت العلماء إلى جمع الحديث وتدوينه وتصنيفه ، حرصا منهم على صيانته من عبث الوضاعين . وقد عبر الامام الزهرى عن هذا فقال : (لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثا ، ولا أذنت فى كتابه[1]) .

وقد فصلت القول فى جمع الحديث الشريف وتصنيفه فى الباب الرابع من هذا الكتاب ، وفيه يتجلى لنا اهتمام العلماء بجمع الحديث ، وتخليصه من الموضوع ، ثم حرصهم على تصنيف الصحيح منه .

والآن سنستعرض آثار العلماء فيما صنفوه من كتب كان لها الأثر الطيب فى حفظ الحديث النبوى ، فيما يتناول موضوعنا من الرجال وتاريخهم وأحوالهم ، وكناهم وألقابهم وأنسابهم وضبط أسمائهم ، وبيان الثقات والضعفاء منهم ، وما ألف فى الموضوع وغير ذلك — وإن كان قد ألف بعد هذا العصر — مما كان له فضل فى صيانة الحديث . وتعتبر هذه المؤلفات حصنا منيعا حول الحديث ، تتحطم على جنباته سهام أعداء السنة ، وستبقى أعظم دليل على اهتمام

---

(١) تقييد العلم ص ١٠٨ .

المسلمين بسنة رسولهم صلى الله عليه وسلم ومساهمتهم فى بناء تراث الانسانية العلمى.

وقد اعتنيتُ بجمع هذه المؤلفات ، وحاولت حصرها مما طالعته من المطبوع منها والمخطوط ، ومما ذكره السيد محمد الكتانى فى كتابه (الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة) الذى ذكر فيه مؤلفات كثيرة فى الحديث وعلومه . وما ذكره الأستاذ عمر كحالة فى كتابه (معجم المؤلفين) وما ذكره الأستاذ خير الدين الزركلى فى (الأعلام) ، وما مر عليّ من كتب لبعض علماء الحديث ورواته فى طيات تراجمهم مما لم يذكر فى هذه الكتب وما وجدته فى فهارس دور الكتب — وكان من العسير حصر جميع ما ألف فى موضوعنا هذا — وإذا بى أمام ثروة علمية ضخمة تربى على نيف وخمسين ومائتى مؤلف ، ورأيت المقام يضيق عن ذكرها ، ولهذا فضلت أن أكتفى بذكر بعض المشهور منها .

أولا : أشهر الكتب التى ألفت فى الصحابة :

كان الصحابة والتابعون وأتباعهم يعرفون من له صحبة ، وخاصة من عانى منهم نقل الحديث وروايته عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يحفظون أسماء كثير منهم ، وقد حرص العلماء على حصرهم ، وبيان مروياتهم وأحوالهم وأوطانهم وتاريخ وفاة كل منهم ، وقد جمعتُ قريبا من أربعين مؤلفا فى الصحابة منها :

١ — (معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) فى خمسة أجزاء للامام الثقة صاحب التصانيف الكثيرة أبى الحسن على بن عبد الله المدينى (١٦١ — ٢٣٤ هـ)[1] .

---

(١) الرسالة المستطرفة ص ٩٥

٢ — (كتاب المعرفة) فى مائة جزء وهو فى معرفة الصحابة للامام أبي محمد عبد الله بن عيسى المروزى مفتى مرو وعالمها (٢٢٠ — ٢٩٣ هـ[١]).

٣ — (كتاب الصحابة) فى خمسة أجزاء للامام محمد بن حبان أبى حاتم البستى (٢٧٠ — ٣٥٤ هـ[٢]).

٤ — (الاستيعاب فى معرفة الأصحاب) لأبى عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر النمرى القرطبي المالكى (٣٦٨ — ٤٦٣ هـ) ، وقد طبع فى مجلدين بالهند سنتى (١٣١٨ ، ١٣١٩ هـ) ، ثم طبع أخيرا فى أربعة أجزاء بمصر ، وقد سماه بهذا الاسم ظنا منه أنه استوعب الأصحاب ، ولكنه فاته كثير منهم ، وفيه خمسمائة وثلاثة آلاف ترجمة[٣] .

٥ — (أسد الغابة فى معرفة الصحابة) فى خمس مجلدات للمؤرخ عز الدين أبى الحسن على بن محمد (ابن الأثير) (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ) ، وطبع الكتاب سنة (١٢٨٦ هـ[٤]) فى مصر ، وفيه سبعة آلاف وخمسمائة وأربعة وخمسون ترجمة .

٦ — (تجريد أسماء الصحابة) فى جزأين للامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ) ، وقد طبع بالهند سنة (١٣١٠ هـ[٥]).

---

(١) الرسالة المستطرفة ص٩٥ ، ومعجم المؤلفين ص١٣٥ ج٦ .

(٢) الأعلام ص٣٠٦ ج٦ .

(٣) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح الحديث ١٥٩ و١٦١ و٢٥٧) كما طبع الاستيعاب على هامش كتاب الاصابة فى مصر سنة (١٣٢٨ هـ) فى أربع مجلدات ، يوجد منها فى دار الكتب المصرية عدة نسخ تحت رقم (مصطلح الحديث : ٢٢٩ و ٢٣٠) . واختصر الاستيعاب العلامة محمد بن يعقوب الخليلى فى كتاب سماه (اعلام الاصابة بأعلام الصحابة) مخطوط فى دار الكتب تحت الرقم (١٠٩ مصطلح) . وذيل غير واحد على الاستيعاب .

(٤) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ١٠٣) .

(٥) راجع نسخة دار الكتب المصرية (مصطلح الحديث ٢٦٣) .

٧ — (الإصابة في تمييز الصحابة) للإمام شهاب الدين أحمد بن علي الكناني العسقلاني (ابن حجر) صاحب التصانيف الكثيرة (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ) وهو أجمع ما كتب في هذا الباب، وقد طبع سنة (١٨٥٣ م) بالهند، ثم طبع في مصر سنة (١٣٢٣ هـ) في ثمانية أجزاء، جعلت الستة الأولى منها للأسماء، وفيها (٩٤٧٧) ترجمة والمجلد السابع للكنى، وفيه (١٢٥٧) كنية والمجلد الثامن في تراجم النساء، وهن (١٥٤٥) ترجمة[1].

٨ — (الرياض المستطابة في جملة من روى في الصحيحين من الصحابة) للشيخ يحيى بن أبي بكر العامري اليمني (٨١٦ — ٨٩٣ هـ) وقد طبع في (٩٢) صفحة بالهند سنة (١٣٠٣ هـ)[2].

٩ — (در السحابة في من دخل مصر من الصحابة) لخاتمة الحفاظ جلال الدين: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩ — ٩١١ هـ). وهو جزء صغير طبع في أول كتابه (حسن المحاضرة) بمصر سنة (١٣٢٧ هـ).

١٠ — (البدر المنير في صحابة البشير النذير) للشيخ محمد قائم بن صالح السندي الحنفي القادري، كان حيا قبل سنة ١١٤٥ هـ، وقد ذكر في كتابه أسماء الصحابة الذين وردت صحبتهم بطريق الرواية أو بما يدل على الصحبة بأي طريق[3].

---

(١) النسخة التي وصفناها مطابقة لنسخة الهند، محفوظة في خزانة قسم الإرشاد في دار الكتب المصرية، وطبعت الإصابة طبعات أخرى مختلفة منها طبعة مصر سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م).

(٢) ذكر في هذا الكتاب من له رؤية للرسول صلى الله عليه وسلم ورواية في الصحيحين، وقد رتبه على الحروف، وذكر ما روى له الشيخان في كتابهما ثم ما اتفقا عليه ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم. وذكر للصحابي من روى عنه من أصحاب الكتب الأربعة. راجع الكتاب المذكور في دار الكتب المصرية (مصطلح ١٦٢) وهو كتاب مفيد.

(٣) ويسمى هذا الكتاب أيضا (تيسير المرام بذكر صحابة أفضل من طاف ببيت الله الحرام أو شموس الهدى في صحابة المصطفى المقتدى) وهو مخطوط في (٢٨٧) ورقة مسطرتها =

وهناك كتب كثيرة اشتقت من هذه الأصول ، كما اختصر بعض العلماء بعض هذه الكتب أو ذيلوا عليها .

فهناك ذيول على (الاستيعاب) لابن عبد البر ، كذيل ابن فتحون الأندلسي (– ٥١٧ هـ) ، وذيل أبي الحجاج يوسف بن محمد بن مقلد (– ٥٥٨ هـ) ، وغيرها من الذيول والمختصرات[١] .

كما اختصر الإمام السيوطي كتاب الإصابة ، وسماه (عين الإصابة في معرفة الصحابة[٢]) .

ثانيا – أشهر ما صنف في تواريخ الرجال وأحوالهم :

وإذا انتقلنا إلى أخبار الرواة وأحوالهم نرى مصنفات مختلفة المنهج .

فمن المحدثين والمؤرخين من صنف كتبه على ترتيب السنين ، ومنهم من صنف حسب البلدان ، ومنهم من رتب كتبه على الحروف ، كما هي الحال في كتب التراجم ، وآخرون جعلوا الرجال على طبقات أو أجيال .

وتتفاوت هذه المصنفات بين اسهاب واختصار ، فنرى الإيجاز في كتب التراجم ، والتفصيل في التواريخ الكبيرة كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، وتاريخ الإسلام ، وقد جمعت نيفاً وتسعين كتاباً أقتصر على ذكر أشهرها ،

= ٢١ سطرا : ٢١ × ١٢ سم توجد نسخة منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح : ٣٢٥) .

(١) اختصر الشيخ محمد بن محمد السندروسي الشافعي الطرابلسي (– ١١٧٧ هـ) كتاب الاستيعاب لابن عبد البر وسماه (الشموس المضية في ذكر أصحاب خير البرية) وهو مرتب على حروف المعجم حذف منه التطويل في ذكر الأنساب والأشعار . وذكر فيه ما للصحابي من أحاديث في الصحيحين أو في أحدهما . والكتاب مخطوط في (٣١٨) ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا : ٢٠ × ١٤ سم . في دار الكتب المصرية تحت رقم (مصطلح : ١٣٠) .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ١٥٣ .

فنتعرض أولا أشهر ما كتب فى التاريخ والتراجم التى تناولت أحوال الرجال ، ثم نتناول بالبحث كتب الطبقات .

(أ) كتب فى تواريخ الرجال وأحوالهم :

١ — (تاريخ الرواة) للامام يحيى بن معين (١٥٨ — ٢٣٣ هـ) وهو مرتب على حروف المعجم[١] ، وله أيضا (معرفة الرجال) و (التاريخ والعلل[٢]) .

٢ — (التاريخ) فى عشرة أجزاء للمحدث النسابة الاخبارى خليفة ابن خياط الشيبانى العصفرى (— ٢٤٠ هـ[٣]) .

٣ — (التاريخ) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ)[٤] .

٤ — (التاريخ الكبير) لسيد الحفاظ وأميرهم الامام محمد بن اسماعيل البخارى أبى عبد الله (١٩٤ — ٢٥٦ هـ) وهو تاريخ عظيم ذكر فيه أسماء من روى عنه الحديث ، وكأنه حاول استيعاب الرواة من الصحابة فمن بعدهم إلى طبقة شيوخه ، فبلغ عددهم قريبا من أربعين ألفا ، بين رجل وامرأة وضعيف وثقة[٥] ، وقد قدر شيوخه ومعاصروه تاريخه هذا ، حتى إن شيخه الامام اسحاق ابن ابراهيم (ابن راهُوية) لما رأى التاريخ لأول مرة فرح به كثيرا ، ودخل به على الأمير عبد الله بن طاهر فقال : « أيها الأمير ألا أريك سحرا[٦] » . والكتاب فى أربعة أجزاء كبيرة ، رتبه على حروف

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٦ — ٩٧ ، وتاريخه معروف باسمه (تاريخ ابن معين) .

(٢) انظر معجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١٣ .

(٣) انظر الأعلام ص ٣٦١ ج ٢ .

(٤) الأعلام ص ١٩٢ ج ١ .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩٦ .

(٦) مقدمة فتح البارى ص ٤٨٤ .

المعجم[١] ، وفيه قال التاج السبكى : (إنه لم يسبق إليه ، ومن ألف بعده فى التاريخ أو الأسماء أو الكنى فعيال عليه[٢]) وطبع التاريخ الكبير فى ثمان مجلدات فى حيدر آباد[٣] سنة (١٣٦١ ـ ١٣٦٢هـ) ، وله أيضا التاريخ الوسط والصغير ، وقد طبع التاريخ الصغير بالهند سنة (١٣٢٥ هـ) وهو ثمانية أجزاء صغيرة فى مجلد واحد[٤] .

٥ ـــ (التاريخ الكبير) للمؤرخ الأندلسى أحمد بن سعيد بن حزم الصدفى أبى عمر (٢٨٤ ـــ ٣٥٠ هـ) وهو فى المحدثين ، قال ابن الفرضى : بلغ الغاية ، وقال ابن خير : خمسة وثمانون جزءا[٥] .

٦ ـــ (الهداية والارشاد فى معرفة أهل الثقة والسداد) لأبى النصر أحمد ابن محمد بن الحسين الكلاباذى (٣٠٦ ـــ ٣٩٨ هـ) ذكر فيه الذين

---

(١) بدأ بالمحمدين تعظيما لاسم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتوج غرة كتابه باسم الرسول عليه الصلاة والسلام ونسبه الشريفين . وقد جعل لكل اسم بابا ورتب الأسماء فى الباب الواحد على حروف المعجم وراعى هذا فى الحرف الأول من أسماء الآباء أيضا . ولم يراع ترتيب أبواب الأسماء حسب حروف المعجم فذكر (باب ابراهيم ثم باب اسماعيل ، ثم باب اسحاق ثم باب أيوب ثم باب أشعث ثم باب إياس وهكذا ويذكر اسم المترجم له وبعض من روى عنهم وبعض من روى عنه وقد يذكر حديثا له ، وقلما يذكر جرحا أو تعديلا وإذا كان صحابيا أشار إلى ذلك .

(٢) الرسالة المستطرفة ص٩٦ .

(٣) انظر الجزء الأول مطبوعا فى مجلدين فيهما (٢٨٩٤) ترجمة فى خزانة دار الكتب المصرية تحت رقم (ح ١٠٣٤٠) ويوجد من التاريخ الكبير فى دار الكتب المصرية الأجزاء (١و٢ و٤) مصورة فى ست مجلدات عن النسخة المخطوطة بمكتبة آيا صوفيا بالآستانة ، ينتهى الجزء الأول والثانى منها فى آخر باب الطاء ويبتدىء الرابع من ترجمة عباس إلى آخر الكتاب . راجع النسخة تحت الرقم (٢ رغ : ١٨٩٠) .

(٤) توجد عدة نسخ منه فى دار الكتب المصرية منها تحت الرقم (تاريخ ٤٠٢ و٢٧٠٧) .

(٥) انظر الأعلام ص١٢٦ ج١ ، ومعجم المؤلفين ص ٢٣٢ ج ١ .

خرجهم الإمام البخاري في جامعه[1] .

٧ — (تاريخ نيسابور) لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المعروف بابن البيع (٣٢١ — ٤٠٥ هـ) قال فيه السبكي : وهو عندي من أعود التواريخ على الفقهاء بفائدة، ومن نظره عرف تفنن الرجل في العلوم جميعها[2] ، وله أيضا (تراجم الشيوخ)، و (تسمية من أخرجهم البخاري ومسلم)[3] .

٨ — (تاريخ بغداد) لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد البغدادي الشافعي المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢ — ٤٩٣ هـ) وهو من أجل الكتب وأعودها فائدة، ذكر فيه رجالها ومن ورد إليها وضم إليه فوائد جمة ، وقد رتبه على حروف المعجم ، وذكر فيه الثقات والضعفاء والمتروكين ، وعليه ذيولات متعددة، وقد طبع بالقاهرة سنة (١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م) في أربعة عشر جزءا تضم (٧٨٣١) ترجمة .

٩ — (السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة الراويين عن شيخ واحد) للخطيب البغدادي أيضا[4] .

---

(١) توجد منه نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية منها نسخة كاملة تحت الرقم (١٦ مصطلح) تم نسخها سنة (٨٢٥هـ) في (٢١٥) ورقة ومسطرتها ١٧ سطرا : ١٧ × ٥ر١٣ سم ونسخة ثانية مقابلة ومعارضة تحت الرقم (٧٦ مصطلح . تم نسخها في سنة (٥٤٤) وفي أول هذه النسخة نقص . ورتبه على حروف المعجم وبدأ باب الألف بمن اسمه أحمد وباب الميم بمن اسمه محمد تشريفا لاسمه صلى الله عليه وسلم .

(٢) ومما يؤسف له أن الكتاب مفقود ، وقد اطلعت على قطعة منقولة ومنتخبة منه في (٧٤) لوحة في قلم محفوظ تحت الرقم (٦٥٧ تاريخ) ، في معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

(٣) الأعلام ص ١٠١ ج ٧ ، والرسالة المستطرفة ص ٩٩ .

(٤) انظر المخطوط رقم (٣٨١ مصطلح) في دار الكتب المصرية وهو في (١٤٨) لوحة مصورة ، يذكر في هذا الكتاب من روى عنه راويان أو أكثر وبين وفاتيهما أمد كبير مثال ذلك (أحمد بن محمد بن حنبل . . . حدث عنه أبو عبد الله بن ادريس الشافعي . . . وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ، وبين وفاتيهما مائة وثلاث عشرة سنة)

١٠ — (الجمع بين رجال الصحيحين) : صحيح البخاري ومسلم للإمام الحافظ أبي الفضل محمـــد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني (٤٤٨ — ٥٠٧ هـ) جمع فيه بين كتابي أبي نصر الكلاباذي وأبي بكر أحمد ابن علي الأصبهاني في رجال البخاري ومسلم . وطبع هذا الكتاب بالهند سنة (١٣٢٣ هـ) في (٦٣٨) صفحة في مجلدين [1] . وللمؤلف أيضا (تاريخ أهل الشام ومعرفة الأئمة منهم والأعلام) مجلدان و (إيضاح الإشكال فيمن أبهم اسمه من النساء والرجال) [2] وله (المغني في أسماء رجال الحديث) طبع في آخر (تقريب التهذيب بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

١١ — (تاريخ دمشق) في ثمانين مجلدا أو أكثر [3] ، للحافظ المؤرخ أبي القاسم علي بن الحسين (ابن عساكر) الدمشقي (٤٩٩ — ٥٧١ هـ) وهو كتاب عظيم جامع ، وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات وسمى المختصر (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ، طبع منه سبعة أجزاء في دمشق ابتداء من سنة (١٣٢٩ هـ) . ولابن عساكر أيضا (تاريخ المزة) ،

---

(١) انظر نسخ دار الكتب المصرية منها تحت رقم (١٧١ و ٢٦٤ مصطلح وقد) استدرك المقدسي في كتابه هذا ما فات الكلاباذي والأصبهاني ، واختصر بعض ما يستغنى عنه من التطويل ، ورتبه على حروف المعجم ، وابتدأ حرف الألف بمن اسمه (أحمد) وحرف الميم بمن اسمه (محمد) تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويترجم أولا لمن اتفقا عليه ثم لمن أفرده البخاري ثم لمن أفرده مسلم .

(٢) الأعلام ص ٤١ ج ٧

(٣) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٩ وهذا الكتاب يشتمل على ذكر من حل دمشق من أماثل البرية ، واجتاز بها أو بأعمالها من ذوي الفضل والمزية . . . والفقهاء والقضاة العلماء . . . وإيراد ما ذكروه من تعديل وجرح وحكاية عنها . . . وقد رتبه على التراجم وبدأ بمن اسمه (أحمد) تبركا باسمه صلى الله عليه وسلم ، وسلك في تأليفه مسلك الخطيب البغدادي في تاريخه ، يوجد منه في دار الكتب المصرية في قسم المخطوطات (٣٧ ٤٧ جلدا) .

و (معجم القسوان) ، و (معجم الشيوخ والنبلاء[١]) ، و (المعجم المشتمل على أسماء الكتب الستة) ، قال فى مقدمته : أما بعد ، (فإنى لما أخرجت أحاديث كتب السنن الأئمة الأول ورتبتها ترتيبا لا يفضى بالناظر إلى السآمة والملل ، رأيت أن أجمع أسماء شيوخهم الثقات النبل ، وأضيف إليها أسماء شيوخ البخارى ومسلم[٢]) .

١٢ — كتاب (الكمال فى أسماء الرجال) فى مجلدين[٣] للحافظ أبى محمد عبد الغنى بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الجماعيلى الحنبلى الدمشقى (٥٤١ — ٦٠٠هـ) .

١٣ — (جامع الأصول لأحاديث الرسول[٤]) لمجد الدين أبى السعادات مبارك بن محمد المعروف بابن الأثير (٥٤٤ — ٦٠٦هـ) .

١٤ — (المعجم) فى تاريخ المحدثين فى ثمانية عشر جزءا . لأبى المظفر عبد الكريم بن منصور السمعانى (٠٠ — ٦١٥هـ[٥]) .

١٥ — (التدوين فى ذكر أخبار قزوين) لأبى القاسم عبد الكريم بن محمد الرافعى القزوينى (٥٥٧ — ٦٢٣هـ) ذكر فيه خصائصها ، وما ورد فيها من

---

(١) انظر الأعلام ص ٨٢ جـ ٥ .

(٢) راجع مخطوطة دار الكتب المصرية (مصطلح : ٣٣٧) وهى فى (١٠٠) ورقة ومسطرتها ١٣ سطرا .

(٣) راجع النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٥ مصطلح) وهى ثلاثة أجزاء فى مجلدين فى (٣٢٧ و ٢٩٠) ورقة ومسطرتها ٢٥ سطرا .

(٤) يوجد من الكتاب المذكور فى دار الكتب المصرية مجلد واحد فيه الجزءان التاسع والعاشر ، وبه ينتهى الكتاب ، وهو فى أسماء الرجال والصحابة ، فى (٢٥٥) ورقة ومسطرتها ٢٧ سطرا : ٢٧ × ١٨ سم تحت رقم (مصطلح : ٢٢٥ طلعت) .

(٥) انظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٣ .

الأخبار النبوية والآثار ، وفي أسمائها ، ومن وردها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن عرف بنوع من العلم والدراسة من سكانها وأهلها ، ومن توطنها وغيرهم ، ورتب التراجم على الحروف وابتدأه بذكر المحمدين تبركا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو في أربع مجلدات مصورة في في دار الكتب المصرية [1] .

١٦ — (التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) للحافظ محمد بن عبد الغني ابن أبي بكر معين الدين : (ابن نقطه) الحنبلي البغدادي (— ٦٢٩ هـ [2]) وقد ذيل عليه تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي المالكي (— ٨٣٢ هـ) [3] .

١٧ — (تهذيب الكمال في أسماء الرجال) للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي الدمشقي (٦٥٤ — ٧٤٢ هـ) ، وهو تهذيب لما جمعه الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي في كتابه (الكمال في أسماء الرجال) : رجال البخاري ومسلم وأبي داود الترمذي والنسائي وابن ماجه فرتب المزي في تهذيبه عامة رواة العلم وحملة الآثار وعامة المشهورين من كل طائفة من طوائف أهل العلم على حروف المعجم ، ثم ذكر أسماء

---

(١) انظر الكتاب في خزانة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٤٨ : تاريخ) .

(٢و٣) جمع فيه كل من علمه روى شيئا من كتب السنة كالموطأ والصحيحين والسنن الأربعة ، وصحيح ابن حبان ومن المعاجم والمسانيد للامامين الشافعي وأبن حنبل ، ومن كتب السير والتواريخ والأدب للبيهقي .

انظر النسخة الموصوفة في دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٠٨٨٦) وهي مصورة في (٣١٧) لوحة في كل لوحة صفحتان ، ومسطرتها ٢٥ سطرا : ٢٢ × ٢٦ سم .

النساء ، وقد استغرق تأليفه من سنة (٧٠٥ — ٧١٢ هـ) وهو خمسون جزءا في اثني عشر مجلدا[١] .

١٨ — (تذهيب تهذيب الكمال[٢]) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ) وفيه اختصر (تهذيب الكمال) للمزي ثم اختصره أيضا في كتابه (الكاشف عن رجال الكتب الستة) ، واقتصر فيه على من له رواية في هذه الكتب ، ووضع رموزا لمن أخرج له من أصحاب الكتب الستة أو أحدهم أو بعضهم ، وذكر تواريخ وفياتهم ، ورتبه على حروف المعجم ، وبدأ في حرف الألف بالأحمدين ، وفي حرف الميم بالمحمدين ، تشريفا لاسمه عليه الصلاة والسلام[٣] .

١٩ — (تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام) للامام الذهبي أيضا .

---

(١) توجد نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٥ مصطلح) وقد كتبت العشرة المجلدات الأولى بين سنتي (٧٤٠ و ٧٤٨ هـ) وعدة أوراق الجميع على التوالي : ٣٩١/٤٠٨/٣٢٢/٤١١/٤٥٦/٤٠٣/٣٧٤/٤٢٦/٣٩٢/٣٧٥/٣٥٤/٣٣٦ ورقة . وقد استدرك المحدث الحافظ علاء الدين مغلطاي (٦٩٠ — ٧٦٢ هـ) على ما فات المزي في (تهذيب الكمال) في كتاب سماه (اكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال) في (١٣) مجلدا ، انظر معجم المؤلفين ص ٣١٣ جـ ١٢ ولخص تهذيب الكمال وأضاف عليه محمد بن علي الحسيني انظر الأعلام ص ١٧٧ جـ ٧ .

(٢) وهو في خمسة اجزاء مخطوطة ، يوجد منها في دار الكتب المصرية الأجزاء (١و٢و٣و٥) وهي نسخة مقابلة ، ومصححة في حياة المؤلف سنة ٧٣٦ هـ أوراقها على التوالي : (٢٢٠/٢٤٨/٢٠٧/١٩٩) ورقة ومسطرتها مختلفة . وللحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي (المتوفى بعد سنة ٩٢٣ هـ) كتاب (خلاصة تذهيب الكمال في أسماء الرجال) طبع بمصر سنة (١٣٠١) في مجلد .

(٣) انظر النسخة المخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩ مصطلح) في مجلد عدد أوراقه (٢١٣) ورقة ومسطرتها ٢٣ سطرا : ٢٧ × ٨سم ، وتوجد نسختان أخريان .

جمع فيه بين الحوادث والوفيات ورتبه على السنين ، فابتدأه من الهجرة النبوية ، وانتهى فيه إلى آخر سنة (٧٠٠ هـ) وقسمه إلى سبعين طبقة ، وجعل كل طبقة عشر سنين ، ورتب أسماء كل طبقة على ترتيب حروف المعجم ، والحوادث على السنين في ست وثلاثين مجلداً[1] ، طبع منها في مصر خمسة أجزاء سنة (١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧م) .

واختصر الذهبي من تاريخه مختصرات منها (سير أعلام النبلاء) في أربعة عشر مجلداً[2] ، طبع منها الجزءان الأول والثاني بمصر سنة (١٩٥٧م) والثالث سنة (١٩٦٢ م) .

٢٠ — (التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن علي بن حمزة الحسيني الدمشقي (٧١٥ — ٧٦٥ هـ) ، ضم في كتابه هذا إلى من (في تهذيب الكمال) لشيخه المزي من في الكتب الأربعة : الموطأ ومسند الشافعي ومسند أحمد ومسند أبي حنيفة الذي خرجه الحسين بن محمد بن خسرو من حديث أبي حنيفة ، واقتصر على من في الكتب الستة دون من أخرج لهم مصنفوها في مصنفاتهم الأخرى كالأدب المفرد للبخاري[3] ...) .

٢١ — (تهذيب التهذيب) للحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ — ٨٥٢ هـ) وفيه لخص (تهذيب الكمال) للمزي

---

(١) انظر الأعلام ص٢٢٢ ج٦ ، ويوجد منه في دار الكتب المصرية (٣٤) مجلداً مخطوطاً .

(٢) انظر الرسالة المستطرفة ص١٠١ ، وفي دار الكتب نسخة مصورة منه .

(٣) انظر مقدمة تعجيل المنفعة . وكان ابن حجر قد اطلع على الكتاب وتتبع ما في كتاب الغرائب عن مالك وما في معرفة السنن والآثار للبيهقي من الرجال الذين وقع ذكرهم في روايات الشافعي مما ليس في المسند وما في كتاب الزهد للامام أحمد مما ليس في مسنده وما في كتاب الآثار لمحمد بن الحسن وسماه (تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة) طبع بالهند سنة ١٣٢٤ هـ .

وزاد عليه فوائد كثيرة ؛ وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٥ - ١٣٢٧ هـ) فى اثنى عشر مجلدا ، ويعتبر (تهذيب التهذيب) من أجمع كتب تراجم رواة الحديث المتداولة بين العلماء فى هذا العصر ، وأصبحت نسخه نادرة وعزيزة ، وقد لخصه ابن حجر فى مجلد واحد سماه (تقريب التهذيب فى أسماء الرجال) طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) ثم طبع سنة (١٣٥٦ هـ) مع تعقيب التقريب للمولوى أمير على[1] .

٢٢ - (إسعاف المبطأ برجال الموطأ) للحافظ جلال الدين السيوطى وقد طبع بالهند سنة (١٣٢٠ هـ) .

* * *

(ب) كتب الطبقات :

وهى الكتب التى جعل مصنفوها الرجال على طبقات ، وذكروا أحوالهم طبقة بعد طبقة إلى عصر المؤلف وقد جمعت نيفا وعشرين مؤلفا فى موضوعنا . أقتصر على ذكر أشهرها .

١ - (الطبقات الكبرى) للمؤرخ الثقة محمد بن سعد بن منيع الحافظ كاتب الواقدى (المولود سنة ١٦٨هـ والمتوفى سنة ٢٣٠هـ) . فقد صنف سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ترجم للصحابة على طبقاتهم ، فالتابعين ، فمن بعدهم إلى وقته ، فأجاد وأحسن ، ويعتبر كتابه هذا من أوثق وأهم المصادر الإسلامية فى التاريخ والرجال

---

(١) كما طبع على هامش (التقريب) كتاب (المغنى فى أسماء رجال الحديث) للعلامة محمد بن طاهر بالهند سنة (١٢٩٠ هـ) وهناك طبعات أخرى وظهرت أخيرا طبعة جيدة لتقريب التهذيب طبعت فى القاهرة سنة (١٣٨٠ هـ) .

وقد طبعت الطبقات بمدينة ليدن سنة (١٣٢٢ هـ) فى ثلاثة عشر مجلدا خصص الأخير منها للنساء ، وَوُضِعَ لكل من ترجم لهم ابن سعد فى المجلد الرابع عشر فهرس عام ، مما يسهل الرجوع إليه . ولابن سعد أيضا طبقات صغرى ثانية وثالثة[1] .

٢ — (طبقات الرواة) فى ثمانية أجزاء[2] للحافظ أبى عمرو خليفة بن خياط الشيبانى العصفرى (— ٢٤٠ هـ) أحد شيوخ البخارى .

٣ — (طبقات التابعين) للامام مسلم بن الحجاج القشيرى (٢٠٤ — ٢٦١ هـ[3]) .

٤ — كتاب (التابعين) فى اثنى عشر جزءا ، للحافظ محمد بن حبان أبى حاتم البستى ، (٢٧٠ — ٣٥٤ هـ) وله (اتباع التابعين) و (تباع التبع) كلاهما فى خمسة عشر جزءا[4] . و (الطبقات الأصبهانية[5])

٥ — (طبقات المحدثين والرواة) لأبى نعيم . أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى (٣٣٦ — ٤٣٠ هـ[6]) .

٦ — (طبقات الحفاظ) للحافظ شمس الدين الذهبى (٦٧٣ — ٧٤٨ هـ)

---

(١) انظر الطبقات الكبرى فى قسم الإرشاد فى دار الكتب المصرية ، وانظر الرسالة المستطرفة ص ١٠٤ .

(٢) الأعلام ص ٣٦١ جـ ٢ ويوجد فى دار الكتب المصرية جزء من نسخة فيه من سكن المدينة من الصحابة والتابعين فى (٢٠٩) ورقات ، مسطرتها بين ٢١ و٢٢ سطرا : ٢٩ × ٢٠ سم نقلا عن نسخة قديمة ترجع إلى القرن الرابع الهجرى ، محفوظة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، ونسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (٧٥ ؛ مصطلح) .

(٣) معجم المؤلفين ص ٢٣٢ جـ ١٢ .

(٤) الأعلام ص ٣٠٦ جـ ٦

(٥) معجم المؤلفين ص ١٧٣ جـ ٩ .

(٦) الأعلام ص ١٥٠ جـ ١ .

ترجم فيه رواة الحديث من الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن تلاهم إلى عصره وجعلهم على احدى وعشرين طبقة ، طبع في أربعة أجزاء بالهند ، ويعتبر من أنفس كتب الطبقات[1] .

٧ – (طبقات الحفاظ) لجلال الدين السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ) ذكر فيه تراجم الحفاظ موجزة وقد طبع سنة (١٨٣٣ م) بغوطا .

وغير هذه الكتب كثير ، مما ألف في طبقات علماء المذاهب ، وطبقات حفاظ البلدان ككتاب المحدثين بأصبهان والواردين عليها لعبد الله محمد الأصبهاني ، وطبقات علماء أفريقيا لأبي العرب محمد بن أحمد التميمي المغربي الإفريقي ، وغير ذلك .

• • •

ثالثا : كتب في معرفة الأسماء والكنى والألقاب والأنساب :

وكما صنف العلماء تراجم الرواة وأحوالهم ، رأوا أن يصنفوا ما يضبط أسماء الرواة لدفع الالتباس ، ومنع الوقوع في الخطأ بسبب تشابه أسماء الرجال وكناهم وأنسابهم ، فصنفوا كتبا كثيرة في الكني والألقاب والأنساب ، وهذه الكتب أكثر من أن تحصى ، وقد جمعت منها نيفا وثلاثين كتابا ، سأذكر أشهر ما ألف في الأسماء والكنى والألقاب ، ثم أتبعها بأشهر كتب أنساب الرواة .

---

(١) انظر هذه النسخة في قسم الارشاد من دار الكتب المصرية باسم (تذكرة الحفاظ) .

(ا) كتب فى الأسماء والكنى والألقاب :

١ – (الأسامى والكنى) فى ثمانية أجزاء[1] لعلى بن عبد الله بن جعفر المدينى (المولود سنة ١٦١ هـ والمتوفى سنة ٢٣٤ هـ).

٢ – (الأسماء والكنى[2]) للامام أحمد بن حنبل (١٦٤ – ٢٤١ هـ).

٣ – (الكنى) ألف بهذا الاسم كثير من أئمة الحديث فى ذلك العصر، منهم الامام البخارى والنسائى وعبد الرحمن بن أبى حاتم وغيرهم[3].

٤ – (كتاب الكنى والأسماء[4]) للامام مسلم بن الحجاج النيسابورى (٢٠٤ – ٢٦١ هـ).

٥ – (الكنى والأسماء) لأبى بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعد الأنصارى الدولابى (٢٣٤ – ٣٢٠ هـ) وهو كتاب جامع مشهور، طبع فى جزأين بالهند سنة (١٣٢٢ – ١٣٢٣ هـ[5]).

٦ – (الأسماء والكنى[6]) فى أربعة عشر مجلدا للحاكم الكبير أبى أحمد محمد بن محمد بن أحمد النيسابورى الحافظ المحدث (٢٨٥ – ٣٧٨ هـ).

٧ – (فتح الباب فى الكنى والألقاب) لأبى عبد الله محمد بن اسحاق

---

(١) معجم المؤلفين ص ١٣٢ ج ٧.

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠.

(٣) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٠ – ٩١.

(٤) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية فى (٧٦) ورقة متوسط مسطرتها ٢١ سطرا تحت رقم (٢٢١ طلعت : مصطلح).

(٥) الجزءان على التوالى (٢٠٢/١٧١) صفحة سوى (٩٤) صفحة فهارس وتوجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٦٠ مصطلح).

(٦) الرسالة المستطرفة ص ٩١، والأعلام ص ٢٤٤ ج ٧، ومعجم المؤلفين ص ١٨٠ ج ١١

ابن مندة الأصبهانى (٣١٠ — ٣٩٥ هـ) نشره وعلق عليه (وى دونج) بألمانيا سنة (١٩٢٧ م) .

٨ — (المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث) و (المشتبه فى النسبة) للإمام النسابة أبى محمد عبد الغنى بن سعيد الأسدى المصرى شيخ حفاظ الحديث بمصر فى عصره (٣٣٢ — ٤٠٩ هـ) وقد طبع الكتابان فى مجلد واحد فى (٢١٦) صفحة بالهند سنة (١٣٢٦ هـ) .

٩ — (تكملة المؤتلف والمختلف) و (الأسماء والألقاب[1]) و (الأسماء المبهمة فى الأنباء المحكمة[2]) و (تلخيص المتشابه فى الرسم فى أسماء الرواة[3]) لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت البغدادى ، المعروف بالخطيب البغدادى (٣٩٢ — ٤٦٣ هـ) .

١٠ — (الاكمال فى رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب) للأمير الحافظ أبى نصر على بن هبة الله بن جعفر : ابن ماكولا البغدادى (٤٢١ — ٤٨٦ هـ) ، وهو كتاب قيم ، ألفه بعد أن اطلع على كتب البغدادى وعلى كتابى عبد الغنى بن سعيد الأزدى[4] .

---

(١) الأعلام ص ١٦٦ ج ١ وبالنسبة (لتكملة المؤتلف والمختلف) انظر مقدمة (الاكمال فى رفع الارتياب) لابن ماكولا .

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه ضمن مجموعة بدار الكتب المصرية تحت الرقم (١٥٥٨ حديث) .

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣١ مصطلح) وقد رتب الكتاب على خمسة فصول ، وبعد أن انتهى من هذا الكتاب أتبعه بكتاب ثان ضمنه ما يتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم ، والكتابان فى مجلد واحد الأول فى (٢٨٠) ورقة والثانى فى (٦٨) ورقة ومسطرته ٢٢ سطرا : ٥ و ٢٤ × ١٧ سم .

(٤) انظر مقدمة الكتاب فى النسخة المخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٨ مصطلح) وهى فى جزأين الأول (٣١٩) ورقة والثانى (٣٣٤) ورقة ، ورتبه على الحروف الهجائية وجعل لكل اسم من الحرف بابا .

قال ابن خلـكان : لم يوضع مثله[1] .

١١ — (كشف النقاب عن الأسماء والألقاب[2]) لأبى الفرج عبد الرحمن ابن على (ابن الجوزى) (٥٠٨ — ٥٩٧ ﻫ) .

١٢ — (المستدرك على الاكمال لابن ماكولا) للحافظ محمد بن عبد الغنى البغدادى (ابن نقطة) المتوفى سنة (٦٢٩[3] ﻫ) .

١٣ — (المشتبه فى أسماء الرجال) للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (٦٧٣ — ٧٤٨ ﻫ) وهذا الـكتاب ثمرة الجهود التى بذلها من سبق الذهبى فى هذا الباب ، مما جاء فى كتب الأزدى وابن ماكولا وابن نقطة ، وشيخ الذهبى أبى يعلى القرضى وغيرهم ، وأضاف إلى ذلك ماوقع له أو تنبه إليه[4] ، وطبع هذا الـكتاب فى ليدن سنة (١٨٦٣ و ١٨٨١ م) فى (٦١٢) صفحة ، وقدم له الدكتور (دوجونغ) . وللذهبى أيضـا (المقتنى فى سرد الـكنى) وهو مختصر كتاب الحاكم الـكبير بعـد أن زاد الذهبى عليه ورتبـه على حروف المعجم[5] .

١٤ — (تحفة ذوى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب

---

(١) الأعلام ص ١٨٣ ج ٥ .

(٢) الرسالة المستطرفة ص ٩٠ .

(٣) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الـكتب المصرية تحت الرقم (١٠ مصطلح) فى ١٦٠ ورقة مسطرتها : ٢٧ سطرا / ٢٨ × ٢٠ سم .

(٤) ذكر الذهبى هذا فى مقدمته . ولابن ناصر الدين محمد بن أبى بكر الدمشقى (٧٧٧ ـ ٨٤٢ ﻫ) كتاب (التوضيح لـكتاب المشتبه فى الرجال) للذهبى يوجد منه الجزء الأول فى دار الـكتب المصرية تحت رقم (ب ٢٣٢٩١) مصورا عن النسخة الحلبية فى مكتبة سوهاج تحت رقم (١١١ حديث) .

(٥) الرسالة المستطرفة ص ٩١

الدهشة محمود بن أحمد الهمذانى الفيومى الأصل، (٧٥٠ — ٨٣٤ ﻫ) وقد ألفه سنة (٨٠٤ ﻫ) وطبع بليدن سنة (١٩٠٥ م) مع مقدمة بالألمانية .

١٥ — (نزهة الألباب فى الألقاب) للحافظ أبى الفضل شهاب الدين : ابن حجر الكنانى العسقلانى (٧٧٣ — ٨٥٢ ﻫ) جمع فيه ما لغيره وزاد أشياء كثيرة مما فات سلفه[١] .

(ﺏ) وأما كتب الأنساب وأشهرها :

١ — (ما اتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم غير أن فى بعضه زيادة حرف واحد[٢]) لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت ، الخطيب البغدادى (٣٩٢ — ٤٦٣ ﻫ) .

٢ — (الأنساب المتفقة فى الخط المتماثلة فى النقط والضبط) للشيخ محمد بن طاهر المقدسى (٤٨٨ — ٥٠٧ ﻫ) وذيل تلميذه محمد بن أبى بكر عمر بن أبى عيسى الأصبهانى (المتوفى سنة ٥٨١ ﻫ) عليه وطبعا معا فى مجلد واحد بليدن سنة (١٨٦٥م) .

٣ — (اقتباس الأنوار والتماس الأزهار فى أنساب الصحابة، ورواة الآثار) لأبى محمد عبد الله بن على اللخمى الأندلسى المعروف بالرشاطى (٤٦٦ — ٥٤٢ﻫ) وهو كتاب قد أحسن فيه وأجاد ، وتلقاه عنه الناس[٣] .

---

(١) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٣٣٦ مصطلح) فى (٧٠) ورقة مسطرتها ٢٣ سطرا : ٥ر ٢٥ × ١٧ سم . وقد رتبه على أبواب ثلاثة .

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية ملحقة بكتاب (تلخيص المتشابه) فى (٦٧) ورقة تحت رقم (٣١ مصطلح) .

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٩٤ .

٤ — (الأنساب) لتاج الاسلام أبى سعيد عبد الكريم بن محمد بن أبى المظفر التميمى السمعانى صاحب التصانيف الكثيرة (٥٠٦ — ٥٦٢ هـ) ذكر فيه أنساب الرجال ، وذكر لمن يترجم له سيرتَه وقولَ الناس فيه من جرح أو تعديل ، وشيوخه ومن روى عنه ، ورتبه على حروف المعجم . قدم له المستشرق (مارج ليوس) وطبع بالزنكوغراف سنة (١٩١٢ م) بمدينة ليدن[١] .

٥ — (اللباب) فى ثلاثة مجلدات لعلى بن محمد الشيبانى الجزرى (٥٥٥ — ٦٣٠ هـ) اختصر به أنساب السمعانى وزاد فيه . وقد طبع فى ثلاثة أجزاء بمصر سنة (١٣٥٦ — ١٣٥٩ هـ[٢]) .

٦ — (نسبة المحدثين إلى الآباء والبلدان[٣]) لمحمد بن محمود محب الدين: ابن النجار (٥٧٨ — ٦٤٣ هـ) .

٧ — (الاكتساب فى تلخيص كتب الأنساب) للقاضى قطب الدين محمد ابن محمد الخيضرى الشافعى (٨٢١ — ٨٩٤ هـ) وهو مختصر كتاب أنساب السمعانى وضم إليه ما عند ابن الأثير والرشاطى وغيرهما[٤] .

• • •

رابعا : <u>كتب فى الجرح والتعديل</u> :

إن ظهور هذا النوع من المصنفات كان نتيجة حتمية لجهود النقاد ،

---

(١) توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية تحت الرقم (٢٦٣٦ تاريخ) .
(٢) وقد لخص السيوطى اللباب فى كتابه (لب اللباب فى تحرير الأنساب) وطبع فى ليدن سنة (١٨٥١ م) .
(٣) انظر الأعلام ص ٣٠٧ ج٧ ، وقارن بالرسالة المستطرفة ص ٩٤ .
(٤) انظر الرسالة المستطرفة ص ٩٤

ودراستهم أحوال الرجال من حيث قبول أخبارهم أو عدم قبولها ، وقد رأينا القوانين التي طبقها النقاد على كل راو لمعرفة حاله ، وعرفنا سموهم ونزاهتهم في نقدهم ، قال الذهبي : (وقد ألف الحفاظ مصنفات جمة في الجرح والتعديل ، ما بين اختصار وتطويل ، فأول من جمع كلامه في ذلك الامام الذى قال فيه أحمد بن حنبل : ما رأيت بعيني مثل يحيي بن سعيد القطان ، وتكلم في ذلك بعده تلامذته يحيي بن معين ، وعلى بن المديني ، وأحمد بن حنبل ، وعمرو بن على الفلاس ، وأبو خيثمة ، وتلامذتهم كأبي زرعة ، وأبي حاتم ، والبخارى ، ومسلم ، وأبي اسحاق الجوزجاني السعدى ، وخلق من بعدهم ، مثل النسائي ، وابن خزيمة ، والترمذى ، والدولابي ، والعقيلي ، وله مصنف مفيد في معرفة الضعفاء ، ولأبي حاتم بن حبان كتاب كبير . . . ولأبي أحمد بن عدى كتاب الكامل[1]) .

والمصنفون في هذا العلم لهم مناهج مختلفة في التصنيف ، فمنهم من ذكر في مصنفه الكذابين والضعفاء ، ومنهم من أضاف على ذلك فذكر بعض الموضوعات ، ومنهم من صنف في الثقات فقط ، ومنهم من صنف في الضعفاء والثقات معا ، ولذلك نستعرض في هذه الفقرة ما صنف في الضعفاء أو الثقات ، أو ما صنف فيهما ، ونفرد في فقرة خاصة ما صنف في الموضوعات . وقد جمعت في موضوع الجرح والتعديل نيفا وثلاثين كتابا ، أذكر أشهرها :

١ — (الجرح والتعديل[2]) للامام أحمد بن محمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ) .

---

(١) انظر ميزان الإعتدال ص ٢ ج ١ .

(٢) معجم المؤلفين ص ٩٦ ج ١ .

٢ — (الضعفاء[١]) لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم البرقى الزهرى (— ٢٤٩ هـ) .

٣ — (الجرح والتعديل) و (الضعفاء[٢]) لأبى اسحاق ابراهيم بن يعقوب السعدى الجوزجانى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ) .

٤ — (الضعفاء) للامام محمد بن اسماعيل البخارى (١٩٤ — ٢٥٦ هـ) وقد طبع بالهند مع التاريخ الصغير للبخارى ، وطبع معه كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائى . وذلك سنة (١٣٢٥ هـ) .

٥ — (تاريخ) فى الثقات والضعفاء لأحمد بن أبى خيثمة النسائى البغدادى (١٨٥ — ٢٧٩ هـ) قال فيه الخطيب البغدادى لا أعرف أغزر فوائد منه[٣] .

٦ — (تاريخ الضعفاء والمتروكين) للامام الحافظ أبى عبد الرحمن أحمد ابن على النسائى (٢١٥ — ٣٠٣ هـ) وقد رتبه على حروف المعجم ، وطبع ضمن (مجموعة بالهند سنة ١٣٢٥ هـ) .

٧ — (الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبى حاتم بن ادريس الحنظلى الرازى (٢٤٠ — ٣٢٧ هـ) وهو من أعظم كتب الجرح والتعديل التى وصلتنا ومن أغزرها فائدة ، وأوثقها صلة بنقاد الرجال الذين عرفهم تاريخ الحديث . لهذا لابد من بسط القول فيه .

فقد تتلمذ ابن أبى حاتم على والده أبى حاتم محمد بن ادريس الرازى وعلى أبى زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازى وهما من طبقة البخارى ، فأخذ عنهما

---

(١) الأعلام ص ٩٠٢ ج ٧ .

(٢) معجم المؤلفين ص ٢٨ ج ١ وقارن بالرسالة المستطرفة ص ١١٠ .

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٩٧ ، ويقع فى ثلاثين مجلدا صغارا واثنى عشر كبارا .

علم الجرح والتعديل، وأفاد منهما كثيرا فى تصنيف كتابه، وحرص على استيعاب نصوص أئمة العلم فى الحكم على الرواة بتعديل أو جرح، وزاد فوائد وزيادات فى كثير من التراجم، يندر وجودها عند من سبقه، كما استدرك على البخارى فى بعضها، وقد جمع كتابه نصوص أبيه فى الجرح والتعديل، ونصوص أبى زرعة، ونصوص البخارى، إلا أنه استغنى عن نصوص البخارى بموافقة أبيه البخارى فى غالب تلك الأحكام، وتتبع ابن أبى حاتم نصوص الأئمة، فأخذ عن أبيه وعن محمد بن إبراهيم بن شعيب ما روياه عن عمرو بن الفلاس مما قاله باجتهاده، ومما يرويه عن عبد الرحمن بن مهدى (١٣٥ — ١٩٨ ﻫ) ويحيى بن سعيد القطان (١٢٠ — ١٩٨ ﻫ) مما يقولانه باجتهادهما، ومما يرويانه عن سفيان الثورى (٩٧ — ١٦١ ﻫ) وشعبة بن الحجاج (٨٢ — ١٦٠ ﻫ)، وأخذ عن صالح بن أحمد بن حنبل ما يرويه عن أبيه، وأخذ عن صالح أيضا وعن محمد بن أحمد بن البراء ما يرويانه عن على بن المدينى (١٦١ — ٢٣٤ ﻫ) مما يقوله باجتهاده ومما يرويه عن سفيان بن عيينة (١٠٧ — ١٩٨ ﻫ) وعن عبد الرحمن بن مهدى وعن يحيى بن سعيد القطان، واتصل بجميع أصحاب الامام أحمد ويحيى بن معين (١٥٨ — ٢٣٣ ﻫ) فروى من أبيه عنهما، وعن أبيه عن اسحاق بن منصور عن يحيى بن معين، وروى عن غيرهم، كما أخذ عن عباس الدورى (المتوفى سنة ٢٧١ ﻫ).

لهذا كان كتابه زاخرا بنصوص الأحكام التى أصدرها جهابذة علم الجرح والتعديل، وبهذا يفوق كتاب التاريخ الكبير للبخارى، لأنه قلما ذكر البخارى فى تاريخه جرحا وتعديلا، وهذا لا ينقص من قيمة كتاب البخارى، فربما فعل ذلك عمدا لأنه ألف فى الضعفاء كتابا منفردا.

ورتب ابن أبى حاتم كتابه على حروف المعجم بالنسبة للحرف الأول من

الاسم فقط ، فى باب الألف نرى باب أحمد ثم باب إبراهيم ثم باب إسماعيل ثم باب أيوب ثم باب آدم وهكذا ، وإذا كثرت التراجم فى الباب رتبها على أبواب ذيلية بحسب أول أسماء الآباء ، فقدم فى الأحمدين من أول اسم أبيه ألف ثم من أول اسم أبيه باء . . . ، وإذا كثرت التراجم فى الباب رتبهم باعتبار اسم الأب والجد ، كما فعل فى من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله ، فذكر أولا من أول اسم جده ألف ثم من اسمه محمد واسم أبيه عبد الله وأول اسم جده باء وهكذا وجعله فى أربعة أجزاء كبيرة ضمت (١٨٠٥٠) ترجمة ذكر كل راو وما قيل فيه بأسانيد صحيحة . وجعل للكتاب مقدمة هى مفتاح له ، فى جزء مفرد سماها (تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل) ، وهى عظيمة جدا ، تكلم فيها حول هذا العلم وترجم لجهابذته ترجمة وافية ، فكان الكتاب فريدا فى فنه ، لا يستغنى عنه عالم فى الحديث وعلومه . وهو صورة صادقة عن مؤلفات لا ندرى عددها كانت فى ذلك العصر ، لم يكتب لها الوصول إلينا ، وقد طبع هذا الكتاب بالهند (سنة ١٣٧٣ هـ) فى تسع مجلدات ، مجلد للمقدمة ، ومجلدان لكل جزء من أجزائه الأربعة[1] .

٨ — (الثقات[2]) لأبى حاتم بن حبان البستى ، (المتوفى سنة ٣٥٤ هـ)

---

(١) راجع نسخة دار الكتب المصرية تحت الرقم (ب ٢٨١١٢) وقد حصلت مكتبة كلية دار العلوم أخيرا على نسخة منه .

(٢) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية ولكنها ناقصة والموجود يبدأ من أسماء (أتباع التابعين) وقسم من (أتباع أتباع التابعين) من الألف إلى آخر حرف الذال فى (١٨٣) ورقة تحت رقم (٢٠٨ طلعت مصطلح) ، وقد رتب نور الدين الهيثمى (٧٣٥ ـ ٨٠٧ هـ) ثقات ابن حبان على حروف المعجم وسماه (ترتيب كتاب الثقات) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية فى مجلدين فى (١٩٦/١٨٣) ورقة تحت رقم (٣٧ مصطلح) .

ولكنه تساهل فى توثيق بعض من ذكرهم ، ولهذا وجب التنبيه إلى أن توثيق ابن حبان دون توثيق غيره .

٩ — (الكامل)[1] فى معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث . للحافظ الكبير أبى أحمد عبد الله بن محمد بن عدى الجرجانى (٢٧٧ — ٣٦٥ هـ) ذكر فى كتابه هذا كل من تكلم فيه ولو كان من رجال الصحيحين ، وذكر فى ترجمة كل واحد حديثاً فأكثر من غرائبه ومناكيره ، وهو أكمل كتب الجرح وعليه الاعتماد فيها .

١٠ — (تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم)[2] لأبى حفص ، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (٢٩٧ — ٣٨٥ هـ) . وقد رتبه على حروف المعجم .

١١ — (المدخل) للامام الحاكم[3] أبى عبد الله محمد بن عبد الله النيسابورى (٣٢١ — ٤٠٥ هـ) تكلم فى قسم منه عن المجروحين وبسط القول فى هذا .

١٢ — كتاب (الضعفاء المتروكين — أو أسماء الضعفاء الواضعين)[4] لأبى الفرج عبد الرحمن بن على : ابن الجوزى (٥١٠ — ٥٩٧ هـ) ، وقد ذكر

---

(١) يوجد منه فى دار الكتب المصرية خمسة عشر جزءا مخطوطا بأرقام مختلفة تكون أجزاء مختلفة من (الكامل) لثلاث نسخ إلا أنها ناقصة وهى تحت رقم (٩٢ ـ ٩٦ مصطلح) .

(٢) انظر الأعلام ص ١٩٦ ج ٥ .

(٣) طبع بحلب سنة (١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م) باشراف الشيخ راغب الطباخ .

(٤) توجد نسخة منه فى دار الكتب المصرية مأخوذة بالتصوير الشمسى عن نسخة كتبت سنة (٧١٠) فى (١٧٦) لوحة وتشتمل كل لوحة على صفحتين وفيها طيارات كثيرة . تحت رقم (٣٧١ مصطلح) .

فيه الضعفاء الواضعين ، وذكر من جرحهم من الأئمة الكبار الحافظين ، ورتبه على حروف المعجم .

١٣ — (ميزان الاعتدال) للامام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى (٦٧٣ ـ ٧٤٨ هـ) وهو فى ثلاثة أجزاء ، سلك فيه مسلك ابن عدى ، فذكر كل من تكلم فيه وإن كان ثقة ، وذكر فى ترجمة كل راو حديثا أو أكثر من غرائبه ومناكيره . طبع فى مصر سنة (١٣٢٥هـ) فى ثلاث مجلدات فيها (١٠٩٠٧) تراجم ، والذهبى (رسالة فى الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم) [١] .

١٤ — (الاغتباط بمعرفة من رمى بالاختلاط)[٢] لبرهان الدين ابراهيم بن محمد الحلبى سبط ابن العجمى (المتوفى سنة ٨٤١ هـ) وله أيضاً (التبيين لأسماء المدلسين)[٣] وله أيضاً (الكشف الحثيث على من رمى بوضع الحديث) [٤]

١٥ — (لسان الميزان) للحافظ ابن حجر (٧٧٣ ـ ٨٥٢ هـ) ضمنه الميزان وزاد عليه ، وفيه نحو (١٤٣٤٣) ترجمة وقد طبع بالهند سنة ١٣٢٩ ـ ١٣٣١ هـ) فى ستة أجزاء . ولابن حجر أيضاً (طبقات المدلسين) طبع بمصر سنة (١٣٢٢ هـ) .

١٦ — (الثقات ممن لم يقع فى الكتب الستة) لزين الدين قاسم بن قطلوبغا

---

(١) طبع فى مصر سنة (١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٦ م) . وقد استدرك على الذهبى فى ميزانه سبط ابن العجمى فى كتاب سماه (نثل الهميان فى معيار الميزان) توجد منه نسخة مخطوطة بخط المؤلف فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٣٣٤٦ ب) .

(٢) ذكر فى كتابه هذا من اختلط فى آخر عمره من الثقات ، وذكر من تحته بذلك . وقد يبين أحيانا السنة التى اختلط فيها الراوى . وقد طبع بحلب (سنة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١ م) باشراف الشيخ راغب الطباخ .

(٣) طبع بحلب باشراف الشيخ راغب الطباخ مع رسالة الاغتباط السالفة الذكر .

(٤) انظر تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين ص ١٨ .

(٨٠٢ ـ ٨٧٩) وهو في أربع مجلدات .[1]

وقد أغفلت كثيراً من المؤلفات التي استمدت من هذه الأصول خشية الإطالة .

خامسا — المؤلفات في الموضوعات :

جمعت في هذا الموضوع نحوا من أربعين مؤلفا أذكر أشهرها :

١ — (تذكرة الموضوعات) لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي (٤٤٨ — ٥٠٧) وتبه على حروف المعجم ، وفيه يذكر الحديث ويذكر من جرح راويه من الأئمة . طبع بمصر سنة (١٣٢٣ هـ) .

٢ — (الموضوعات في الأحاديث المرفوعات)[2] لأبي عبد الله الحسين بن إبراهيم الهمداني الجوزقي (المتوفى سنة ٥٤٣ هـ) نص فيه على أحاديث موضوعة ، وبين بطلان أحاديث واهية بمعارضة أحاديث صحاح لها .

٣ — (الموضوعات الكبرى) لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (٥٠٨ — ٥٩٧) وهو في أربع مجلدات ، تناول فيه ما ورد من الأحاديث في كتاب الكامل لابن عدي والضعفاء لابن حبان ، والعقيلي والأزدي وتفسير ابن مردويه ومعاجم الطبراني الثلاثة وتصانيف الخطيب ، ومصنفات أبي نعيم وغيرها من الكتب ، وتساهل في الحكم على تلك المرويات بالوضع ، فقد أورد فيه الضعيف بل الحسن بل الصحيح مما في سنن أبي داود[3] . لهذا كثر انتقاد العلماء له .

---

(١) الرسالة المستطرفة ص ١١٠ (٢) الرسالة المستطرفة ص ١١٢ .

(٣) انظر مقدمة كتاب تنزيه الشريعة ص : ل ، ويوجد الجزء الثاني من موضوعات ابن الجوزي في دار الكتب المصرية من نسخة تحت الرقم (١٤٧ م) والجزء الأخير من نسخة تحت الرقم (٤٨٨ حديث) وكلاهما مخطوط .

٤ — المغنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شى فى هـذا الباب) للحافظ ضياء الدين أبى حفص عمر بن بدر الموصلى الحنفى (المتوفى سنة ٦٢٣ هـ)[١].

٥ — (الأحاديث الموضوعة التى يرويها العامة والقصاص)[٢] رسالة لعبد السلام بن عبد الله (ابن تيمية) الحرانى (ـ ٦٥٢ هـ) جد الإمام أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، وله رسالتان فى الموضوعات تشدد فيهما كابن الجوزى.[٣]

٦ — (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)[٤] للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى (٧٢٥ ـ ٨٠٦ هـ)

٧ — (اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) للحافظ جلال الدين السيوطى (٨٤٩ ـ ٩١١ هـ) اختصر فيه كتاب ابن الجوزى واستدرك عليه وزاد فيه ماورد فى تاريخ ابن عساكر ، وابن النجار ، ومسند الفردوس، وتصانيف أبى الشيخ[٥]. وله أيضاً (ذيل اللآلىء المصنوعة)، و (التعقبات على الموضوعات)، و (النكت البديعات) .

٨ — (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لأبى الحسن على بن محمد (ابن عراق) الكنانى (المتوفى سنة ٩٦٣ هـ) وهو كتاب جامع زاد فيه على السيوطى فى لآلئه واستدرك عليه ، وجعله فى مقدمة وقسمين . ذكر فى القسم الأول أسماء الوضاعين ومن اتهموا بالكذب من رجال النقد ، وذكر فى القسم

---

(١) طبع الكتاب سنة (١٣٤٢ هـ) بالقاهرة .

(٢) انظر النسخة المخطوطة فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١٧٦ مجاميع) .

(٣) انظرها تحت الرقم (٨٧ مجاميع) فى قسم المخطوطات من دار الكتب المصرية .

(٤) لخصه السيوطى فى كتابه (تحذير الخواص من أكاذيب القصاص) فى الفصل التاسع منه واستدرك عليه فى الفصل العاشر . وقد طبع كتاب السيوطى سنة (١٣٥١ هـ) بمصر .

(٥) انظر مقدمة اللآلىء . وقد طبع الكتاب فى مجلدين بمصر سنة « ١٣١٧ هـ » وطبعت تعليقاته على ابن الجوزى سنة « ١٨٨٦ م » بالهند .

الثانى الأحاديث الموضوعة ، وبين الرواة المتهمين بوضعها . وطبع الكتاب سنة (١٣٧٨ هـ) بمصر فى مجلدين .

٩ - (تذكرة الموضوعات) لرئيس محدثى الهند جمال الدين محمد بن طاهر بن على الفتنى (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ) وله أيضاً (قانون الأخبار الموضوعة والرجال الضعفاء) طبعا (سنة ١٣٤٣ هـ) بالقاهرة فى مجلد واحد .

١٠ - (الكشف الالهى عن شديد الضعف والموضوع الواهى) لمحمد بن محمد الحسينى السندروسى (المتوفى سنة ١١٧٧ هـ) جمع فيه الأحاديث الشديدة الضعف والواهية والموضوعة .[١]

١١ - (الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة) للقاضى أبى عبد الله محمد بن على الشوكانى ، (١١٧٣ - ١٢٥٥ هـ) وقد أفاد من مؤلفات السلف ، إلا أنه تساهل فى الحكم على بعض الأحاديث بالوضع ، فأدرج فيه بعض الأحاديث الصحيحة والحسنة ، وقد نبه إلى هذا عبد الحى اللكنوى فى كتابه (ظفر الأمانى)[٢] ، وطبع الكتاب سنة (١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠ م) بمصر .

١٢ - (تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين) لعبد الله : محمد البشير ظافر المالكى (- ١٣٢٥ هـ) ذكر فيه الأحاديث الموضوعة المشهورة على الألسنة ، ورتبها على حروف المعجم ، وقدم لكتابه بتمهيد قيم جامع حول المؤلفات فى الموضوعات والكتب والرسائل المشحونة بالموضوعات . وقد طبع هذا الكتاب سنة (١٣٢١ هـ - ١٩٠٣ م) بمصر .

وهناك مؤلفات ورسائل كثيرة فى مواضيع مختلفة ، تذكر الأحاديث

---

(١) توجد نسخة مخطوطة منه فى دار الكتب المصرية تحت رقم (١١٠ م - الحديث) .

(٢) انظر الرسالة المستطرفة ص ١١٤ .

الموضوعة فى باب من أبواب العبادات أو المعاملات وغير ذاك لم أتعرض لذكرها وهى أكثر من أن تحصى .

وإلى جانب هذه المؤلفات ظهرت مؤلفات كثيرة فى الأحاديث المشتهرة بين الناس ، تبين منزلة الحديث من القوة أو الضعف ، أو الوضع ، ومن أشهر هذه الكتب :

١ — (التذكرة فى الأحاديث المشتهرة) لبدر الدين الزركشى (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) [1] .

٢ — (اللآلىء المنثورة فى الأحاديث المشهورة ، مما ألفه الطبع وليس له أصل فى الشرع) للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلانى (٧٧٣-٨٥٢ هـ) [2] .

٣ — (المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة) للحافظ المؤرخ محمد بن عبد الرحمن السخاوى (٨٣١ - ٩٠٢ هـ) رتبه على حروف المعجم ، كما رتبه على الأبواب وهو كتاب جيد مفيد طبع سنة (١٣٧٥ - ١٩٥٦ م) بمصر .

وقد أغفلت كثيراً من الكتب التى ألفت فى الأحاديث المشتهرة ، مما لخصه الخلف من كتب السلف ، فلم أذكر مؤلفات السيوطى ، والسمهودى ، والمنوفى ، والخليلى ، والغزى العامرى ، والعجلونى الجراحى ، وابن جار الله ، والبيروتى وغيرهم . مكتفياً بأمهات الكتب .

تلك أشهر الكتب التى تناولت موضوعنا ، وأما الكتب التى ألفت فى مصطلح الحديث وعلومه وآراء العلماء فيها ، والمقبول من الحديث والمردود ،

---

(١) الرسالة المستطرفة ص ١٤٣ .

(٢) انظر تحذير المسلمين للبشير ظافر ص ١٥ .

وغير ذلك مما تناولته كتب المصطلح الكثيرة المنظوم منها والمنثور - فهى تفوق الحصر ، ومن النادر أن نرى محدثاً ليس له مصنف أو رسالة يتناول فيها علم مصطلح الحديث أو بعضه .

كما ألفت كتب كثيرة فى علل الحديث وغريبه ومختلفه[1] ، ومن يطلع على مخطوطات دار الكتب المصرية ومخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق وغيرها من المكتبات الإسلامية يجد كنوزاً علمية نادرة ساهمت فى حفظ الحديث سنداً ومتناً ، وبينت صحيحه من سقيمه ، وقد كانت تلك المؤلفات نتيجة لجهود العلماء على مر السنين ، وستبقى إلى ماشاء الله ، لأنها الحصن المنيع لحماية السنة الطاهرة المفسرة للكتاب الكريم . مصداقاً لقوله تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ .[2] »

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة التى ضمت معظم ما ألف فى الحديث وعلومه .

(٢) ٩ : الحجر .

الباب الرابع

متى دوّن الحديث ..؟

الفصل الأول : حول تدوين الحديث .

الفصل الثانى : مادون فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى صدر الإسلام .

الفصل الثالث : آراء فى التدوين .

الفصل الأول

حول تدوين الحديث ...

١ — الكتابة عند العرب قبيل الإسلام :

تدل الدراسات العلمية على أن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام ، فكانوا يؤرخون أهم حوادثهم على الحجارة ، وقد أثبتت الأبحاث الأثرية ذلك بأدلة قاطعة ، تعود إلى القرن الثالث الميلادى ، وأكثر الآثار التى تحمل كتابات العرب كانت فى الأطراف الشمالية للجزيرة العربية [١] حيث كان الاتصال وثيقاً بالحضارة الفارسية والرومية ، ومما يُذكر أن عدى بن زيد العبادى (ـ ٣٥ ق هـ) حين نما وأيفع طرحه أبوه فى الكتاب حتى حذق العربية ، ثم دخل ديوان كسرى ، وهو أول من كتب بالعربية فى ديوان كسرى . [٢] وهذا يدل على وجود بعض الكتاتيب فى الجاهلية ، يتعلم فيها الصبيان الكتابة والشعر وأيام العرب ، ويشرف على هذه الكتاتيب معلمون ذوو مكانة رفيعة ، أمثال أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس ، وبشر بن عبد الملك السكونى ، وأبى قيس بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن زرارة المسمى : (الكاتب) وغيرهم [٣] ، وقد استُقدِمَ أبو جفينة إلى المدينة ليعلم الكتابة [٤] . (وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية ، وكان يعلمه الصبيان بالمدينة فى الزمن الأول ،

---

(١) انظر مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية ص ٢٤ ـ ٣٢ وقد فصل القول فى هذا .

(٢) انظر الأغانى ص ١٠١ ـ ١٠٢ جـ ٢ .

(٣) انظر كتاب المحبر ص ٤٧٥ ، وقد ذكرهم تحت عنوان أشراف المعلمين .

(٤) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبرى ص ٤٢ جـ ٥ .

فجاء الإسلام وفى الأوس والخزرج عدة يكتبون .) [١]

وكان العرب يطلقون اسم (الكامل) على كل رجل يكتب ، ويحسن الرمى ، ويجيد السباحة [٢] ، ولكن كثيراً من الشعراء كانوا يفخرون بحفظهم ، وقوة ذاكرتهم ، بل إن بعضهم كان يخفى على الناس معرفته بالكتابة ، ويخشى أن يكشف أحد أمره ، وإذا ما كشف أمر أحدهم قال : « اكتم علىّ فإنه عندنا عيب [٣] » .

بعد هذا نستبعد أن يكون قول بعض المؤرخين : (دخل الإسلام وبمكة بضعة عشر رجلا يكتب) [٤] - صورة دقيقة لحقيقة معرفة العرب بالكتابة قبيل الإسلام ، ونستبعد أن يكون هذا على وجه الإحصاء والضبط ، ومع هذا لا يباح لنا أن نغالى فى معرفة العرب للكتابة ، ونذهب مذهب من ادعى كثرة الكتابة عند العرب فى الجاهلية ، وكثرة الكاتبين القارئين ، وقد حاول بعض المستشرقين وبعض الكاتبين العرب أن يدعموا رأيهم هذا بتأويل وصف الله تعالى للعرب (بالأميين) - فى قوله عز وجل : « هُوَ الَّذى بَعَثَ فى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يتلُو عَلَيهم آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ والحِكْمَةَ وإنْ كانوا مِنْ قَبْلُ لِفِى ضَلالٍ مُبينٍ » [٥] - بأنه (لا يعنى الأمية الكتابية

---

(١) فتوح البلدان ص ٤٥٩ .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٦ قسم ٢ ج ٣ وعيون الأخبار ص ١٦٨ ج ٢ وفتوح البلدان ص ٤٥٩ .

(٣) الأغانى ص ١١٦ ج ١٦ هذا ما روى عن ذى الرمة .

(٤) انظر مثالا على هذا ما جاء فى قبول الأخبار ص ٦٤ ، وانظر عبارة المؤرخين التى يرددونها : (وكانت الكتابة فى العرب قليلة) ومثال هذا فى طبقات ابن سعد ص ٨٣ قسم ٢ ج ٣ وص ٧٧ قسم ٢ ج ٣ .

(٥) ٢ : الجمعة

ولا العلمية ، وإنما يعني الأمية الدينية ، أي أنه لم يكن لهم من قبل القرآن الكريم كتاب ديني ، ومن هنا كانوا أميين دينياً ، ولم يكونوا مثل (أهل الكتاب) من اليهود والنصارى الذين كان لهم التوراة والإنجيل .)[١] . وحَمْلُ هذا اللفظ على هذا المعنى من غير قرينة لامسوغ له ، لأنه يقتضي التفريق بين تفسير الأميين وهم العرب (جهلة الشريعة) وتفسير ماوصف به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمية ـ في قوله تعالى : « الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ[٢] » بأنه الذي لايعرف القراءة والكتابة ، ولا داعي لهذا التفريق في المعنى ، ولا مؤيد له فلا بد من حمل اللفظ على أحد المعنيين ، والأصل فيه عدم معرفة القراءة والكتابة[٣] ، على أن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بين الأمية المعنية بما لايرقى إليه الشك ، فقد أخرج الشيخان وأصحاب السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنّا أُمّةٌ أُمّيّةٌ لانَكْتُبُ ولا نَحْسُبُ . الشهر هكذا . . . »[٤] .

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص ٤٥ .

(٢) ١٥٧ : الأعراف .

(٣) لقد اختار الدكتور ناصر الدين الأسد تفسير (الأميين) بمعنى جهلة الشريعة ، أي الأمية الدينية لا الأمية المتعلقة بالقراءة والكتابة ، ودعم رأيه هنا بشواهد فصل فيها ، انظر ذلك في كتابه مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ص٤٥ . وتعرض الدكتور صبحي الصالح في في كتابه « علوم الحديث ومصطلحه » لهذا التفسير الذي اعتمد عليه المستشرقون في زعمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان كاتبا قارئا ، وأن وصفه بالأمية — كوصف العرب بها — لاينافي معرفة القراءة والكتابة . انظر كتابه الصفحة ٢ ـ ٤ وحواشيها ، وقد رد عليهم رداً جليلا .

(٤) وتتمة الحديث (وهكذا يعني مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين) انظر فتح الباري ص٢٨ـ٢٩ ج ٥ وصحيح مسلم ص٧٦١ حديث ١٥ ج ٢ وقد روي من طرق كثيرة ، قال هذا صلى الله عليه وسلم بمناسبة رؤية هلال رمضان ، ورأى جمهور المحدثين على أن المراد بالأمة الأمة العربية آنذاك ، والمراد من الأمية ، أمية القراءة والكتابة ، وقد قيل العرب أميون لأن =

٢ — الكتابة فى العصر النبوى وصدر الإسلام:

مما لاشك فيه أن الكتابة انتشرت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم على نطاق أوسع مما كانت عليه فى الجاهلية ، فقد حث القرآن الكريم على التعلم ، وحض الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك أيضاً ، واقتضت طبيعة الرسالة أن يكثر المتعلمون ، القارئون ، الكاتبون ، فالوحى يحتاج إلى كُتّاب ، وأمور الدولة من مراسلات وعهود ومواثيق تحتاج إلى كُتّاب أيضاً ، وقد كثر الكاتبون بعد الإسلام فعلا ليسدوا حاجات الدولة الجديدة ، فكان للرسول كُتّابٌ للوحى بلغ عددهم أربعين كاتباً ، وكُتّاب للصدقة ، وكتاب للمداينات والمعاملات ، وكتاب للرسائل يكتبون باللغات المختلفة [1] . وإن ماذكره المؤرخون من أسماء كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن على سبيل الحصر ، بل ذكروا من داوم على الكتابة بين يديه ، ويظهر هذا واضحاً فى قول المسعودى (إنما ذكرنا من أسماء كتّابه صلى الله عليه وسلم من ثبت على كتابته ، واتصلت أيامه فيها ، وطالت مدته ، وصحت الرواية على ذلك من أمره دون من كتب الكتاب والكتابين والثلاثة ، إذ كان لايستحق بذلك أن يسمى كاتباً ، ويضاف إلى جملة كتابه [2]) .

= الكتابة كانت فيهم قليلة،قال تعالى « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم » ، ولا يرد على ذلك أنه كان فيهم من يكتب ويحسب لأن الكتابة كانت فيهم قليلة ونادرة آنذاك . والمراد بالحساب هنا حساب النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك أيضا الا اليسير . انظر تفصيل هذا فى فتح البارى ص ٢٨ — ٢٩ جـ ٥ .

(١) راجع للصباح للضوء فى كتاب النبى الأمى ورسله إلى ملوك الأرض من عرب وعجم لمحمد بن على بن حديد الأنصارى . مخطوط مكتبة الأوقاف بحلب ، تحت رقم (أ ٢٧٠) وقد فصل القول فى ذلك فى ص ١٦ — ٤٠ .

(٢) التنبية والاشراف ص ٢٤٦ .

وقد كثر الكاتبون بعد الهجرة عندما استقرت الدولة الإسلامية، فكانت مساجد المدينة التسعة إلى جانب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] محط أنظار المسلمين، يتعلمون فيها القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام، والقراءة والكتابة، وقد تبرع المسلمون الذين يعرفون الكتابة والقراءة بتعليم إخوانهم، وأرجح أنه كان من أوائل هؤلاء المعلمين سعد بن الربيع الخزرجي أحد النقباء الأثنى عشر[٢]، وبشير بن سعد بن ثعلبة[٣]، وأبان بن سعيد بن العاص[٤]، وغيرهم رضوان الله عليهم.

وكان إلى جانب هذه المساجد كتاتيب يتعلم فيها الصبيان الكتابة والقراءة، إلى جانب القرآن الكريم[٥]. ولا يفوتنا أن نذكر أثر غزوة (بدر) فى تعليم

---

(١) انظر مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ص ١٣١.

(٢) المتوفى سنة «٣ هـ» انظر طبقات ابن سعد ص ٧٧ و ١٤١ قسم ٢ ج ٣.

(٣) المتوفى سنة «١٢ هـ» انظر طبقات ابن سعد ص ٨٣ قسم ٢ ج ٣ وتهذيب التهذيب ص ٤٦٤ ج ١ والإصابة ص ٦٣ ج ١.

(٤) انظر الاصابة ص ١٠ – ١١ ج ١ والمصباح المضىء ص ١٦ وقد اختلف فى وفاة أبان بن سعيد، فقيل توفى سنة «١٣ هـ» وقيل سنة «١٥ هـ»، وقيل غير ذلك والصواب أنه عاش إلى خلافة عثمان، وأنا أرجح هذا لأنه كان أحد الصحابة الذين نسخوا المصاحف مع زيد ابن ثابت فى عهد عثمان رضي الله عليهم جميعا، انظر صحيح البخارى بحاشية السندى ص ٢٢٥ – ٢٢٦ ج ٣ وكتابنا «زيد بن ثابت الأنصارى» ص ٣٥.

(٥) كتب جولد تسيهر مقالا هاما فى دائرة معارف الأديان والأخلاق عن التعليم الأولى عند المسلمين، وقد حاول أن يثبت أن كتاب تعليم القرآن ومبادىء الدين الإسلامى قد أنشىء فى عهد مبكر، وأنه يرجع إلى صدر الإسلام، وقد دعم رأيه بالأسانيد الآتية:

ا – أرسلت أم سلمة إحدى زوجات الرسول «صلى الله عليه وسلم» مرة إلى معلم كتاب تطلب منه أن يرسل لها بعض تلاميذ كتابه ليساعدوها فى ندف الصوف وغزله.

ب – كان عمر بن ميمون يحفظ الصيغة التى تقى الإنسان شر العين، وقد أسندها إلى سعد ابن أبى وقاص الذى كان يعلمها أولاده، ويكتبها لهم كما يفعل المدرس مع تلاميذه.

حـ – مر «ابن عمر» و«أبو أسيد» فى مناسبة ما بكتاب، فلفتا إليهم أنظار التلاميذ.

صبيان المدينة ، حينما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسرى بدر بأن يفدى كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة الكتابة والقراءة [١] ، ولم يقتصر تعليم الكتابة والقراءة على الذكور فقط ، بل كانت الإناث تتعلمن هذا فى بيوتهن فقد روى أبو بكر بن سليمان بن أبى حَثْمة عن الشفاء بنت عبد الله أنها قالت : (دخل علىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنا عند حفصة ، فقال لى : « ألا تعلمينَ هذه رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كما علمتيها الكتابة ؟ ») [٢]

ثم اتسع نطاق التعليم ، وانتشر فى الآفاق الإسلامية ، بانتشار الصحابة رضوان الله عليهم ، وكثرت حلقات العلم ، وانتظمت فى المساجد [٣] ، وأضحت بعض الحلقات تضم نيفا وألفا من طـــلاب العلم [٤] ، وكثر

= د ـ كان اللوح المخصص للكتابة موجودا فى وقت مبكر جدا ، فلقد روى عن أم الدرداء أنها كتبت على لوح من هذا النوع عبارات فى الحكمة ، ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة » انظر تاريخ التربية الإسلامية للدكتور أحمد شلبى طبعة بيروت سنة ١٩٥٤ ص ٢٦ .

ونضيف إلى هذا ـ مما يؤكد وجود الكتاتيب ـ ما رواه عثمان بن عبيد الله ، قال : رأيت أبا هريرة يصفر لحيته ونحن فى الكتاب . انظر طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ . وقد تعلم زيد بن ثابت فى أحد هذه الكتاتيب . انظر مسند الإمام أحمد ص ٢٥٩ ج ٥ .

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ١٤ قسم ١ ج ٢

(٢) سنن أبى داود ص ٣٣٧ ج ٢ . والنملة هى قروح تخرج فى الجنب . وفى الحديث عن أنس قال : « رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرقية من العين والحمة والنملة . » والحمة ـ بضم الحاء وفتح الميم ـ هى السم انظر صحيح مسلم ص ١٧٢٥ حديث ٥٨ ج ٤ .

(٣) مما يذكر عن النشاط العلمى وانتظام الحلقات أن أبا الدرداء رضى الله عنه « ـ ٣٢هـ » كان إذا صلى الغداة فى جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه ، فكان يجعلهم عشرة عشرة ، وعلى كل عشرة عريفا ، ويقف هو فى المحراب يرمقهم ببصره ، فإذا غلط أحدهم ، رجع إلى عريفهم ، وإذا غلط عريفهم رجع إلى أبى الدرداء فسأله عن ذلك » انظر غاية النهاية فى طبقات القراء ص ٦٠٦ ج ١ ، وتهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

(٤) قال مسلم بن مشكم « قال لى أبو الدرداء : اعدد من يقرأ عندى القرآن ، فعددتهم بأمره ألفا وستمائة ونيفا ، وكان لكل عشرة منهم مقرىء ، وأبو الدرداء يكون عليهم قائما إذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبى الدرداء . » انظر غاية النهاية فى طبقات القراء ص ٦٠٧ ج ١ ونحوه فى تهذيب التاريخ الكبير لابن عساكر ص ٦٩ ج ١ .

=

المعلمون [١] ، وانتشرت الكتاتيب فى مختلف أنحاء الدولة الإسلامية ، وغصت بالصبيان ، وضاقت بهم حتى اضطر الضحاك بن مزاحم معلم الصبيان ومؤدبهم إلى أن يطوف على حمار ليشرف على طلاب مكتبه ، الذين بلغ عددهم ثلاثة آلاف صبى [٢] ، وكان لا يأخذ أجراً على عمله [٣] .

وقد ازدادت الحركة العلمية فى أواخر القرن الأول ، وظهرت الندوات التى تدل على آثار النهضة العلمية ، فقد كان (عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله ابن صفوان الجمحى قد اتخذ بيتاً ، فجعل فيه شطرنجات ، ونردات ، وقرقات [٤] ، ودفاتر فيها من كل علم ، وجعل فى الجدار أوتاداً ، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ، ثم جرّ دفترا فقرأه ، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم [٥]) .

فإذا رأينا ـ بعد ذلك ـ أن الحديث الشريف لم يدون تدوينا رسمياً فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما دون القرآن الكريم ـ فلا بد لنا من البحث عن السبب الذى أدى إلى عدم تدوينه فى عصره صلى الله عليه وسلم .

ونحن فى بحثنا هذا لا يمكننا أن نستسلم لتلك الأسباب التقليدية التى اعتاد

= وقد بلغت حلقات العلم فى عهد عبد الملك بن مروان درجة عظيمة ، فقد رأى فى المسجد الحرام حلقات كثيرة لعطاء ولسعيد بن جبير ولميمون بن مهران ولمكحول ولغيرهم ، فأعجب بهم ، وحث أحياء قريش على المحافظة على العلم . انظر تفصيل هذا فى المحدث الفاصل ص ٣٥ ـ ٣٦ .

(١) ذكر أبو على أحمد بن عمر بن رستة كثيرا من المعلمين فى هذا العصر ، انظر : الأعلاق النفيسة المجلد السابع صفحة ٢١٦ ـ ٢١٧ وقد ذكرهم تحت عنوان صناعات الأشراف . . . وانظر كتاب المحبر حيث ذكر كثيرا من المعلمين وبينهم بالتفصيل فى الصفحات : ٣٧٩ والصفحات ٤٧٥ ـ ٤٧٧ .

(٢) انظر معجم الأدباء طبعة مصر ص ١٦ ج ١٢ ، وقد توفى الضحاك بن مزاحم سنة « ١٠٥ هـ » .

(٣) انظر الأعلاق النفيسة ص ٢١٦

(٤) النردات : جمع نرد ، ما يعرف اليوم بالطاولة . وقرقات : جمع قرق وهى لعبة الصبيان .

(٥) الأغانى ص ٢٥٣ ج ٤

الكاتبون أن يعللوا بها عدم التدوين ، ولا نستطيع أن نوافقهم على ماقالوه من أن قلة التدوين فى عهده صلى الله عليه وسلم ، تعود قبل كل شىء إلى ندرة وسائل الكتابة ، وقلة الكتاب ، وسوء كتابتهم [١] - لايمكننا أن نسلم بهذا بعد أن رأينا نيفا وثلاثين كاتبا يتولون كتابة الوحى للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وغيرهم يتولون أموره الكتابية الأخرى ، ولا يمكننا أن نعتد بقلة الكتاب ، وعدم إتقانهم لها ، وفيهم المحسنون المتقنون أمثال زيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ولو قبلنا جدلا ما ادعوه من ندرة وسائل الكتابة وصعوبة تأمينها ، لكفى فى الرد عليهم أن المسلمين دونوا القرآن الكريم ولم يجدوا فى ذلك صعوبة ، فلو أرادوا أن يدونوا الحديث ماشقّ عليهم تحقيق تلك الوسائل ، كما لم يشق هذا على من كتب الحديث بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من أسباب أخرى ، وإنا لنرى تلك الأسباب من خلال الآثار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، وسنرى أن تدوين الحديث مر بمراحل منتظمة حققت حفظه ، وصانته من العبث ، وقد تضامنت الذاكرة والأقلام ، وكانا جنباً إلى جنب فى خدمة الحديث الشريف ، ونستعرض الآن تلك الآثار التى تلقى لنا بعض الضوء على حقيقة تدوين السنة .

* * *

(١) انظر تأويل مختلف الحديث ، قال : (وكان غيره - ابن عمرو بن العاص - من الصحابة أمين لا يكتب منهم الا الواحد والاثنان وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجى » ص ٣٦٦ . إن هذا يتنافى مع ما بيناه من علم المسلمين الكتابة ، فتعميم ابن قتيبة هنا لا يستند إلى دليل . وانظر مقدمة ابن خلدون ص ٥٤٣ .

أولا: ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتابة.

ا — ماروى من كراهة الكتابة :

١ — روى أبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تكتبوا عَنّى، وَمَنْ كتبَ عنى غيرَ القرآنِ فليَمحُه [١] » وهذا الحديث أصح ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب .

٢ — وقال أبو سعيد الخدرى : (جهدنا بالنبى صلى الله عليه وسلم أنْ يأذنَ لنا فى الكتابِ فأبى) وفى رواية عنه قال : (استأذَنا النبىَّ صلى الله عليه وسلم فى الكتابةِ فلم يأذن لنا [٢]) .

٣ — روى عن أبى هريرة أنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نكتب الأحاديث ، فقال : « ماهذا الذى تكتبون ؟ » . قلنا : أحاديث نسمعها منك . قال : « كتابٌ غير كتاب الله ! ؟ أتدرون ؟ ماضلَ الأممُ قبلكم إلا بما اكتتبوا من الكتبِ مع كتابِ الله تعالى [٣] » .

ب — ماروى من إباحة الكتابة :

١ — قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أريد حفظه فنهتنى قريش ، وقالوا تكتب كل شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ص ١٢٩ جـ ١٨ وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ جـ ١ .

(٢) المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٥ جـ ٤ . والالماع ص ٢٨ ونحوه فى تقييد العلم ص ٣٢ — ٣٣ .

(٣) تقييد العلم ص ٣٤ .

صلى الله عليه وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأومأ بأصبعه إلى فيه وقال : « أكتب فو الذى نفسى بيده ماخرجَ منهُ إلا حقٌ [1] » .

٢ — قال أبو هريرة رضى الله عنه : (مامن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب [2]) .

٣ — روى عن أبى هريرة أن رجلا من الأنصار كان يشهد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحفظه ، فيسأل أبا هريرة فيحدثه ، ثم شكا قلة حفظه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « استعِنْ على حِفظِكَ بيمينك [3] » .

٤ — روى عن رافع بن خديج أنه قال : قلنا : يارسول الله ، إنا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ قال : « اكتبُوا ولا حرج [4] » .

٥ — روى عن أنس بن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قيدوا العلم بالكتاب [5] » .

---

(١) سنن الدرامي ص ١٢٥ ج ١ ونحوه فى ص ١٢٦ ج ١ ونحوه فى تقييد العلم بطرق كثيرة ص ٧٤ ــ ٨٣ . وفى جامع بيان العلم ص ٧١ ج ١ والالماع ص ٢٧ : ب .

(٢) فتح البارى ص ٢١٧ ج ١ .

(٣) تقييد العلم ص ٦٥ و ٦٦ وفى الجامع لأخلاق الراوى ص ٥٠ : آ وقد أخرجه الترمذى أيضاً من طريق أبى هريرة انظر توضيح الأفكار ص ٣٥٣ ج ٢ .

(٤) تقييد العلم ص ٧٢ ــ ٧٣ ، والمحدث الفاصل ص ٣ : ب ج ٤ مخطوطة دمشق وانظر توضيح الأفكار ص ٣٥٣ ج ٢ . وقد ضعف « السيد رشيد رضا » صاحب المنار هذا الحديث انظر مجلة المنار : ١٠ / ٧٦٣ وله رأى فى الأحاديث التى تسمح بالكتابة أنظر ص ٧٦٥ و ص ٧٦٦ ج ١٠ من المجلة .

(٥) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ٤٤ : آ ، وتقييد العلم ص ٦٩ ، وجامع =

٦ — روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره .[١]

٧ — روى عن أبى هريرة أنه لما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام الرسول صلى الله عليه وسلم وخطب فى الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه ، فقال : يارسول الله ، اكتبوا لى ، فقال : اكتبوا له[٢] «قال أبو عبد الرحمن (عبد الله بن أحمد) : ليس يروى فى كتابة الحديث شئ أصح من هذا الحديث ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم : قال : « اكتبوا لأبى شاه[٣] » .

٨ — روى عن ابن عباس أنه قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : « ايتونى بكتاب أكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده » قال عمر : إن النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا ، وكثر اللغط . قال : « قوموا عنّى ، ولا ينبغى عندى التنازع[٤] » إن طلب الرسول هذا واضح فى أنه أراد أن يكتب شيئاً غير القرآن ، وما كان سيكتبه

= بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، وقد ضعف السيد محمد رشيد رضا هذا الحديث لأن فى سنده عبد الحميد بن سليمان وقد تكلم فيه الذهبى . كما ضعفه من طريق عبد الله بن المؤمل الذى قال فيه الإمام أحمد (أحاديثه مناكير) . انظر مجمع الزوائد ص ١٥٢ ج ١ . أقول : إلا أن هذا الحديث روى من طريق اسماعيل بن يحيى عن ابن أبى ذؤيب عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولا يطعن فيه تفرده به انظر تقييد العلم ص ٦٩ ، والسيد رشيد رضا ضعف الحديث من طريقيه الأولين فلا يطعن برواية اسماعيل بن يحيى هذه . انظر مجلة المنار ص٧٦٣ـ ٧٦٦ ج١٠

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله : ص ٧١ ج ١ .

(٢) مسند الإمام أحمد ص ٢٣٢ ج ١٢ وفتح البارى ص ٢١٧ ج ١ ، وجامع بيان العلم ص ٧٠ ج ١ وتقييد العلم ص ٨٦ .

(٣) مسند الإمام أحمد ص ٢٣٥ ج ١٢ .

(٤) فتح البارى ص ٢١٨ ج ١ وصحيح الإمام مسلم ص ١٢٥٧ و ١٢٥٩ ج ٣ وفى طبقات ابن سعد ص ٣٦ و ٣٧ م ٢ .

هو من السنة ، وإن عدم كتابته لمرضه لا ينسخ أنه قدمٌ به ، وكان فى آخر أيام حياته عليه الصلاة والسلام ، فيفُهم من هذا إباحته عليه الصلاة والسلام الكتابة فى أوقات مختلفة ، ولمواضيع كثيرة ، فى مناسبات عدة ، خاصة وعامة .

وإذا كانت الأخبار الدالة على إباحة الكتابة منها خاص كخبر أبى شاه ، فإن منها أيضا ماهو عام لا سبيل إلى تخصيصه ، كسماحه لعبد الله بن عمرو بالكتابة وللرجل الأنصارى الذى شكا سوء حفظه . ويمكن أن نستشهد فى هذا المجال بخبر أنس ورافع بن خديج وان تكلم فيهما ، لأن طرقهما كثيرة يقوى بعضها بعضا ، وللعلماء مع هذا آراء فى هذه الأخبار سأوجزها فيما يلى :

حاول العلماء أن يوفقوا بين ما ورد من نهى عن الكتابة وما ورد من إباحة لها ، وترجع آراؤهم إلى إربعة أقوال :

الأول : قال بعضهم إن حديث أبى سعيد الخدرى موقوف عليه فلا يصلح للاحتجاج به . وروى هذا الرأى عن البخارى وغيره[1] ، إلا أننا لا نسلم بهذا لأنه ثبت عند الامام مسلم ، فهو صحيح ، ويؤيد صحته ويعضده ما رويناه عن أبى سعيد رضى الله عنه : « استأذنت النبى صلى الله عليه وسلم أن أكتب الحديث ، فأبى أن يأذن لى[2] » .

الثانى : أن النهى عن الكتابة إنما كان فى أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن ، فلما كثر عدد المسلمين ، وعرفوا القرآن معرفة رافعة للجهالة ، وميزوه من الحديث — زال هذا الخوف عنهم ، فنسخ الحكم الذى كان مترتبا

(١) انظر فتح البارى ص ٢١٨ جـ١ ، وانظر الباعث الحثيث ص١٤٨ ، وتوضيح الأفكار ص ٣٥٣ جـ ٢ وتدريب الراوى ص ٢٨٧ ومنهج ذوى النظر ص ١٤٢ .

(٢) تقييد العلم ص ٣٢ — ٣٣ .

عليه ، وصار الأمر إلى الجواز[1] . وفى هذا قال الرامهرمزى : (وحديث أبى سعيد « حرصنا أن يأذن لنا النبى صلى الله عليه وسلم فى الكتاب فأبى » أحسب[2] أنه كان محفوظاً فى أول الهجرة، وحين كان لا يؤمن الاشتغال به عن القرآن[3]) والقول بالنسخ أحد المعنيين اللذين فهمها ابن قتيبة من تلك الأخبار . فقال : (أحدهما : أن يكون من منسوخ السنة بالسنة كأنه نهى فى أول الأمر أن يكتب قوله ، ثم رأى بعد لما علم أن السنن تكثر وتفوت الحفظ أن تكتب وتقيد .)[4] ، ورأى هذا الرأى كثير من العلماء ، وذهب إليه العلامة المحقق الأستاذ أحمد محمد شاكر .[5] فبعد أن دعم رأيه بالأخبار التى تبيح الكتابة قال : (كل هذا يدل على أن حديث أبى سعيد — « لا تكتبوا عنى ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه » — منسوخ ، وأنه كان فى أول الأمر ، حين خيف اشتغالهم عن القرآن ، وحين خيف اختلاط غير القرآن بالقرآن ، وحديث أبى شاه فى أواخر حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكذلك أخبار أبى هريرة — وهو متأخر الإسلام — أن عبد الله بن عمرو كان يكتب ، وأنه هو لم يكن يكتب : يدل على أن عبد الله كان يكتب بعد إسلام أبى هريرة ، ولو كان حديث أبى سعيد فى النهى متأخراً عن هذه الأحاديث فى الإذن والجواز لعرف ذلك عند الصحابة يقيناً صريحاً[6]) .

ويمكن أن نلحق هنا الرأى الذى يقول : إن النهى إنما كان عن كتابة

---

(١) انظر توضيح الأفكار ص٣٥٣ ـ ٣٥٤ ج٢ .
(٢) فى الأصل (فأحسبه) وما أثبتناه أصح لغة .
(٣) المحدث الفاصل ص ٧١ : آ
(٤) تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٥ .
(٥) انظر الباعث الحثيث ص ١٤٨ .
(٦) المرجع السابق ص ١٤٩ .

الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة ، لأنهم كانوا يسمعون تأويل الآية ، فربما كتبوه معه ، فنهوا عن ذلك لخوف الاشتباه .(١)

الثالث : أن النهى فى حق من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة ، والاذن فى حق من لا يوثق بحفظه كأبى شاه(٢) .

الرابع : أن يكون النهى عاما وخص بالسماح له من كان قارئا كاتبا مجيدا لا يخطىء فى كتابته ، ولا يخشى عليه الغلط ، كعبد الله بن عمرو الذى أمن عليه صلى الله عليه وسلم كل هذا ، فأذن له(٣) . وهذا هو المعنى الآخر الذى فهمه ابن قتيبه من تلك الأخبار .

ورأينا فى هذه الأخبار هو صحة ما روى عن أبى سعيد من النهى ، وصحة ما رود عن غيره من إباحة الكتابة ، فنحن لا نقول بوقف خبر أبى سعيد عليه . فالرأى الأول مردود ، ويمكن أن تكون جميع هذه الآراء الثلاثة صوابا ، فنهى عليه الصلاة والسلام عن كتابة الحديث الشريف مع القرآن فى صحيفة واحدة خوف الالتباس ، وربما يكون نهيه عن كتابة الحديث على الصحف أول الإسلام حتى لا يشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم ، وأراد أن يحفظ المسلمون القرآن فى صدورهم وعلى الألواح والصحف والعظام توكيدا لحفظه ، وترك الحديث للممارسة العملية، لأنهم كانوا يطبقونه : يرون الرسول فيقلدونه ، ويسمعون منه فيتبعونه ، وإلى جانب هذا سمح لمن لا يختلط عليه القرآن بالسنة أن يدون السنة كعبد الله بن عمرو ، وأباح لمن يصعب عليه الحفظ أن يستعين بيده حتى إذا حفظ المسلمون قرآنهم وميزوه عن الحديث جاء نسخ النهى بالاباحه

---

(١) انظر فتح المغيث ص ١٨ ج ٣ وانظر توضيح الافكار ص ٣٥٤ ج ٢ .
(٢) انظر فتح المغيث ص ١٨ ج ٣ ، وتوضيح الأفكار ص ٣٥٤ ج ٢ .
(٣) انظر تأويل مختلف الحديث ص ٣٦٥ ـ ٣٦٦ .

عامه ، وإن وجود علة من علل النهى السابقة لا ينفى وجود غيرها ولا يتعارض معه ، كما أن وجود علة النهى لا ينفى تخصيص هذا النهى بالمباح لبعض من لا تتحقق فيهم هذه العلة . فالنهى لم يكن عاما ، والاباحة لم تكن عامة فى أول الإسلام ، فحيثما تحققت علة النهى منعت الكتابة ، وحيثما زالت أبيحت الكتابة .

وأرى فى حديث أبى شاه وفى حديث ابن عباس : « ايتونى بكتاب . . » إذناً عاماً ، وإباحةً مطلقة للكتابة ، وعلى هذا لا تعارض بين جميع تلك الروايات فقد سهل التوفيق بينها وتبين وجه الصواب . وانتهى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإباحة الكتابة ، وسنرى فيما بعد بعض مادون فى عهده صلى الله عليه وسلم .

* * *

ثانيا ــ كتابة الحديث فى عصر الصحابة

مع ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من إباحة للكتابة ، ومع ما كتب فى عهده من الأحاديث على يدى من سمح لهم بالكتابة ــ نرى الصحابة يحجمون عن الكتابة ، ولا يقدمون عليها فى عهد الخلافة الراشدة ، حرصاً منهم على سلامة القرآن الكريم والسنة الشريفة، فنجد بينهم رضوان الله عليهم من كره كتابة السنة ، ومن أباحها ، ثم ما لبث الأمر أن كثر المجيزون للكتابة ، بل روى عن بعض من كره الكتابة أولا إباحته لها آخرا ، وذلك حين زالت علة الكراهة .

روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة رضى الله عنها قالت : جمع أبى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان [1] خمسمائة حديث ، فبات

(١) فى الأصل (كانت) وما أثبتناه أصح لتستقيم العبارة .

ليلة يتقلب كثيراً . . . فلما أصبح قال : (أى بنية ، هلمى الأحاديث التى عندك ، فجئته بها ، فدعا بنار فحرقها[١]) .

وهذا عمر بن الخطاب يفكر فى جمع السنة ، ثم لايلبث أن يعدل عن ذلك : (عن عروة - بن الزبير - أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأشاروا عليه بأن يكتبها ، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا ، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له ، فقال : إنى كنت أريد أن أكتب السنن ، وإنى ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً ، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشىء أبدا[٢]) ، وفى رواية عن طريق مالك بن أنس أنَ عمر قال عند ما عدل عن كتابة السنة : « لا كتاب مع كتاب الله[٣] » .

وكان خوف عمر من إقدامه على كتابة السنة أن ينكب المسلمون على دراسة غير القرآن ويهملوا كتاب الله عز وجل[٤] ، ولذلك نرى عمر رضى الله عنه يمنع الناس من أن يتخذوا كتاباً مع كتاب الله ، وينكر إنكاراً شديداً على من نسخ كتاب (دانيال) ويضربه ويقول له : (انطلق فامحه . . ثم لا تقرأه ولا تقرئه أحداً من الناس ، فلئن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكنَّك عقوبة[٥]) ولهذا نراه يخطب فى الناس قائلا : (أيها الناس ، إنه قد بلغنى أنه قد ظهرت فى أيديكم كتب ، فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها ، فلا يبقين

---

(١) تذكرة الحفاظ ص ٥ ج ١

(٢) جامع بيان العلم وفضله ص٦٤ ج ١ ، ونحوه فى تقييد العلم ص٥٠ ، وطبقات ابن سعد ص ٢٠٦ قسم ١ ج ٣ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ ج ١

(٤) انظر تقييد العلم ص ٥٠ .

(٥) تقييد العلم ص ٥٢ ونحوه مختصرا فى جامع بيان العلم ص ٤٢ ج ٢ ، وفى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص١٤٦ : ب .

أحد عنده كتاب إلا أتانى به ، فأرى فيه رأيى – قال – فظنوا أنه يريد أن[1] ينظر فيها ، ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف ، فأتوه بكتبهم فأحرقها بالنار ثم قال : « أمنية كأمنية أهل الكتاب[2]) كما أنه كتب إلى الأمصار (من كان عنده منها شيء فليمحه[3]) .

كل هذا يدل على خشية عمر من أن يهمل كتاب الله أو أن يضاهى به كتاب غيره ، ونحن نرى عمر نفسه يأبى أن يبقى رأيه مكتوباً ويأبى إلا أن يمحوه ، فعند ما طعن استدعى طبيباً ، فعرف دنو أجله ، فنادى ابنه قائلا : « ياعبد الله ابن عمر ، ناولنى الكتف، فلو أراد الله أن يمضى مافيه أمضاه ، فقال له ابن عمر : أنا أكفيك محوها ، فقال : لا والله ، لايمحوها أحد غيرى » ، فمحاها عمر بيده وكان فيها فريضة الجد[4] .

ونرى عمر نفسه حين يأمن حفظ القرآن ، يكتب بشيء من السنة إلى بعض عماله وأصحابه (عن أبى عثمان « النهدى » قال : كنا مع عتبة بن فرقد ، فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فكان فيما كتب إليه : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايلبس الحرير فى الدنيا إلا من ليس له فى الآخرة منه شيء إلا هكذا،وقال بأصبعيه السبابة والوسطى . قال أبو عثمان: فرأيت أنها أزرار الطيالسة حين رأينا الطيالسة[5]) .

وروى عن عبد الله بن مسعود كراهيته لكتابة الحديث الشريف : (عن

---

(١) زدنا (أن) على الأصل لتستقيم العبارة .

(٢) تقييد العلم ص ٥٢ ، رواه محمد بن القاسم .

(٣) تقييد العلم ص٥٣ وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٥ جـ ١ .

(٤) طبقات ابن سعد ص ٢٤٧ قسم ٢ جـ ٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد ص ٢٦١ جـ ١ .

عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : جاء علقمة بكتاب من مكة أو اليمن ، صحيفة فيها أحاديث فى أهل البيت : بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستأذنا على عبد الله ، فدخلنا عليه ، قال : فدفعنا إليه الصحيفة ، قال : فدعا الجارية ، ثم دعا بطست فيه ماء ، فقلنا له يا أبا عبد الرحمن ، انظر فيها ، فإن فيها أحاديث حسانا . قال : فجعل يميثها [١] فيها ويقول : « نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ » ، القلوب أوعية ، فاشغلوها بالقرآن ، ولا تشغلوها بما سواه . [٢]) .

إلا أن هناك رواية تنص على أن ما فى الصحيفة كان من كلام أبى الدرداء وقصصه ، [٣] وفى رواية قال أحد الرواة : (يُرى أن هذه الصحيفة أخذت من أهل الكتاب ، فلهذا كره عبد الله النظر فيها [٤]) ولا يمكننا أن نجزم بأن ما فى تلك الصحيفه كان من القصص أو مما أخذ عن أهل الكتاب ، لأنه ثبت عن الأسود بن هلال أنه قال : (أتى عبد الله بصحيفة فيها حديث ، فدعا بماء فمحاها ، ثم غسلها ، ثم أمر بها فأحرقت ، ثم قال : أُذَكِّرُ الله رجلا يعلمها عند أحد إلا أعلمنى به ، والله لو أعلم أنها بدير هند لبلغتها ، بهذا أهلك أهل الكتاب قبلكم حين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون [٥] .) ، إن تصرف ابن مسعود يدل على أنه خشي أن يشتغل الناس بكتابة السنة ويدعوا القرآن ، أو

---

(١) ماثه : مرسه ، أى فركه ليذوب فى الماء وتتفرق أجزاؤه .

(٢) تقييد العلم ص ٥٤ وورد عنه النهى عن كتابة ما سوى القرآن عندما علم أن بعضهم يكتب كلامه انظر سنن الدارمى ص ١٢٥ ج ١ والآية هى : ٣ يوسف .

(٣) انظر تقييد العلم ص ٥٤ — ٥٥ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٦٦ ج١ ونحو هذا فى سنن الدارمى ص ١٢٤ ج ١ .

(٥) المرجع السابق ص ٦٥ ج ١ ، ونحوه فى سنن الدارمى وفيه لو أنها « بدار الهندارية » يعنى — مكانا بعيدا بالكوفة — إلا أتيته ولو مشيا ص ١٢٤ ج ١ .

أن يشتغلوا بغير القرآن الكريم ، ونراه يكتب بعض السنة بيده حين زالت علة المنع ، فعن مسعر عن معن قال : (أخرج إليّ عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لى أنه خط أبيه بيده[١] .)

وهذا على رضى الله عنه يخطب فى الناس قائلا : (أعزم على كل من كان عنده كتاب إلا رجع فمحاه ، فإنما هلك الناس حيث اتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربهم[٢] .)

وأبى زيد بن ثابت أن يكتب عنه مروان بن الحكم[٣] وقال : (لعل كل شىء حدثتكم به ليس كما حدثتكم[٤]) وفى رواية قال : (إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ألا نكتب شيئا من حديثه)[٥] .

وكذلك أبى أبو هريرة أن يكتب عنه كاتب مروان بن الحكم .[٦] وكان أحيانا يقول : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب[٧] ، وفى رواية (نحن لا نكتب ولا نكتِب[٨]) .

وقال ابن عباس : (إنا لا نكتب العلم ولا نُكتِبه[٩]) ، وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان ينهى عن كتابة العلم ، وقال :

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .
(٢) المرجع السابق ص ٦٣ ج ١ .
(٣) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٣ ج ١ .
(٤) المرجع السابق ص ٦٥ ج ١ .
(٥) تقييد العلم ص ٣٥ .
(٦) انظر تقييد العلم ص ٤١ والاصابة ص ٢٠٢ ج ٧ .
(٧) انظر طبقات ابن سعد ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ ونحوه فى تقييد العلم ص ٤٢ .
(٨) جامع بيان العلم ص ٦٦ ج ١ وقارن بسنن الدارمى ص ١٢٢ ج ١ .
(٩) جامع بيان العلم ص ٦٥ ج ١ ونحوه فى تقييد العلم ص ٤٢ .

(إنما ضل من كان قبلكم بالكتب [1]).

وقد تمسك أبو سعيد الخدرى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه فى النهى عن كتابة غير القرآن. وأبى أن يُكتِبَ أبا نضرة حين قال له هذا: ألا تكتبنا فإنا لا نحفظ؟ فقال أبو سعيد: لا إنا لن نكتبكم، ولن نجعله قرآناً، ولكن احفظوا عنا كما حفظنا نحن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2].

ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه أنه كان يكره كتابة الحديث، روى عن سعيد بن جبير أنه قال: (كنا نختلف فى أشياء فنكتبها فى كتاب، ثم أتيت بها ابن عمر أسأله عنها خفياً [3]، فلو علم بها كانت الفيصل بينى وبينه [4]).

وكره أبو موسى أن يكتب ابنه عنه مخافة أن يزيد أو ينقص، ومحا ما كتبه بالماء [5] وفى رواية قال: (احفظوا عنا كما حفظنا [6])، وفى رواية عنه أنه قال: (إن بنى إسرائيل كتبوا كتابا واتبعوه. وتركوا التوراة) [7].

هؤلاء معظم الذين كرهوا كتابة الحديث فى الصدر الأول، حاولت أن

---

(١) جامع بيان العلم ص ٦٥ جـ ١، وتقييد العلم ص ٤٣.

(٢) سنن الدارمى ص ١٢٢ جـ ١، وانظر تقييد العلم فيه روايات مختلفة عنه ص ٣٦ – ٣٨ وكذلك فى جامع بيان العلم وفضله ص ٦٤ جـ ١، وفى رواية عن أبى سعيد قال: «أتريدون أن تجعلوها مصاحف، إن نبيكم صلى الله عليه وسلم كان يحدثنا فنحفظ فاحفظوا كما كنا نحفظ» انظر جامع بيان العلم ص ٦٤ جـ ١ وانظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩١.

(٣) يريد خفية. أى ينظر إلى الكتاب من غير أن يشعر ابن عمر بذلك.

(٤) جامع بيان العلم ص ٦٦ جـ ١ وتقييد العلم ص ٤٤.

(٥) انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٦ جـ ٤ وقارن بكتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ وسنن الدارمى ص ١٢٢ جـ ١.

(٦) جامع بيان العلم ص ٦٦ جـ ١.

(٧) تقييد العلم ص ٥٦.

أثبت رأى كل منهم إلى جانب وجهة نظره فيما ذهب إليه من المنع والكراهة ، لأتمكن من استنتاج أسباب هذه الكراهة ، فوجدت كما قال الخطيب البغدادى : (أن كراهة الكتاب فى الصدر الأول إنما هى لئلا يضاهى بكتاب الله تعالى غيره ، أو يُشْتَغَل عن القرآن بسواه ؛ ونُهِىَ عن الكُتُب القديمة أن تتخذ ، لأنه لا يعرف حقها من باطلها ، وصحيحها من فاسدها مع أن القرآن كفى منها ، وصار مهيمناً عليها ، ونهى عن كتب العلم فى صدر الإسلام وجدته ، لقلة الفقهاء فى ذلك الوقت ، والمميزين بين الوحى وغيره ، لأن أكثر الأعراب لم يكونوا فقهوا فى الدين ، ولا جالسوا العلماء العارفين ، فلم يُؤمن أن يُلحقوا ما يجدون من الصحف بالقرآن ، ويعتقدوا أن ما اشتملت عليه كلام الرحمن [1]) ، أضف إلى هذا ورع الصحابة وخشيتهم من أن يكون ما يملونه أو يقيدونه غير ما سمعوه من الرسول عليه الصلاة والسلام .

من أجل هذا أولى الصحابة رضوان الله عليهم كتاب الله عز وجل فى هذه الحقبة عناية الحفظ فى الصحف والمصاحف وفى الصدور ، وجمعوه فى عهد الصديق ، ونسخوه فى عهد عثمان ، وبعثوا به إلى الآفاق ، ليضمنوا حفظ المصدر التشريعى الأول من أن تشوبه أية شائبة ، ثم حافظوا على السنة بدراستها ومذاكرتها وكتابتها أحيانا عند زوال مانع الكراهة ، وقد ثبت عن كثير من الصحابة الحثُّ على كتابة الحديث ، واجازة تدوينه .

ولا نشك فى هذه الأخبار كما شك غيرنا ، لأننا لا نرى فيها ذلك التعارض الذى تصوره بعض المستشرقين [2] ، حتى استجازوا لأنفسهم أن يحكموا على

---

(١) تقييد العلم ص ٥٧

(٢) سنتكلم بعد قليل عن رأى جولد تسيهر فى هذه الأخبار .

بعضها بالوضع والاختلاق ، وسنوجز فيما يلي بعض ما روى عن الصحابة من إجازة تقييد الحديث ، ليتبين صحة ما ذهبنا إليه .

وقبل أن أتناول هذه الأخبار لا بد لى من أن أقلب النظر فيما روى عن محاولة عمر رضى الله عنه جمع السنة وتدوينها ، كما جمع القرآن الكريم ، ثم عدوله عن ذلك خوفاً من أن يلتبس الكتاب بالسنة ، وخشية ألا يميز المسلمون الجدد بينهما . أقول : إن محاولته هذه تدل على اقتناعه بجواز كتابة الحديث الشريف ، وهذا ما انتهى به أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النهى عن الكتابة ، ولو شك عمر رضى الله عنه فى الجواز — ماهم بأن يفعل مامنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كرهه ، فإحجام الفاروق لم يكن لكراهة الكتابة ، بل لمانع يقتضى أن يتريث فى التدوين والجمع لمصلحة أخطر وأعظم ، ولذلك رأيناه يكتب بنفسه لمن يأمن عليه اللبس ويثق به ، وربما سمح عمر رضى الله عنه بالكتابة بعد أن رأى حفظ الأمة لكتاب الله تعالى بجمعه فى المصحف الشريف ، ويقوى هذا مايروى عن عمرو بن أبى سفيان من أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : (قيدوا العلم بالكتاب [1]) .

ثم إن بعض الصحابة أنفسهم قد أجاز الكتابة ، وكتب بعضهم بيده ، وتغير رأى من عرف منهم النهى عن كتابة الحديث حينما زالت أسباب المنع ، وخاصة بعد أن جمع القرآن فى المصاحف وأرسل إلى الآفاق .

ولا ينقض هذا الرأى الذى ذهبنا إليه — ماروى عن أنس بن مالك أن أبا بكر الصديق كتب له فرائض الصدقة التى سنها رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تقييد العلم ص ٨٨ ، وجامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ . ووجد ابن عمر فى قائم سيف أبيه صحيفة . انظر الكفاية ص ٣٥٤ ، وتوجيه النظر ص ٣٤٨ .

وسلم [١] بأن هذا كان قبل نسخ المصاحف ، لأننا لم نجعل الخشية من التباس الكتاب بالسنة السبب الوحيد لمنع الكتابة ، بل هناك أسباب أخرى قد ذكرتها فيما سبق ، ثم إن أنسا رضى الله عنه ممن لايلتبس عليه ذلك ، لأنه خدم رسول الله عليه الصلاة والسلام وعرفه وتلقى عنه عشر سنوات ، وعلى هذا نقول : إنه ثبت عن أبى بكر كتابة شىء من السنة وكذلك ثبت عن الفاروق مثل ذلك [٢] .

وهذا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول : (ما كنا نكتب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الإستخارة والتشهد [٣]) فهذا دليل على كتابة الصحابة غير القرآن الكريم فى عهده صلى الله عليه وسلم ، وعلى عدم كراهة ابن مسعود للكتابة ، وقد روينا خبر الكتاب الذى كان عند ابنه بخط يده [٤] .

وروى عن على رضى الله عنه أنه كان يحض على طلب العلم وكتابته ، فقد قال : (من يشترى منى علماً بدرهم ؟ قال أبو خيثمة : يقول : يشترى صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم) [٥] ، وخبر صحيفة على رضى الله عنه مشهور ، وقد كانت معلقة فى سيفه ، فيها أسنان الإبل وشىء من الجراحات [٦] . . .

وهــذا الحسن بن على رضى الله عنهما يقول لبنيه وبنى أخيه : (تعلموا تعلموا ، فإنكم صغار قوم اليوم ، تكونون كبارهم غداً ، فمن لم يحفظ منكم

---

(١) انظر تقييد العلم ص ٨٧ ، وفى مسند الإمام أحمد أن أبا بكر كتب لهم (إن هذه فرائض الصدقة التى فرض رسول الله) انظر ص ١٨٣ ج ١ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ص ٢٦١ ج ١ والكفاية ص ٣٣٦ .

(٣) مصنف ابن أبى شيبة ص ١١٥ : ب ، ج ١ .

(٤) انظر جامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ .

(٥) العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ : ب وتقييد العلم ص ٩٠ .

(٦) انظر مسند الإمام أحمد ص ٤٥ و ١٢٢ ج ٢ ، وغيرها وتقييد العلم ص ٨٨ ـ ٩٩ وجامع بيان العلم ص ٧١ ج ١ وفتح البارى ص ٨٣ ج ٧ .

فليكتب[١]) ، وفى رواية : (فليكتبه ، وليضعه فى بيته[٢]) .

وهذه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها تقول لابن أختها عروة بن الزبير : (يا بنى ، بلغنى أنك تكتب عنى الحديث ثم تعود فتكتبه ، فقال لها : أسمعه منك على شىء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافا ؟ قال : لا . قالت لا بأس بذلك[٣]) ، فلو كرهت عائشة رضوان الله عليها الكتابة لمنعته ونهته ، ولكنه لم يحدث شىء من هذا ، بل لم تر بأسا بعمله.

وهذا أبو هريرة رضى الله عنه يسمح لبشير بن نهيك أن يكتب عنه ، ويجيزه بالرواية عنه[٤] وفى رواية يقول بشير : (أتيت أبا هريرة بكتابى الذى كتبته ، فقرأته عليه فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال : نعم[٥]) ، وروى عمرو بن أمية الضمرى أنه رأى كتبا كثيرة عند أبى هريرة[٦] .

وكتب معاوية بن أبى سفيان إلى المغيرة بن شعبة : (اكتب إلى بشىء سمعته من رسول الله صلى عليه وسلم ، فكتب المغيرة إليه : أنه كان ينهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال[٧]) .

---

(١) الكفاية ص ٢٢٩ .
(٢) تقييد العلم ص ٩١ .
(٣) الكفاية ص ٢٠٥ .
(٤) انظر العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ : ب والمحدث الفاصل ص ١٢٨ .
(٥) طبقات ابن سعد ص١٦٢ ج ٧ وجامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، والعلم لزهيرص١٩٣ والكفاية ص ٢٥٥ و ٢٨٣ .
(٦) انظر جامع بيان العلم ص ٧٤ ج ١ ، وفتح البارى ص ٢١٧ ج ١ كما أنه أملى بعض أحاديثه على همام بن منبه وسنتعرض لذلك .
(٧) معرفة علوم الحديث ص ١٠٠ واختصر الحاكم الخبر وتجد تفصيل ما كتبه المغيرة إلى معاوية فى حديث جامع شامل للبخارى فى صحيحه . انظر فتح البارى ص ٩٥ ج ٩ طبعة مصر بولاق سنة ١٣١٢ هـ .

وكتب زياد بن أبي سفيان إلى السيدة عائشة رضى الله عنها يسألها عن الحاج الذى يرسل هَدْيَهُ ، وهل يحرم عليه مايحرم على الحاج حتى ينحر ، كما أفتى ابن عباس ؟ فأجابته عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت : (فلم يحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم شىء أحله الله له حتى نحر الهدى[1]) .

وهذا ابن عباس يسأل أبا رافع صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه من يكتب له[2] ، وفى رواية أنه كانت معه ألواح يكتب فيها[3] ، وكان ابن عباس يحض على التعلم والكتابة ويقول : (قيدوا العلم بالكتاب ، من يشترى منى علما بدرهم ؟[4]) ، وكان يقول أحيانا : (إنا لانكتب فى الصحف إلا الرسائل والقرآن[5]) إلا أننا نرى ابن عباس نفسه يكتب غير الرسائل ، فيملى التفسير على مجاهد بن جبير ، ويقول له : اكتب[6] ، ويكتب إليه الحجاج أمير العراق يستفتيه فى رجل أكره أخته ، فيكتب إليه بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[7] .

وسبق لى أن ذكرت كتابة عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسنتكلم عن صحيفته بعد قليل .

---

(١) الاجابة لما استدركته عائشة على الصحابة ص ٩٥ ـ ٩٦ ، وقد قال الإمام الزهرى : (أول من كشف العمى عن الناس وبين لهم السنة فى ذلك عائشة ..) .

(٢) انظر ترجمة عبد الله بن عباس فى الاصابة .

(٣) انظر تقييد العلم ص ٩١ ـ ٩٢ و ١٠٩ .

(٤) العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ وجامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ ، وتقييد العلم ص ٩٢ .

(٥) العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧ .

(٦) انظر تفسير الطبرى بتحقيق أحمد محمد شاكر ص ٣١ ج ١ .

(٧) انظر البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث ص ٢١٤ ـــ ٢١٥ ج ٢ وقد ذكر هنا فى سبب ورود حديث (من تخطى الحرمتين فخطوا وسطه بالسيف) وهما حرمة الزنا وحرمة الأخوة . وكان ابن عباس يفتى بكتابة أيضا ، انظر فتواه لنجدة بن عامر فى مسند الإمام أحمد ص ٥٦ ج ٤ .

وهذا أبو سعيد الخدرى الصحابى الجليل الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث « . . من كتب عنى غير القرآن فليمحه » يقول : (كنا لا نكتب إلا القرآن والتشهد[١]) .

وكان البَرَاء بن عازب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث ويكتب من حوله ، فعن عبد الله بن خنيس قال : (رأيتهم عند البراء يكتبون على أيديهم بالقصب[٢]) .

وهذا ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة يكتب بين يدى المغيرة[٣] .

ويروى عن ابن عمر رضى الله عنه أنه كان لا يخرج من بيته غدوة حتى ينظر فى كتبه[٤] .

وهذا أنس رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وملازمه فى بيته ليلا ونهاراً عشر سنوات ، كان يقول لبنيه : (يا بنى قيدوا العلم بالكتاب[٥]) ، وكان يملى الحديث[٦] حتى إذا ما كثر عليه الناس جاء بمَجَال[٧] من كتب ، فألقاها ثم قال : (هذه أحاديث سمعتها وكتبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضتها عليه[٨]) .

---

(١) تقييد العلم ص ٩٣ .

(٢) جامع بيان العلم ٨١ ج ١ ، وانظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٣ : ب وتقييد العلم ص ١٠٥ .

(٣) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧ .

(٤) انظر الآداب الشرعية ص ١٢٥ ج ٢ .

(٥) انظر كتاب العلم لزهير بن حرب ص١٩٢ وتقييد العلم ص٩٦ ونحوه فى ص ٩٧ وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ص ٢٤٤ ج ١ حيث أعجبه حديث فأمر ابنه بكتابته .

(٦) انظر تاريخ بغداد ص ٢٥٩ ج ٨

(٧) مجال جمع مجلة والمجلة صحيفة يكتب فيها . أى ألقى إليهم صحفا . انظر لسان العرب مادة (جلل) ص ١٢٧ ج ١٣

(٨) تقييد العلم ص ٩٥ و ٩٦ .

تلك أخبار متعاضدة ، تثبت أن الصحابة رضوان الله عليهم قد أباحوا الكتابة ، وكتبوا الحديث لأنفسهم ، وكتب طلابهم بين أيديهم ، وأصبحوا يتواصون بكتابة الحديث وحفظه ، كما ثبت ذلك عن على رضى الله عنه ، وعن ابن عباس ، وعن الحسن ، وأنس بن مالك رضى الله عنهم ، بعد أن كرهها بعض الصحابة عندما كانت أسباب المنع قائمة .

ويتجلى لنا رجوع بعض من كره الكتابة عن رأيه مما رويناه عن ابن مسعود وعن أبى سعيد الخدرى ، إذ بعد أن كانوا يكرهون أن يكتبوا فى الصحف غير القرآن كتبوا الاستخارة والتشهد ، وفى هذا دليل واضح أن النهى عن كتب ماسوى القرآن إنما كان مخافة أن يضاهى بكتاب الله تعالى غيره ، وأن يُشتغل عن القرآن بسواه ، ويقول الخطيب البغدادى : (فلما أُمن ذلك ، ودعت الحاجة إلى كَتْب العلم — لم يُكره كَتْبه ، كما لم تكره الصحابة كتب التشهد ، ولا فرق بين التشهد وبين [١] غيره من العلوم فى أن الجميع ليس بقرآن ، ولن يكون كتب الصحابة ما كتبوه من العلم وأمروا بكتبه إلا احتياطاً ، كما كان كراهيتهم لكتبه احتياطاً ، والله اعلم) . [٢]

* * *

ثالثاً — التدوين فى عصر التابعين

لقد تلقى التابعون علومهم على يدى الصحابة ، وخالطوهم وعرفوا كل شىء عنهم ، وحملوا الكثير الطيب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طريقهم ، وعرفوا متى كره هؤلاء كتابة الحديث ومتى أباحوه ، فقد تأسوا بهم

(١) كان ينبغى ألا يكرر (بين) .
(٢) تقييد العلم ص ٩٤ .

وهم الرعيل الأول الذين حفظوا القرآن والسنة ، فمن الطبيعي أن تتفق آراء التابعين وآراء الصحابة حول حكم التدوين ، فإن الأسباب التي حملت الخلفاء الراشدين والصحابة على الكراهة هي نفسها التي حملت التابعين عليها ، فيقف الجميع موقفاً واحداً ، ويكرهون الكتابة ماذامت أسباب الكراهة قائمة ، ويجمعون على الكتابة وجوازها عند زوال تلك الأسباب ، بل إن أكثرهم يحض على التدوين ويشجع عليه . ولن نستغرب أن نرى خبرين عن تابعي أحدهما يمنع الكتابة والآخر يبيحها ، ولن نعجب من كثرة الأخبار التي تدل على الكراهة في مختلف أجيال التابعين — كبارهم وأواسطهم وصغارهم — والأخبار التي تدل على الإباحة — مادمنا نوجه كل مجموعة من هذه الأخبار وجهة تلائم الأسباب التي أدت إليها ، ونرى أن سبيل الصحابة المتأخرين وكبار التابعين إباحة تقييد الحديث ، بشروط تمتنع معها كراهته المأثورة عندهم عن النبي وكبار الصحابة ، [1] فقد امتنع عن الكتابة من كبار التابعين عَبيدة بن عمرو السلماني المرادي (— ٧٢هـ) ، وإبراهيم بن يزيد التيمي (— ٩٢هـ) ، وجابر بن زيد (— ٩٣هـ) وإبراهيم النخعي (— ٩٦هـ) ، ولم يرض عبيدة أن يكتب عنده أحد ، ولا يقرأ عليه أحد [2] ، وقد نصح إبراهيم فقال له : « لاتخلدن عني كتاباً » [3] ، وقبل وفاته دعا بكتبه فأحرقها وقال : (أخشى أن يليها قوم يضعونها غير مواضعها [4]) ، وكره ابراهيم النخعي أن تكتب

---

(١) انظر تقييد العلم : انظر تصدير أستاذنا الدكتور يوسف العش ص ١٩ ومقالته في مجلة الثقافة المصرية : العدد (٣٥٢) السنة السابعة الصفحة (٨) .

(٢و٣) جامع بيان العلم ص ٦٧ ج ١ وتقييد العلم ص ٤٥ و ٤٦ وانظر كتاب العلم لزهير ص ١٩٣ : ب .

(٤) جامع بيان العلم وفضله ص ٦٧ ج ١ ونحوه في سنن الدارمي ص ١٢١ ج ١ وفي طبقات ابن سعد ص ٦٣ ج ٦ .

الأحاديث فى الكراريس ، وتشبه بالمصاحف ، [١] وكان يقول : (ما كتبت شيئاً قط) [٢] ، حتى إنه منع حماد بن سليمان من كتابة أطراف الأحاديث [٣] ، ثم تساهل فى كتابتها ، قال ابن عون : (رأيت حماداً يكتب عن إبراهيم فقال له إبراهيم : ألم أنهك ؟ قال إنما هى أطراف) [٤] .

ونسمع عامراً الشعبي (١٧ — ١٠٣هـ) يردد عبارته المشهورة : (ما كتبت سوداء فى بيضاء ، ولا سمعت من رجل حديثاً فأردت أن يعيده على [٥]) .

وقد ازدادت كراهة التابعين للكتابة عندما اشتهرت آراؤهم الشخصية ، فخافوا أن يدونها طلابهم مع الحديث ، وتحمل عنهم ، فيدخله الالتباس .

ويمكننا أن نستنبط أن من كره الكتابة وأمر ، إنما كره أن يدون رأيه ، وفى هذا يقول أستاذنا الدكتور يوسف العش : (وأما من ورد عنهم

---

(١) انظر سنن الدارمى ص ١٢١ ج ١ ، وجامع بيان العلم وفضله ص ٦٧ ج ١ وتقييد العلم ص ٤٨ .

(٢) تقييد العلم ص ٦٠ ، وكان يقول : (لاتكتبوا فتتكلوا) وانظر جامع بيان العلم ص ٦٨ ج ١ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ١٩٠ ج ١.

(٤) سنن الدارمى ص ١٢٠ ج ١ ونحوه فى كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٤ . قال أستاذنا الدكتور يوسف العش :(ولقد تشددبعضهم فأراد ألا يكون سبيل للشبه أبداً فأحل كتابة العلم فى الأطراف — أى على أطراف العظام فقط — كإبراهيم النخعى ، فهى صعبة الحفظ ، والمشاهاة بينها وبين الكراريس بعيدة . اهـ) انظر : الصفحة (٧) من مجلة الثقافة المصرية عدد ٣٠٢ السنة السابعة . أقول : ليس المراد من الأطراف (أطراف العظام) بل أطراف الأحاديث . وهى أن يكتب المصنف طرف الحديث بحيث يعرف بقيته مع الجمع لأسانيده ، ويوضح ماذهبنا إليه رواية زهير بن حرب وفيها قول إبراهيم (لابأس بكتاب الأطراف) انظر كتاب العلم ص ١٩٤ . وكتب الأطراف كثيرة عقد لها صاحب الرسالة المستطرفة بحثا فى رسالته (صفحة ١٢٥ — ١٢٧) وكتاب (ذخائر المواريث) لعبد الغنى النابلسى هو أحد كتب الأطراف المشهورة .

(٥) العلم لزهير بن حرب ص ١٨٧ : ب ، وجامع بيان العلم ص ٦٧ ج ١ .

الامتناع عن الإكتاب من هذا الجيل ، فيؤول امتناعهم بما لايخالف ما انتهينا إليه ، فهم جميعاً فقهاء [1] وليس بينهم محدث ليس بفقيه ، والفقيه يجمع بين الحديث والرأى ، فيخاف تقييد رأيه واجتهاده إلى جانب أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم [2] .) ، ويوضح هذا بأمثلة تثبت ماذهب إليه ، فيقول : (إننا نجد فى الواقع أخباراً تروى كراهتهم لكتابة الرأى ، كاعتذار زيد بن ثابت عن أن يكتب عنه كتّاب مروان . . . وجاء رجل إلى سعيد بن المسيب — وهو من الفقهاء الذين روى امتناعهم عن الاكتاب — فسأله عن شيء فأملاه عليه ، ثم سأله عن رأيه فأجابه ، فكتب الرجل ، فقال رجل من جلساء سعيد : أيكتب يا أبا محمد رأيك ؟ فقال سعيد للرجل : ناولنيها ، فناوله الصحيفة فخرقها [3] ، وقيل لجابر بن زيد : إنهم يكتبون رأيك ، قال : تكتبون ماعسى أرجع عنه غداً [4] ؟

وكل هذه الأقوال رويت من علماء ، حدث المؤرخون عنهم أنهم كرهوا إكتاب الناس ، وهى تدل دلالة صريحة على أن الكراهة ليست فى كتابة العلم أى الحديث ، بل فى كتابة الرأى ، وأن الأخبار التى وردت فى النهى دون تخصيص إنما قصد بها الرأى خاصة . ويشابه هذا الأمر ماحدث فى أمر كراهة الرسول والصحابة الأولين : من التباس الحديث بالقرآن ، أو الانكباب عليه

---

(١) ذكر أستاذنا هنا أسماء بعض من ذكرتهم قبل وأضاف (سعيد بن المسيب (— ٩٤ هـ) . وطاوس (— ١٠٦ هـ) والقاسم (١٠٧ هـ) وغيرهم) . انتهى مالم نذكره فى النص .

(٢) تقييد العلم : التصدير ص ٢٠ .

(٣) راجع الخبر فى جامع بيان العلم ص ١٤٤ ج ٢ .

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٣١ ج ٢ .

دونه ، فما كانوا يخشونه من الحديث ، أصبح خشية التابعين الأولين من الرأى والتباسه بالحديث)[١] .

ويقوى هذا الرأى عندنا ماورد عن هؤلاء التابعين من أخبار يحثون فيها على الكتابة ، ويسمحون لطلابهم أن يكتبوا عنهم ، وقد نشطت الكتابة عندما فرق طلاب العلم بين النهى عن كتابة الرأى والنهى عن كتابة الرأى مع الحديث، ونرى التابعين ينكبون على الكتابة فى حلقات الصحابة ، بل إن بعضهم كان يحرص على الكتابة حرصاً شديداً ، فهذا سعيد بن جبير (— ٩٥ هـ) كان يكتب عن ابن عباس ، فإذا ما امتلأت صحفه كتب فى نعله حتى يملأها[٢] ، وعنه قال : (كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس ، فكنت أسمع الحديث منهما ، فأكتبه على واسطة الرحل حتى أنزل فأكتبه[٣]) ، ورخص سعيد بن المسيب (— ٩٤ هـ) لعبد الرحمن بن حرملة بالكتابة حينما شكا إليه سوء حفظه[٤] ، ونرى عامراً الشعبى بعد أن كان يقول : ما كتبت سوداء فى بيضاء — يردد قوله : (الكتاب قيد العلم[٥]) ، وكان يحض على الكتابة ويقول : (إذا سمعتم منى شيئاً فاكتبوه ولو فى حائط)[٦] ، ومع هذا ، فقد روى أنه

---

(١) مجلة الثقافة المصرية : الصفحة ٨ — ٩ من العدد ٣٥٢ فى السنة السابعة .

(٢) انظر تقييد العلم ص ١٠٢ وانظر المحدث الفاصل : نسخة دمشق ٤ : ب ج ٤ قوله (كتبت فى طهورهما حتى تملئا) .

(٣) تقييد العلم ص ١٠٣ ونحوه فى جامع بيان العلم ص ٧٢ ج ١ وقارن بطبقات ابن سعد ص ١٧٩ — ١٨٠ ج ٦ .

(٤) انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٤ : ب ج ٤ ، وجامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ ج١ وتقييد العلم ص ٩٩ .

(٥) تقييد العلم ص ٩٩ ، رجامع بيان العلم ص ٧٥ ج ١ .

(٦) المرجع السابق ص ١٠٠ وانظر نحوه فى المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٤ : ب ، ج ٤ ، والعلم لزهير ص ١٩٣ : ب .

لم يوجد له بعد موته إلا كتاب بالفرائض والجراحات [١] ، وإذا كانت كتبه التي تركها قليلة ولا تدل على نشاطه العلمي — فإننا نعزو هذا إلى قوة حافظته ، لأنه كان يعتمد على الحفظ أكثر من اعتماده على الكتابة ، وهذا لا ينافي قط املاءه لطلابه وحثهم على الكتابة . ويقول الضحاك بن مزاحم (— ١٠٥ هـ) : (إذا سمعت شيئاً فاكتبه ولو في حائط) كما أنه أملى على حسين بن عقيل مناسك الحج [٢] .

وانتشرت الكتب حتى قال الحسن البصري (— ١١٠ هـ) : (إن لنا كتبا كنا نتعاهدها [٣]) . وكان عمر بن عبد العزيز (٦١ — ١٠١ هـ) يكتب الحديث ، روى عن أبي قلابة قال : (خرج علينا عمر بن عبد العزيز لصلاة الظهر ومعه قرطاس ثم خرج علينا لصلاة العصر وهو معه ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الكتاب ؟ قال : حديث حدثني به عون بن عبد الله فأعجبني فكتبته [٤] . . .) وهذا يدل على أن الكتابة قد شاعت بين مختلف الطبقات ولم يعد أحد ينكرها في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني . وقد كثرت الصحف والكتب في ذلك الوقت حتى لنرى مجاهد بن جبر (— ١٠٣ هـ) يسمح لبعض أصحابه أن يصعدوا إلى غرفته فيخرج إليهم كتبه فينسخون منها [١] .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ص ٢٣٢ ج ١١ .

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٤ ج ١ ، والعلم لزهير ص ١٨٩ : ب .

(٤) سنن الدارمي ص ١٣٠ ج ١ وسمع من يزيد الرقاشي أحاديث عن أنس فكتبها وفرض له في الديوان ، انظر المحدث الفاصل ص ٣ : ب ، ج ٤ وستتحدث عن خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة وأمره بكتابتها بعد قليل .

(٥) انظر سنن الدرامي ص ١٢٨ ج ١ ، وتقييد العلم ص ١٠٥ ونرى في سنن الدرامي ص ١٢١ ج ١ أنه كان يكره أن يكتب العلم في الكراريس ، فنحمل الكراهة على أن يضاهى بهذه القرآن أو أن تؤول الكراريس إلى غير أهلها .

وبطلب هشام بن عبد الملك من عامله أن يسأل رجاء بن حيوة (— ١١٢هـ) عن حديث ، فيقول رجاء : (فكنت قد نسيته لولا أنه كان عندى مكتوبا)[١] .

وكان عطاء بن أبى رباح (— ١١٤ هـ) يكتب لنفسه ، ويأمر ابنه أحيانا أن يكتب له[٢] ، وكان طلابه يكتبون بين يديه[٣] ، وقد بالغ فى حض طلابه على التعلم والكتابة ، فعن أبى حكيم الهمدانى قال : (كنت عند عطاء بن أبى رباح ، ونحن غلمان ، فقال : يا غلمان ، تعالوا اكتبوا ، فمن كان منكم لايحسن كتبنا له ، ومن لم يكن معه قرطاس أعطيناه من عندنا[٤] !!) .

ونشطت الحركة العلمية وازدادت معها الكتابة والقراءة على العلماء ، ويدل على هذا ماروى عن الوليد بن أبى السائب قال : رأيت مكحولا ونافعا وعطاء تقرأ عليهم الأحاديث[٥] ، وعن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : (رأيت من يقرأ على الأعرج — عبد الرحمن بن هرمز (— ١١٧ هـ) ، حديثه عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : هذا حديثك يا أبا داود ؟ قال : نعم[٦] . .) وها هو ذا نافع مولى ابن عمر (— ١١٧ هـ) يملى العلم على طلابه ، وطلابه يكتبون بين يديه[٧] . ويصور لنا قتادة بن دعامة السدوسى (— ١١٨ هـ) بإجابته لمن يسأله عن كتابة الحديث — موقف هذا الجيل من التابعين من الكتابة ، بعد أن فشت فيهم وانتشرت وأصبحت من ضرورياته

---

(١) سنن الدارمى ص ١٢٩ جـ ١ ، وتقييد العلم ص ١٠٨ .
(٢) انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٣ : ب جـ ٤ .
(٣) انظر سنن الدرامى ص ١٢٩ جـ ١ .
(٤) المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٣ : ب جـ ٤ .
(٥) الكفاية فى علم الرواية ص ٢٦٤ .
(٦) طبقات ابن سعد ص ٢٠٩ جـ ٥ .
(٧) انظر سنن الدارمى ص ١٢٩ و ١٢٦ جـ ١ .

كل طالب علم ، فيقول : (وما يمنعك أن تكتب ، وأخبرك اللطيف الخبير أنه يكتب : « قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ ، لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى »[1]) ؟

وكثرت الصحف المدونة ، حتى إن خالداً الكلاعى (— ١٠٤ هـ) جعل علمه فى مصحف له أزرار وعرا[2] .

* * *

رابعاً — خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة

عاش عمر بن عبد العزيز فى جو علمى ، فلم يكن بعيداً — وهو أمير الأمة — عن العلماء ، ورأيناه يكتب بنفسه بعض الأحاديث ، ويشجع العلماء ، وقد رأى أن يحفظ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ويجمعه ، وربما دعاه إلى هذا نشاط التابعين آنذاك وإباحتهم للكتابة حين زالت أسباب الكراهة ، لأننا لا نعقل أن يأمر بجمع السنة وتدوينها والعلماء كارهون لهذا ، ولو كرهوا كتابتها ما استجابوا لدعوته ، ومما لاشك فيه أن خشيته من ضياع الحديث دفعته إلى العمل لحفظه .

ويمكننا أن نضم إلى ما ذكرنا سبباً آخر كان له أثر بعيد فى نفوس العلماء حملهم على تنقيح السنة وحفظها ، وهو ظهور الوضع بسبب الخلافات السياسية والمذهبية ، ويؤكد لنا هذا ما يرويه أخو ابن شهاب الزهرى عنه قال : (سمعته — يعنى ابن شهاب — يقول : لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها —

---

(١) تقييد العلم ص ١٠٣ والآية ٥٢ من سورة طه وانظر طبقات ابن سعد ص ٢ قسم ٢ جـ ٧ وما روى عنه فى سنن الدارمى من كراهية يحمل على الوجه الذى بيناه آنفا ، انظر سنن الدارمى ص ١٢٠ جـ ١ .

(٢) انظر تذكرة الحفاظ ص ٨٧ جـ ١ .

ما كتبت حديثاً ، ولا أذنت فى كتابه [١]) ورأى الزهرى هذا رأى أكثر علماء ذلك العصر ، فإن حرصهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يدرس لا يقل عن حرصهم على سلامته من الكذب والوضع ، فكان هذان العاملان من أقوى العوامل التى حفزت همم العلماء إلى خدمة السنة وكتابتها ، عندما تبنت الحكومة جمعها رسميا على يدى الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز ، الذى اتخذ خطوة حازمة فكتب إلى الآفاق : (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه [٢]) .

وكان فيما كتب إلى أهل المدينة : (انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبوه ، فإنى خفت دروس العلم وذهاب أهله [٣]) . وكان فى كتابه إلى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (— ١١٧ ﻫ) عامله على المدينة أن (اكتب إلىّ بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبحديث عمرة ، فإنى خشيت دروس العلم وذهابه [٤]) . وفى رواية : أمره (أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن (— ٩٨ ﻫ) ، والقاسم بن محمد (— ١٠٧ ﻫ) ، فكتبه له [٥]) وفى رواية : (فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تَقبلْ إلا حديث النبى صلى الله عليه وسلم ، ولْيُفشوا العلمَ ،

---

(١) تقييد العلم ص ١٠٨ .

(٢) فتح البارى ص ٢٠٤ جـ ١ رواه أبو نعيم فى تاريخ أصبهان .

(٣) سنن الدارمى ص ١٢٦ جـ ١ وقارن بالمحدث الفاصل نسخة دمشق ص٤ : آ جـ ٤ وقارن بكتاب الأموال ص ٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٤) سنن الدارمى ص ١٢٦ جـ ١ ، وقارن بطبقات ابن سعد ص ١٣٤ قسم ٢جـ٢ وبالأموال لابن سلام ص ٥٧٨ وبالتاريخ الصغير للبخارى ص ١٠٥ وتقييد العلم ص ١٠٥ .

(٥) تقدمة الجرح والتعديل ص ٢١ ، والمراد أن يكتب له حديث عمرة ، لأنها توفيت قبل سنة (٩٩)ﻫ ، السنة التى تولى فيها عمر بن عبد العزيز الخلافة ، وواضح هذا فى الخبر الذى قبله .

وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً [١]) .

كما أمر ابن شهاب الزهرى (— ١٢٤ هـ) وغيره بجمع السنن [٢] ، وربما لم يكتف عمر بن عبد العزيز بأمر من أمرهم بجمع الحديث ، فأرسل كتباً إلى الآفاق يحث المسؤولين فيها على تشجيع أهل العلم على دراسة السنة وإحيائها ، ومن هذا مايرويه عكرمة بن عمار قال : (سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقول : (أما بعد فأمروا أهل العلم أن ينتشروا فى مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت [٣]) كما كتب (إنه لا رأى لأحد فى كتاب ، وإنما رأى الأئمة فيما لم ينزل فيه كتاب ولم تمض به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا رأى لأحد فى سنة سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم [٤]) ، بل هناك أخبار تثبت أن عمر بن عبد العزيز قد شارك العلماء فى مناقشة بعض ماجمعوه ، من ذلك مارواه أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشى قال : (رأيت عمر بن العزيز جمع الفقهاء ، فجمعوا له أشياء من السنن ، فإذا جاء الشىء الذى ليس العمل عليه ، قال : هذه زيادة ليس العمل عليها [٥]) .

لقد بذل عمر بن عبد العزيز جهده فى المحافظة على السنة — مع قصر

---

(١) فتح البارى ص ٢٠٤ ج ١ .

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

(٣) المحدث الفاصل ص ١٥٣ .

(٤) سنن الدارمى ص ١١٤ ج ١ ، وانظر جامع بيان العلم وفضله ص ٣٤ ج ٢ .

(٥) قبول الأخبار ص ٣٠ ، وتوفى أبو الزناد سنة (١٣١ هـ) ، ومن ذلك أيضاً (ماروى عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبيه ، قال : حضرت عبيد الله بن عبد الله ، دخل على عمر بن عبد العزيز ، فأجلس قوماً يكتبون مايقول ، فلما أراد أن يقوم ، قال له عمر : (صنعنا شيئاً) قال : وما هو يا ابن عبد العزيز ؟ قال : (كتبنا ماقلت) قال : وأين هو ؟ قال : يجىء به فخرق . تقييد العلم ص ٤٥) وربما كره الكتابة عنه لأنه ممن يحب الاعتماد على الحفظ كما سنذكر بعد قليل .

مدة خلافته ، فقد طلب من أبى بكر بن حزم جمع الحديث ، وأبو بكر هذا من أعلام عصره ، قال فيه مالك بن أنس : (ما رأيت مثل أبى بكر بن حزم أعظم مروءة ولا أتم حالا .. ولى المدينة والقضاء والموسم [1]) ، وعنه قوله : (لم يكن عندنا أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر [2]) . وكان قد طلب منه أن يكتب إليه حديث عمرة بنت عبد الرحمن ، وهى خالته ، نشأت فى حجر عائشة ، وكانت من أثبت التابعين فى حديث عائشة رضى الله عنها [3] .

وأما القاسم بن محمد بن أبى بكر (٣٧ — ١٠٧هـ) الذى ذكر فى بعض الروايات فهو أحد الفقهاء السبعة فى المدينة ، وعالم أهل زمانه ، تلقى علمه عن عمته عائشة رضى الله عنها ، وعائشة أم المؤمنين معروفة بعلمها وتعمقها فى السنة ، وهى غنية عن التعريف .

وأما ابن شهاب أحد الذين شاركوا فى الجمع والكتابة فهو أحد أعلام ذلك العصر ، كان قد كتب السنن وما جاء عن الصحابة أثناء طلبه العلم [4] . وكان ذا مكانة رفيعة ، فقد روى عن أبى الزناد أنه قال : (كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ما سمع ، فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس) [5] .

وإذا كانت المنية قد اخترمت الخليفة الراشد الخامس قبل أن يرى الكتب

(١ و ٢) تهذيب التهذيب ص ٣٩ جـ ١٢ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٤٣٨ جـ ١٢ ، وقال سفيان بن عيينة : أعلم الناس بحديث عائشة ثلاثة ، القاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن . انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٤٥ .

(٤) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ جـ ١ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٦ : أ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ جـ ١ ، وانظر ترجمة ابن شهاب فى الفصل الثانى من الباب الخامس من هذا الكتاب .

التى جمعها أبو بكر — كما يذكر ذلك بعض العلماء[١] — فإنه لم تفته أولى ثمار جهوده ، التى حققها ابن شهاب الزهرى الذى يقول : (أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن ، فكتبناها دفتراً دفتراً ، فبعث إلى كل أرض له عليها سلطان دفتراً[٢]) ، وعلى هذا يحمل ماقاله المؤرخون والعلماء : (أول من دون العلم ابن شهاب[٣]) وله أن يفخر بعمله هذا ، ويقول : (لم يدون هذا العلم أحد قبل تدوينى[٤]) .

وقد اعتبر علماء الحديث تدوين عمر بن عبد العزيز هذا أول تدوين للحديث ورددوا فى كتبهم هذه العبارة : (وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع على رأس المائة فى خلافة عمر بن عبد العزيز)[٥] أو نحوها .

ويفهم من هذا أن التدوين الرسمى كان فى عهد عمر بن عبد العزيز ، أما تقييد الحديث وحفظه فى الصحف والرقاع والعظام فقد مارسه الصحابة فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم ينقطع تقييد الحديث بعد وفاته عليه الصلاة والسلام ، بل بقى جنباً إلى جنب مع الحفظ حتى قيض للحديث من يودعه المدونات الكبرى .

وسيتبين لنا بعد قليل أن والد عمر بن عبد العزيز قد سبق ابنه فى طلب تدوين الحديث . وأن أهل الحديث لم يمسكوا طوال القرن الأول عن تقييد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منتظرين سماح الخليفة وأمره ، وقد ذكرنا

---

(٦) انظر قواعد التحديث ص ٤٧ .

(١) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٦ ج ١ وحلية الأولياء ص ٣٦٣ ج ٣

(٣) الرسالة المستطرفة ص ٤ .

(٤) تدريب الراوى ص ٤٠ وقواعد التحديث ص ٤٦ ، ونحو هذا فى توجيه النظر ص ٦ وإرشاد السارى ص ١٤ ج ١ .

شيئاً من هذا فيما عرضناه من أخبار عن سماح الصحابة والتابعين بالكتابة وكتاباتهم لأنفسهم .

وهكذا كانت نهاية القرن الأول الهجرى وبداية القرن الثانى خاتمة حاسمة لما كان من كراهة الكتابة وإباحتها ، فدونت السنة فى صحف وكراريس ودفاتر ، وكثرت الصحف فى أيدى طلاب الحديث .

* * *

وقد يظن الباحث أن كراهة الكتابة قد ولت ، وانهزمت أمام اباحتها ، ولم تعد هذه الإباحة مجرد رأى ، بل انتقل الرأى إلى التطبيق فعلا ، وتبنت الدولة الإشراف على الكتابة ، ولكنا لا نلبث أن نسمع أصوات من يكره الكتابة تعلو من جديد ، وكان بعض هؤلاء من نفس جيل التابعين الثانى (أواسطهم) ومن صغارهم ، فقد راعهم أن يروا الحديث فى كراريس ودفاتر ، وأن يعتمد طلاب الحديث والعلماء على الكتب ، ويهملوا الحفظ ، فتمسكوا بالآثار التى لاتبيح الكتابة ، وأبوا أن ينكب أهل الحديث على دفاترهم ، ويجعلوها خزائن علمهم ، ولم يعجبهم أن يخالف سبيل الصحابة فى الحفظ والاعتماد على الذاكرة ، وحق لهم أن يكرهوا الاتكال على الكتب ، لأن فى الاتكال على المكتوب وحده اضعافاً للذاكرة ، وانصرافاً عن العمل به .

وها هو ذا الضحاك بن مزاحم الذى أباح الكتابة سابقاً ، والذى أملى مناسك الحج حين زال خوفه من أسباب الكراهة — ها هو ذا يقول : (يأتى على الناس زمان تكثر فيه الأحاديث حتى يبقى المصحف بغباره لا ينظر فيه[1]) وفى رواية عنه (يأتى على الناس زمان يعلق فيه المصحف حتى يعشعش عليه العنكبوت ، لاينتفع بما فيه ، وتكون أعمال الناس بالروايات والأحاديث[2])

---

(١) جامع بيان العلم ص ٦٥ ج ١ .

(٢) جامع بيان العلم ص ١٢٩ ج ٢ .

لقد تصور عاقبة هذا الإقبال على الكتابة ، وجعل الحديث فى دفاتر وكراريس ، وأعلن إنكاره مدوياً : (لا تتخذوا للحديث كراريس ككراريس المصاحف)[١] .

ويمكننا أن نحمل قول الزهرى : (كنا نكره كتاب العلم ، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين[٢]) — على ما بيناه ، لأننا نعرف أن الإمام الزهرى كان يكتب الحديث وهو فى دور طلب العلم ، وكان يشجع أصحابه على الكتابة ، حتى إنه كان يكتب فى ظهر نعله خشية — أن يفوته الحديث[٣] وفعلا عندما طلب منه الخليفة هشام بن عبد الملك أن يكتب لبنيه خرج وأملى على الناس الحديث[٤] وقال : (استكتبنى الملوك ، فأكتبتهم ، فاستحييت الله إذ كتبها الملوك ألا أكتبها لغيرهم)[٥] .

وقد سبق أن بينت أن حرصه على تنقيح السنة كان عاملا كبيراً فى تدوينه الحديث هو وبعض معاصريه .

وكان سعيد بن عبد العزيز يفخر بحفظه ويقول : (ما كتبت حديثاً قط) ،[٦] ونرى الإمام الأوزاعى بعد أن كان يملى على طلابه ويصحح لهم مايكتبونه عنه ليجيزهم بروايته[٧] ، ينفر من الاعتماد على الكتاب ، ويتشاءم مما سيؤول إليه الحفظ فلا يسره الميل عن طريق السلف الذين كانوا يتلقون الحديث من

---

(١) تقييد العلم ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٧ ، وطبقات ابن سعد ص ٣٥ قسم ٢ ج ٢ .

(٣) انظر تقييد العلم ص ١٠٧ .

(٤) انظر حلية الأولياء ص ٣٦٣ ج ٣ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٧ ج ١ .

(٦) سنن الدارمى ص ١٢١ ج ١ ، وتذكرة الحفاظ ص ٢٠٣ ج ١ وتوفى سعيد بن عبد العزيز سنة (١٦٧ هـ) .

(٧) انظر الكفاية ص ٣٢٢ .

أفواه العلماء ، فيقول : (كان هذا العلم شيئاً شريفاً إذ كان من أفواه الرجال يتلقونه[١] ، ويتذاكرونه فلما صار فى الكتب ذهب نوره ، وصار إلى غير أهله)[٢] .

ونرى بعض من كره الكتابة فى هذا العصر يعتمد عليها فى حفظ الحديث ثم يمحو ما كتبه بعد أن يحفظه ، وقد فعل غير واحد من السلف أمثال سفيان الثورى (— ١٦١ هـ) ، وحماد بن سلمة (— ١٦٧ هـ[٣]) وغيرهما . ويروى فى هذا عن خالد الحذاء (— ١٤١ هـ) : (ما كتبت شيئاً قط إلا حديثاً طويلا ، فإذا حفظته محوته)[٤] .

وكان كثير من التابعين يمحون كتبهم قبل وفاتهم ، أو يوصون بكتبهم إلى من يثقون به ، ليفيد منها ، خشية أن تقع فى غير مواضعها ، فقد أوصى أبو قلابة بكتبه إلى أيوب[٥] ، كما أوصى شعبة بن الحجاج ابنه بغسل كتبه بعد موته .

إن محاولة هؤلاء المانعين من الكتابة ، لم تخفف من نشاط الكتابة ، ولم تقف أمام هذا الجيل الذى نشأ عليها ، فقد كان تيار إباحة الكتابة أقوى بكثير من تيار كراهتها .

(١و٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٦٨ جـ ١ وفيه (يتلاقونه) وما أثبتناه أصوب ويتفق مع ما ورد فى المصادر الأخرى . وسنن الدارمى ص ١٢١ جـ ١ وتقييد العلم ص ٦٤ ، توفى الأوزاعى سنة (١٥٧ هـ) .

(٣) انظر تقييد العلم ص ٥٨ — ٦٠ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٩ .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٥ جـ ٧ وتذكرة الحافظ ص ٨٨ جـ ١ ، وتوفى أبو قلابة سنة (١٠٤ هـ) .

(٦) انظر تقييد العلم ص ٦٢ ، ولد شعبة بن الحجاج سنة (٨٢ هـ) وتوفى سنة (١٦٠هـ) .

ونرى أيوب السختيانى (— ١٣١ هـ) يرد على من يعيب تقييد الحديث ، فيقول : (يعيبون علينا الكتاب !! ثم يتلو « عِلْمُها عِندَ رَبِّى فى كِتابٍ » [1]).

وما لبث التياران أن توحدا وألحت الحاجة القاهرة إلى الكتابة على هؤلاء المانعين بأن يجاروا التيار العام ، ويعتمدوا فى حفظ السنة على الحفظ والكتابة معا .

يقول ابن الصلاح : (ثم إنه زال ذلك الخلاف وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك ، وإباحته ، ولولا تدوينه فى الكتب لدرس فى الأعصر الآخرة [2]).

ويقول الرامهرمزى : (والحديث لايضبط إلا بالكتاب ، ثم بالمقابلة والمدارسة ، والتعهد والتحفظ ، والمذاكرة والسؤال ، والفحص عن الناقلين ، والتفقه بما نقلوه ، وإنما كره الكتاب من كره فى الصدر الأول ، لقرب العهد وتقارب الإسناد ، ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله ، ويرغب عن تحفظه ، والعمل به ، فأما والوقت متباعد ، والاسناد غير متقارب ، والطرق مختلفة ، والنقلة متشابهون ، وآفة النسيان معترضة ، والوهم غير مأمون ، فإن تقييد العلم بالكتاب أولى وأشفى . . [3]).

ولم تكن ظاهرة الاختلاف هذه ناشئة عن انقسام العلماء إلى حزبين أو مدرستين ، إحداهما تبيح الكتابة والأخرى تمنعها ، بل نشأت من تلك الأسباب التى بيناها ، فإذا ما زالت أسباب المنع أباح العلماء الكتابة ، وإذا قامت عاد أكثرهم فمنع الكتابة ، وإذا ماخيف من الاتكال على الكتاب وإهمال الحفظ علت أصوات المنع ثانية تطالب بالاعتماد على الذاكرة ، حتى

---

(١) تقييد العلم ص ١١٠ وسنن الدارمى ص ١٢١ جـ١ ، وجامع بيان العلم ص٧٣ جـ١.
(٢) مقدمة ابن الصلاح ص ١٧١ .
(٣) المحدث الفاصل ص ٧١ .

أجمعت الأمة على الكتابة التي أصبحت من ضروريات حفظ الحديث لا يمكن الاستغناء عنها .

خامسا ـ المصنفون الأوائل في الحديث

لم يلبث هذا التيار من النشاط العلمي وكتابة الحديث أن طالع العالم بمدونات حديثية مختلفة على يدي أبناء النصف الأول من القرن الثاني الهجري ، وقد ظهرت تلك المصنفات والكتب في أوقات متقاربة ، وفي مناطق مختلفة من الدولة الإسلامية ، فبعد أن كان أهل الحديث يجمعون الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس ، أصبحوا يرتبون الأحاديث على الأبواب ، وكانت هذه المصنفات تشتمل على السنن وما يتعلق بها ، وكان بعضها يسمى مصنفا وبعضها يسمى جامعاً أو مجموعاً وغير ذلك . وقد اختلف في أول من صنف وبوب ، فقيل عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصري (ـ ١٥٠ هـ) بمكة ، ومالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ) أو محمد بن إسحاق (ـ ١٥١ هـ) بالمدينة المنورة ، وصنف بها محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب (٨٠ ـ ١٥٨ هـ) موطأ أكبر من موطأ مالك ، والربيع بن صبيح (ـ ١٦٠ هـ) أو سعيد بن أبي عروبة (ـ ١٥٦ هـ) أو حماد ابن سلمة (ـ ١٦٧ هـ) بالبصرة ، وسفيان الثوري (٩٧ ـ ١٦١ هـ) بالكوفة ، ومعمر بن راشد (٩٥ ـ ١٥٣ هـ) باليمن ، والإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي (٨٨ ـ ١٥٧ هـ) بالشام ، وعبد الله بن المبارك (١١٨ ـ ١٨١ هـ) بخراسان ، وهشيم بن بشير (١٠٤ ـ ١٨٣ هـ) بواسط [1] ، وجرير بن عبد الحميد

---

(١) انظر تاريخ بغداد ص ٨٥ جـ ١٤ ، وتذكرة الحفاظ ص ٢٢٩ جـ ١

(١١٠ – ١٨٨ ﻫ) بالرى ، وعبد الله بن وهب (١٢٥ – ١٩٧ ﻫ) بمصر[1] ، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم فى النسج على منوالهم ، وقد كان هذا التصنيف بالنسبة إلى جمع الأبواب وضمها إلى بعضها فى مؤلف أو جامع ، وأما جمع حديث إلى مثله فى باب واحد ، فقد سبق إليه التابعى الجليل عامر الشعبى (١٩ – ١٠٣ ﻫ) ، الذى يروى عنه أنه قال : هذا باب من الطلاق جسيم ، إذا اعتدّت المرأة ورثت[2] ، وساق فيه أحاديث[3] .

وكان معظم هذه المصنفات ، والجاميع يضم الحديث الشريف وفتاوى الصحابة والتابعين ، كما يتجلى لنا هـذا فى موطأ الإمام مالك بن أنس[4] ، ثم رأى بعضهم أن تفرد أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم فى مؤلفات خاصة ، فألفت المسانيد ، وهى كتب تضم أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسانيدها خالية من فتاوى الصحابة والتابعين ، تجمع فيها أحاديث كل صحابى – ولو كانت فى مواضيع مختلفة – تحت اسم مسند فلان . ومسند فلان . وهكذا .

---

(١) انظر المحدث الفاصل ص ١٥٥ : ب وما بعدها ، وتدريب الراوى ص ٤٠ ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ١٨٦ : ب – ١٨٧ : آ ومقدمة فتح البارى ص ٤ ومنهج ذوى النظر ص ١٨ .

(٢) المحدث الفاصل ص ١٥٥ والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع نسخة الاسكندرية ص ١٨٨ : ا ، ومقدمة فتح البارى ، وتدريب الراوى ص ٤٠ .

(٣) تدريب الراوى ص ٤٠ ، ومنهج ذوى النظر ص ١٨ ، وهناك أخبار كثيرة ، تثبت أن جمع الأبواب بعضها إلى بعض كان بعد جمع الأحاديث فى باب واحد . من ذلك ما رواه خالد بن دينار قال : قلت لأبى العالية : أعطنى كتابك . قال : ما كتبت الا باب الصلاة ، وباب الطلاق . وقال يحى بن سعيد كان سفيان صاحب أبواب . وقال سفيان الثورى كم من أحاديث طنانات لا نبوبه لها قد أخرجنا عن صاحب هذا القبر (ابن جريج) فى أبواب . انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع نسخة الإسكندرية ص ١٨٨ : ا – ١٨٨ : ب ومن عاصم الأحول (– ١٤٢ ﻫ) قال : (قرأت على الشعبى أحاديث الفقه وأجازها لى) انظر الكفاية ص ٢٦٤ .

(٤) فى موطأ مالك ثلاثة آلاف مسألة وسبعمائة حديث انظر الرسالة المستطرفة ص ١١ .

وأول من ألف المسانيد أبو داود سليمان بن الجارود الطيالسي (١٣٣ — ٢٠٤ هـ)[1] وتبعه بعض من عاصره من أتباع التابعين وأتباعهم ، فصنف أسد بن موسى الأموي (— ٢١٢ هـ) ، وعبيـــــد الله بن موسى العبسي (— ٢١٣ هـ) ، ومسدد البصري (— ٢٢٨ هـ) ونعيم بن حماد الخزاعي المصري (— ٢٢٨ هـ) ، واقتفى الأئمة آثارهم ، كأحمد بن حنبل (١٦٤ — ٢٤١ هـ) ، واسحاق بن راهويه (١٦١ — ٢٣٨ هـ) ، وعثمان بن أبي شيبة (١٥٦ — ٢٣٩ هـ) وغـيرهم[2] .

ويعتبر مسند الإمام أحمد بن حنبل — وهو من أتباع أتباع التابعين — أوفى تلك المسانيد وأوسعها .

جمع هؤلاء الحديث ودونوه بأسانيده . واجتنبوا الأحاديث الموضوعة ، وذكروا طرقاً كثيرة لـكل حديث ، يتمكن بها جهابذة هذا العلم وصيارفته من معرفة الصحيح من الضعيف ، والقوى من المعلول ، مما لايتيسر لـكل طالب علم ، فرأى بعض الأئمة أن يصنفوا في الحديث الصحيح فقط ، فصنفوا كتبهم على الأبواب ، واقتصروا فيها على الحديث الصحيح ، وظهرت الـكتب الستة في هذا العصر ، عصر أتباع أتباع التابعين ، وكان أول من صنف ذلك الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (١٩٤ — ٢٥٦ هـ) ، ثم الإمام مسلم ابن الحجاج القشيري (٢٠٤ — ٢٦١ هـ) ، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٠٢ — ٢٧٥ هـ) ، وأبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي

---

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص٤٦ ، وقد طبع هذا المسند طبعة جيدة في حيدر آباد بالهند سنة ١٣٢١ .

(٢) انظر منهج ذوي النظر ص٨ ، وتدريب الراوي ص٤٠ ، والرسالة المستطرفة ص٦٢ — ٧٤ .

(— ٢٧٩ هـ) ، وأحمد بن شعيب الخراسانى النسائى (٢١٥ — ٣٠٣ هـ) ، ثم ابن ماجه ، وهو عبد الله بن محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه القزوينى (٢٠٧ — ٢٧٣ هـ)[1] . وقد خدمت هذه الكتب بالشرح والتهذيب والاختصار والاستخراج عليها من قبل العلماء الذين جاءوا بعدهم .

أهم نتائج هذا الفصل :

١ — لم يكن السبب فى عدم تدوين السنة رسمياً فى عهده صلى الله عليه وسلم جهل المسلمين آنذاك بالكتابة والقراءة ، فكان فيهم القارئون الكاتبون ، الذين دونوا التنزيل الحكيم ، بل كان ذلك لأسباب أخرى ، أهمها الخوف من التباس القرآن بالسنة ، وكيلا ينشغل المسلمون بكتابة السنة عن كتابة القرآن ودراسته وحفظه .

٢ — ليس هناك تعارض بين ماروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من إباحة الكتابة وكراهتها ، فكره الكتابة لمن لايحسنها أو لمن يستطيع الحفظ ، وأباحها لمن لايستطيع الحفظ ، وإن كان بعضهم يرى أن النهى كان أول الإسلام حتى لا يلتبس القرآن بالسنة ، ثم انتهينا إلى إباحة الرسول صلى الله عليه وسلم كتابة السنة مطلقاً ، وليست هذه الأخبار من وضع مذاهب متخاصمة متضادة .

٣ — ماورد عن الصحابة والتابعين وأتباعهم من كراهة للكتابة أو إباحتها

---

(١) ليس من موضوعنا أن نتكلم على هذه الكتب الستة الآن ، ولكن لابد لنا من أن نشير إلى أن صحيح الإمام البخارى وصحيح مسلم هما فى الدرجة الأولى من هذه الكتب ، ثم تأتى السنن الأربعة فى رتبة تليها ، وسنن ابن ماجه دونها جميعاً لأن فيها ما أنكره وضعفه بعض العلماء ، ولعلماء الحديث فى ذلك أقوال يضيق بنا المقام لذكرها . انظر تدريب الراوى ص ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩ ، وسبل السلام ص ١١ — ١٢ ج ١ .

لم يكن ناشئا من قيام حزبين أحدهما يبيح الكتابة والآخر يكرهها ، بل أباحوا الكتابة حين زالت أسباب المنع ، وكرهوا الكتابة حين وجدت أسباب منعها وكراهتها ، كخشية التباس القرآن بالسنة ، أو الانشغال بالسنة عن القرآن ، أو خوف مضاهاة الكتاب الكريم بكراريس الحديث وكتبه . وقد ثبتت أخبار الكراهة عن بعض من أباحوا الكتابة ، كما ثبتت أخبار الإباحة عن بعض من كرهوا الكتابة ، وكانت غايتهم جميعاً واحدة ، وهى المحافظة على القرآن والسنة : أن يلتبس أحدهما بالآخر ، ثم انعقد الاجماع على إباحة الكتابة حين زالت أسباب كراهتها .

٤ — خشى عمر بن عبد العزيز اندراس السنة ، وتسرب الوضع إليها ، فأمر بجمعها على أيدى كبار علماء التابعين ، وأمر المسؤولين فى مختلف أقاليم الدولة الإسلامية بالاعتناء بالحديث الشريف ، وتشجيع العلماء على عقد حلقات دراسته فى المساجد ، وشارك عمر بن عبد العزيز نفسه العلماء فى ذلك ، ووزع قبل وفاته ما كتبه الإمام الزهرى . فلعمر الفضل الكبير فى تحميل الدولة مسؤولية حفظ السنة رسمياً .

وأما التدوين الفردى فقد وقع فعلا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد الصحابة والتابعين ، ولم تبق السنة مهملة طيلة القرن الأول إلى عهد عمر بن عبد العزيز ، بل تم حفظها فى الصدور جنباً إلى جنب مع حفظها فى الصحف والكراريس .

٥ — فى مطالع القرن الهجرى الثانى ، تحول عمل العلماء من جمع الحديث وتقييده ، إلى تصنيفه على الأبواب وضم هذه الأبواب إلى بعضها

فى مصنف أو جامع ، فلم يكن مطلع هذا القرن مبدأ لتدوين السنة وتقييدها ، بل كان مبدأ للتصنيف على الأبواب ، وقد ظهرت هذه المصنفات فى أوقات متقاربة فى مختلف مراكز الاشعاع العلمى بالدولة الإسلامية .

ثم ظهرت المسانيد فالصحاح ، وبهذا يكون تدوين الحديث ، قد مر بمراحل منتظمة حتى انتهى إلينا فى كتب الصحاح والمسانيد .

* * *

الفصل الثاني

ما دوّن في صدر الإسلام ...

من الثابت أن بعض الصحابة كانوا قد كتبوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أحاديثه بإذن خاص منه كعبد الله بن عمرو ، والأنصارى الذى كان لا يحفظ الحديث ، ثم كتب غيرهم جانباً من حديثه بعد إذنه صلى الله عليه وسلم بالكتابة إذناً عاما كما سبق ، ولدينا أخبار كثيرة عما كتبه الصحابة من صحف .

غير أنا لا نعرف كل ما تتضمنه هذه الصحف ، لأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يحرقون ما لديهم من الصحف أو يغسلونها قبل وفاتهم ، وكان بعضهم يوصى بما عنده لمن يثق به ، كانوا يفعلون هذا خشية أن تؤول تلك الصحف إلى غير أهل العلم[1] . ونحن لا نشك فى أن كثيراً من صحف الصحابة قد كتب فى عهده عليه الصلاة والسلام ، وأن أكثر ما كتب تناقله الناس فى حياة أصحابه وبعد وفاتهم عن طريق أبنائهم وأحفادهم أو ذويهم . روى ابن عبد البر بسنده عن أبى جعفر محمد بن على قال : وجد فى قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيفة فيها مكتوب : «ملعون من سرق تخوم الأرض ، ملعون من تولى غير مواليه . أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه[2] » .

---

(1) من أخبار محو الكتب وحرقها ما فعله ابو بكر رضى الله عنه بما كان عنده من الصحف انظر تذكرة الحفاظ ص ٥ ج ١ ، وانظر أخبار غيره فى تقييد العلم ص ٥٩ — ٦٣ وفى كتاب العلم لزهير بن حرب ص ١٩٢ ، وفى الجامع لأخلاق الراوى ص ٤ : ٤ : آ

(2) جامع بيان العلم وفضله ص ٧١ ج ١ .

وقد اشتهر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب خطير الشأن هو ذلك الكتاب الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كتّابه بتدوينه فى السنة الأولى للهجرة ، وقد نصت فيه حقوق المسلمين المهاجرين والأنصار وعرب يثرب وموادعة يهودها ، وتكررت فيه عبارة (أهل الصحيفة) خمس مرات ، وجاء فى مقدمته : (هذا كتاب محمد النبى رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم : أنهم أمة واحدة من دون الناس . . . الخ[1]) وهذا دليل على أن هذا الدستور أو الميثاق للدولة الإسلامية الفتية ، كان مدوناً فى صحيفة اشتهر أمرها وتواتر نقلها .

وربما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الأحكام مكتوبة إلى عماله ، ومن هذا ما يرويه ابن أبى ليلى عن عبد الله بن عكيم ، قال قرىء علينا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أن لا تنتفعوا من الميتة بإهاب ولا عصب[2] » .

وكتب أبو بكر لأنس بن مالك كتاباً فيه الصدقات التى فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى رواية أن الكتاب كان ممهوراً بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

وروى نافع عن ابن عمر أنه وجد فى قائم سيف عمر بن الخطاب رضى الله

---

(١) سيرة ابن هشام ص١١٩ ج٢ ، والأموال ص ٢٠٢ ، وانظر مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى ص ١٥ .

(٢) معرفة علوم الحديث ص٨٦ ، وقال الحاكم : هذا منسوخ بحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشاة ميتة فقال : هلا استمتعتم بجلدها ؟ قالوا يا رسول الله إنها ميتة ، فقال إنما حرم أكلها انظر معرفة علوم الحديث ص ٨٦ ، وانظر أخبار أهل الرسوخ فى الفقه والحديث بمقدار المنسوخ من الحديث ص ٢٧ .

(٣) رد الدارمى على بشر المريسى ص ١٣١ ، وذكر الإمام أحمد هذا الكتاب فى مسنده ص ١٨٣ — ١٨٤ حديث ٧٢ ج ١ .

عنه صحيفة فيها صدقة السوائم[١] ، وقد تكون هذه النسخة هي التي ورثها سالم بن عبد الله بن عمر ، وقرأها عنده ابن شهاب الزهري[٢] . ويؤكد لنا هذا ما روى عن محمد بن عبد الرحمن الأنصاري قال : (لما استخلف عمر بن العزيز أرسل إلى المدينة يلتمس كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصدقات ، وكتاب عمر بن الخطاب . . . ووجد عند آل عمر كتاب عمر في الصدقات ، مثل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فنسخا له[٣] .)

وقد اشتهرت صحيفة أمير المؤمنين على بن أبي طالب التي كان يعلقها في سيفه ، فيها لسنان الإبل ، وأشياء من الجراحات ، وحرم المدينة ، ولا يقتل مسلم بكافر[٤] .

وروى عن ابن الحنفية : محمد بن على بن أبي طالب (— ٨١ هـ) قال : أرسلني أبي قال : (خذ هذا الكتاب ، فاذهب به إلى عثمان . فإن فيه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالصدقة[٥]) .

وروى عن مسعر عن معن قال : (أخرج لي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا ، وحلف لي أنه بخط أبيه بيده[٦]) .

---

(١) انظر الكفاية ص ٣٥٣ — ٣٥٤ ، وانظر توجيه النظر ص ٣٤٨ .

(٢) انظر الأموال ص ٣٦٠ ورد الدارى على بشر ص ١٣١ .

(٣) الأموال ص ٣٥٨ — ٣٥٩ ويقال كان عند عمر بن الخطاب نسخ العهود والمواثيق ملء صندوق إلا أنها احترقت يوم الجماجم (٨٢ هـ) وما بقى منها قضت عليه ظروف الزمن وغارة التتار انظر الوثائق السياسية ، المقدمة : ى وقد بقيت بعض كتبه صلى الله عليه وسلم حتى القرن التاسع الهجرى ككتابه باقطاع تميم الدارى ، انظر مسالك الأبصار ص ١٧٣ — ١٧٥ .

(٤) انظر مسند الإمام أحمد ص ٤٤ و ٣٥ و ١٢١ و ١٣١ ج ٢ وفتح البارى ص ٨٣ ج ٢ ورد الدارمى على بشر ص ١٣٠ .

(٥) رد الدارمى على بشر ص ١٣٠ ، وفتح البارى ص ٢٣ ج ٧ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ .

وكان عند سعد بن عبادة الأنصارى (— ١٥ هـ) كتاب أو كتب فيها طائفة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى ابن هذا الصحابى من كتب أبيه بعض أعمال الرسول صلى الله عليه وسلم[١] . ويروى الإمام البخارى أن هذه الصحيفة كانت نسخة من صحيفة عبد الله بن أبى أوفى ، الذى كان يكتب الأحاديث بيده ، وكان الناس يقرءون عليه ماجمعه بخطه[٢] .

وكان عند أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم (— ٣٥ هـ)[٣] كتاب فيه استفتاح الصلاة ، دفعه إلى أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث (— ٩٤ هـ)[٤] أحد الفقهاء السبعة .

وكان عند أسماء بنت عميس (— ٣٨ هـ) كتاب جمعت فيه بعض أحاديثه صلى الله عليه وسلم[٥] .

عن محمد بن سعيد قال : لما مات محمد بن مسلمة الأنصارى (— ٤٢ هـ)[٦] وجدنا فى ذؤابة سيفه كتابا : (بسم الله الرحمن الرحيم ، سمعت النبى صلى الله عليه

---

(١) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٢ ج ١ ، ونظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١١٨ وانظر صحيفة همام بن منبه ص ١٦ نقلا عن الترمذى .

(٢) انظر علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ص ١٣ وهامشها وفيه (عبد الله بن أوفى) وهو خطأ مطبعى والصواب (عبد الله بن أبى أوفى) انظر صحيح البخارى بشرح السندى ص ١٤٣ ج ٢ باب الصبر عند القتال . وعبد الله بن أبى أوفى صحابى شهد الحديبية ، وعمر بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، توفى سنة (٨٧ هـ) وهو آخر من توفى بالكوفة من الصحابة . انظر تقريب التهذيب ص ٤٠٢ ج ١ .

(٣) وقيل وفاته بعد قتل عثمان وقيل مات فى خلافة على رضى الله عنهما .

(٤) انظر الكفاية ص ٣٣٠ .

(٥) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١١٨ .

(٦) كان محمد بن مسلمة من أفضل الصحابة وهو أحد الثلاثة الذين قتلوا كعب بن الأشرف واستخلفه صلى الله عليه وسلم على المدينة فى بعض غزواته ، اعتزل الفتن ولم يشهد الجمل ولا صفين وتوفى وهو ابن (٧٧) سنة . انظر تهذيب التهذيب ص ٤٥٤ ج ٩ .

وسلم يقول : إن لربكم فى بقية دهركم نفحات ، فتعرضوا له . . .[(١)]) .

وكتبت سبيعة الأسلمية إلى عبد الله بن عتبة تروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أمرها بالنكاح بعد قليل من وفاة زوجها بعد ما وضعت[(٢)] .

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا لوائل بن حجر (— ٥٠ هـ) لقومه فى حضرموت ، فيه الخطوط الكبرى للاسلام ، وبعض أنصبة الزكاة ، وحد الزنا ، وتحريم الخمر ، وكل مسكر حرام[(٣)] .

وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن حزم (— ٥٣ هـ) على اليمن ، وأعطاه كتابا فيه الفرائض والسنن والديات وغير ذلك[(٤)] .

وكان أبو هريرة (— ٥٩ هـ) يحتفظ بكتب فيها أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى الفضيل بن حسن بن عمرو بن أمية الضمرى عن أبيه أنه قال : تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت إنى قد سمعته منك ، فقال : إن كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى ، فأخذ بيدى إلى بيته ، فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد ذلك الحديث ، فقال :

---

(١) المحدث الفاصل ١١٢ .

(٢) الكفاية ص ٣٣٧ ، وسبيعة هذه هى بنت الحارث زوجة سعد بن خولة انظر تهذيب التهذيب ص ٤٣٤ جـ ١٢ .

(٣) انظر الإصابة ص ٣١٢ جـ ٦ وانظر تفصيل ذلك فى المصباح المضىء ص ١١٢ : ا — ١١٢ : ب .

(٤) انظر الإصابة ص ٢٩٣ جـ ٤ ترجمة (٥٨٠٥) . وقد أخرج الكتاب أبو داود والنسائى وابن حبان والدارمى وغير واحد كما ذكر ابن حجر فى ترجمته وانظر رد الدارمى على بشر ص ١٣١ وانظر فتوح البلدان ص ٨١ وقارن بالأموال ص ٣٥٨ — ٣٥٩ .

قد أخبرتك أنى إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى[(١)] . وكان بشير بن نهيك قد قرأ عليه الكتاب الذى كتبه عنه قبل أن يفارقه[(٢)] .

وجمع سمرة بن جندب (ـ ٦٠ هـ) أحاديث كثيرة فى نسخة رواها عنه ابنه سليمان[(٣)] ، ويحتمل أن تكون هذه النسخة هى الرسالة التى كتبها سمرة إلى بنيه ، وقال فيها محمد بن سيرين (فى رسالة سمرة إلى بنيه علم كثير[(٤)]) .

الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص (٧ ق هـ — ٦٥ هـ) :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سمح لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما بكتابة الحديث ، لأنه كان كاتباً محسنا ، فكتب عنه الكثير ، واشتهرت صحيفة بن عمرو رضى الله عنه (بالصحيفة الصادقة) كما أراد كاتبها أن يسميها ، لأنه كتبها عن رسول الله صلى صلى الله عليه وسلم ، فهى أصدق ما يروى عنه ، وقد رآها مجاهد بن جبر (٢١ — ١٠٤ هـ) عند عبد الله

---

(١) أنظر جامع بيان العلم ص ٧٤ جـ ١ . قال ابن عبد البر بعد هذا الخبر (هذا خلاف ما تقدم فى أول الباب عن أبى هريرة أنه لم يكتب ، وأن عبد الله بن عمرو كتب وحديثه بذلك أصح فى النقل من هذا لأنه أثبت اسناداً عند أهل الحديث) وقال ابن حجر أقوى من من ذلك أنه لا يلزم من وجود الحديث مكتوباً عنده أن يكون بخطه ، وقد ثبت أنه لم يكن يكتب ، فتعين أن المكتوب عنده بغير خطه . انظر فتح البارى ص ٢١٨ جـ ١ . أقول وصحة خبر عدم كتابة أبى هريرة لا تنفى صحة وجود الكتب عنده ، وقد يكون ممن يعرف القراءة دون الكتابة ، فيكلف من يكتب له .

(٢) طبقات ابن سعد ص ١٦٢ جـ ٧ والعلم لزهير بن حرب : ١٩٣ ـ ب والجامع لأخلاق الراوى ص ١٣٧ : ب ـ والمحدث الفاصل ص ١٢٨ : ا

(٣) انظر تهذيب التهذيب ص ١٩٨ جـ ٤ .

(٤) المرجع السابق ٢٣٦ جـ ٤ أخرج البخارى أول رسالة سمرة بن جندب الى بنيه فى ترجمة محمد بن ابراهيم بن خبيب وفيها : (بسم الله الرحمن الرحيم . من سمرة بن جندب إلى بنيه : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نصلى كل ليلة من المكتوبة ما قل أو كثر ، ونجعلها وتراً .) التاريخ الكبير ص ٢٠ ترجمة ٢٩ قسم ١ جـ ١ .

ابن عمرو ، فذهب ليتناولها ، فقال له : (مه يا غلام بنى مخزوم) قال مجاهد : قلت : ما كتبت شيئا . قال : (هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بينى وبينه فيها أحد . [1]) ، وكانت هذه الصحيفة عزيزة جداً على ابن عمرو حتى قال (ما يرغبنى فى الحياة إلا الصادقة والوهط [2]) ، وربما كان يحفظها فى صندوق له حلق [3] ، خشية عليها من الضياع ، وقد حفظ هذه الصحيفة أهله من بعده ، ويرجح أن حفيده عمرو بن شعيب كان يحدث منها [4] .

وتضم صحيفة عبد الله بن عمرو ألف حديث كما يقول ابن الأثير [5] .

إلا أن إحصاء أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده لا يبلغ خمسمائة حديث [6] ، وإذا لم تصلنا الصحيفة الصادقة كما كتبها ابن عمرو بخطه ،

---

(١) المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٢ : ب ج ٤ وطبقات ابن سعد ص ١٨٩ قسم ١ ج ٧ ونحوه فى تقييد العلم ص ٨٤ .

(٢) سنن الدارمي ص ١٢٧ ج ١ والوهط أرض لعمرو بن العاص تصدق بها كان يقوم بها . المصدر نفسه .

(٣) انظر مسند الامام أحمد ص ١٧١ حديث ٦٦٤٥ ج ١٠ ، وكتاب العلم المقدسى ص ٣٠ باسناد صحيح .

(٤) انظر تهذيب التهذيب ص ٤٨ ــ ٤٩ ج ٨ .

(٥) انظر أسد الغابة ص ٢٣٣ ج ٣ .

(٦) انظر مسند عبدالله بن عمرو وصحيفته الصادقة ص ١٧٦ حيث أحصى السيد محمد سيف الدين عليش أحاديث الصادقة ، فكان منها :

٢٠٢ حديثاً من أصل ٦٣٢ حديثاً رواها الامام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو
و ٨١ حديثاً من أصل ٢٣٢ حديثاً رواها أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو
و ٥٣ حديثاً من أصل ١٢٨ حديثا رواها النسائى فى سننه عن عبد الله بن عمرو
و ٦٥ حديثاً من أصل ١١٧ حديثاً رواها ابن ماجه فى سننه عن عبد الله بن عمرو
و ٣٥ حديثاً من أصل ٨٩ حديثاً رواها الترمذى فى سننه عن عبد الله بن عمرو
فعدد أحاديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهى أحاديث الصادقة كما هو المرجح بلغ =

فقد نقل إلينا الإمام أحمد محتواها فى مسنده [١] ، كما ضمت كتب السنن الأخرى جانباً كبيراً منها [٢] .

ولهذه الصحيفة أهمية علمية عظيمة ، لأنها وثيقة علمية تاريخية ، تثبت كتابة الحديث النبوى الشريف، بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبإذنه [٣] .

=(٤٣٦) حديثاً مما فيه المكرر عند الإمام أحمد وفى السنن الأربعة ، وقد يكون حكم ابن الأثير مبنيا على أن جميع ما روى من ابن عمرو هو الصادقة وليس ببعيد .

(١) انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر : الجزء التاسع من الصفحة ٢٣٥ الحديث ٦٤٧٧ والجزء العاشر بكامله وكذلك الحادى عشر والجزء الثانى عشر إلى الصفحة ٥٠ الحديث ٧١٠٣ .

(٢) انظر مسند عبدالله بن عمرو وصحيفته الصادقة ص ٦٧١ .

(٣) ورد طعن فى الصحيفة الصادقة من بعض أهل العلم كالمغيرة بن مقسم الضبى الذى قال : (كانت لعبد الله بن عمرو صحيفة تسمى الصادقة ماتسرنى أنها لى بفلسين) انظر تأويل مختلف الحديث ص ٩٣ ، وفى ميزان الاعتدال ص ٢٩٠ ج ٢ (مايسرنى أن صحيفة عبد الله بن عمرو عندى بتمرتين أو بفلسين .) إذا صحت هذه الرواية عن المغيرة فلايجوز حملها على ظاهرها ولا قبولها هكذا مقتضبة لأنه ذكر ذلك فى معرض الكلام على الروايات الضعيفة ، فإذا ضعف نسخة ابن عمرو فإنما ضعفها لأنها انتقلت (وجادة) فهو لا يقبل أن تكون عنده هذه الصحيفة بالطريق الذى حملها الرواة ، لأن الوجادة أضعف طرق التحمل ، فقد كانوا لايحبون أن ينقلوا الأخبار من الصحف بل عن الشيوخ ، ولا يجوز أن يحمل قول المغيرة على غير هذا الوجه ، لأنه ثبت أن عبد الله قد كتبها بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم . ويمكننا للاستئناس أن نراجع أقوال العلماء فى راوى هذه الصحيفة فى ميزان الاعتدال ص ٢٨٩ ج ٢ وفى تهذيب التهذيب ص ٤٨ ـ ٥٥ ج ٨ وفى فتح المغيث ص ٦٨ ـ ٦٩ ج ٤ حيث يتبين لنا قيمة الصحيفة وثقة راويها عمرو بن شعيب . قال الإمام تقى الدين بن تيمية : (وأما أئمة الإسلام ، وجمهور العلماء فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، إذا صح النقل إليه مثل مالك بن أنس وسفيان بن عيينة ونحوهما ، ومثل الشافعى وأحمد بن حنبل واسحاق بن راهوية . . . قالوا : (وإذا كانت نسخة مكتوبة من عهد النبى صلى الله عليه وسلم كان هذا أوكد لها وأدل على صحتها) ولهذا كان فى نسخة عمرو بن شعيب من الأحاديث الفقهية التى فيها مقدرات ما احتاج إليه عامة علماء الإسلام .) انظر قواعد التحديث ص ٣٦ ـ ٣٧ .

وكان عبد الله يملى الحديث على تلاميذه ،[1] وقد نقل عنه تلميذه حسين بن شفى ابن ماتع الأصبحى فى مصر كتابين ، أحدهما فيه (قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كذا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا ، والآخر مايكون من الأحداث إلى يوم القيامة)[2] . ونحن هنا لم نتعرض إلا للصحيفة الصادقة ، فقد كان عند ابن عمرو كتب كثيرة عن أهل الكتاب أصابها يوم اليرموك فى زاملتين[3] ، وقد ادعى بشر المريسى أن (عبد الله بن عمرو كان يرويهما للناس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان يقال له لا تحدثنا عن الزاملتين) ، وهذه الدعوى باطلة ، فقد ثبت أن ابن عمرو كان أمينا فى نقله وروايته ، لايحيل ما روى عن النبي على أهل الكتاب ، كما لايحيل ما روى عن أهل الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم[4] .

---

(١) انظر تاريخ دمشق ص ٤٩ ج ٦ .

(٢) خطط المقريزى ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ ج ٢ .

(٣) الزاملة هي البعير الذى يحمل عليه الطعام والمتاع . وقيل هي الدابة التى يحمل عليها الطعام والمتاع من الإبل وغيرها . انظر : لسان العرب مادة (زمل) ص ٣٢٩ ج ١٣ .

(٤) انظر رد الدارمى على بشر ص ١٣٦ ، وقد ذكر محمود أبو رية صاحب كتاب أضواء على السنة المحمدية فى الصفحة ١٦٢ هامش (٣) أن عبد الله بن عمرو (كان قد أصاب زاملتين من كتب أهل الكتاب ، وكان يرويها للناس (عن النبي) فتجنب الأخذ عنه كثير من أئمة التابعين ، وكان يقال له : لا تحدثنا عن الزاملتين ص ١٦٦ ج ١ فتح البارى) انتهى ما نقلناه عن أضواء على السنة المحمدية ومن العجيب أن يسمع إنسان مثل هذا الخبر ويصدقه لأن الصحابة رضوان الله عليهم ، كانوا أصدق الناس لسانا ، وأتقى الأمة قلوبا ، وأخلص البرية للرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا يعقل أن يكذب أمثال عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما على رسول الله فيعزو إليه ما سمعه من أهل الكتاب . فهرعت إلى فتح البارى وإذا به ـ شهد الله ـ خاليا من عبارة أبى رية ، فليس فى قول ابن حجر (عن النبي) إنما زادها الكاتب من عنده ! ! !

فهل تكذيب الصحابة ، والافتراء عليهم ، والانتحال على العلماء ، أمثال ابن حجر وغيره من الأمانة العلمية ؟ ! وقد ثبت لنا سوء نية أبى رية فى مواضع كثيرة يظهر بعضها فى بحثنا عن أبى هريرة .

ويكفى ابن عمرو فخراً أنه كان أول من دون الحديث بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه وفى مختلف أحواله فى الغضب والرضا .

كتب ابن عباس (٣ ق هـ — ٦٨هـ) .

اشتهر ابن عباس بطلب العلم ودأبه عليه ، وكان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل الصحابة ويكتب عنهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا له فقال : (اللهم الهمه الحكمة وعلمه التأويل[1]) ، وعندما توفى ابن عباس ظهرت كتبه ، وكانت حمل بعير[2] .

* * *

ويروى أن عبد الله بن عمر (١٠ ق هـ — ٧٣هـ) كان إذا خرج إلى السوق نظر فى كتبه . وقد أكد الراوى أن كتبه هذه كانت فى الحديث[3] .

صحيفة جابر بن عبد الله الأنصارى (١٦ ق هـ — ٧٨هـ)

يحتمل أن تكون هذه الصحيفة غير المنسك الصغير الذى أورده مسلم فى كتاب الحج[4] ، وقد ذكرها ابن سعد فى ترجمة مجاهد ، وكان يحدث

---

(١) الكفاية ص ٢١٣ ، وراجع طلبه للعلم فى الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٤ : آ ، وفى تقييد العلم ص ٩١ — ٩٢ و ١٠٩ وانظر ترجمته فى الفصل الأول من الباب الخامس من هذا الكتاب .

(٢) عن موسى بن عقبة (— ١٤١) صاحب المغازى قال : (وضع عندنا ابن كريب مولى ابن عباس حمل بعير من كتب ابن عباس) . انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٦ ج ٥

(٣) الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٠٠ : آ ويروى أن ابن عمر كره كتابة الحديث ، قال سعيد بن جبير (٤٥ — ٩٥ هـ) كنت أسأل ابن عمر فى صحيفة ولو علم بها كانت الفيصل بينى وبينه . انظر طبقات ابن سعد ص ١٧٩ ج ٦ ، وربما كان ابن عمر يكتب لنفسه أو سمع بذلك آخراً .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ٤١ ج ١ .

عنها [١]، وكان التابعى الجليل قتادة بن دعامة السدوسى (— ١١٨ هـ) يرفع من قيمة هذه الصحيفة ويقول (لأنا بصحيفة جابر بن عبد الله أحفظ منى لسورة البقرة [٢]).

وفى رواية : (إنما يحدث قتادة عن صحيفة سليمان اليشكرى ، وكان له كتاب عن جابر بن عبد الله [٣] .) ويحتمل أن يكون سليمان اليشكرى قد نقل عن جابر صحيفته ، وهو أحد تلاميذه، يروى ابن حجر أن سليمان جالس جابرا ، وكتب عنه صحيفة [٤]، ولعل قتادة كان قد روى صحيفة جابر بن عبد الله عن سليمان اليشكرى ، فإن أم سليمان قدمت بكتاب سليمان ، فقرئ على ثابت وقتادة وأبى بشر . . . فرووها كلها ، وأما ثابت فروى منها حديثاً واحداً [٥] ، فصحيفة جابر كانت مشهورة ، وكتاب سليمان اليشكرى عنه كان مشهوراً أيضاً ، ويدعم هذا روايات كثيرة ، منها ماروى عن شعبة أنه كان يرى أن أحاديث أبى سفيان طلحة بن نافع عن جابر إنما هو كتاب سليمان اليشكرى [٦] وكانت لجابر حلقة فى المسجد النبوى يملى فيها على طلابه الحديث ، فكتب منهم كثير أمثال وهب ابن منبه (ـ ١١٤ هـ [٧]) ، وقد روى أبو الزبير وأبو سفيان والشعبى عن جابر

(١) طبقات ابن سعد ص ٤٣٣ جـ ٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ص ١ — ٢ قسم ٢ جـ ٧ .

(٣) القياس لابن قيم الجوزية ص ١٠٨ .

(٤) انظر تهذيب التهذيب ص ٢١٤ جـ ٤ وانظر تقييد العلم ص ١٠٨ حول كتابته .

(٥) انظر الكفاية ص ٣٥٤ .

(٦) انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٤٤ ـ ١٤٥ .

(٧) انظر صحيفة همام بن منبه ص ١٤ . وكان كثير من التابعين يذهبون إلى جابر رضى الله عنه يكتبون عنه الحديث ، من هذا ماروى عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال : كنت أختلف إلى جابر بن عبد الله أنا ومحمد وأبو جعفر . معنا ألواح نكتب فيها : انظر تقييد العلم ص ١٠٤ ، وأبو جعفر هو محمد بن على (ـ ١١٤ هـ) ومحمد هو ابن الحنفية . كما كتب عنه أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس (ـ ١٢٦ هـ) كثيراً انظر : تهذيب التهذيب ص ٤٤٠ ـ ٤٤١ جـ ٩ .

وهم قد سمعوا منه وأكثر ما رووه من الصحيفة .[(١)]

ويروى عن عروة بن الزبير (٢٢ — ٩٣ هـ) قوله : (كتبت الحديث ثم محوته ، فوددت أني فديته بما لي وولدي وأني لم أمحه[(٢)]) وربما كتب غيرها ثم احترقت يوم الحرة فحزن عليها ، فكان يقول : (وددت لو أن عندي كتبي بأهلي ومالي[(٣)]) .

وكان عند خالد بن معدان الكلاعي الحمصي (— ١٠٤ هـ) مصحف له أزرار وعرا أودع فيه علمه[(٤)] . وكان عند بحير بن سعيد نسخة عن خالد ابن معدن[(٥)] .

وأوصى أبو قلابة (عبد الله بن زيد الجرمي — ١٠٤ هـ) بكتبه لأيوب السختياني (٦٨ — ١٣١ هـ) فجيء بها في عدل راحلة[(٦)] ، ودفع أيوب كراءها بضعة عشر درهما[(٧)] .

وقال الأعمش قال الحسن البصري (٢١ — ١١٠ هـ) إن لنا كتبا نتعاهدها[(٨)] .

وكان عند محمد الباقر بن علي بن الحسين (٥٦ — ١١٤ هـ) كتب كثيرة

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ٢١٤ ج ٤ ، وعرضت على الشعبي صحيفة كتبت عن جابر فقال سمعت هذا كله عن جابر رضي الله عنه . المحدث الفاصل ص ٩١ : ب .

(٢) تقييد العلم ص ٦٠ . ونحوه في المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٤ : ب ج ٤ .

(٣) جامع بيان العلم وفضله ص ٧١ ج ١ ، وفي رواية ابن سعد أنها كتب (فقه) انظر طبقات ابن سعد ص ١٣٣ ج ٥ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ٨٨ ج ١ .

(٥) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٦٦ ج ١ .

(٦) انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٦ ج ٥ وتذكرة الحفاظ ص ٨٨ ج ١

(٧) انظر طبقات ابن سعد ص ٢١٧ قسم ٢ ج ٧ .

(٨) انظر المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٣ . ب ج ٤ كما كانت له كتب حديث وفقه وكان بعض أصحابه يأخذها فينسخها ثم يردها . انظر طبقات ابن سعد ص ١٧ قسم ٢ ج ٧ .

سمع بعضها منه ابنه جعفر الصادق . وقرأ بعضها[١] .

وكان عند مكحول الشامى كتب[٢] وعند الحكم بن عتبة[٣] . وكان عند بكير بن عبد الله بن الأشج (— ١١٧ هـ) عالم المدينة كتب انتقلت إلى ابنه مخرمة بن بكير[٤] .

وكان عند قيس بن سعد المكى (— ١١٧ هـ) كتاب انتقل إلى حماد بن سلمة (— ١٦٧ هـ)[٥] .

ومما لاشك فيه أن العلماء فى مطلع القرن الهجرى الثانى صنفوا كثيراً من الكتب ، وكثرت الكتب بين أيديهم ، حتى بلغت كتب الإمام الزهرى حداً كبيراً ، نقلت بعد مقتل الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (٨٨ — ١٢٦ هـ) من خزائنه على الدواب[٦] .

وقبل أن نتكلم عن شيوع التدوين وانتشاره فى مطلع القرن الهجرى الثانى وعن كتب ومصنفات العلماء آنذاك ، لا بد لنا من أن نتكلم عن صحيفة همام بن منبه لما لها من أهمية تاريخية فى تدوين الحديث .

الصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه (٤٠ — ١٣١ هـ)[٧] .

لقى همام بن منبه أحد أعلام التابعين الصحابى الجليل أبا هريرة ، وكتب

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ١٠٤ ج ٢ ، ومحمد الباقر أحد الأئمة الاثنى عشر عند الإمامية . انظر تهذيب التهذيب ص ٣٥٠ ج ٩ وشذرات الذهب ص ١٤٩ ج ١ .

(٢) الفهرست لابن النديم ص ٣١٨ .

(٣) انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٣٠ .

(٤) انظر تهذيب التهذيب ص ٧٠ — ٧١ ج ١٠ ، وعلوم الحديث ١١٠ .

(٥) تذكرة الحفاظ ص ١٩٠ ج ١ .

(٦) انظر تاريخ الإسلام الذهبى ص ١٤٢ جـ ٥ .

(٧) ذكر الدكتور صبحى الصالح وفاة همام سنة (١٠١ هـ) اعتماداً منه على طبقات

عنه كثيراً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وجمعه فى صحيفة أو صحف أطلق عليها اسم (الصحيفة الصحيحة [١]) ، وربما سماها بالصحيحة على مثال (الصحيفة الصادقة) لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، وحق له أن يسميها بالصحيحة ، لأنه كتبها عن صحابى خالط رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين ، وروى عنه الكثير .

وقد وصلتنا هذه الصحيفة كاملة ، كما رواها ودونها همام عن أبى هريرة ، فقد عثر على هذه الصحيفة الدكتور المحقق محمد حميد الله فى مخطوطتين متماثلتين فى دمشق وبرلين [٢] .

وتزداد ثقتنا بصحيفة همام حينما نعلم أن الإمام أحمد قد نقلها بتمامها فى مسنده ، كما نقل الإمام البخارى عددا كثيراً من أحاديثها فى صحيحه فى أبواب شتى [٣] .

ولهذه الصحيفة أهمية تاريخية فى تدوين الحديث الشريف ، لأنها حجة قاطعة ، ودليل ساطع على أن الحديث النبوى كان قد دون فى عصر مبكر (وتصحح

= ابن سعد ص ٣٩٦ ج ٥ لأنها أقدم المصادر ثم قال فى هامش الصفحة ٢٢ من كتابه علوم الحديث ومصطلحه : (وعند ابن حجر والنووى وسواهما توفى همام سنة ١٣١ هـ. ولعله تصحيف لقول ابن سعد (مات سنة احدى أو اثنتين ومئة) وانظر التصحيحات الملحقة بصحيفة همام ص ٢) . إلا أنى أرجح وفاته سنة (١٣١ هـ) لأن سفيان بن عيينة قال : كنت أتوقع قدوم همام عشر سنين ، وسفيان بن عيينة ولد سنة (١٠٧ هـ) فلا يعقل أن يقول هذا بعد وفاة همام بسنوات ، ثم إن معمرا كان قد أدركه وقد كبر وسقط حاجباه على عينيه ، فهذا الوصف ينطبق على من سنه أكثر من ستين سنة وهى السن التى ذكرتها وقالها غير ابن سعد . انظر تهذيب التهذيب ص ٦٧ ج ١١ . حيث ذكر إدراك معمر بن راشد لهمام .

(١) اقدم تدوين فى الحديث النبوى صحيفة همام بن منبه ص ٢٠ عن كشف الظنون .

(٢) راجع صحيفة همام ص ٢١ — ٢٣ حيث وصف الدكتور حميد الله المخطوطتين .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٠ .

الخطأ الشائع : أن الحديث لم يدون إلا فى أوائل القرن الهجرى الثانى[1]) ، ذلك لأن هماما لقى أبا هريرة — ولا شك أنه كتب عنه — قبل وفاته وقد توفى أبو هريرة سنة (٥٩) للهجرة فمعنى ذلك أن هذه الوثيقة العلمية قد دونت قبل هذه السنة ؛ أى فى منتصف القرن الهجرى الأول ، وقد ثبت لنا أن عبد الله ابن عمرو دوّن فى عهد الرسول صحيفته الصادقة ، وها نحن أولاء يثبت لنا تدوين صحيفة همام فى منتصف القرن الهجرى الأول ، مما يدل على أن العلماء كانوا قد باشروا التدوين فعلا قبل أمر عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان من الأولى أن نذكر هذه الصحيفة بين كتب أبى هريرة ، لأنها املاؤه لهمام ، إلا أننا فضلنا الكلام عنها هنا لاشتهارها باسمه ، وقد رواها عنه تلميذه معمر ابن راشد ثم عبد الرزاق عن معمر ثم هلم جرا[2] .

وتضم صحيفة همام هذه (١٣٨) حديثاً وقد ذكر ابن حجر أن هماما سمع من أبى هريرة نحو أربعين ومائة حديث بإسناد واحد[3] ، وهذا يزيدنا ثقة بهذه الصحيفة ، لاتفاق عدد ماجاء فيها من الأحاديث وما ذكره العلماء .

* * *

وشاع التدوين فى النصف الأول من القرن الهجرى الثانى بين العلماء ، حتى أصبح من النادر ألا نرى لأحدهم تصنيفا أو جامعا فيه بعض أبواب فى الحديث .

وقد سبق أن ذكرت أول من صنف فى مختلف البلاد الإسلامية .

وممن شارك فى التصنيف أو وجد عنده كتب فى تلك الحقبة يحيى بن أبى كثير

---

(١) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ص ٢٢ .

(٢) انظر صحيفة همام بن منبه ص ٢٠ .

(٣) تهذيب التهذيب ٦٧ ج ١١ .

(— ١٢٩ هـ[1]) ، معاصر الإمام الزهرى . وكان عند محمد بن سوقه (—١٣٥هـ[2]) كتاب ، وكان عند زيد بن أسلم(—١٣٦هـ) كتاب فى التفسير[3] لعل فيه كثيرا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان عند موسى ابن عقبة (— ١٤١ هـ[4]) أحاديث لنافع مولى ابن عمر مكتوبة فى صحيفة . وكان للأشعث بن عبد الملك الحرانى (— ١٤٢ هـ[5]) كتاب انتقل إلى سليمان صاحب البصرى . وقد كتب عقيل بن خالد بن عقيل (— ١٤٢ هـ)[6] حديثا كثيراً عن الزهرى ، وكان أعلم الناس بحديثه . وكان ليحيى بن سعيد الأنصارى (— ١٤٣ هـ[7]) كتاب انتقل إلى حماد بن زيد .

وكتب عوف بن أبى جميلة العبدى (— ١٤٦ هـ[8]) أطراف الحديث عن الحسن البصرى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه الأطراف بعد ذلك عند يحيى بن سعيد القطان (١٢٠ — ١٩٨ هـ[9]) . وكان عند جعفر الصادق بن محمد الباقر (٨٠ — ١٤٨ هـ[10]) رسائل وأحاديث ونسخ ، وكان من ثقات المحدثين ، وكان ليونس بن يزيد بن أبى النجاد (— ١٥٢ هـ)

---

(١) انظر معرفة علوم الحديث ص ١١٠ والمحدث الفاصل ص ٩٤ وفى رواية أنه توفى سنة (١٣٢هـ) فى اليمامة انظر ص ١٠٦ منه .

(٢) انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٧٥ وتهذيب التهذيب ص ٢١٠ ج ٩ ويفهم من المرجع الأول أن لمنصور بن المعتمر كتابا أيضاً .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٢٤ ج ١ وتهذيب التهذيب ص ٣٩٥ ج ٣ .

(٤) انظر الكفاية ص ٢٦٦ .

(٥) انظر المحدث الفاصل ص ١٣٦ : ب

(٦) انظر تذكرة الحفاظ ص ١٥٢ ج ١ .

(٧) انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٧٨ .

(٨) انظر تهذيب التهذيب ص ١٦٧ ج ٨ .

(٩) انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٢٣٦ .

(١٠) انظر تهذيب التهذيب ص ١٠٤ ج ٢ .

كتاب شهد له ابن المبارك بالصحة [١] ، وكان لعبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودى (— ١٦٠ هـ) كتب أتى بها شعبة من بغداد [٢] ، وكان لزائده بن قدامة (— ١٦١ هـ) كتب عرضها على سفيان الثورى ، [٣] وقد كان زائدة نظيراً لشعبة بن الحجاج . [٤] وكان لسفيان الثورى (٩٧ — ١٦١ هـ) كتب كثيره منها فى الحديث (الجامع الكبير) و (الجامع الصغير [٥]) . وقال ابن المبارك : ابراهيم بن طهمان (— ١٦٣ هـ) والسكرى يعنى أبا حمزة (— ١٦٧ هـ) صحيحا الكتب [٦] .

وكان لشعبة بن الحجاج (— ١٦٠ هـ) كتاب الغرائب فى الحديث [٧] ، وكان لعبد العزيز بن عبد الله الماجشون (— ١٦٤ هـ) كتب مصنفة رواها عنه ابن وهب [٧] ، وكان لعبد الله بن عبد الله بن أويس (— ١٦٩ هـ) — ابن عم مالك وصهره على أخته — كتب انتهت إلى ابنه اسماعيل [١٠] . وأوصى سليمان بن بلال (— ١٧٢ هـ) بكتبه إلى عبد العزيز بن أبى حازم [١١] ،

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ٤٥٠ جـ ١١ ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ٢٧٢ . وكان يونس يكتب عن الزهرى . انظر تقدمه الجرح والتعديل ص ٢٠٥ .

(٢) انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ١٤٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٠٠ جـ ١ .

(٥) انظر الفهرست لابن النديم ص ٣١٥ .

(٦) تقدمة الجرح والتعديل ص ٢٧٠ .

(٧) انظر الرسالة المستطرفة ص ٨٥ .

(٨) انظر تهذيب التهذيب ص ٣٤٤ جـ ١ قال ابن وهب : (حججت سنة (١٤٨ هـ) وصائح يصيح لا يفتى الناس — إلى الخليفه — إلا مالك وعبد العزيز بن أبى سلمة) وكان صاحب سنة ، وقد كتب عنه أهل بغداد . نفس المرجع .

(٩) انظر تهذيب التهذيب ص ٢٨٠ جـ ٥ .

(١٠) انظر الإصابة ص [illegible] (١١) انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٠٧ جـ ١

ومن الجدير بالذكر أنه كان لعلى بن لهيعة (— ١٧٤ هـ) محدث الديار المصرية كتب كثيرة ، احترقت سنة (١٦٩ هـ) وكانت كتبه صحيحة [١] ، ولابن لهيعة صحيفة فى الحديث تعتبر من أقدم مجموعات الحديث ، وهى موجودة ضمن مجموعة أوراق البردى (بهيدلبرج [٢]) ، وكان لليث بن سعد (٩٤ — ١٧٥ هـ) شيخ الديار المصرية وعالمها تصانيف كثيرة [٣] .

ولدينا كثير من أخبار المصنفات والمصنفين إلا أن المقام يضيق بذكرها ، ويكفى دليلا على كثرة هذه المصنفات فى نهاية القرن الثانى ، أن على بن عبد الله المدينى (١٦١ — ٢٣٤هـ) صنف فى مختلف أبواب الحديث ورجاله وغريبه وشاذه وعلله نيفا ومائة مصنف ، ذكر منها محمد بن صالح الهاشمى نيفا وخمسة وعشرين مصنفا ، وكل كتاب فى عدة أجزاء بلغ بعضها ثلاثين جزءاً [٤] .

هكذا ساهم علماء المسلمين فى حفظ الحديث فى صدورهم وفى كتبهم ، وصدق على بن المدينى حين قال : نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة ، فلأهل المدينة ابن شهاب (— ١٢٤هـ) ، ولأهل مكة عمرو بن دينار (٤٦ — ١٢٦ هـ)[٥] ، ولأهل البصرة قتادة بن دعامة السدوسى (— ١١٧ هـ) ، ويحيى بن أبى كثير

---

(١) انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٢٠ جـ ١ قال الامام أحمد : ما كان محدث مصر إلا ابن لهيعة . ويعود عدم احتجاج البخارى ومسلم به إلا فى المتابعات لاحتراق كتبه . انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٢٠ جـ ١ .

(٢) نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى ص ١١٨ .

(٣) انظر تذكرة الحفاظ ص ٢٠٩ جـ ١ .

(٤) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٩٤ ، وليس فى هذا مبالغة ، لأن بعض الأجزاء لاتتجاوز وريقات . كما لا يستبعد هذا بالنسبة لابن المدينى إمام عصره الذى كان يجله الإمام أحمد ويحترمه لسمو مكانته وسعة علمه . انظر تقدمة الجرح والتعديل ص ٣١٩ .

(٥) كان عمدنا نقيها قال فيه شعبة : ما رأيت أثبت فى الحديث منه انظر : تاريخ الإسلام الذهبى ص ١١٤ جـ ٥ وتهذيب التهذيب ص ٣٠ جـ ٨ .

(— ١٢٩ هـ)[1] ، ولأهل الكوفة أبو إسحاق عمرو بن عبد الله السَّبيعى (٣٣ — ١٢٧ هـ)[2] ، وسليمان بن مهران الأعمش (٦١ — ١٤٨ هـ) . قال على : ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف[3] .

* * *

(١) ذكر الرامهرمزى وفاته فى اليمامة سنة (١٣٢ هـ) . وما أثبته من تذكرة الحفاظ ص ١٢١ جـ ١ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٨ جـ ١١ .

(٢) وهو من أعلام التابعين الثقات كان إمام الكوفة وشيخها فى عصره أدرك عليا رضى الله عنه ، ويروى أنه سمع من (٣٨) صحابيا ، انظر تاريخ الإسلام للذهبى ص ١١٦ جـ ٥ ، وتهذيب التهذيب ص ٦٣ جـ ٨ .

(٣) انظر المحدث الفاصل ص ١٥٦ : آ — ب ، وتقدمة الجرح والتعديل ص ٣٤ و ١٢٩ .

الفصل الثالث

آراء في التدوين ..

١ — رأى الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ — ١٣٥٤ ﻫ) :

قال الإمام محمد رشيد رضا : (لعل أول من كتب الحديث وغيره من التابعين فى القرن الأول ، وجعل ما كتبه مصنفاً مجموعا هو خالد بن معدان الحمصى ، روى عنه أنه لقى سبعين صحابياً قال فى تذكرة الحفاظ وقال بحير : ما رأيت أحدا ألزم للعلم منه ، وكان علمه فى مصحف له أزرار وعرا) ثم قال : فخالد بن معدان جمع علمه فى مصنف واحد جعل له وقاية لها أزرار وعرا تمسكها لئلا يقع شىء من تلك الصحف ، وكان ذلك فى القرن الأول ، فإنه مات سنة ١٠٣ ﻫ أو سنة ١٠٤ ﻫ ، ولكن المشهور أن أول من كتب الحديث ابن شهاب الزهرى القرشى ، ولعل سبب ذلك أخذ أمراء بنى أمية عنه[1] .)

بعد أن رأينا موقف العلماء من الكتابة خلال القرن الأول الهجرى وفى النصف الأول من القرن الثانى ، وبعد أن وجدنا أدلة علمية قاطعة تثبت وقوع التدوين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة والتابعين — بعد هذا لا يمكننا أن نقبل رأى الأستاذ الامام ، وذلك من ناحيتين :

---

(١) مجلة المنار ص ٧٥٤ ج ١٠ .

الأولى إذا اعتبرنا التـــدوين الشخصى الخاص بكل عالم — فإن كثيرين من الصحابة والتابعين سبقوا خالدا فى هذا المضمار ، وحافظوا على ما كتبوه ، فابن عمرو حفظ صحفه فى صنـدوق له حلق ، وغـيره فى كراريس ودفاتر ، كهمام بن منبه وابن شهاب ، فمجرد وجود علم خالد ابن معدان فى مصحف له أزرار لا يكفى لأن يكون أول من دوّن الحديث فى عصره .

والناحية الثانية إذا اعتبرنا التدوين الرسمى للحديث استجابة لرغبة عمر بن عبد العزيز فقد سبق خالدا إلى التدوين أبو بكر بن حزم وابن شهاب الزهرى ، وقد ثبت أن ابن شهاب كتب لعمر الحديث فى دفاتر وزعت على كل أرض له عليها سلطان ، فخالد لم يكن أول من صنف ، سواء أكان هذا التصنيف خاصا أم رسميا . فهناك من سبقه فى جمع الحديث ، ويمكننا أن نعتبر صحف خالد من أولى الصحف التى ضمت علمه فى ذلك القرن .

وإذا كان المشهور أن ابن شهاب الزهرى أول من كتب الحديث — فإن هذا محمول على تنفيذه أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، لا لأن أمراء بنى أمية أخذوا عنه ، لأن أخذ الأمراء عنه لا يؤثر فى الأدلة الأخرى التى تثبت استجابته لأمر الخليفة وتدوينه الحـديث فى دفاتر . وقد أسلفنا أنه كان قد كتب كثيراً من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى أثناء طلبه العلم . وهـذا يدل على أسبقية ابن شهاب على غيره فى التدوين ومع هذا فهناك من دون قبله — بشكل غير رسمى — وحفظ علمه فى صحف واعتنى بصحفه وحرص عليها من الضياع . فقد ثبت لدينا ممـا سبق أن كثيراً قبل ابن شهاب وقبل خالد بن معدان كتبوا الحديث وحفظوه فى كل ما تيسر

لديهم من وسائل ، رغبة منهم فى حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من الضياع أو التحريف .

٢ — رأى الشيعة فى تدوين الحديث :

(أ) قال المرجع الدينى الأكبر السيد حسن الصدر (١٢٧٢ — ١٣٥٤هـ):

(وقد وهم الحافظ الجلال السيوطى فى كتابه تدريب الراوى ، حيث زعم أن ابتداء تدوين الحديث وقع فى رأس المائة . قال : وأما ابتداء تدوين الحديث فإنه وقع فى رأس المائة فى خلافة عمر بن عبد العزيز بأمره ، ففى صحيح البخارى فى أبواب العلم : وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم . . . قال فى فتح البارى ، يستفاد من هذا ابتداء تدوين الحديث النبوى ، ثم أفاد أن أول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز ابن شهاب انتهى مافى تدريب الراوى . قلت « السيد حسن الصدر » : كانت خلافة عمر ابن عبد العزيز سنتين وخمسة أشهر مبدؤها عاشر صفر سنة ثمان أو تسع وتسعين ومات سنة إحدى ومائة لخمس أو لست مضين وقيل لعشر بقين من رجب ، ولم يؤرخ زمان أمره ولا نقل ناقل امتثال أمره بتدوين الحديث فى زمانه ، والذى ذكره الحافظ ابن حجر من باب الحدس والاعتبار ، لا عن نقل العمل بأمره بالعيان ، ولو كان له عند أهل العلم بالحديث أثر بالعيان لما نصوا أن الإفراد لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على رأس المائتين ، كما اعترف به شيخ الإسلام وغيره . . . قال « ابن حجر » : إلى أن رأى بعض الأئمة أن تفرد أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ، وذلك فى رأس المائتين وعدد جماعة . . . وكذلك الحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ نص أن أول زمن التصنيف وتدوين السنن وتأليف الفروع — بعد انقراض دولة بنى أمية وتحول الدولة إلى بنى

العباس . . . ولا يقاس بالذهبي غيره في الخبرة بالتواريخ في أمثال هذه الأمور ، فلم يذكر ما ذكره السيوطي ، بل كل من كتب في الأوائل من علماء السنة لم يذكره . اللهم إلا أن يقال باستبعاد عدم الأخذ بقول مثل عمر بن عبد العزيز فلعله جمع بعده فلا يكون الحكم بجمعه في رأس المائة من القول السديد المحقق ، عصمنا الله تعالى من التسرع في القول[1]) .

أقول إن ما ذكره السيوطي ليس وهما بل حقيقة علمية ، كما تبين لنا من البحث

وأما قصر مدة خلافة عمر بن عبد العزيز ، وعدم تأريخ زمن أمره فإنه لاينافي استجابة العلماء لأمر الخليفة . وأما أنه لم ينقل هذا ناقل فهذا حكم يناقض الدليل ، فقد كثر الناقلون ، ونص ابن عبد البر على أن ابن شهاب امتثل لأمر الخليفة وكتب الحديث في دفاتر ، وبعث الخليفة إلى كل أرض له عليها سلطان دفترا[2] ، ولم يكن ما ذكره ابن حجر من باب الحدس والتخمين ، ثم إن ما ذكره علماء الحديث من أن إفراد تدوين حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على رأس المائتين — لا ينافي قط تدوينه استجابة لأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ونحن لانشك في أن بعض المدونات الأولى . في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عصر الصحابة كانت خالية من فتاوى الصحابة ، وأقوى دليل على هذا الصحيفة الصادقة ، والصحيفة الصحيحة ، وإن كان بعض المصنفين قد كتب عمل الصحابة ، وفتاواهم إلى جانب الحديث ، فهذا لاينافي كونهم دونوا الحديث على رأس المائة الأولى وقبلها .

---

(١) تأسيس علوم الشيعة ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

(٢) انظر جامع بيان العلم وفضله ص ٧٦ ج ١ .

واستشهاده بما ذكره الحافظ الذهبي فى تذكرة الحفاظ لايجدى نفعاً ، لأن الحافظ الذهبي لخص الحالة فى القرن الأول ، ولم يدرس التدوين دراسة موضوعية تفصيلية ، ومع هذا نراه يذكر فى تراجم من صنف من العلماء أنهم أول من صنفوا فى بلادهم . وليس من المفروض على الذهبي أن يفصل فى التدوين لأن تذكرته فى رجال الحديث ، لا فى علم الحديث ومصطلحه .

وأما أن أحداً من الأوائل لذين كتبوا فى الحديث وعلومه — لم يذكر ماذكره الجلال السيوطى ، فهذا مردود بما كشف عنه بحثنا ، فقد ذكر ذلك الرامهرمزى ، وبين سبب كراهة من كره الكتابة فى الصدر الأول ، وجمع بين أحاديث السماح بالكتابة والنهى عنها . وإذا كان الرامهرمزى لم ينقل إلينا النص كالسيوطى حرفياً فقد ذكر مايفهم منه أن بعض العلماء كانوا قد دوّنوا فى القرن الأول ،(١) كما بين اهتمام عمر بن عبد العزيز بنشر السنة والمحافظة عليها (٢) ، ووضع الخطيب البغدادى كتابه (تقييد العلم) لعرض سير التدوين فى العصر الأول ، وبين كثيراً مما خفى على الناس ، وأثبت أن بعض طلاب العلم وأهله قد مارسوا التدوين فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده .
وروى أبو عبيد القاسم بن سلام (١٥٧ — ٢٢٤ هـ) بسنده عن محمد بن عبد الرحمن الأنصارى ، قال : (لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى المدينة يلتمس كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصدقات وكتاب عمر بن الخطاب . . . . فنسخا له (٣)) ، فما أظن بعد هذا أن يدعى إنسان أن أمر عمر بن عبد العزيز لم ينفذ أو لم يؤخذ به ، فما ذهب إليه علماء

---

(١) انظر المحدث الفاصل ص ٧١ : آ — ٧١ : ب .
(٢) انظر المرجع السابق ص ١٥٣ : آ
(٣) الأموال ص ٣٥٨ — ٣٥٩

الحديث من أن ابتداء تدوين الحديث وقع فى رأس المائة الأولى ليس من باب الحدس والتسرع بالقول . ويحمل قولهم هذا على التدوين الرسمى الذى تبنته الدولة ، أما التدوين الشخصى والفردى فكان منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بعد ما ذكره السيد حسن الصدر قال : (إذا عرفت هذا فاعلم أن الشيعة أول من تقدم فى جمع الآثار والأخبار ، فى عصر خلفاء النبى المختار عليه وعليهم الصلاة والسلام ، اقتدوا بإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام) . ثم ذكر كتاباً لعلى رضى الله عنه كان عظيما مدرجا ، وذكر صحيفته المعلقة بسيفه ، ثم ذكر كتابا لأبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه « كتاب السنن والأحكام والقضايا » وقد توفى أبو رافع فى أول خلافة على رضى الله عنه ، قال السيد حسن الصدر : (وأول خلافة على أمير المؤمنين سنة خمس وثلاثين من الهجرة ، فلا أقدم من أبى رافع فى التأليف بالضرورة[1]).

أقول : إذا صح هذا الخبر فإن أبا رافع يكون ممن دون فى عصر الصحابة ، وقد سبقه عبد الله بن عمرو الذى كتب فى عهده صلى الله عليه وسلم . وإذا صح هذا الخبر وكان كتابه مرتبا على الأبواب : (الصلاة والصيام والحج والزكاة والقضايا)

---

(١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٢٧٩ — ٢٨٠ . وقد نقل عن الشيخ أبى العباس النجاشى ما ذكره عن أبى رافع . ثم قال السيد حسن الصدر : وأول من صنف فى الآثار مولانا أبو عبد الله سلمان الفارسى (ر) . . . وأول من صنف الحديث والآثار بعد المؤمنين أبو ذر الغفارى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وله كتاب الخطبة يشرح فيها الأمور بعد النبى صلى الله عليه وسلم ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسى فى الفهرست . ثم يذكر كتابا لعبيد الله بن أبى رافع فى قضايا أمير المؤمنين وكتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان من الصحابة . ثم ذكر بعض أخبار كتب أشخاص طعن فيهم أهل السنة كالحارث بن عبدالله الأعور الهمدانى ، أو أخبار كتب لم تثبت عند أهل السنة . انظر تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ص ٢٨٢ وما بعدها .

كما ذكر السيد حسن الصدر ، كان لأبى رافع شرف الأولوية فى التأليف لا فى التدوين ، وصحة هذا لاتحملنا على أن ننفى ماثبت تاريخيا من أخبار التدوين فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز .

(ب) مادمنا فى موضوع الشيعة والتدوين ، فلا بد من أن نتناول بالبحث أصلا من أصول الزيدية ، يعود تدوينه إلى مطالع القرن الثانى ، وهذا الأصل هو « مجموع الإمام زيد » ونتناول هذا الكتاب فى ثلاث نقاط ، وهى التعريف بصاحب المجموع ، والتعريف براويه ، ثم المجموع ذاته .

١ — الإمام زيد : هو زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم جميعاً . ولد الإمام زيد حول سنة (٨٠ هـ) ، ونشأ فى أسرة معروفة بالعلم والجهاد ، فقد تلقى العلم على أبيه ثم أخذ عن أخيه محمد الباقر الذى شهد له العلماء بالمنزلة العلمية الرفيعة ، كما سمع من كبار التابعين فى المدينة وكان يتنقل بين الحجاز والعراق ، ونضج الإمام زيد حتى شهد أهل العلم بفضله وعلمه ، سئل جعفر الصادق عن عمه زيد ، فقال : كان والله أقرأنا لكتاب الله ، وأفقهنا فى دين الله ، وأوصلنا الرحم ، والله ماتركَ فينا لدنيا ولا لآخرة مثلَه . وقال الشعبى : ماولدت النساء أفضل من زيد ابن على ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد ، وسئل الباقر عن أخيه زيد ، فقال : إن زيدا أعطى من العلم بسطة [1] .

ولزيد مع هشام بن عبد الملك وولاته أخبار كثيرة تذكر إحراجهم له واضطراره إلى الخروج على الخليفة ، ومن هذا ما ذكره ابن العماد الحنبلى أنه دخل يوماً على هشام بن عبد الملك ، فقال له : (أنت الذى تنازعك نفسك فى الخلافة

(١) انظر مقدمة مسند زيد وترجمته ص ٢ ومابعدها .

وأنت ابن أمة ! فأجابه بقوله : إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقد كانت أم اسماعيل أمة لأم اسحاق ، صلى الله عليهما ، فلم يمنعه ذلك من أن ابتعثه الله نبياً ، وجعله للعرب أبا ، وأخرج من صلبه خير البشر محمداً صلى الله عليهم وسلم ! أفتقول لى كذا وأنا ابن فاطمة وابن على [1] ! ؟) وقام ينشد شعراً وخرج فى الكوفة وبايعه من أهلها خمسة عشر ألف رجل ، ثم تفرقوا عنه ليلة خرج سوى ثلاثمائة رجل ، ولما قتل أرسل برأسه إلى الشام ثم إلى المدينة ، وكان ذلك سنة (١٢٢ [2]) هـ .

وللإمام زيد المسند المسمى المجموع الفقهى . وله المجموع الحديثى ، وقد جمعهما [3] عمرو بن خالد الواسطى . وله أيضاً تفسير الغريب من القرآن ، وتثبيت الإمامة ومنسك الحج [4] .

٢ — أما راوى المجموع ، فهو أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى الهاشمى بالولاء الكوفى ، روى مجموعى الإمام زيد الحديثى والفقهى ، قال : صحبت الإمام زيدا فما أخذت عنه الحديث إلا وقد سمعته مرة أو مرتين أو ثلاثا أو أربعا أو خمسا أو أكثر من ذلك ، وما رأيت هاشمياً مثل زيد بن على ، فلذلك اخترت صحبته على جميع الناس [5] . وتوفى بعد العشر الخامسة من المائة الثانية من الهجرة .

وقد اختلف فى أبى خالد ، فقبل الزيدية روايته ، وفى هذا يقول القاسم

---

(١) شذرات الذهب ص١٥٧ ج ١ ، وانظر : الإمام زيد لأبى زهرة ص٤٢ — ٦٦ .
(٢) انظر شذرات الذهب ص ١٥٧ ج ١ ، والإمام زيد ص ٤٢ — ٦٦ .
(٣) انظر الإمام زيد لأبى زهرة ص ٢٣٢ .
(٤) انظر مقدمة مسند زيد (المجموع) صفحة ٤ — ٥ .
(٥) انظر المرجع السابق ص ٢٦ والروض النضير ص ٢٨ ج ١

ابن عبد العزيز : (وعمرو بن خالد الواسطى أبو خالد ، حدث عنه الثقات ، وهو كثير الملازمة لزيد بن على عليه السلام ، وهو الذى أخذ عنه أكثر الزيدية مذهب زيد بن على عليهما السلام ، ورجحوا روايته على رواية غيره[١] .)
وجرحه الإمامية[٢] وغيرهم . وقد فند شارح المجموع طعون الجارحين لعمرو وبين أقوال العلماء فيه ، وانتهى إلى أن كل ما وجه إليه لا يؤثر فى عدالته[٣] ، وكذلك فند فضيلة الأستاذ محمد أبو زهرة الطعون وناقشها ووازن آراء العلماء ، وانتهى إلى أن أوجه قبول رواية أبى خالد أرجح من أوجه الطعن[٤] .

٣ — المجموع : واختلف فى المجموع ذاته : هل وضعه الإمام زيد ورتبه كما هو عليه الآن وأملاه على طلابه أم أن هذا عمل أبى خالد ؟ فأبو خالد نفسه يجيب إبراهيم ابن الزبرقان الذى سأله : كيف سمعت هذا الكتاب عن زيد ابن على ؟ فيقول : (سمعته منه فى كتاب معه قد وطأه وجمعه ، فما بقى من أصحاب زيد بن على ممن سمعه معى إلا قتل غيرى[٥]) إلا أن الإمام محمد بن المطهر فى أول شرحه المنهاج على المجموع يقول : (وكان مذهبه — يعنى زيد بن على — عزيزاً ، لقلة ضبطه فى الكتاب الجامع إلا ما عنى بجمعه أبو خالد ، فإنه جمع مجموعين لطيفين ، أحدهما فى الأخبار ، والآخر فى الفقه[٦]) ويمكن الجمع بين

---

(١) الروض النضير ص ٢٨ ج ١ .
(٢) الامام زيد لأبى زهرة ص ٢٣٣ .
(٣) انظر الروض النضير ص ٢٥ — ٤٧ ج ١ وشارح المجموع العلامة شرف الدين بن الحيمى اليمنى ، وكان عرضه لذلك فيما تجدر مراجعته .
(٤) انظر الإمام زيد لأبى زهرة ص ٢٣٥ — ٢٥٨ .
(٥) الروض النضير ص ٢٨ ج١ .
(٦) المرجع السابق ص ١٢٢ .

الخبرين بأن أبا خالد قد كتب عن الإمام زيد الحديث والفقه وسمع منه ، فرتب ذلك فى مجموعين . ولا نرى هذا بعيداً قط ، لأن أبا خالد صحب زيدا بالمدينة قبل قدومه الـكوفة خمس سنين ، كان يقيم عنده فى كل سنة أشهرا كلما حج[1] ، وكان عصر الامام زيد عصر طلائع التصنيف ، ومع هذا لا يمكننا أن نقطع بأن المجموع كما هو عليه الآن جمعاً وترتيباً من تصنيف الإمام زيد ، لأن الدارس لمتن المجموع يرى كثيرا من الحديث يرويه أبو خالد قائلا (حدثنى زيد بن على) ، وفى الفقه يقول : قال زيد بن على ، مما يدل على أن أبا خالد تلقى هذا مشافهة عن الإمام زيد . وهذا لا يمنع أن يحصل الإمام بعض علمه فى كتاب . سواء أملى على طلابه أم لم يمل ، يرجح عندى أن أبا خالد كتب عن الإمام الحديث والفقه ، ثم رتب ذلك فى مجموعين وكل هذا لا يؤثر فى صحة نسبة المجموع إلى زيد بن على .

وعلى هذا يكون المجموع من أهم الوثائق التاريخية التى تثبت ابتداء التصنيف والتأليف فى أوائل القرن الثانى الهجرى . بعد أن استنتجنا هذا من خلال عرضنا لمصنفات ومجاميع العلماء من غير أن نرى نموذجا ماديا يمثل أولى تلك المصنفات . اللهم إلا موطأ الإمام مالك الذى انتهى من تأليفه قبل منتصف القرن الهجرى الثانى ، فيـكون المجموع قد صنف قبله بنحو ثلاثين سنة .

من الواضح أن المجموع المطبوع جمع بين الفقه والحديث ، فهو يضم المجموعين الفقهى والحديثى ولـكنهما ليسا منفصلين ، فنرى أبا خالد يروى فى الباب الواحد أحاديث مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وآثاراً عن على رضى الله عنه ، وفقه الامام زيد رحمه الله .

---

(١) أنظر الروض النضير ص ٢٨ جـ ١

وقد ضم المجموع (٢٢٨) حديثاً مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن الأخبار العلوية (٣٢٠) خبراً ، وعن الحسين خبرين فقط[1] .

وقد رتب المجموع ترتيباً فقهياً ، ففيه كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الجنائز ، وكتاب الزكاة ، وكتاب الصيام ، وكتاب الحج ، وكتاب البيوع . . . ورتب كل كتاب على أبواب مختلفة ، ويفتتح كل باب بحديث الباب بسنده المرفوع إلى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أو الموقوف على الإمام على رضى الله عنه . وسأعرض بعض النماذج لنقف على حقيقة المجموع .

(ا) من باب ما ينبغى أن يجتنب فى الصلاة :

قال : (حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال : « أما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه » ، وقال زيد بن على عليه السلام : إذا دخلت فى الصلاة فلا تلتفت يمينا ولا شمالا ، ولا تعبث بالحصى ، ولا ترفع أصابعك ولا تنقض أناملك ، ولا تمسح جبهتك حتى تفرغ من الصلاة[2]) .

(ب) من كتاب البيوع ، باب الكسب من اليد :

قال : (حدثنى زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أى الكسب أفضل ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور ، فإن الله يحب المؤمن المحترف ، ومن كدّ على عياله كان كالمجاهد فى سبيل الله عز وجل » .

---

(١) انظر مقدمة مسند زيد ص ٩ . (٢) مسند الإمام زيد ص ٣٦ ـ ٣٧ .

حدثني زيد بن على عن أبيه عن جده عن على عليه السلام ، قال : من طلب الدنيا حلالا تعطفاً على والد أو ولد أو زوجة ، بعثه الله تعالى ووجهه على صورة القمر ليلة البدر [1]) .

٣ — رأى في التدوين الرسمي :

لقد تبين لى أثناء البحث فى موضوع تدوين السنة ، وخاصة فى دراسة رجال الحديث فى عصر الصحابة والتابعين — أن أمير مصر عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموى (— ٨٥ هـ) . قد حاول جمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد روى هذا إمام الديار المصرية ومحدثها الليث بن سعد ، فقال : (حدثنى يزيد بن أبى حبيب أن عبد العزيز بن مروان كتب الى كثير بن مرة الحضرمى — وكان قد أدرك بحمص سبعين بدرياً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال ليث : وكان يسمى الجند المقدم ، قال : فكتب إليه أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أحاديثهم إلا حديث أبى هريرة فإنه عندنا [2]) ، لم يطلب حديث أبى هريرة لأنه كان عنده وكان قد سمعه عبد العزيز بن مروان من أبى هريرة [3] . لقد طلب أمير مصر كتابة حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام من إمام حمص وعالمها الذى كان طلابا للعلم حافظا ثقة [4] . وقد كان هـذا الطلب أثناء إمارته على مصر بين سنة (٦٥ — ٨٥) هجرية ، ويمكننا أن نعد هذا بحـد

---

(١) مسند الإمام زيد ص ١٠٣ .

(٢) طبقات ابن سعد ص ١٥٧ قسم ٢ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٤٢٩ ج ٨ وانظر سير أعلام النبلاء مخطوط ص ١٤٥ قسم ٢ ج ٤ .

(٣) انظر تهذيب التهذيب ص ٣٥٦ ج ٦ .

(٤) انظر تذكرة الحفاظ ص ٤٩ ج ١ .

أقرب إلى الحقيقة إذا عرفنا أن كثير بن مرة توفى بين سنة (٧٠ و ٨٠ [١]) للهجرة ، فلو فرضنا أنه توفى سنة (٧٥ هـ) فمعنى هذا أن طلب الأمير كان قبل هذه السنة ، والراجح عندى أن طلب الأمير عبد العزيز ، كان فى السنين الأولى من إمارته ، لما عرف عنه من حب للعلم وأهله ، وتفان فى خدمة الدين [٢] . إلا أن المصادر لم تخبرنا عن امتثال كثير بن مرة للأمير . فنقف أمام هذا الخبر التاريخى متسائلين : ترى هل كتب كثير للأمير ماطلب منه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وإذا كتب إليه فما مقدار ما كتبه ؟ وعن أى الصحابة كتب إليه ؟ ثم إلى من آلت تلك الصحف أو الدفاتر المدونة ؟ كل هذه أسئلة تعرض أمامنا ، وتحتاج إلى بحث وتنقيب ، وربما يكشف لنا التاريخ عن خبايا تراثنا الإسلامى العظيم . نجيب عن هذه الأسئلة على ضوء مالدينا من أخبار قليلة .

إن مانعرفه من عناية هؤلاء بالحديث يرجح عندنا أن يستجيب كثير بن مرة لطلب الأمير ، ولو ظن الأمير عبد العزيز امتناع عالم حمص عن إجابته ما كتب إليه ، مما يرجح عندى أن كثيراً تلقى رسالة الأمير وأجابه إلى طلبه ، لما عرف عن كثير من نشاط علمى عظيم ، ومن الصعب فى هذا المجال أن نقدر مقدار ما كتب كثير ، لأن المراجع لم تنص على شىء من هذا [٣] ، فأرجو

---

(١) انظر تهذيب التهذيب ص ٤٢٩ ج ٨ .

(٢) انظر النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ص ١٧١ ، ١٧٤ ج ١ ، وولاة مصر للكندى ص ٤٩ .

(٣) لأن التاريخ الأموى دون فى عهد الدولة العباسية وقد اهتم المؤرخون بالحوادث الكبرى وبالخلفاء والخطوط العريضة من حياة الأمراء . وكانت كثير من مزايا الأمويين تطمس أو تصغر تمشياً مع سياسة العباسيين الذين لايسرهم التحدث بمفاخر من قبلهم . انظر : أضواء على التاريخ الإسلامى ص ٨٥ . ونحن لانشك بوجود مؤرخين منصفين نرجو أن نجد عندهم فيما بعد مايروى غليلنا فى هذه النقطة .

من الله أن أوفق فيما بعد للكشف عن ذلك وإيضاحه بما يكفل لنا الحكم العلمى الصحيح .

ونقول الآن بعد هذا الخبر : إذا ثبتت استجابة كثير بن مرة لطلب أمير مصر . فيعنى هذا أن بعض الحديث النبوى قد دون رسمياً فى منتصف العقد الهجرى الثامن قبل انقضاء القرن الأول . وعلى أية حال ، فإن اهتمام أمير مصر بحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام وتدوينه يزيدنا ثقة بأن التدوين قد سار جنباً إلى جنب مع الحفظ ، ولم يتأخر قط إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فيكون شرف المساهمة فى تدوين الحديث ، قد كلل الوالد الأمير والابن الخليفة البار ، ويكون لهما جميعاً شرف العمل لحفظ الحديث وتدوينه رسمياً .

وأنا بهذه النتيجة لا أريد أن أخالف ما اشتهر عند أئمة هذا العلم من أن تدوين الحديث النبوى كان على رأس المائة الأولى فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، بل أضع يدى على مفتاح بحث تاريخى له أهميته فى تاريخ تدوين الحديث ، سواء أخالف هذا المشهور أم وافقه ، وهذا المفتاح قد طوى فى بطون تراثنا الزاخر ، ينتظر من يتفرغ ليكشف عنه ، فنحن فى هذا لسنا بدعا ، ولا نأتى بشىء جديد سوى أننا ننفض غبار الماضى عن جواهرنا المكنونة ، ونحاول أن نسلكها فى عقد يصور لنا الحقيقة التاريخية .

٤ — المستشرقون ورأيهم فى تدوين الحديث :

لقد عرفنا أن المسلمين حفظوا حديث النبى صلى الله وسلم فى صدورهم وصحفهم ، فساهمت الذاكرة والأقلام والصحف والدفاتر فى حفظ السنة المطهرة ، وسار الحفظ فى الصدور وفى الصحف جنباً إلى جنب فى سبيل هذه الغاية ، ورأينا مراحل التدوين الفردى والرسمى ، وثبت لنا وقوع التدوين فى عهد رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفى عصر الصحابة والتابعين ، بأدلة قاطعة لا يرقى إليها الشك ، ولا يعتريها الظن . وعرفنا أن ضرورة حفظ الحديث لم تنتظر خلافة عمر بن عبد العزيز وإذنه ، بل دعت إلى تدوينه قبله بكثير ، وكان لعمر بن عبد العزيز شرف مساهمة الدولة فى تبنى هذا التدوين والإشراف عليه ، وتحريك همم العلماء للجمع والتصنيف ، الذى ظهرت بوادره فى النصف الأول من القرن الثانى ، ونضجت ثماره فى المصنفات الكثيرة التى أخرجها أوائل المصنفين فى مختلف بلاد الدولة الإسلامية آنذاك .

بعد هذا لن نؤخذ بما وصل إليه المستشرقون وأعلنوه من أن السنة . قد دونت فى عصر مبكر . ولن نقع فيما نصبه بعضهم من شراك خلف بحوثهم ، وإن ظهرت بعض أبحاثهم فى ثوب علمى نقى ، فقد كتب جولد تسيهر فصلا خاصاً حول كتابة الحديث فى كتابه « دراسات إسلامية » أتى فيه بأدلة كثيرة على تدوين الحديث فى أول القرن الهجرى الثانى ، وكان فى الفصل الأول من كتابه (قد سرد طائفة من الأخبار ، تشير إلى بعض الصحف التى دونت فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنه حاطها بكثير من التشكك فى أمرها ، والريبة فى صحتها ، وقد رمى بهذا إلى غرضين ، أحدهما : إضعاف الثقة باستظهار السنة وحفظها فى الصدور ، لتعول الناس منذ القرن الهجرى الثانى على الكتابة ، والآخر وصم السنة كلها بالاختلاق والوضع على ألسنة المدونين لها ، الذين لم يجمعوا منهـا إلا ما يوافق أهواءهم ، ويعبر عن آرائهم ووجهات نظرهم فى الحياة . . .

وحاول المستشرق « سوفاجيه » فى كتابة « الحديث عند العرب » أن يفند المعتقد الخطأ عن وصول السنة طريق المشافهة وحدها ، وجمع أدلة كثيرة

على تدوين الأحاديث والتعويل على هذا التدوين فى عصر مبكر يبدأ أيضاً فى مطالع القرن الهجرى الثانى ، وليس فى حياة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وغايته لاتختلف فى شىء عن غاية جولد تسيهر)[١] .

ويقول الدكتور صبحى الصالح : (وأما « دوزى » فلعله يخدع برأيه المعتدل كثيراً من علمائنا فضلا عن أوساط المتعلمين فينا ، فقد كان هذا المستشرق يعترف بصحة قسم كبير من السنة النبوية التى حفظت فى الصدور ، ودونت ، فى الكتب بدقة بالغة ، وعناية لانظير لها . « وما كان يعجب لكثير من الموضوعات والمكذوبات تتخلل كتب الحديث — فتلك كما يقول طبيعة الأشياء نفسها — بل للكثير من الروايات الصحيحة الموثوقة التى لايرقى إليها الشك ، (ونصف صحيح البخارى على الأقل جدير بهذا الوصف عند أشد المحدثين غلوا فى النقد) ، مع أنها[٢] تشتمل على أمور كثيرة يود المؤمن الصادق لو لم ترد فيها »[٣] . فلم يكن غرض هذا المستشرق خالصاً للعلم والبحث المجرد حين مال إلى الاعتراف بصحة ذلك النصيب الكبير من السنة ، وإنما كان يفكر أولا وآخراً فيما اشتملت عليه هذه السنة الصحيحة من نظرات مستقلة فى الكون والحياة والإنسان، وهى نظرات لايدرأ عنها استقلالها النقد والتجريح، لأنها لم تنبثق من العقل الغربى المعجز، ولم تصور حياة الغرب الطليقة من كل قيد[٤] !).

---

(١) انظر هذا البحث فى علوم الحديث ومصطلحه للدكتور صبحى الصالح ص ٢٣ — ٣٠ وما أشرنا إليه فى الصفحة ٢٤ — ٢٥ .

(٢) أى الروايات الصحيحة .

(٣) أشار الدكتور صبحى الصالح فى هامش الصفحة ٢٦ إلى أن عبارة دوزى فى الأصل أوقح من أن يوردها على حالها وأحال على الأصل بالفرنسية .

(٤) علوم الحديث ومصطلحه ص ٢٦ .

وعثر المستشرق (شبرنجر) على كتاب « تقييد العلم » للخطيب البغدادى فوجد فيه شواهد وأخباراً تدل على تدوين المسلمين للحديث فى عصر مبكر، فكتب مقالا حول ماوجده .

واطلع (جولد تسيهر) على ما كتبه سلفه (شبرنجر) وأيد فكرة كتابة المسلمين للحديث فى عصر مبكر، إلا أنه (تأمل فى الأخبار التى عرضها سلفه « شبرنجر » نقلا عن الخطيب البغدادى وغيره، فوجدها تارة تقول بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أجاز كتابة العلم، وطورا تدعى بأنه نهى عنها، وتذكر مرة أن الصحابة حضوا عليها، ثم لا تلبث أن تروى كراهتهم لها، وتَعْرِضَ كُتُبَ بعض التابعين للعلم، ثم تذكر استنكاف بعضهم الآخر — رأى ذلك فظن بهذه الأخبار سوءاً، وأراد أن يرى خلالها يد الوضع والتزوير، فتصور حزبين متناضلين، اتخذا من هذه الأخبار سلاحاً، يذود كل منهما به عن رأيه، ويدفع خصمه، فقال : إن أهل الرأى — الذين اعتمدوا فى وضع فروع الشريعة على عقلهم، وأهملوا شأن حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) — كان من حججهم أن الحديث لم يكتب دهراً طويلا، فغابت معالمه، وتشتت أمره، وأيدوا رأيهم بأخبار اختلقوها، تثبت أنه لم يكتب، ولم يقف خصومهم « أهل الحديث » واجمين، بل فعلوا فعلتهم واختلقوا الأخبار تأييدا لقولهم، فنسبوا إلى الرسول أحاديث فى إباحة الكتابة[1]) .

هكذا رأى جولد تسيهر أهل الرأى يدعون عدم كتابة الحديث، فيضعون من الأخبار مايثبت دعواهم، وأهل الحديث يرون جواز تقييد العلم، فيضعون

---

(١) مجلة الثقافة المصرية العدد ٣٥١ السنة السابعة الصفحة ٢٢ – ٢٣ – من مقالة أستاذنا الدكتور يوسف العش « نشأة تدوين العلم فى الإسلام » .

مايثبت دعواهم ، ليحتجوا بصحة مالديهم من أحاديث فى خلافاتهم الفقهية ، أراد جولد زيهر أن يصور علماء الأمـة ومفـكريها ، حزبين متعصبين لآرائهم ، يستجيزون الـكذب فى سبيل ذلك ! ! فساء ما تصوره وبئس ما انتهى إليه .

وقد تيض الله لـكتاب « تقييد العلم » أن ينشر فى دمشق ، ويحقق تحقيقاً علمياً دقيقاً ، على يدى أستاذنا الدكتور يوسف العش ، الذى درس أخباره دراسة عميقة ، ثم قدم للـكتاب المذكور بتصدير علمى قيم ، كشف ، فيه عن خطإ جولد تسيهر فى رأيه (حين قال : إن من ادعى عدم جواز الـكتابة هم أهل الرأى ، وأن مخالفيهم هم من أهل الحديث — « قال الدكتور العش » — : فالخلاف لم يكن بين هاتين الفئتين ، لأن من أهل الرأى من امتنع عن الـكتابة كعيسى بن يونس (— ١٨٧ هـ) وحماد بن زيد (— ١٧٩ هـ) وعبد الله إدريس (— ١٩٢ هـ) ، وسفيان الثورى (— ١٦١ هـ) ، وبينهم من أقرها كحماد بن سلمة (— ١٦٧ هـ) ، والليث بن سعد (— ١٧٥ هـ) ، وزائدة بن قدامة (— ١٦١ هـ) ويحيى بن اليمان (— ١٨٩ هـ) ، وغيرهم . ومن المحدثين من كره الـكتابة كابن علية (— ٢٠٠ هـ) وهشيم بن بشير (— ١٨٣ هـ) ، وعاصم بن ضمرة (— ١٧٤ هـ) وغيرهم ، ومنهم من أجازها كبقية الـكلاعى (— ١٩٧ هـ) وعكرمة بن عمار (— ١٥٩ هـ) ، ومالك ابن أنس (— ١٧٩ هـ) وغيرهم[1]) .

بهذه البراهين القوية نقض الدكتور العش رأى جولد زيهر وقوض

---

(١) تقييد العلم ص ٢١ـ٢٢ وانظر مقالة الدكتور العش فى مجلة الثقافة المصرية العدد ٣٥٣ السنة السابعة الصفحة : ٩ ـ ١٠ .

كل ما بناه على رأيه من صور وهمية ، وبين بعد البحث والتأمل (أن ليس من أوصاف مشتركة توحد بين أصحاب إحدى الطائفتين ، فليس الفريقان حزبين اتفق أفرادهما فى الرأى ، واستعدوا لخوض المعركة متضامنين ، يناصر بعضهم بعضا ، إنما تمسكوا برأيهم عن عقيدة نفسية ، أو عن ميول شخصية ، أو عن ذوق خاص ، أو عن عادة مستحكمة ، وعندنا أن الطائفتين المتخاصمتين متفقتان بالغاية ، ولو أنهما تشاحنتا فى القول ، فكلتاهما تبغى الدفاع عن العلم والتقدم به [1] .)

بعد تلك الأخبار عن التدوين ، وحرص الأمة على سلامة الحديث النبوى ، لا يمكننا أن نسلم بما ذهب إليه المستشرقون ، وخاصة بعد أن ظهر أمرهم على ضوء ما بيناه ، فالسنة حفظت منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فى الصدور ، وقيد بعضها فى الصحف ، وكانت محل اعتناء المسلمين فى مختلف عصورهم ، فتناقلوها جيلا عن جيل حفظا ودراسة بالمشافهة والكتابة ، واجتهدوا وسعهم لحفظ الحديث بأسانيده فى مصنفات ومسانيد تكفل لأهل العلم معرفة القوى من الضعيف ، خشية تسرب الكذب إلى حديثه صلى الله عليه وسلم ، ثم اجتهد كبار العلماء فى جمع الحديث الصحيح على أسلم قواعد التثبت العلمى ، فرحلوا فى طلب ذلك ، وسمعوا بأنفسهم ، وتثبتوا وسعهم ، وكتبوا بأيديهم ، فظهرت الكتب المجردة من الضعيف وأجمعت الأمة الإسلامية — التى فهمت الإسلام واتخذته سبيلها فى مختلف وجوه حياتها — على صحة (صحيح البخارى) و (صحيح مسلم) ، فإذا اعترف المستشرقون ببعض الحقيقة العلمية ، وأقروا جانبا مما أثبتته المصادر الإسلامية ، فلا يجوز لنا على أى حال أن نقبل ماذهبوا إليه من طعن فى

---

(١) مجلة الثقافة المصرية العدد ٣٠٢ السنة السابعة الصفحة ١٠ .

صحاح السنة ، باسم طبيعة تطور الرواية أو غير ذلك ، كما لا يجوز لنا أيضاً أن نقبل منهم إضعاف ثقتنا باستظهار السنة وحفظها مادام قد ثبت تقييد بعض الحديث منذ عهده صلى الله عليه وسلم ، فلا تعارض بين حفظ الحديث وكتابته ، ولا يقتضى وجود أحدهما انعدام الآخر أو ضعفه .

* * *

نتائج هذا الفصل :

(١) دونت أحاديث فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد الصحابة والتابعين ، ووصلنا بعضها فى المسانيد والصحاح وبعضها مستقلا ، وأشهر تلك الصحف التى دونت فى عهده صلى الله عليه وسلم العهد الذى أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بكتابته بين المسلمين ويهود المدينة ، والصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو ، وبعض صحيفة جابر ، ومن أقدم ما وصلنا من عهد الصحابة صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة التى دونت قطعاً فى العقد السادس من القرن الأول الهجرى .

٢ — تجلى لنا من البحث كثرة الكتب والمصنفات فى أول القرن الهجرى الثانى .

٣ — إذا صحت نسبة (مجموع زيد) إلى الإمام زيد — وهو الراجح — يكون لدينا دليل مادى قوى على ماصنف فى أوائل القرن الهجرى الثانى .

٤ — إن محاولة أمير مصر جمع الحديث فى العقد الثامن من القرن الأول الهجرى دليل على اهتمام ولاة المسلمين بالحديث ، وحرصهم على حفظه ، ومحاولة رسمية من أولى الأمر لجمع السنة قبل الزمن المشهود بربع قرن .

٥ – لم تسلم أبحاث المستشرقين من الخطأ المقصود أو غير المقصود ، ولم يصب (جولد تسيهر) فى تصوره واستنباطه من الأخبار الواردة فى كراهة الكتابة وإباحتها ، حين ظن قيام حزبين متخاصمين ، أهل رأى ، يضعون ما ينفى التدوين ليتمكوا من الطعن فى بعض الأحاديث ورفضها حسب ميولهم وأهوائهم ، وأهل حديث ، وضعوا مايروق لهم من الأخبار التى تثبت التدوين ليتمكنوا من الاحتجاج ببعض الأحاديث التى تخدم غاياتهم وأهواءهم . فعلماء المسلمين وفقهاؤهم أرفع بكثير مما تصوره (جولد تسيهر) ، وقد نهجوا جميعاً المنهج العلمى الدقيق فى سبيل الحفاظ على الشريعة الإسلامية .

وبعد أن اطلعنا على تاريخ السنة ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى منتصف القرن الهجرى الثانى تقريبا ، وعرفنا كيف حفظت وكيف نقلت ورويت جيلا عن جيل ، حتى وصلتنا سالمة خالصة من كل شائبة — أرى من واجبى أن أعرف بمشاهير رواة الحديث من الصحابة والتابعين ، لنطلع على مكانتهم العلمية ، ونعلم قيمة رجال الحديث الذين حافظوا على السنة ، وصانوها عبر الزمان ، ونقلوها إلينا بكل أمانة ، فهم سندنا ، وسبيلنا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى سنته الطاهرة ، وهذا ما سأبحثه فى الباب التالى بعون الله .

* * *

الباب الخامس

أعلام رواة الحديث من الصحابة والتابعين

الفصل الأول

بعض أعلام الرواة من الصحابة

وفيه

١ ــ تعريف الصحابي، لغة وشرعاً.
٢ ــ طبقات الصحابة.
٣ ــ كيف يعرف الصحابي.
٤ ــ عدالة الصحابة.
٥ ــ عدد الصحابة.
٦ ــ علم الصحابي.
٧ ــ المكثرون من الصحابة:

- أبو هريرة.
- عبد الله بن عمر.
- أنس بن مالك.
- عائشة أم المؤمنين.
- عبد الله بن عباس.
- جابر بن عبد الله.
- أبو سعيد الخدري.

١ – تعريف الصحابي :

الصحابي لغة : مشتق من الصحبة ، وليس مشتقاً من قدر خاص منها ، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا كان أو كثيرا ، كما أن القول : مكلم ومخاطب وضارب مشتق من المكالمة ، والمخاطبة والضرب ، وجار على كل من وقع منه ذلك قليلا كان أو كثيراً ، وكذلك جميع الأسماء المشتقة من الأفعال .

وكذلك يقال صحب فلانا حولا ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة فيوقع اسم المصاحبة بقليل ما يقع منها وكثيره[١] .

والصحابي عند المحدثين :

هو كل مسلم رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢] ، قال البخاري في صحيحه : من صحب النبي صلى الله عليه وسلم أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه ، وذكر الإمام أحمد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بدر ، ثم قال : أفضل الناس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، القرن الذي بعث فيهم ، كل من صحبه سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه ، وكانت سابقته معه ، وسمع منه ونظر إليه[٣] .

---

(١) انظر الكفاية في علم الرواية ص ٥١ ، وفتح المغيث ص ٣١ ج ٤ عن أبي بكر الباقلاني ، وانظر لسان العرب ص ٧ ج ٢ .

(٢) انظر مقدمة ابن الصلاح ص١١٨ والباعث الحثيث ص ٢٠١ وتدريب الراوي ص ٣٩٦ وفتح المغيث ص ٢٩ ج ٤ .

(٣) الكفاية ص٥١ وتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب .

قال ابن الصلاح : (بلغنا عن أبي المظفر السمعاني المروزي أنه قال : أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحابة على كل من روى عنه حديثاً أو كلمة ، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، وهذا لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم أعطوا كل من رآه حكم الصحابة[١]) .

وقال آخرون : لابد فى إطلاق الصحبة مع الرؤية أن يروى حديثا أو حديثين[٢] .

قال الواقدى : (ورأيت أهل العلم يقولون : كل من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أدرك الحلم فأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب النبى صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار)[٣] إلا أن تعريف الواقدى هذا يخرج بعض الصحابة الذين رأوا رسول الله وهم دون الحلم ورووا عنه ، كعبد الله بن عباس والحسن والحسين وابن الزبير وغيرهم رضى الله عنهم ، ولذلك قال العراقى : (والتقيد بالبلوغ شاذ)[٤] .

قال إمام التابعين سعيد بن المسيب : (الصحابة لانعدهم إلا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين)[٥] .
قال ابن الصلاح : (وكأن المراد بهذا — إن صح عنه — راجع إلى المحكى عن

---

(١) مقدمة ابن الصلاح ص ١١٨ وفتح المغيث ص ٣٠ — ٣١ ج ٤ .
(٢) انظر الباعث الحثيث ص ٢٠٣ وفتح المغيث ص ٣٢ ج ٤ .
(٣) تلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب ونحوه فى فتح المغيث ص ٣٢ ج ٤ ، والكفاية ص ٥١ .
(٤) فتح المغيث ص ٣٢ ج ٤ .
(٥) الكفاية ص ٥٠ — ٥١ والباعث الحثيث ص ٢٠٣ وتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب وتدريب الراوى ص ٣٩٨ .

الأصوليين ولكن فى عبارته ضيق يوجب ألا يعد من الصحابة جرير بن عبد الله البجلى ومن شاركه . .) [١] .

قال العراقى : (ولا يصح هذا عن ابن المسيب ، ففى الاسناد إليه محمد بن عمر الواقدى ضعيف فى الحديث) [٢] .

قال ابن الجوزى : (وعموم العلماء على خلاف قول ابن المسيب ، فإنهم عدوا جرير بن عبد الله (البجلى) من الصحابة ، وإنما أسلم فى سنة عشر . وعدوا من الصحابة ، من لم يغز معه ، و (من) توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن ، ولم يجالسه ولم يماشه ، فألحقوه بالصحابة إلحاقاً وإن كانت حقيقة الصحبة لم توجد فى حقه [٣]) .

قال ابن حجر : (أصح ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابى : من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته أو قصرت ، ومن روى عنه أو لم يرو ، ومن غزا معه أو لم يغز ، ومن رآه رؤية ولم يجالسه ، ومن لم يره لعارض كالعمى [٤]) وهو رأى الجمهور .

والرؤية عند أنس بن مالك رضى الله عنه لا تكفى لجعل الرائى صحابياً . روى شعبة عن موسى السَّبَلانى وأثنى عليه خيراً ، قال : (قلت لأنس بن مالك : هل بقى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد غيرك ؟ قال : ناس من

(١ و ٢) فتح المغيث ص ٣٢ ج ٤ .

(٣) تلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ . ب .

(٤) الإصابة ص ٤ ج ١ وهكذا ليس من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم يره صحابيا كما قاله بعضهم ، انظر جميع المراجع السابقة .

الأعراب رآوه ، فأما من صحبه فلا . رواه مسلم بحضرة أبى زرعة[١]) .

قال أبو بكر الباقلانى (٣٣٨ — ٤٠٣ هـ) بعد أن عرّف الصحابى لغة : (وكذلك يقال : صحبت فلاناً حولا ودهراً وسنة وشهراً ويوماً وساعة ، وذلك يوجب فى حكم اللغة إجراء هذا على من صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، ولو ساعة من نهار ، هذا هو الأصل فى اشتقاق الإسم . ومع هذا فقد تقرر للأمة[٢] عرف فى أنهم لا يستعملون هذه التسمية إلا فيمن كثرت صحبته ، واتصل لقاؤه ، ولا يجرون ذلك على من لقى المرء ساعة ومشى معه خطا ، وسمع منه حديثاً ، فوجب لذلك ألا يجرى هذا الإسم فى عرف الاستعمال إلا على من هذه حاله .[٣])

ومع هذا فإن خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به وإن لم تطل صحبته ، ولا سمع منه إلا حديثاً واحداً . فقول أنس رضى الله عنه لا يخالف عرف الأمة ، ومما لا شك فيه أن الصحابة على درجات بحسب تقدمهم وبلائهم فى الإسلام .

وإلى رأى الجمهور أميل وبه أقول ، لأنه فى الحقيقة لم يرو صحابى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً إلا قد ثبتت عدالته عند جهابذة هذا العلم ، بتطبيق قواعد النقد العلمى الصحيحة ، التى طبقوها فى علم الحديث على سائر الرواة ، وسيتجلى لنا ما ذهبت إليه عندما نتكلم عن عدالة الصحابة .

---

(١) الباعث الحثيث ص ٢٠٣ ، قال ابن الصلاح : وإسناده جيد حدث به مسلم بحضرة أبى زرعة . وانظر فتح المغيث ص ٣١ ج ٤ وقال : فى كلام أبى زرعة الرازى وأبى داود ما يقتضى أن الصحبة أخص من الرؤية فإنهما قالا فى طارق بن شهاب : له رؤية وليس له صحبة ، . وقال عاصم الأحول : قد رأى عبد الله بن سرجس رسول الله صلى الله عليه وسلم غير أنه لم يكن له صحبة . . .) .

وقال ابن كثير : (وهذا إنما نفى فيه الصحبة الخاصة ، ولا ينفى ما اصطلح عليه الجمهور من أن مجرد الرؤية كاف فى إطلاق الصحبة .) الباعث الحثيث ص ٢٠٣ ، وانظر الكفاية ص ٥٠ .

(٢) فى الكفاية ص ٥١ للأمة ، وفى فتح المغيث (الأئمة) .

(٣) الكفاية ص ٥١ وفتح المغيث ص ٣١ ج ٤ .

والصحابى عند الأصوليين أو بعضهم : هو كل من طالت مجالسته للرسول صلى الله عليه وسلم ، على طريق التبع له والأخذ عنه [١] وقول أنس بن مالك وسعيد بن المسيب قريب من قول الأصوليين .

٢ — طبقات الصحابة :

صحيح أن أصحاب الحديث يطلقون اسم الصحبة على كل من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً أو كلمة ، ويتوسعون حتى إنهم يعدون من رآه رؤية من الصحابة ، قالوا هذا لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن الصحابة رضى الله عنهم طبقات ودرجات ، فهناك السابقون فى الإسلام ، الذين طالت صحبتهم ، وبذلوا أموالهم ودماءهم للدعوة ، وهناك من رآه فى حجة الوداع رؤية ، وبين هؤلاء وهؤلاء درجات ومراتب كثيرة ، وهناك من لازمه فى الليل والنهار ، فى حله وظعنه ، فى صيامه وفطره ، فى مرحه عليه الصلاة والسلام وجده ، فى جهاده ومناسكه ، وعرف عنه كثيراً من دقائق الأعمال وشريف السنن ، فلا يعقل أن يكون جميع الصحابة فى مرتبة واحدة ، ولا يتصور هذا فى ميزان العدالة والمنطق ، لذلك كان الصحابة طبقات بإجماع الأمة ، واختلف المؤلفون فى تصنيف الصحابة إلى طبقات ، فجعلهم ابن سعد خمس طبقات ، وجعلهم الحاكم اثنتى عشرة طبقة ، وزاد بعضهم أكثر من ذلك [٢] .

---

(١) انظر تدريب الراوى ص ٣٩٧ ، وفتح المغيث ص ٣١ و ٣٢ جـ ٤ حكاه أبو المظفر السمعانى عن الأصوليين وقال : (إن اسم الصحابى يقع على ذلك من حيث اللغة والظاهر ، وحكاه الآمدى وابن الحاجب وغيرهما ، وبه جزم ابن الصباغ فى العدة فقال : الصحابى هو الذى أتى النبى وأقام عنده واتبعه ، فأما من وفد عليه وانصرف عنه من غير مصاحبة ولا متابعة ، فلا ينصرف إليه هذا الاسم) .

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ٢٠٧ ، وفتح المغيث ص ٤٠ و ٤١ جـ ٤ وتدريب الراوى ص ٤٠٧ .

والمشهور ماذهب إليه الحاكم ، وهذه الطبقات هى :(١)

١ — قوم تقدم إسلامهم بمكة ، كالخلفاء الأربعة .

٢ — الصحابة الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة فى دار الندوة .

٣ — مهاجرة الحبشة .

٤ — أصحاب العقبة الأولى .

٥ — أصحاب العقبة الثانية ، وأكثرهم من الأنصار .

٦ — أول المهاجرين الذين وصلوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم بقباء قبل أن يدخل المدينة .

٧ — أهل بدر .

٨ — الذين هاجروا بين بدر والحديبية .

٩ — أهل بيعة الرضوان فى الحديبية .

١٠ — من هاجر بين الحديبية وفتح مكة ، كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وأبى هريرة(٢) .

١١ — مسلمة الفتح ، الذين أسلموا فى فتح مكة .

١٢ — صبيان وأطفال رأوا النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفى حجة الوداع وغيرها .

وقد أجمع أهل السنة على أن أفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ، ولم يختلف أحـــد من الصحابة والتابعين فى أفضليتهم على جميع

---

(١) معرفة علوم الحديث ص ٢٢ — ٢٤ .

(٢) لا يصح التمثيل بأبى هريرة فانه هاجر قبل الحديبية عقب خيبر بل فى أواخرها . انظر فتح المغيث ص ٤٠ ج ٤ . وانظر ترجمته فى هذا الكتاب .

الصحابة[1] ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي ، وحكى الخطابي عن أهل السنة من الكوفة تقديم علي على عثمان ، وبه قال ابن خزيمة ، ثم بعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة[2] ، ثم أهل بدر ، ثم أحد ، ثم بيعة الرضوان ، وممن لهم مزية أهل العقبتين من الأنصار ، والسابقون الأولون ، وهم من صلى القبلتين في قول ابن المسيب ومحمد بن سيرين وقتادة ، وفي قول الشعبي أهل بيعة الرضوان ، وفي قول محمد بن كعب وعطاء بن يسار أهل بدر ، وقيل : هم الذين أسلموا قبل الفتح ، وهو قول الحسن البصري[3] .

٣ — كيف يعرف الصحابي ؟

يعرف الصحابي بأحد الأدلة التالية :

١ — الخبر المتواتر : كأبي بكر وعمر وبقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم .

٢ — الخبر المشهور أو المستفيض القاصر عن حد التواتر ، كعكاشة بن محصن ، وضمام بن ثعلبة .

٣ — أن يخبر أحد الصحابة عنه أنه صحابي ، كحممة بن أبي حممة الدوسي الذي توفي بأصبهان مبطونا ، فشهد له أبو موسى الأشعري أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) وإنما الخلاف في عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ولا مبالاة بأقوال أهل التشيع ولا أهل البدع .

(٢) انظر الباعث الحثيث ص ٢٠٨ وفتح المغيث ص ٤١ وتدريب الراوي ص ٤٠٧ وتمام العشرة المبشرين بالجنة : سعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح .

(٣) انظر تدريب الراوي ص ٤٠٩ والباعث الحثيث ص ٢٠٨ وفتح المغيث ص ٣ ج ٤ .

٤ — أن يخبر عن نفسه بأنه صحابي بعد ثبوت عدالته ومعاصرته للرسول صلى الله عليه وسلم [١].

٥ — أن يخبر أحد التابعين بأنه صحابي بناء على قبول التزكية من واحد، وهو الراجح [٢]. ويمكن ضم الثالث والخامس أحدهما إلى الآخر فنقول أن يخبر بذلك من تقبل شهادته، فالصحبة رتبة ومكانة لا تثبت لأحد إلا بدليل أو بينة توافرت فيها جميع الشروط والأركان التي يجب أن تتوافر في كل بينة، فإذا قامت البينة المقبولة لأحد في ذلك نال شرف الصحبة.

٤ — عدالة الصحابة :

إن للصحبة شرفا عظيما، يمنح صاحبها ميزة خاصة، وهي أن جميع الصحابة عند من يعتد به من أهل السنة عدول، سواء من لابس منهم الفتن ومن لم يلابس [٣]، وهو قول الجمهور.

وقال قوم: إن حكمهم في العدالة حكم من بعدهم في لزوم البحث عن عدالتهم عند الرواية.

ومنهم من قال: إنهم لم يزالوا عدولا إلى أن وقع الاختلاف والفتن بينهم فبعد ذلك لا بد من البحث في عدالتهم.

---

(١) راجع تفصيل ذلك في فتح المغيث ص ٣٤ ج ٤ وتدريب الراوي ص ٤٠٠ والباعث الحثيث ص ٢١٥ والروض الباسم ص ١٢٨ — ١٣٠.

(٢) انظر تدريب الراوي ص ٤٠٠ وهذا ما زاده ابن حجر على ما ذكره غيره من طرق معرفة الصحابي، وقد استخرجت هذه الطرق من المراجع السابقة: فتح المغيث ص ٣٤ ج ٤ وتدريب الراوي ص ٣٩٩ والباعث الحثيث ص ٢١٥، والكفاية ص ٥١.

(٣) انظر الكفاية ص ٤٦ — ٤٩ والباعث الحثيث ص ٢٠٥، وفتح المغيث ص ٣٥ ج ٤ وتدريب الراوي ص ٤٠٠.

ومنهم من قال — وهم المعتزلة[١] — : إن كل من قاتل عليا عالما فهو فاسق مردود الرواية والشهادة ، لخروجهم على الامام الحق .

ومنهم من قال برد رواية الكل وشهادتهم ، لأن أحد الفريقين فاسق وهو غير معلوم ولا معين .

ومنهم من قال بقبول رواية كل واحد منهم وشهادته إذا انفرد ، لأن الأصل فيه العدالة ، وقد شككنا فى فسقه ، ولا يقبل ذلك منه مع مخالفه ، لتحقق فسق أحدهما من غير تعيين .

والمختار إنما هو مذهب الجمهور من الأئمة ، وذلك بالأدلة الدالة على عدالتهم ونزاهتهم وتميزهم على من بعدهم[٢] .

قال ابن حزم : (نقول بفضل المهاجرين الأولين بعد عمر بن الخطاب . . . ثم بعد هؤلاء أهل العقبة « الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة » ، ثم أهل بدر ثم أهل المشاهد مشهداً مشهداً ، وأهل كل مشهد أفضل من المشهد الذى بعده حتى يبلغ الأمر إلى الحديبية ، فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم إلى تمام بيعة الرضوان فإنا نقطع على غيب قلوبهم أنهم كلهم مؤمنون صالحون[٣] ، ماتوا كلهم على الإيمان والهدى والبر ،

---

(١) صرح بذلك ابن كثير فى الباعث الحثيث ص ٣٠٥ .

(٢) انظر الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى ص ١٢٨ ج ٢ ونحوه فى فتح المغيث ص ٣٦ ج ٤ .

(٣) بالرغم من مكانة الصحابة ، وبذلهم وتفانيهم من أجل الدعوة ، (طعن النظام فى أكثر الصحابة ، وأسقط عدالة ابن مسعود ، ونسبه إلى الضلال من أجل روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم : إن السعيد من سعد فى بطن أمه ، والشقى من شقى فى بطن أمه . . . وما ذاك منه إلا لإنكاره معجزات النبى صلى الله عليه وسلم ، وطعن فى فتاوى عمر رضى الله عنه من أجل أنه حد فى الخمر ثمانين ، ونفى نصر بن الحجاج حين خاف فتنة نساء المدينة به . . . وطعن فى فتاوى على رضى الله =

كلهم من أهل الجنة ، لايلج أحد منهم النار[1]) .

= عنه ، لقوله فى أمهات الأولاد ... وثلب عثمان رضى الله عنه . ونسب أبا هريرة إلى الكذب من أجل أن الكثير من رواياته على خلاف مذاهب القدرية ، وطعن فى فتاوى كل من أفتى من الصحابة بالاجتهاد ... ونسب أخيار الصحابة إلى الجهل والنفاق ...)

كما أن واصل بن عطاء زعيم المعتزلة يشك فى عدالة على وابنيه ، وابن عباس وطلحة والزبير وعائشة ، وكل من شهد حرب الجمل من الفريقين ، ولذلك قال : لو شهد عندى على وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهما ، لعلمى بأن أحدهما فاسق ولا أعرفه بعينه ، فشك فى عدالة على وطلحة ، والزبير ، مع شهادة النبى عليه الصلاة والسلام لهؤلاء الثلاثة بالجنة ، ومع دخولهم فى بيعة الرضوان ، وفى جملة الذين قال الله تعالى فيهم : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة » سورة الفتح الآية (١٨) .

وقد كان أبو الهذيل والجاحظ ، وأكثر القدرية فى هذا الباب على رأى واصل بن عطاء فيهم . انظر الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ص ٣٠٤ — ٣٠٧ وانظر مختلف تأويل الحديث ص ٢١ — ٢٧ وما بعدها .

وأما الخوارج فقد كفروا عليا وابنيه ، وابن عباس ، وأبا أيوب الأنصارى ، وكفروا عثمان وعائشة وطلحة والزبير ، وكفروا كل من لم يفارق عليا ومعاوية بعد التحكيم .

وأما الزيدية منهم ، فالجارودية منهم يكفرون أبا بكر وعمر وعثمان وأكثر الصحابة ، وكذلك السليمانية والبترية .

وأما الإمامية منهم فقد زعم أكثرهم أن الصحابة ارتدت بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، سوى على وابنيه ومقدار ثلاثة عشر منهم .

وزعمت الكاملية منهم أن عليا أيضا ارتد وكفر بتركه قتالهم . (الفرق بين الفرق ص ٣٠٧ — ٣٠٨) .

أقول : هذا وهم واتباع لهوى فاسد لا يقول به من عرف للصحابة قدرهم وبذلهم ومكانتهم وإن كل ما جرى بينهم فى الفتنة من باب الاجتهاد ، وإن لمن اجتهد وأصاب أجرين ولمن أخطأ أجر ، فلا سبيل لأحد أن يحط من قدرهم ، ويطعن فى عدالتهم (ثم نقول : كيف يكون الرافضة والخوارج والقدرية والجهمية ، والنجارية ، والبكرية والضرارية موافقين للصحابة ؟ وهم بأجمعهم لايقبلون شيئاً مما روى عن الصحابة فى أحكام الشريعة لامتناعهم من قبول روايات الحديث والسير والمغازى ، من أجل تكفيرهم لأصحاب الحديث الذين هم نقلة الأخبار والآثار ورواة التواريخ والسير .. . ولم يكن بحمد الله ومنه فى الخوارج ولا فى الروافض ولا فى الجهمية ولا فى القدرية ولا فى المجسمة ولا فى سائر أهل الأهواء الضالة قط إمام فى الفقه ، ولا إمام فى رواية الحديث .) (الفرق بين الفرق ص ٣٠٨) .

(١) ابن حزم حياته وعصره وآراؤه الفقهية لأبى زهرة ص ٢٥٩ .

ويتبين لنا من كلام ابن حزم أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بيعة الرضوان فى غزوة الحديبية كلهم من أهل الجنة ، معتمدا فى ذلك على ما ورد من نصوص فى القرآن والسنة ، وأما من جاؤوا بعد هؤلاء فلم يقطع بأنهم من أهل الجنة .

وقال شارح مسلم الثبوت : (إن عدالة الصحابة مقطوعة لاسيما أصحاب البدر وبيعة الرضوان ، كيف لا وقد أثنى عليهم الله تعالى فى مواضع عديدة من كتابه ، وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فضائلهم غير مرة)(١) .

ويقول فى موضع آخر : (واعلم أن عدالة الصاحبة الداخلين فى بيعة الرضوان والبدريين كلهم مقطوع العدالة ، لايليق لمؤمن أن يمترى فيها ، بل الذين آمنوا قبل فتح مكة أيضاً عادلون قطعاً ، داخلون فى المهاجرين والأنصار ، وإنما الاشتباه فى مسلمى فتح مكة ، فإن بعضهم من مؤلفة القلوب ، وهم موضع الخلاف ، والواجب علينا أن نكف عن ذكرهم إلا بخيرفانهم)(٢) . فـلو الفتح لم ينص على عدالتهم ومع هذا يوجد ما يدل على عدالتهم ، وسنتعرض لهذا بعد قليل .

وقد ورد فى الصحابة ما يوجب لهم العدالة ، ويجعلهم فى ذروة الثقة والائتمان ،فقد زكاهم الله تعالى ورسوله ، وتقبلت الأمة ذلك بالإجماع ، فلا سبيل إلى الطعن فى أكابرهم كما فعل بعض أهل الأهواء قديما وحديثاً(٣) .

---

(١) شرح مسلم الثبوت ص ٤٠١ جـ ٢ .

(٢) المنهج الحديث فى علوم الحديث ص ٦٢ عن شرح مسلم الثبوت .

(٣) سبق أن بينا طعن بعض المنحرفين قديما فى الصحابة ، ومن الطاعنين المحدثين عبد الحسين شرف الدين فى كتابه (أبو هريرة) وأبو رية فى كتابه (أضواء على السنة) ، وقد تصدى لهما أكابر علماء العصر ، وبعد قليل نفند ذلك فى بحثنا عن بعض أعلام الرواة .

١ – أدلة عدالة الصحابة من الكتاب :

قال تعالى : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا(١) » .

وقال عز من قائل : « وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٢) » .

وقال : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ(٣) » .

وقال : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

---

(١) ٢٩ : الفتح

(٢) ١٠٠ : التوبة

(٣) ٧٤ : الأنفال

وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ[1] ».

وقال تعالى: « لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا[2] ».

تلك آيات كريمة تشهد بفضل ومكانة جميع الصحابة الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الدعوة حتى غزوة الحديبية ؛ وهناك آيات أخرى تذكر فضلهم فى كثير من المواقف فى الهجرة والجهاد والغزوات. وإن هذه وتلك أدلة قطعية — كما ذكر شارح مسلم الثبوت وابن حزم — تنص على عدالة الصحابة ، لقد رضى الله عنهم ورضوا عنه ، فهل بعد ذلك نطاب رضاء الناس عنهم وتعديلهم إياهم ، وهل لإنسان بعد ذلك أن يطعن فى صحابة نُصَّ على عدالتهم ولم يبد منهم ما يجرحهم أو يقدح فيهم ، وعجب كل العجب مما يدعى البحث عن الحق والعمل على جمع الكلمة وتوحيد صفوف المسلمين أن يطعن فى الصحابة الكرام ، بل يسف فى ذلك وينحط إلى الحضيض ، حين يتهكم ويسخر من بعضهم ، ويرى أن كثيراً من روايات بعض الصحابة كأبى هريرة التى جاءت فى الصحيحين كذب ، وأن الجمهور أخذوا بها فى فروع

---

(١) الحشر : ٨ — ١٠

(٢) الفتح : ١٨

الدين معتمدين فى ذلك كله على عدالة الصحابة جميعاً ، ويقول هذا الطاعن — وهو عبد الحسين شرف الدين — : (ولا عجب منهم « الجمهور » فى ذلك بعد بنائهم على أصالة العدالة فى الصحابة أجمعين حيث لا دليل على هذا الأصل[١] . . .) .

فهل بعد هذه الآيات مجال للشك فى عدالة الصحابة الذين أسلموا قبل الفتح ؟ إن النصوص تنطق واضحة بذلك لا تحتمل التأويل والظن ، ولكن الهوى المتبع يحمل صاحبه على إنكار الحق ولو كان كالشمس فى رابعة النهار « يُرِيدُونَ أن يُطفِئُوا نورَ اللهِ بأفْوَاهِهِم وَيأبى اللهُ إلا أن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُون[٢] » . وسنرى فى الأحاديث التالية تأكيداً واضحاً لمنزلة الصحابة الرفيعة .

٢ — أدلة عدالة الصحابة من السنة :

فى صحاح السنة أحاديث كثيرة تشهد بفضل الصحابة جملة وآحاداً ، وفى أكثر الكتب كصحيح البخارى والجامع الصحيح لمسلم والسنن الأربعة وغيرها أبواب خاصة فى فضل الصحابة .

من ذلك ما رواه أبو سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تَسُبُّوا أحداً من أصحابى ، فإنّ أحدَكُم لَوْ أنفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذَهَباً ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِم وَلا نَصِيفَهُ[٣] » .

---

(١) أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين : الصفحة الأولى من الكتاب . والكتاب كله طعن وافتراء وتشكيك فى الصحاح والسنة وتضليله فيه صريح . وسأعرض بإيجاز له فى بحثى من أبى هريرة .

(٢) ٣٢ : التوبة

(٣) صحيح مسلم ص ١٩٦٨ جـ ٤ .

ومنها ما رواه عبد الله بن مُغَفَّل وأخرجه الترمذى وابن حبان فى صحيحه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهَ اللهَ فى أصحابى، لا تتخذوهم غَرَضاً بعدى ، فمن أحبهم فبحبى أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن آذى اللهَ يوشك أن يأخذه[1] » .

وعن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النجومُ أَمَنَةٌ للسماء ، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماء ما توعدُ ، وأنا أَمَنَةٌ لأصحابى ، فإذا ذهبتُ أتى أصحابى ما يوعدونَ ، وأصحابى أَمَنَةٌ لأمتى ، فإذا ذهبَ أصحابى أتى أمتى ما يوعدون »[2] .

وقد يقول قائل إن هذه الأدلة تتناول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه قبل الفتح ، وأما من أسلم بعد الفتح فلا دليل على عدالتهم ، فأسوق جواباً له قول الدكتور محمد السماحى : (وأما مسلمة الفتح والأعراب الوافدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء لم يتحملوا من السنة مثل ما تحمل الصحابة الملازمون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تعرض منهم للرواية كحكيم بن حزام ، وعتاب ، وغيرهم عرفوا بالصدق والديانة ، وغاية الأمانة . على أنه ورد ما يجعلهم أفضل ممن سواهم ، من القرون بعدهم ، كقوله صلى الله عليه وسلم « خيرُ القرون قرنى ، ثم الذينَ يلونَهم ثم الذين يلونَهم ثم يفشو الكذب » وهو حديث صحيح مروى فى الصحيحين وغيرهما بألفاظ

(١) الكفاية ص ٤٨ ، وانظر الجامع الصغير ص ٥٤ ج ١ .

(٢) صحيح مسلم ص ١٩٦١ ج ٤ ، وانظر تلقيح فهوم أهل الآثار ص ٣٦ : ب .
وانظر تيسير الوصول إلى جامع الأصول ص ٢٢٦ ـ ٢٦١ ج ٣ حيث أخرج كثيراً عن الإمام مالك والشيخين وأصحاب السنن فى فضل الصحابة .

مختلفة [1] ، والخيرية لاتكون إلا للعدول الذين يلتزمون الدين والعمل به ، وقال تعالى : « كُنتُم خيرَ أمةٍ أُخرِجَتْ للناسِ : تأمُرون بالمعرُوفِ وتَنهَونَ عن المُنكَرِ وَتؤمنونَ بالله » [2].

والخطاب الشفهى لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حضر نزول الوحى ، وهو يشمل جميعهم ، وكذلك قوله تعالى : « وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُم أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونوا شُهَدَاء على النّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهيداً . . . [3] » وسطاً : عدولا . . .

فالإسلام كان فى أول شبابه فتياً وقوياً فى قلوب من أذعنوا له ، واتبعوا هداه ، وتمسكوا بمبادئه ، واصطبغوا بصبغته . فكانت العدالة قوية فى نفوسهم ، شائعة فى آحادهم ، حتى إننا نرى الذين وقعوا منهم فى الكبائر ما لبثوا أن ساقتهم عزائمهم إلى الاعتراف وطلب الحد ، ليطهروا به أنفسهم ، وسارعوا إلى التوبة حيث تاب الله عليهم ، ولا نريد بقولنا الصحابة عدول ، أكثر من أن ظاهرهم العدالة . اهـ [4]) ، لا يبحث عنها ما لم يطعن فيها . ثم إن الجرح لا يدعيه ولا يثبته أى إنسان كيف شاء ومتى شاء ، فللجرح والتعديل رجال جهابذة أتقياء ، يخشون الله لا يتبعون أهواءهم ، فلو سلمنا

---

(١) أقول : انظر تيسير الوصول إلى جامع الأصول ص ٢٢٦ — ٢٢٧ جـ ٣ حيث أخرجه عن الشيخين وعن أبي داود والترمذى والنسائى . ورواه الإمام أحمد باسناد صحيح عن أبى هريرة وفيه (ثم يجيء قوم يحبون السمانة يشهدون قبل أن يستشهدوا) انظر مسند الإمام أحمد ص ٩٠ حديث ٧١٢٣ جـ ١٢ وانظر ص ٢٩ حديث ٢٩٦٣ جـ ٦ .

(٢) ١١٠ : آل عمران .

(٣) ١٤٣ : البقرة .

(٤) المنهج الحديث فى علوم الحديث ص ٦٣ .

جدلا وجوب البحث عن بعض الصحابة إتهم وجهت إليهم ، فإنه لا يقبل هذا الجرح إلا ببيان علته ، ولا يتصدى لهذا الموتورون والمغرضون ، من أهل الأهواء وغيرهم ، بل يتصدى له عدول الأمة من أئمة الصدر الأول ، الذين خالطوا الصحابة ، وعاشوا معهم ، وعرفوا عنهم كل شيء إذ رب فضيلة عند النقاد العدول يراها المغرضون رذيلة ومنقصة ، وليست جميع الذنوب والهفوات مسقطة للعدالة .

وقد نص الفاروق عمر رضى الله عنه على عدالة الصحابة جميعاً إلا من أظهر ما يسقط عدالته فقال : (إن أناساً كانوا يُؤخذون بالوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الوحى قد انقطع ، وإنما آخذكم الآن بما ظهر من أعمالكم ، فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه ، وليس إلينا من سريرته شيء ، الله يحاسبه فى سريرته ، ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه ، وإن قال إن سريرتى حسنة [1] .)

وقد أجمعت الأمة على عدالة الصحابة جميعاً إلا أفراداً معدودين اختلف فى عدالتهم ممن لم يستقيموا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم لا يتجاوزون أصابع اليد الواحدة [2] . فلا يجوز لأحد أن يتعداهم خشية أن يخالف الكتاب والسنة اللذين نصا على عدالتهم ، فبعد تعديل الله تعالى ورسوله لهم ، لا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد ، على أنه لو لم يرد من الله تعالى ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام شيء فى تعديلهم لوجب تعديلهم لما كانوا عليه من

---

(١) الكفاية ص ٧٨ .

(٢) راجع العواصم من القواصم لابن العربى ، فانه يتناول أحوال الصحابة ويفند بعض الأقوال والطعون ويوضح ماقيل فيهم،ويثبت براءتهم . وذكرى الروض الباسم ص ١٢٨ـ١٣٠ بعض من جرح من الصحابة .

فسماهم (مؤمنين) مع الاقتتال . ويقال إنه لم يكن من الصحابة فى الفريقين مائة [1] ، وقد بينت عدالتهم ، مع أنهم اشتركوا مع أحد الفريقين ، واشتراكهم هذا لا يسلبهم العدالة لأنهم مجتهدون فى ذلك .

وأختم الكلام فى عدالة الصحابة جميعاً بقول أبى زرعة الرازى : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق ، وإنما أدى ذلك كله إلينا الصحابة ، وهؤلاء الزنادقة يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، فالجرح بهم أولى [2]) .

٥ — عدد الصحابة :

إن حصر الصحابة رضى الله عنهم بالعد والإحصاء متعذر ، لتفرقهم فى البلدان والبوادى ، ولأنهم كثرة لا يمكن إحصاؤها ، ومن حدهم من العلماء فإنه من باب التقريب . وقد روى البخارى فى صحيحه أن كعب بن مالك قال فى قصة تخلفه عن غزوة تبوك : (وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ [3]) .

ويمكننا أن نحد عددهم بحد قريب من الحقيقة ، مما ورد فى روايات بعض الصحابة والتابعين عن عددهم فى بعض المشاهد .

---

(١) انظر الباعث الحثيث ص ٣٠٦ .

(٢) الكفاية ص ٤٩ .

(٣) فتح المغيث ص ٣٩ ج ٤ . وقارن بنور اليقين ص ٢٤٦ حيث ذكر عددهم (٣٠) ألفا وقارن بتلقيح فهوم أهل الأثر ص ٢٧ : ب .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كانوا بالكديد أفطر ، ثم مضى فى عشرة آلاف من المسلمين حتى نزل مر صرار)[١] . وكان ذلك عام الفتح[٢] .

وحج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع تسعون ألفا من المسلمين[٣] .

سأل رجل أبا زرعة الرازى فقال له : يا أبا زرعة ، أليس يقال حديث النبى صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف حديث ؟ قال : ومن قال ذا ؟ قلقل الله أنيابه . هذا قول الزنادقة ، ومن يحصى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه . قيل : يا أبا زرعة ، هؤلاء أين كانوا وسمعوا منه ؟ قال : أهل المدينة وأهل مكة ومن بينهما ، والأعراب ومن شهد معه حجة الوداع)[٤]

من هذا يتبين أن من روى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من الصحابة كثيرون ، وقد نقلوا عنه خيراً عظيما ، ويختلفون فى مقدار ما حملوا عنه

---

(١) تلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب . والكديد عين جارية بينها وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها . انظر معجم البلدان ص ٢٢٤ ج ٧ . وأما مر صرار ففى الأصل المخطوط (مر الصران) وأظنه خطأ من الناسخ ، فانى لم أجد فى معجم البلدان (الصران) أو (مر الصران) ، وفيه (صرار) وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق . . . وقيل (صرار) ماء قرب المدينة . انظر معجم البلدان ص ٣٤٦ — ٣٤٧ ج ٥ وكلا المعنيين مناسب لهذا المقام .

(٢) انظر صحيح مسلم ص ٧٨٤ — ٧٨٥ ج ٢ .

(٣) انظر نور اليقين ص ٢٥٦ وقارن بتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٧ : ب .

(٤) انظر فتح المغيث ص ٣٩ ج ٤ وتلقيح فهوم أهل الآثار ص ٢٨ : آ .

باختلاف أحوالهم وسماعهم منه صلى الله عليه وسلم .

٦ – علم الصحابي :

لم يكن الصحابة على درجة واحدة من العلم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله وأقواله ، بل كانوا متفاوتين[1] لأن منهم المتفرغ الملازم لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، يخدمه في معظم أوقاته ، كأنس وأبي هريرة رضي الله عنهما ، ومنهم من له ماشيته في البادية ، أو تجارته في الآفاق ، ومنهم البدوي والحضري والمقيم والظاعن ، وقد سبق أن بينت كيف كانوا يتلقون الأحكام والعلم عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، لذلك كان الصحابة عليهم رضوان الله مختلفين في مقدار ما حملوا عنه عليه الصلاة والسلام . وفي ذلك يقول مسروق : (جالست أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالإخاذ ، فالإخاذ يروي الرجل ، والإخاذ يروي الرجلين ، والإخاذ يروي المائة ، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم)[2] .

ويمكننا أن نعرف علم الصحابي كما قال ابن حزم (لأحد وجهين لا ثالث لهما ، أحدهما : كثرة روايته وفتاويه ، والثاني : كثرة استعمال النبي صلى الله عليه وسلم له ، فمن المحال الباطل أن يستعمل النبي صلى الله عليه وسلم من لا علم له ، وهذا أكبر شهادات على العلم وسعته)[3] .

---

(١) انظر رفع الملام عن الأئمة الأعلام لابن تيمية ص ٣ حيث تكلم عن تفاوت الصحابة في الإلمام بالأحكام .

(٢) وتتمة قول مسروق (فوجدت عبد الله بن مسعود من ذلك الإخاذ) طبقات ابن سعد ص ١٠٤ قسم ٢ ج ٢ والإخاذ هو الغدير وجمعها آخاذ نادر . انظر لسان العرب مادة (أخذ) ص ٤ ج ٥ .

(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٣٦ ج ٤ .

وهذا لا يكفى لمعرفة علم الصحابى وروايته ، لأن بعض الصحابة الذين عرفت ملازمتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وسبقهم للاسلام بالتواتر ، كأبى بكر وعمر الاذين حملا علما كثيراً عنه عليه الصلاة والسلام ، لم يظهر علمهم كله لنا ، وبخاصة أبو بكر ، لأنه لم يعش كثيراً بعد رسول الله ليحتاج إليه كما احتيج إلى غيره ، فامتداد عمر الصحابى إلى جانب الوجهين السابقين اللذين ذكرهما ابن حزم يكشف لنا عن علمه ومروياته ، كما أن ظهور أمور جديدة فى الحياة مع سير الزمن يكشف عن علم الصحابة ، لأنه يحتاج إلى ماعندهم تجاه تلك الأمور المستجدة ، وفى هذا يقول ابن حزم : (ثم وجدنا الأمر كلما طال كثرت الحاجة إلى الصحابة فيما عندهم من العلم ، فوجدنا حديث عائشة رضى الله عنها ألفى مسند ومائتى مسند وعشرة مسانيد وحديث أبى هريرة ...)[1] .

ونحن فى بحثنا هذا يهمنا الصحابة الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملوا لنا الشريعة الحنيفية ، ونقلوا إلى من بعدهم أفعال الرسول عليه الصلاة والسلام وتصرفاته دقيقها وعظيمها ، فى سفره وحضره ، وظعنه وإقامته ، وسائر أحواله من نوم ويقظة ، وإشارة وتصريح وصمت ونطق إلى غير ذلك .

وقد ألف فى الصحابة كتب كثيرة تناولت أحوالهم وعلمهم ، وأوجز الآن فى عدد من روى عنه عليه الصلاة والسلام من الصحابة وعدد مروياتهم ، فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم سبعة من الصحابة ، لكل منهم أكثر من ألف حديث ، وأحد عشر صحابياً ، لكل واحد منهم أكثر من مائتى حديث ، وواحد وعشرون صحابياً ، لكل واحد أكثر من مائة حديث ، وأما أصحاب العشرات فكثيرون ، يقربون من المائة ، وأما من له عشرة أحاديث أو أقل

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ص ١٣٨ ج ٤ .

من ذلك فهم فوق المائة . وهناك نحو ثلاثمائة صحابي روى كل واحد منهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً .[١]

بهذا العرض السريع يمكننا أن نتصور اختلاف تحمل الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ونحن الآن نكتفي بذكر بعضهم ممن اشتهروا بالحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، وهم عندنا في منزلة شريفة ومقام كريم ، لا نفضل أحداً عن الآخر عصبية أو هوى ، بل لكل صحابي فضله ومنزلته ، بما له من سبق في الإسلام ، وبذل في سبيل الله ، وكلهم خير ، نالوا شرف الصحبة ، فكانوا أمناء مخلصين للشريعة الغراء التي نقلوها إلى التابعين ، ثم نقلها هؤلاء إلى من بعدهم ، ثم نقلت جيلا عن جيل حتى وصلتنا كاملة غير منقوصة بفضل الله وحسن رعايته .

٧ – المكثرون من الصحابة :

بعد هذا نترجم لأشهر من روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصحابة ، متوخين في هذا ناحية الحديث التي تتعلق ببحثنا مع لمحة موجزة عن حياة الصحابي ، إلا أننا مضطرون أحياناً إلى التفصيل في حياة الراوي العامة والخاصة ، سواء أكانت حياته الاجتماعية أم العلمية وذلك لبيان شخصيته

---

(١) جمع بقي بن مخلد في مسنده الدقيق مرويات الصحابة وذكر عدد مسانيدهم إلا أنه لم يصلنا هذا المسند بل وصلتنا أخباره وبعض مافيه وما ذكرته من عدد مرويات الصحابة ذكره أبو البقاء الأحمدي نقلا عن مسند الإمام ابن مخلد . انظر البارع الفصيح في شرح الجامع الصحيح ص ٩ : ب – ١٣ : ب .

وعدالته واستقامته من خلال البحث ، ولولا ضيق المقام لتعرضت لترجمة جميع رجال الحديث فى ذلك العصر ، لنكون على علم صحيح بتلك الشخصيات الفذة ، التى خدمت السنة المطهرة ، وحفظتها من عبث المفسدين . وسأكتفى بذكر أشهر مشاهير من روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم المكثرون عنه ، راجياً من المولى الكريم أن أوفق فيما بعد إلى الكشف عن بقيتهم ، وإظهار منزلتهم وفضلهم بما يستحقون من عناية . وبالله التوفيق .

* * *

أَبُو هُرَيْرَةَ

(١٩ ق هـ - ٥٩ هـ)

١ - التعريف به :

أبو هريرة هو عبد الرحمن بن صخر[1] الدوسي اليماني ، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن . واشتهر أبو هريرة بكنيته ، حتى غلبت على اسمه فكاد ينسى . وسئل أبو هريرة : لم كنيت بذلك ؟ قال كنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي ، فقيل لي : أبو هريرة . وكان يرعى غنم أهله في صغره ، ويداعب هرته . وكان يقول : لا تكنوني أبا هريرة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كناني أبا هر ، والذكر خير من الأنثى[2] .

كان أبو هريرة رجلا آدم[3] ، بعيد ما بين المنكبين ، ذا ضفيرتين ، أفرق الثنيتين ، يخضب شيبه بالحمرة[4] . وكان أبيض لينا ، لحيته حمراء ،

---

(١) انظر تاريخ الإسلام ٣٣٣ ج ٢ . وقد اختلف في اسمه واسم أبيه وفي ذلك أقوال . انظر طبقات ابن سعد ص ٥٢ قسم ٢ ج ٤ والإصابة ص ١٩٩ - ٢٠١ ج ٧ ، وتهذيب التهذيب ص ٦٣ ج ١٢ .

(٢) انظر الإصابة ص ٢٠٢ ج ٧ وسير أعلام النبلاء ص ٤٢٤ ج ٢ . وانظر مسند الإمام أحمد ص ٨٣ ج ١٢ .

(٣) الآدم من الناس الأسمر . انظر لسان العرب (أدم) ص ٢٧٦ ج ١٤ ووصفه بهذا لا يتعارض مع وصفه بعد قليل بالبياض ، فقد تكون سمرة وجهه من شمس الصحراء وريحها ، والأصل في لون بشرته البياض .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٣ و ٣٣٤ ج ٢ وسير أعلام النبلاء ص ٤٢٣ ج ٢ .

ورآه خباب بن عروة وعليه عمامة سوداء[1] ، وعندما صلح حاله ارتدى الخز[2] .

٢ – إسلامه :

هاجر أبو هريرة من اليمن إلى المدينة ليالى فتح خيبر ، وكان ذلك سنة سبع من الهجرة . وكان قد أسلم على يد الطفيل بن عمرو فى اليمن ، ووصل المدينة وصلى الصبح خلف سباع بن عرفطة الذى كان قد استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أثناء غزوة خيبر[3] . وقد لازم أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر حياته ، وقصر نفسه على خدمته ، وتلقى العلم الشريف منه ، فكان يدور معه ، ويدخل بيته ، ويصاحبه فى حجه وغزوه ، ويرافقه فى حله وترحاله ، فى ليله ونهاره ، حتى حمل عنه العلم الغزير الطيب . فكانت صحبته أربع سنوات ، وقد اتخذ الصُّفَّةَ مقاماً له ، وخدم الرسول صلى الله عليه وسلم على ملء بطنه ، وجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم عريف أهل الصفة ، فقد كان أعرف الناس بهم وبمراتبهم[4] .

وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً شديداً ، فى يوم رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الدرة ليضربه بها ، فقال أبو هريرة : (لأن يكون ضربنى بها أحب إلى من حمر النعم[5] .)

(١و٢) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٥٠ ج ٢ .
(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٢٥ ج ٢ .
(٤) انظر حلية الأولياء ص ٣٧٦ ج ١ .
(٥) البداية والنهاية ص ١٠٥ ج ٨ .

فيطعمنى[1]) ثم يقول : (وكنت فى سبعين رجلا من أهل الصفة ، ما منهم رجل عليه رداء ، إما بردة ، أو كساء قد ربطوها فى أعناقهم)[2] .

وقال إمام التابعين سعيد بن المسيب (١٥ — ٩٤ هـ) : (رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق ، ثم يأتى أهله فيقول : هل عندكم من شىء ؟ فإن قالوا : لا . قال : فإنى صائم)[3] ، وكان قنوعا راضياً بنعم الله ، فإذا ما أصبح لديه خمس عشرة تمرة أفطر على خمس ، وتسحر بخمس ، وأبقى خمسا لفطره[4] . وكان كثير الشكر لله ، كثير الحمد والتكبير والتسبيح على ما آتاه الله من فضل وخير[5] .

٤ — كرمه :

كان أبو هريرة عفيف النفس مع فقره ، فياض اليد ، مبسوط الكف ، جواداً ، يحب الخير ، ويكرم ضيوفه ، لا يبخل بما فى يديه ، وإن كان قليلا ، فلم يحمله فقره على الشح ، ولم يحمله دنىء النفس ، يتكفف الناس . . . بل آثر أن يأكل الجوع بطنه على أن يأكل هو فتات الموائد ، وفضلات الطعام .

وكان فى عسره كله ضيف الإسلام وضيف رسول الله وصحبه ، حتى إذا

---

(١) حلية الأولياء ص ٣٧٩ و ٣٧٦ ج ١ .

(٢) حلية الأولياء ص ٣٧٧ ج ١ ، وانظر شيئا من أخباره فى : طبقات ابن سعد ص ٥٣ و ٥٥ قسم ٢ ج ٤ وسير أعلام النبلاء ص ٤٢٧ ج ٢ وحلية الأولياء ص ٣٧٨ ج ١ ، والبداية والنهاية ص ١١١ ج ٨ .

(٣) حلية الأولياء ص ٣٨١ ج ١

(٤) انظر المرجع السابق ص ٣٨٤ ج ١ ، والبداية والنهاية ص ١١٢ ج ٨ .

(٥) انظر بعض أخباره فى هذا الصدد فى : سير أعلام النبلاء ص ٤٣٩ و ٤٤٠ ج ٢ وفى طبقات ابن سعد ص ٥٣ قسم ٢ ج ٤ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٥ ج ٢ ، والإصابة ص ٢٠٦ ج ٧ .

مايسر الله عليه لم يجعله غناه قاسي القلب متحجر الفؤاد ، بل كان علماً من أعلام الجود والكرم قال الطفاوى : نزلت على أبي هريرة بالمدينة ستة أشهر ، فلم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا أشد تشميرا ، ولا أقوم على ضيف من أبي هريرة [1] .

٥ — ولايته على البحرين :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل أبا هريرة مع العلاء الحضرمي إلى البحرين ، لينشر الإسلام ، ويفقه المسلمين ، ويعلمهم أمور دينهم ، فحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتى الناس .

وفي عهد عمر رضي الله عنه استعمله على البحرين فقدم بعشرة آلاف ، فقال له عمر : استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله ، وعدو كتابه ؟

فقال أبو هريرة : فقلت : لست بعد والله وعد وكتابه ، ولكني عدو من عاداها قال : فمن أين هي لك ؟ قلت : خيل نتجت ، وغلة رقيق لي ، وأعطية تتابعت على . فنظروا فوجدوا كما قال [2] .

وفي رواية عن أبي هريرة : خيل لي تناتجت ، وسهام لي اجتمعت ، فأخذ

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٢٨ ج ٢ وتاريخ الاسلام ص ٣٣٦ ج ٢ وانظر طائفة من أخبار كرمه في تاريخ الإسلام ص ٣٣٧ ج ٢ وحلية الأولياء ص ٣٨٣ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٢٣ و ٤٣٨ و ٤٤٢ ج ٢ وطبقات ابن سعد ٦٣ قسم ٢ ج ٤ والبداية والنهاية ص ١٠٤ و ١١٤ ج ٨ .

(٢) انظر تاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢ والبداية والنهاية ص ١١١ و ١١٣ ج ٨ وعيون الأخبار ص ٥٣ ج ١ وحلية الأولياء ص ٣٨٠ ج ١ .

منى إثنى عشر ألفا[١] ، وفى رواية أن عمر قال لأبى هريرة : كيف وجدت الإمارة ؟ قال : بعثتنى وأنا كاره ، ونزعتنى وقد أحببتها ، وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين ، قال : أظلمتَ أحداً ؟ قال لا . قال : فما جئت به لنفسك ؟ قال : عشرين ألفا ، قال : من أين أصبتها ؟ قال كنت أتجر ، قال : فانظر رأس مالك ورزقك ، فخذه واجعل الآخر فى بيت المال[٢] .

فقد قاسمه عمر رضى الله عنه مع جملة من قاسمهم من العمال ، وكان أبو هريرة يقول : اللهم اغفر لأمير المؤمنين[٣] .

وبعد ذلك دعاه عمر ليوليه ، فأبى ، فقال : (تكره العمل وقد طلب العمل من كان خيرا منك ، يوسف عليه السلام !! فقال : يوسف نبي ابن نبي ، وأنا أبو هريرة ابن أميمة وأخشى (من عملكم) ثلاثا واثنتين ، قال : فهلا قلت خمسا ؟ قال : لا . أخاف أن أقول بغير علم ، وأقضى بغير حلم ، وأن يضرب ظهرى ، وينزع مالى ، ويشتم عرضى .)[٤]

٦ ــ اعتزاله الفتن :

كان أبو هريرة يوم حصار عثمان رضى الله عنه عنده فى الدار مع بعض

---

(١) طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ .

(٢) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ قسم ٢ ج ٤ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٧ ج ١٢ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ قسم ٢ ج ٤ .

(٤) سير أعلام النبلاء ص ٤٤١ ج ٢ ، وما بين القوسين زيادة من طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ ولقد كانت ولاية أبى هريرة على البحرين بين سنة (٢١ ــ ٢٣ هـ) بعد وفاة العلاء الحضرمى .

الصحابة وأبنائهم ، الذين جاؤوا ليدفعوا الثوار عنه ، وقد حفظ ولد عثمان له يده ، واحترموه حتى إنه لما مات أبو هريرة كانوا يحملون سريره حتى بلغوا البقيع[1] .

واعتزل أبو هريرة الفتن التي قامت بعد استشهاد عثمان رضي الله عنه ، ولم يثبت أنه اشترك فيها ، وربما كان يحث الناس على اعتزالها، ويروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « ستكونُ فتنٌ ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي ، والماشي فيها خيرٌ من الساعي ، وَمَن يُشرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ وَمنْ وَجدَ ملجأً أو مَعاذاً فَلْيعُذْ به[2] » .

وكان معاوية — أيام خلافته — يستعمله على المدينة ، فإذا غضب عليه ، بعث مروان وعزله[3] . وقد استخلفه مروان على المدينة حين توجه إلى الحج .

٧ — مزحه ومزاحه :

كان أبو هريرة حسن المعشر ، طيب النفس ، صافي السريرة ، ربما كان الفقر والصبر عليه هما اللذان جعلا منه الإنسان المرح ، ومع هذا كان يعطي كل شيء حقه . نظر إلى الدنيا بعين الراحل عنها ، فلم تدفعه الإمارة إلى الكبرياء ، بل أظهرت تواضعه وحسن خلقه ، فربما استخلفه مروان على المدينة ،

---

(١) انظر البداية والنهاية ص ١٨١ ج ٧ والإصابة ص ٢٢٣ ج ٤ والكامل في التاريخ ص ٨٨ ج ٣ وانظر تاريخ الطبري ص ٣٨٩ ج ٣ ثم انظر طبقات ابن سعد ص ٦٣ قسم ٢ ج ٤ ، وتهذيب التهذيب ص٢٦٦ ج ١٢ .

(٢) فتح الباري ص ٤٢٦ ج ٧ ومسند الإمام أحمد ص ٢٠٨ ج ١٤ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤١ ج ٢ .

(فيركب حماراً ، قد شد عليه بَرْذعة ، وفى رأسه خلبة من ليف ، يسير فيلقى الرجل ، فيقول : الطريق قد جاء الأمير [(١)]) .

ويمر أبو هريرة فى السوق ، يحمل الحطب على ظهره — وهو يومئذ أمير لمروان — فيقول لثعلبة بن أبى مالك القرظى : أوسع الطريق للأمير يابن مالك ، فيقول : يرحمك الله يكفى هذا !! فيقول أبو هريرة : أوسع الطريق للأمير والحزمة عليه !! [(٢)]

وكان يحب ادخال السرور إلى نفوس الأطفال ، فقد يراهم يلعبون بالليل لعبة الغراب ، فيتسلل بينهم ، وهم لايشعرون ، حتى يلقى بنفسه بينهم ، ويضرب برجليه (الأرض) كأنه مجنون ، يريد بذلك أن يضحكهم ، فيفزع الصبيان منه ، ويفرون ههنا وههنا يتضاحكون [(٣)] .

ويقول أبو رافع : وربما دعانى أبو هريرة إلى عشائه بالليل ، فيقول : دع العُراق للأمير قال : فأنظر فاذا هو ثريد بالزيت [(٤)] !!

٨ — وفاته :

اختلف فى وفاة أبى هريرة على أقوال :

قال هشام بن عروة : أبو هريرة وعائشة ماتا سنة سبع وخمسين ،

---

(١) طبقات ابن سعد ص ٦٠ — ٦٢ قسم ٢ ج ٤ والخلبة : الحلقة .

(٢) حلية الأولياء ص ٣٨٥ ج ١ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٤ و ٣٣٩ ج ٢ والبداية والنهاية ص ١١٣ و ١١٤ ج ٨ .

(٣) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ — ٦١ قسم ٢ ج ٤ ، والبداية والنهاية ص ١١٣ ج ٨ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢ .

(٤) انظر البداية والنهاية ص ١١٤ ج ٨ وطبقات ابن سعد ص ٦١ قسم ٢ ج ٤ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٨ والعراق : العظم الذى نزع عنه اللحم وبقى عليه قليل منه .

وهو رأى المدائني ، وعلى ابن المديني[١] .

وقال أبو معشر : توفى سنة ثمان وخمسين[٢] .

وقال الواقدي وأبو عبيد : مات سنة تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، وقد صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين ، وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، ثم توفى فيها بعد ذلك[٣] .

قال ابن حجر بعد أن ذكر رواية الواقدي - وفيها أنه توفى سنة (٥٩) - : (هذا من أغلاط الواقدي الصريحة ، فإن أم سلمة بقيت إلى سنة إحدى وستين ، ثبت في صحيح مسلم ما يدل على ذلك . والظاهر أن التي صلى عليها ثم مات معها في السنة هي عائشة ، كما قال هشام بن عروة : إنهما ماتا في سنة واحدة[٤] .)

أقول : إن خطأ الواقدي في وفاة أم سلمة ، لا يستلزم خطأه في وفاة أبي هريرة . وقال ابن كثير : والصواب أن أم سلمة تأخرت بعد أبي هريرة ، وقال غير واحد إنه توفى سنة تسع وخمسين[٥] .

وحضر جنازته من الصحابة عبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدري ، وشهدها أيضاً مروان بن الحكم ، وكان ابن عمر يسير أمامها ويكثر الترحم عليه[٦] . وحمل ولد عثمان سريره حتى بلغوا البقيع ، حفظاً بما كان من رأيه في عثمان .[٧]

(١ و ٢ و ٣) انظر البداية والنهاية ص ١١٤ ج ٨ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٩ ج ٢ وطبقات ابن سعد ص ٦٤ قسم ٢ ج ٤ وسير أعلام النبلاء ص ٤٤٩ ج ٢ .

(٤) تهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ والإصابة ص ٢٠٧ ج ٧ .

(٥) البداية والنهاية ص ١١٤ ج ٨ .

(٦) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٣ قسم ٢ ج ٤ .

(٧) انظر المرجع السابق ص ٦٣ قسم ٢ ج ٤ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ .

٩ — حياته العلمية :

صحب أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنوات ، وسمع منه كثيراً ، وشاهد دقائق السنة ، ووعى تطبيق الشريعة ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلته ، فأرسله مع العلاء الحضرمى إلى البحرين ، فكان مؤذناً وإماماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يتأخر فى إجابته عما يسأل لما عرف من حرصه على طلب العلم . قال أبو هريرة ذات يوم — : (يارسولَ اللهِ ، من أسعدُ الناسِ بشفاعتِك يومَ القيامةِ ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ ألا يسألَنى عن هذا الحديثِ أحدٌ أولَ منكَ ، لِما رأيتُ من حرصِكَ على الحديثِ ، أسعدُ الناسِ بشفاعتى يومَ القيامة من قالَ : لا إله إلاّ اللهُ خالصاً من قلبه أو نفسه »[1]) .

وكان همه طلب العلم ، وأمله التفقه فى الدين ، فقد جاء رجل إلى زيد بن ثابت فسأله عن شىء ، فقال له زيد : (عليك أبا هريرة ، فإنى بينما أنا وأبو هريرة وفلان فى المسجد ذات يوم ندعوا الله تعالى ونذكره إذ خرج علينا النبى صلى الله عليه وسلم حتى جلس إلينا ، فسكتنا ، فقال : « عودوا إلى الذى كُنتم فيه » قال زيد : فدعوت أنا وصاحبى قبل أبى هريرة ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن — (يقول آمين) — على دعائنا ، ثم دعا أبو هريرة ، فقال : اللهم إنى أسألك ماسألك صاحباى ، وأسألك علما لا ينسى ، فقال صلى الله عليه وسلم :

---

(١) فتح البارى ص ٢٠٣ ج ١ ، وأوله فيه قال أبو هريرة : قيل يارسول ، ونحوه فى مسند الإمام أحمد ص ٢٠٢ حديث ٨٠٥٦ ج ١٥ وطبقات ابن سعد ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ وص ٥٦ قسم ٢ ج ٤ .

آمين . فقلنا : يارسول الله ، ونحن نسأل الله علما لاينسى ، فقال : « سبقكم بها الغلامُ الدوسى[١] »).

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا تسألنى من هذه الغنائم التى يسألنى أصحابُك ؟ » قلت : أسألك أن تعلمنى مما علمك الله ، فنزع نمرة كانت على ظهرى ، فبسطها بينى وبينه ، حتى كأنى أنظر إلى القمل يدب عليها ، فحدثنى حتى استوعبت حديثه ، قال : « اجمعها فصرها إليك » فأصبحت لا أسقط حرفا مما حدثنى[٢] .

هذه الأخبار — وغيرها كثير — تثبت حرص أبى هريرة الشديد على طلب العلم ، ودعاء الرسول له بتحقيق ما أراد .

وقد عرف الصحابة منزلته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يحدث فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويفتى الناس بحضرة علماء الصحابة ، وكبارهم وكان بعضهم كزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس يحيلون السائلين عليه ، فعن معاوية بن أبى عياش الأنصارى : أنه كان جالسا مع ابن الزبير ، فجاء محمد بن إياس بن بكير ، فسأل عن رجل طلق ثلاثا قبل الدخول ، فبعثه إلى أبى هريرة وابن عباس — وكانا عند عائشة — فذهب فسألهما ، فقال ابن عباس لأبى هريرة : أفته يا أبا هريرة ، قد جاءتك معضلة ، فقال : الواحدة تبينها ، والثلاث تحرمها[٣] . لعل أبا هريرة أفتى بهذا بعد أن

---

(١) تهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ وفيه سألاك صاحبي والتصحيح من فتح البارى ص ٢٢٦ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ .

(٢) حلية الأولياء ص ٣٨١ ج ١ وتذكرة الحفاظ ص ٣٣ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٢٩ ج ٢ والنمرة : شملة فيها خطوط بيض وسود . والحديث صحيح أخرجه البخارى . انظر فتح البارى ص ٢٢٥ ج ١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ .

أجرى عمر رضى الله عنه إيقاع الثلاث زجراً للناس ، أو أن السائل كان قد طلقه ثلاثاً فى مجالس متفرقة .

ويصف لنا محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم مجلساً لأبى هريرة ، فيقول : إنه قعد فى مجلس فيه أبو هريرة ، وفيه مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا ، فجعل أبو هريرة يحدثهم عن النبى صلى الله عليه وسلم بالحديث ، فلا يعرفه بعضهم ، ثم يتراجعون فيه فيعرفه بعضهم ، ثم يحدثهم بالحديث ، فلا يعرفه بعضهم ، ثم يعرفه ، حتى فعل ذلك مرارا ، قال : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] .

وكان الناس يتواعدون لينطلقوا إليه فيسمعوا حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ذلك ما روى عن مكحول ، قال : (تواعد الناس ليلة من الليالى إلى قبة من قباب معاوية ، فاجتمعوا فيها ، فقام أبو هريرة ، فحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى أصبح) [٢] .

وعن محمد بن سيرين أن أبا هريرة كان يقوم كل خميس فيحدثهم [٣] .

وكان أبو هريرة أمينا فى حديثه عن الرسول الكريم ، وإذا قال فى شىء برأيه قال : (هذه من كيسى) [٤] وقد ثبت هذا بأدلة كثيرة ، وأخبار عدة . منها : مارواه بكير بن الأشج ، قال : قال لنا بشر بن سعيد : (اتقوا الله وتحفظوا من

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤٤ جـ ٢ وقد أخرجه البخارى فى تاريخه والبيهقى فى المدخل انظر فتح البارى ص ٢٢٥ جـ ١ .

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ جـ ٢ وانظر البداية والنهاية ص ١٠٦ جـ ٨ . والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١١٤ : آ .

(٣) انظر الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١١٣ : ب .

(٤) إعلام الموقعين ص ٦٤ جـ ١ .

الحديث ، فو الله لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة ، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحدثنا عن كعب الأحبار ثم يقوم ، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب ، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . . فاتقوا الله وتحفظوا فى الحديث)[١] .

وقد روى كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول : (ما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب)[٢] .

وقد استكثر بعض الصحابة حديث أبى هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم حين كانت سياستهم الاقلال من الرواية ، كيلا ينصرف الناس عن القرآن . وخوفاً من أن يشتغلوا بغيره . فقال لهم أبوهريرة : (انكم لتقولون : أكثر أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، والله الموعد ، وتقولون : ماللمهاجرين لايحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأحاديث ، وإن أصحابى من المهاجرين كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها ، وإنى كنت أمرأ مسكيناً (ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى[٣]) وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا ، وأحفظ إذا نسوا)[٤] ثم ذكر قصة النمرة ، ودعاء الرسول له ، ثم قال : (فو الله ما كنت نسيت شيئاً سمعته منه[٥]) .

---

(١) البداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ ونحوه فى سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ .

(٢) فتح البارى ص ٢١٧ ج١ ومسند الإمام أحمد ص١١٩ حديث ٧٣٨٣ ج١٣ رواه الامام أحمد فى مسند عبد الله بن عمرو كثيراً انظر رقم : ٦٥١٠ و ٦٨٠٢ و ٦٩٣٠ و ٧٠١٨ .

(٣) هذه العبارة من رواية الزهرى فى مسند الإمام أحمد ص ٢٦٨ حديث ٧٢٧٣ ج ١٢ لم يذكرها ابن سعد .

(٤ و ٥) طبقات ابن سعد ص ٥٦ قسم ٢ ج ٤ و ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ وانظر فتح البارى ص ٢٢٤ ج ١ ومسند الإمام أحمد ص ٢٧٠ ج ١٢ وحلية الأولياء ص ٣٧٨ ج ١ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٤ ج ٢ .

وكان يقول : وايمُ اللهِ لولا آيةٌ فى كتابِ الله ما حدثتكم بشيء أبداً ، ثم يتلو : « إنَّ الَّذينَ يَكتمونَ ما أنزلْنا من البيّناتِ والهُدى من بعدِ ما بيّنّاهُ للناسِ فى الكتابِ أولئكَ يَلعنُهُمُ اللهُ ويَلعنُهُمُ اللاّعِنونَ[1] » .

وروى الوليد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : (مَنْ صلى على جنازة فله قيراط ، ومن صلى عليها وتبعها فله قيراطان فقال عبد الله بن عمر : انظر ماتحدث ، فإنك تكثر من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذه بيده ، فذهب به إلى عائشة ، فسألها عن ذلك فقالت : صدق أبو هريرة ! ! ثم قال يا أبا عبد الرحمن ، إنه والله ما كان يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفق فى الأسواق ، إنما كان يهمني كلمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنيها ، أو لقمة يطعمنيها)[2] ، وفى رواية : إنه لم يكن يشغلني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس بالوادى ، وصفق بالأسواق[3] . فقال ابن عمر : (أنت أعلمنا — يا أبا هريرة — برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحفظنا لحديثه)[4] .

وقد شهد له إخوانه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بكثرة سماعه ، وأخذه عن رسول الله ، وهذه الشهادات تدفع كل ريب أو ظن حول كثرة حديثه ، حتى إن بعض الصحابة رووا عنه لأنه سمع من النبي الكريم صلى الله

---

(١) مسند الامام أحمد ص ١٢٣ حديث ٧٦٩١ ج ١٤ وانظر فتح البارى ص ٢٤٤ ج ١ ، والآية المذكورة هي الآية (١٥٩) من سورة البقرة .

(٢) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ ، ونحوه بإسناد صحيح فى مسند الإمام أحمد ص ١٧٥ حديث ٧١٨٨ ج ١٢ .

(٣ و ٤) البداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ وطبقات ابن سعد ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ وقال الترمذى فى قول ابن عمر (حسن) انظر فتح البارى ص ٢٢٥ ج ١ .

عليه وسلم ، ولم يسمعوا ، من هـذا أن رجلا جاء إلى طلحة[١] بن عبيد الله ، فقال : (يا أبا محمد ، أرأيت هذا اليمانى — يعنى أبا هريرة — أهو أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم نسمع منه أشياء لا نسمعها منـكم ، أم هو يقول عن رسول الله ما لم يقل ؟ قال : أما أن يكون سمع ما لم نسمع فلا أشك ، سأحدثك عن ذلك : إنا كنا أهل بيوتات وغنم وعمل ، كنا نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار وكان مسكيناً ضيفاً على باب رسول الله ، يده مع يده ، فلا نشك أنه سمع ما لم نسمع ولا نجد أحداً فيه خير يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل[١]) .

وروى أشعث بن سليم عن أبيه قال : (سمعت أبا أيوب « الأنصارى » يحدث عن أبى هريرة ، فقيل له : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحدث عن أبى هريرة ؟ فقال : إن أبا هريرة : قد سمع ما لم نسمع ، وإنى أن أحدث عنه أحب إلى من أن أحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — يعنى ما لم أسمعه منه[٢]) .

وكان جريئاً ، يسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره[٣] كما كان يسأل الصحابة الذين سبقوه إلى الإسلام . وكان كثير العلم واسع المعرفة ، يحدث إخوانه وطلابه ، وقد يقول لهم : رب كيس عند أبى هريرة لم يفتحه — يعنى من العلم[٤] . وكان يقول : (حفظت من رسول الله صلى الله عليه

---

(١) فى سير أعلام النبلاء (طليحة) والصواب طلحه كما فى فتح البارى ص ٢٥٥ ج ١ .

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ والبداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ .

(٢) البداية والنهاية ص ١٠٩ ج ٨ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٥١ ج ٢ .

(٤) انظر المرجع السابق ص ٤٣٠ ج ٢ رواه محمد بن راشد عن مكحول .

وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم[1]) .

فكان أبو هريرة حريصاً على أن يحدث الناس بما تدركه عقولهم ، وحريصا على ألا يحدثهم إلا بما ينتفعون به ، لذلك أبى أن يحدثهم بكل مايعلم .

---

(١) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ و ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ . وانظر فتح البارى ص ٢٢٧ ج ١ وحلية الأولياء ص ٣٨١ ج ١ والبداية والنهاية ١٠٥ ج ٨ وتذكرة الحفاظ ص ٣٤ ج ١ . لقد بث أبو هريرة بين الناس وعاء مما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبث الوعاء الآخر ، خوفا من أن يكذبه الناس فقد قال فى رواية « لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرمانى الناس بالحرق،وقالوا : أبو هريرة مجنون» .وفى رواية قال : «لرميتمونى بالبعر» . قال الحسن ـ راوى الخبر ـ صدق والله لو أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ما صدقه الناس . طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ و ص ١١٩ قسم ٢ ج ٢ .

لقد خاف أن يكذبه الناس ، وخاف أن يقضى على حياته ولا بد للمرء أن يتساءل : ما هو ذلك الوعاء المملوء علما الذى لم يبثه أبو هريرة ؟ وهل خصه رسول الله صلى الله عليه وسلم دون الأمة بذلك .

نفهم من حديث أبى هريرة أن الرسول حمله نوعين من العلم ، كل نوع لو كتبه إنسان لكان جرابا كبيرا ، أحدهما بثه ، والثانى لم يبثه ، أما أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختص أبا هريرة بشىء من الأحكام فغير معقول ، لأنه ينافى تبليغ الرسالة ، وهل ما اختصه به من الآداب ؟ إن هذا بعيد جدا لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما جاء ليتمم مكارم الأخلاق ، ومنعه ذلك عن الأمة ينافى تبليغ الرسالة ، فليس من المتصور أن يلقن الرسول الكريم بعض ما يتعلق بالأخلاق والآداب أبا هريرة ، ويترك الأمة من غير أن يفيدها بشىء من هذا !! من هنا يتأكد أن الوعاء الثانى لم يكن فيه ما يتعلق بالأحكام ولا بالآداب والأخلاق ، ويرجح أن يكون بعض ما يتعلق بأشراط الساعة أو بعض ما يقع للأمة من فتن ، ومن يلونها من أمراء السوء ، ويقوى هذا عندى أن أبا هريرة كان يكنى عن بعض ذلك ، ولا يصرح به خوفا على نفسه ممن يسوءه ما يقوله ، كقوله (أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان) وقوله (ويل للعرب من شر قد اقترب) انظر فتح البارى ص ٢٢٧ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ ،وليس هذا الحديث ذريعة لمن يجعل للدين ظاهراً وباطناً حتى ينتهى به إلى التحلل من الدين ، فأبو هريرة كان يحب أن يحدث الناس بما يعرفون حتى لا يكذب الله ورسوله إذا أخبرهم بما لا تتصوره عقولهم ، وقد ذكر ابن تيمية بعض تنبوءات الرسول صلى الله عليه وسلم التى أخبر عنها ووقعت فيما بعد فى كتابه (الرد على المنطقيين ص ٤٤٥) .

١٠ — حفظ أبي هريرة :

كان أبو هريرة حافظا متقنا ، ضابطا لما يروى ، دقيقاً فى أخباره ، فقد اجتمعت فيه صفتان عظيمتان تتمم إحداها الأخرى ، الأولى سعة علمه وكثرة مروياته ، والثانية قوة ذاكرته وحسن ضبطه ، وهذا غاية ما يتمناه أولو العلم . وسبق أن ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له بعلم لا ينسى .

وإلى جانب هذا ، نشاط أبي هريرة وحرصه على طلب العلم ، وفى ذلك يقول : (صحبت النبي ثلاث سنين ما كنت سنوات قط أعقل منى ، ولا أحب إلىّ أن أعى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن)(١) .

وكان يذاكر ما يسمعه من الرسول الكريم ، فيقضى شطرا من ليله فى هذا ، قال أبو هريرة : جزأت الليل ثلاثة أجزاء ، ثلثا أصلى ، وثلثا أنام وثلثا أذكر فيه حديث رسول الله صلى عليه وسلم(٢) .

ويذكر لنا أبو الزعيزعة كاتب مروان مايثبت اتقانه وحفظه فيقول : دعا مروان أبا هريرة فجعل يسأله ، واجلسنى خلف السرير ، وجعلت أكتب عنه ، حتى إذا كان رأس الحول ، دعا به ، فأقعده من وراء الحجاب ، فجعل يسأله عن ذلك الكتاب ، فما زاد ولا نقص ، ولا قدم ولا أخر(٣) . وقد شهد له بذلك الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم(٤) .

---

(١) طبقات ابن سعد ص ٥٤ قسم ٢ جـ ٤ رواه قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة .
(٢) انظر سنن الدارمى ص ٨٢ جـ ١ ، والجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع ص ١٨٠ : ب — ١٨١ : آ .
(٣) البداية والنهاية ص ١٠٦ جـ ٨ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣١ جـ ٢ وقد جمعت بين الروايتين .
(٤) بعد قليل أذكر هذا تحت عنوان الثناء على أبي هريرة .

١١ — أبو هريرة والفتوى :

لم يكن أبو هريرة راوية للحديث فقط، بل كان من رؤوس العلم فى زمانه ، فى القرآن والسنة والاجتهاد ، فإن صحبته وملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتاحت له أن يتفقه فى الدين ، ويشاهد السنة العملية ، عظيمها ودقيقها فتكونت عنده حصيلة كثيرة من الحديث الشريف ، كما اطلع على حلول أكثر المسائل الشرعية ، التى كانت تعرض للمسلمين فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .

كل ذلك هيأ أبا هريرة لأن يفتى المسلمين فى دينهم نيفاً وعشرين سنة ، والصحابة كثيرون آنذاك يقول زياد بن مينا : (كان ابن عباس ، وابن عمر ، وأبو سعيد ، وأبو هريرة ، وجابر ، مع أشباه لهم — يفتون بالمدينة ، ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من لدن توفى عثمان إلى أن توفوا . قال : هؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى .[1]) .

وولى البحرين لعمر ، وأفتى الناس فيها ، وكانت فتاواه تتلاقى وفتاوى عمر بن الخطاب .[2] وكان يفتى بحضور ابن عباس[3] . وإن المقام يضيق بنا عن حصر فتاواه ، ولن نفرط فى القول فندعى أنه كان من المكثرين فى الفتيا ، بل كان من المتوسطين فى ذلك ، كما ذكر الإمام أبو محمد بن حزم إذ قال : (والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا : أبو بكر ، وأم سلمة ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو هريرة ، وعثمان بن عفان . . . فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يجمع من فتيا كل واحد منهم جزء صغير جداً)[4] .

---

(١) تاريخ الإسلام ص ٣٢٧ ج ٢ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ و ٤٤٦ ج ٢ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ و ٤٤٥ ج ٢ .

(٤) إعلام الموقعين ص ١٢ ج ١ وسير أعلام النبلاء عن الإحكام فى أصول الأحكام ص ٤٥١ ج ٢ .

١٢ – شيوخه ومن روى عنه :

روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير الطيب ، وروى عن بعض الصحابة كأبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، والفضل بن عباس ابن عبدالمطلب ، وأبي بن كعب ، وأسامة بن زيد ، وعائشة أم المؤمنين ، وبصرة ابن أبي بصرة ، وروى عن كعب الحبر وهو من التابعين .

وقد روى عنه بعض الصحابة ، وأشهر من روى عنه منهم : ابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وواثلة بن الأسقع ، وجابر بن عبد الله الأنصاري[١] وأبو أيوب الأنصاري[٢] .

وروى عنه خلق كثير من التابعين ، قال البخاري : (روى عنه نحو من ثمانمائة رجل أو أكثر من أهل العلم ، من الصحابة والتابعين وغيرهم)[٣] فيهم أئمة التابعين وأعلامهم في الحديث والفقه ، منهم : بشير بن نهيك ، والحسن البصري ، وزيد بن أسلم ، وزيد بن أبي عتاب ، وسعيد المقبري ، وسعيد بن يسار ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وشفي بن ماتع ، وشهر بن حوشب ، وعامر الشعبي ، وعبد الله بن سعد مولى عائشة ، وعبد الله ابن عتبة الهذلي ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وعبد العزيز بن مروان ، وعروة بن الزبير ، وعطاء بن أبي رباح ، وعطاء بن يسار ، وعمر بن خلدة قاضي المدينة ، وعمرو بن دينار ، والقاسم بن محمد ، وقبيصة بن ذؤيب ، وكثير بن مرة ، ومحمد بن سيرين ، ومحمد بن مسلم الزهري – ولم يلحقه –

---

(١) انظر الإصابة ص ٢٠١ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٣ ج ١٢ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ .

(٣) انظر المراجع المذكور في الهامش التالي .

ومحمد بن المنكدر ، ومروان بن الحكم ، وميمون بن مهران ، وهمام ابن منبه — وقد كتب عن أبى هريرة صحيفة مشهورة — وأبو إدريس الخولانى ، وأبو بكر بن عبد الرحمن ، وأبو سعيد المقبرى ، وأبو صالح السمان ، وغيرهم[1] .

١٣ — عدة ما روى عنه من الحديث :

أبو هريرة أكثر الصحابة حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولن نستغرب هذا بعد أن عرفنا ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجرأته فى السؤال ، وحبه للعلم ، ومذاكرته حديث الرسول الكريم فى كل فرصة تسنح له .

روى له الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده (٣٨٤٨) حديثا ، وفيها مكرر كثير باللفظ والمعنى ، ويصفو له بعد حذف المكرر خير كثير .

وروى له الإمام بقى بن مخلد (٢٠١ — ٢٧٦ هـ) فى مسنده (٥٣٧٤) خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثا . وله فى الصحيحين (٣٢٥) ثلاثمائة وخمسة وعشرون حديثاً ، وانفرد البخارى أيضا بـ (٩٣) ثلاثة وتسعين حديثاً ومسلم بـ (١٨٩) تسع وثمانين ومائة حديث[2] .

---

(١) ما ذكرتهم هم بعض من روى عن أبى هريرة ، وأحاديثهم فى كتب الأئمة الستة راجع تهذيب التهذيب ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ جـ ١٢ والإصابة ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ جـ ٧ وسير أعلام النبلاء ص ٤١٨ ـ ٤٢٣ جـ ٢

(٢) انظر البارع الفصيح فى شرح الجامع الصحيح مخطوط دار الكتب المصرية ص ٩ : ب عن مسند الإمام بقى بن مخلد وفى تاريخ الإسلام ص ٣٣٤ جـ ٢ عدد أحاديثه (٥٣٧٠) حديثاً ، وانظر شذرات الذهب ص ٦٣ جـ ١ ، وفى سير أعلام النبلاء المتفق فى البخارى ومسلم منها (٣٢٦) حديثاً وانفرد البخارى بثلاثة وتسعين ومسلم بثمانية وتسعين . وانظر الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ص ١٣٨ جـ ٤ .

١٤ — الثناء على أبي هريرة:

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث [١]».

وعن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أبو هريرة وعاء من العلم [٢]).

قال أبو هريرة: ما أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً مني عنه، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو — رضي الله عنه — فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب [٣].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نهى أبا هريرة عن الإكثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما نهى غيره، لأن سياسة عمر وبعض الصحابة الإقلال من رواية الحديث، لأن الإكثار مظنة الخطأ، وفيه شغل الناس بالحديث عن القرآن. ومع هذا فقد سمح عمر رضي الله عنه لأبي هريرة بالتحديث، بعد أن عرف ورعه وتقواه، قال أبو هريرة: (بلغ عمر حديثي. فأرسل إلي فقال: كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت فلان؟ قلت: نعم. وقد علمت لأي شيء سألتني. قال: ولم سألتك؟ قلت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: من كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار.

---

(١) فتح الباري ص ٢٠٤ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ وهو صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ في اسناده مقال، لاختلافهم في (زيد العمي) أحد رجال سنده انظر ميزان الاعتدال ص ٣٦٣ ج ١.

(٣) فتح الباري ص ٢١٧ ج ١، وجامع بيان العلم ص ٧٠ ج ١.

قال : أما لا ، فاذهب فحدث[1] .) وهذا السماح توثيق لأبي هريرة من أمير المؤمنين .

قال عبد الله بن عمر : (يا أبا هريرة ، كنت ألزمنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعلمنا بحديثه[2]) .

وقيل لابن عمر : (هل تنكر مما يحدث به أبو هريرة شيئا ؟ فقال : لا ، ولكنه اجترأ وجبنا[3] .)

وفي رواية قال ابن عمر : (أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث[4] .) وكان يكثر الترحم عليه ، ويقول : كان ممن يحفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين[5] .

قال أبي بن كعب : كان أبو هريرة جريئا على النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن أشياء لا نسأله عنها[6] .

وحين أرسل ابن عمر يستفهم من السيدة عائشة عن حديث الجنازة الذي رواه أبو هريرة ، قالت : صدق أبو هريرة[7] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٤ ج ٢ إلا أن في سنده (يحيى بن عبيد الله) اختلف فيه انظر ميزان الاعتدال : ص ٢٩٧ ج ٣ . ولكنه ثابت من طريق آخر .

(٢) المحدث الفاصل ص ١٣٤ : آ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٥ ج ٢ ونحوه في طبقات ابن سعد ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ ، وفي فتح الباري (أعرفنا بحديثه) وقال في الترمذي (حسن) ص ٢٢٥ ج ١ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ .

(٤) الإصابة ص ٢٠٤ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٧ ج ١٢ .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٢ قسم ٢ ج ٤ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٥ ج ٢ والبداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء ص ٤٥١ ج ٢ .

(٧) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ والاصابة ص ٢٠٥ ج ٧ .

قال طلحة بن عبيد الله : لا نشك أنه سمع ما لم نسمع [١] .

قال زيد بن ثابت لرجل سأله عن شيء : عليك بأبي هريرة [٢] .

جاء رجل إلى ابن عباس فى مسألة ، فقال ابن عباس لأبى هريرة : أفته يا أبا هريرة ، فقد جاءتك معضلة [٣] .

قال كعب الأحبار : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبي هريرة [٤] .

وقال محمد بن عمارة بن عمرو بن حزم : فعرفت يومئذ أنه أحفظ الناس عن رسول الله [٥] . وذلك حين حضر مجلسه الذى كان فيه مشيخة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو هريرة يحدثهم ، فلا يعرف بعضهم الحديث ، ثم يتراجعون فيه ، فيعرفونه .

قال أبو صالح السمان : كان أبو هريرة من أحفظ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الإمام الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره [٦] .

---

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦ ج ٢ رواه عن طلحة والتصحيح من الاصابة ص ٢٠٤ ج ٧ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ وتاريخ الإسلام ص ٣٣٦ ج ٢ وطلحة هذا صحابى جليل رضى الله عنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عنه .

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ و ٤٤٣ ج٢ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ والاصابة ص ٢٠٤ ج ٧ .

(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٧ ج ٢ .

(٤) الإصابة ص ٢٠٥ ج ٧ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ .

(٥) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٤ ج ٢ وفتح البارى ص ٢٢٥ ج ١ .

(٦) تذكرة الحفاظ ص ٣٤ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٠ ج ٢ .

(٧) تذكرة الحفاظ ص ٣٤ ج ١ والبداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨ وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٢ ج ٢ .

قال البخاري : روى عنه نحو الثمانمائة من أهل العلم ، وكان أحفظ من روى الحديث في عصره [١] .

وقال الإمام الذهبي (٦٧٣ – ٧٤٨ هـ) : أبو هريرة إليه المنتهى في حفظ ماسمعه من الرسول عليه السلام ، وأدائه بحروفه [٢] ، وقال في موضع آخر : كان أبو هريرة وثيق الحفظ ، ما علمنا أنه أخطأ في حديث [٣] .

وقال ابن كثير (– ٧٧٤ هـ) : وقد كان أبو هريرة من الصدق والحفظ والديانة والعبادة والزهادة والعمل الصالح على جانب عظيم [٤] .

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ) : إن أبا هريرة كان أحفظ من كل من يروى الحديث في عصره ، ولم يأت عن أحد من الصحابة كلهم ماجاء عنه [٥] .

هذا غيض من فيض ، شهد به رؤوس العلم لأبي هريرة ، فسعة علمه وكثرة حديثه لاتخفى على مسلم ، وماسقته من ثناء عليه إنما كان على سبيل الذكرى ، وإلا فاني أظلم راوية الإسلام إذا حاولت أن أحصر من أثنى عليه .

١٥ – أصح الطرق عن أبي هريرة :

حكى عن ابن المديني أن من أصح الأسانيد (إطلاقا) حماد بن زيد عن أيوب عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة [٦] .

---

(١) تهذيب التهذيب ص ٢٦٥ ج ١٢ .
(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ ج ٢ .
(٣) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٦ ج ٢ .
(٤) البداية والنهاية ص ١١٠ ج ٨ .
(٥) تهذيب التهذيب ص ٢٦٦ ج ١٢ .
(٦) تدريب الراوي ص ٣٦ ، والكفاية ص ٣٩٨ .

وقال سليمان بن داود : أصح الأسانيد كلها يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة[١] .

وأصح ما روى من الحديث عن أبى هريرة ماجاء عن :

الزهرى ، عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة .

أبى الزناد ، عن الأعرج — عبد الرحمن بن هرمز — عن أبى هريرة .

ابن عون ، وأيوب عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة[٢] .

مالك عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة .

سفيان بن عيينه عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة .

معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة .

إسماعيل بن أبى حكيم عن عبيدة بن سفيان الحضرمى عن أبى هريرة .

معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة[٣] .

---

(١) الكفاية ص ٣٩٨ .

(٢) تدريب الراوى ص ٣٦ ، وسير أعلام النبلاء ص ٤٣٨ ج ٤ وتوضيح الأفكار ص ٣٥ ج ١ .

(٣) هذه الأسانيد خرجها الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله من مسند أبى هريرة فى مسند الإمام أحمد وهى من أصح الأسانيد لرسوخ قدم الرواة فيها وثناء العلماء عليهم . انظر مسند الإمام أحمد ص ١٤٩ — ١٥٠ ج ٩ .

الرد على الشبه التي أُثيرت حول أبي هُريرة

ذلكم أبو هريرة الذى عرفناه قبل إسلامه وبعده، عرفناه فى هجرته وصحبته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فكان الصاحب الأمين، والطالب المجد، الملتزم السنة المطهرة، فى شبابه وهرمه، وفى غناه وفقره، فكان ورعا تقياً، كريماً متواضعاً، له مواقفه المشرفة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، عرفنا اعتزاله للفتن، وحبه للجماعة، وسعيه للخير، وكشفنا عن روحه الطيبة المرحة، ونفسه الصافية، وأخلاقه الكريمة، وزهده فى الدنيا، وفنائه فى الحق وعرفنا مكانته العلمية، وكثرة حديثه، وقوة حافظته، ورأينا منزلته بين أصحابه، وثناء العلماء عليه.

ولكن بعض الباحثين لم يسرهم أن يروا أبا هريرة فى هذه المكانة السامية، والمنزلة الرفيعة، فدفعتهم ميولهم وأهواؤهم إلى أن يصوروه صورة تخالف الحقيقة التى عرفناها، فرأوا فى صحبته للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم غايات خاصة لأبى هريرة، ليشبع بطنه ويروى نهمه، وصوروا أمانته خيانة، وكرمه رياء، وحفظه تدجيلا، وحديثه الطيب الكثير كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبهتاناً، ورأوا فى فقره مطعناً وعاراً، وفى تواضعه ذلا، وفى مرحه هذراً، وصوروا أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لوناً من الاحتيال لخداع العامة، ورأوا فى اعتزاله الفتن تحزباً، وفى قوله الحق انحيازا، واعتبروه صنيعة الأمويين الذين طووه تحت جناحهم، فكان أداتهم الداعية لمآربهم

السياسية ، فهو فى نظرهم من الكاذبين الواضعين للأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، افتراء وزورا ،

هكذا رآه بعض أهل الأهواء قديماً كالنظام ، والمريسى ، والبلخى ، وتابعهم فى هذا العصر بعض المستشرقين أمثال (جولد تسيهر) و (شبرنجر) وأغرب من هذا أن يطعن فيه وفى السنة بعض من ينسب إلى العلم ، فقد عثرت على كتاب تحت عنوان (أبو هريرة) ألفه عبد الحسين شرف الدين العاملى . وافترى فيه على أبى هريرة افتراءات يندى لها جبين العلم ، وتحز ضمير العلماء ، وتجرح الحق ، ولا تلتقى معه ، حتى انتهى إلى تكفير أبى هريرة ، وقد حمله على هذا عاملان : أولهما هواه ، وثانيهما تأويلاته التى لا تتمشى مع الحق ، ولا توافق التاريخ . .

وقد استقى من هذا الكتاب أيضاً محمود أبورية صاحب كتاب « أضواء على السنة المحمدية » . ، فكان أشد على أبى هريرة من أستاذه ، وأكثر مجانبة للصواب ، كما أن الأستاذ أحمد أمين كشف عن جانب من سيرة أبى هريرة دون أن يكشف عن الجوانب الأخرى فلم تكن صورته عنده مطابقة للحقيقة التاريخية .

ومن الصعب أن أفند جميع الشبهات التى أخذها بعضهم على أبى هريرة فى هذا الكتاب ، لأنها تحتاج إلى كتاب ينفرد بها[1] ، لذلك أرد هنا رداً مجملا على أهم الشبهات التى أثاروها حوله ، ولولا مكانة أبى هريرة ونقله جانباً عظيماً من السنة لتركت الرد على هذه الشبه ، ولكنى رأيت من الواجب أن أبين الحق لأن الطعن فيه طعن صريح فى جميع مروياته ، وترك لجانب لا يستهان به من السنة .

---

(١) فندت ما أثاره هؤلاء فى كتاب تحت عنوان « أبو هريرة راوية الإسلام » .

١ — عمر وأبو هريرة رضي الله عنهما :

اتهم عبد الحسين شرف الدين وأبورية [1] أبا هريرة بأنه سرق عشرة آلاف دينار حينما ولي البحرين لعمر ، فعزله وضربه بالدرة حتى أدماه .

لقد ذكرت جميع الروايات [2] المعتمدة أن عمر رضي الله عنه قاسمه كما قاسم غيره من الولاة [3] . وليس فيها أنه ضربه حتى أدماه . وكان أبو هريرة يقول : اللهم اغفر لأمير المؤمنين [4] . لم يحقد على عمر رضي الله عنه مع أنه يعلم أن ما قاسمه إياه إنما هو عطاياه وأسهمه وبعض غلة رقيقة . ولو أن عمر شك في أمانة أبي هريرة بعض الشك لحاكمه وعاقبه العقوبة الشرعية ، ولكنه عرف فيه الأمانة والإخلاص فعاد إليه بعد حين يطلبه للولاية فأبى أبو هريرة قبولها كما أسلفنا ! !

هذا وجه الحق الذي أخفاه عبد الحسين وأبو رية ، فعبد الحسين نقل رواية واحدة عن العقد الفريد لابن عبد ربه [5] ، حيث وجد فيها ما يوافق هواه ، ولم

---

(١) انظر : (أبو هريرة) لعبد الحسين شرف الدين ص ١٤ ـ ١٥ وانظر أضواء على السنة المحمدية ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

(٢) انظر في هذا الكتاب القسم الأول من ترجمة أبي هريرة ص ٤١٥ وما بعدها .

(٣) يقول ابن عبد ربه : (ولما عزل عمر أبا موسى الأشعري من البصرة ، وشاطره ماله ، وعزل أبا هريرة عن البحرين وشاطره ماله وعزل الحارث بن كعب بن وهب وشاطره ماله.) انظر العقد الفريد ص ٣٣ ج ١ وروى ابن عمر أن عمر قاسم سعد بن أبي وقاص ماله حين عزله من العراق . (طبقات ابن سعد ص ١٠٥ قسم ١ ج ٣) . فعمر لم يتهم أبا هريرة ولم يشاطره ماله وحده ، بل تلك كانت سياسته مع ولاته ، كيلا يطمع امرؤ في مال الله ، ويحذر الشبهات . وكان يعزل ولاته لا عن شبهة بل من باب الاجتهاد وحسن رعاية أمور المسلمين ، انظر ذلك في العقد الفريد ص ٣٤ — ٣٥ و ٦٠ ج ١ .

(٤) انظر طبقات ابن سعد ص ٦٠ قسم ٢ ج ٤ .

(٥) العقد الفريد ص ٣٤ ج ١ .

يتعرض لبقية الروايات التي تبين الحقيقة[1] ، واكتفى أبو رية بالنقل عن عبد الحسين من غير أن يشير إلى المصدر ومن غير بحث أو مقارنة وتمحيص ! !

٢ — هل تشيع أبو هريرة للأمويين ؟

ومما اتهم به أبو هريرة أنه تشيع للأمويين ووالاهم ، ووضع الحديث على الرسول صلى الله عليه وسلم ضد خصومهم وتأييداً لسياستهم[2] .

ويظهر بطلان هـذه الشبهة إذا علمنا أنه لا دليل على تشيع أبي هريرة للأمويين بل ثبتت معارضته لهم في كثير من تصرفاتهم ، ولم يكن دائما على صلة حسنة بمعاوية وإذا كان معاوية قد جعله على المدينة فقد كان يعزله كلما غضب عليه ، ويولي مروان بن الحكم مكانه ، كما أن أبا هريرة لم يكن يكره عليا وأهله إرضاء للأمويين ، بل كان محباً لأهل البيت ، ومن هذا ما رواه ابن كثير مما دار بين مروان بن الحكم وأبي هريرة حين أراد المسلمون دفن الحسن مع النبي صلى الله عليه وسلم . فكان مما قاله لمروان : (والله ما أنت بوال ، وإن الوالي لغيرك ، فدعه ، ولكنك تدخل فيما لا يعنيك ، إنما تريد بهذا إرضاء من هو غائب عنك ، يعني معاوية[3] .)

وكذلك نرى أبا هريرة ينكر على مروان في مواضع عدة ، فقد أنكر عليه عندما رأى في داره تصاوير ، فقال له : (سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يقول الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي ! فليخلقوا

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٥٩ قسم ٢ ج ٤ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٨ ج ٢ ، وحلية الأولياء ص ٣٨٠ ج ١ والبداية والنهاية ص ١١١ ج ٨ .

(٢) انظر : (أبو هريرة) لعبد الحسين ص ٢٦ ـ ٣١ وما بعدها ، وانظر أضواء على السنة المحمدية ص ١٨٥ ـ ١٩٠

(٣) البداية والنهاية ص ١٠٨ ج ٨

ذرة)[١] ، كما أنكر عليه حين أبطأ بالجمعة ، فقام إليه قائلا : (أتظل عند ابنة فلان تروحك بالمراوح وتسقيك الماء البارد ، وأبناء المهاجرين والأنصار يصهرون من الحر ؟ لقد هممت أن أفعل وأفعل ، ثم قال : اسمعوا من أميركم[٢]) .

فهل هذا موقف المتشيع لبنى أمية ، النازل على رغباتهم فى الحديث ، الداعى لهم ! ! أم أن هذا موقف ملتزم الحق ؟

لقد أنكر على الأمير تأخره ، وحفظ له حقه وأمر المسلمين بالسماع إليه ، وهذا دليل آخر على مكانة أبى هريرة بين المسلمين ، فلو كان حقيراً مهينا — كما صوره أعداؤه — ما سمع منه المسلمون ، وما تحمله مروان .

وكان يجدر بمن اتهم أبا هريرة بالتشيع للأمويين أن يتهمه بالتشيع لأهل البيت لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مناقبهم ومدحهم ، مما ورد فى صحاح السنة[٣] ، فهذا أولى لهم من أن يتتبعوا الأحاديث الضعيفة والموضوعة على أبى هريرة فى مدح الأمويين ، ليتهموه بموالاتهم وتأييدهم مع وضوح وضع تلك الأحاديث ، ومعرفة الكذبة الواضعين لها ، وجلاء أمرها ، ونتيجة لهذا المنهج الملتوى حكم عليه عبد الحسين وأبو رية .

ومما قاله عبد الحسين فى أبى هريرة والأمويين : (استعبد بنو أمية أبا هريرة ببرهم ، فملكوا قياده ، واحتلوا سمعه وبصره وفؤاده ، فإذا هو لسان دعايتهم فى سياستهم ، يتطور فيها على ماتقتضيه أهواؤهم . فتارة يفتئت

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ١٤٨ حديث ٧١٦٦ ج ١٢ باسناد صحيح ورواه البخارى .

(٢) العقد الفريد ص ٤٢ ج ١ .

(٣) انظر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر : مسند الإمام أحمد ص ١٢٩ حديث ٧٣٩٢ وص ١٩٥ حديث ٧٤٥٥ ج ١٣ وص ٦٩ حديث ٧٦٣٦ ، وص ٢٦٠ حديث ٧٨٦٣ ج ١٤ وفتح البارى ص ٧٦ و ٩٤ ج ٨ .

الأحاديث فى فضائلهم . . . وتارة يلفق أحاديث فى فضائل الخليفتين نزولا على رغائب معاوية وفئته الباغية)[١] .

هـكذا أراد أن يصوره عبد الحسين شرف الدين ، وقد عرفنا فى سيرته وأخلاقه ما يدفع هذا الافتراء .

٣ — هل وضع أبو هريرة الأحاديث كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

لقد اتهم عبد الحسين ، وأبو رية أبا هريرة بالـكذب على رسول الله إرضاء للأمويين ونكاية بالعلويين .[٢] وأبو هريرة من كل هذا براء . ولـكنهما أوردا أخباراً ضعيفة وموضوعة لا أصل لهـا . من هذا ماذكره عبد الحسين فقال : (قال الإمام أبو جعفر الاسكافى : إن معاوية حمل قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة فى على ، تقتضى الطعن فيه ، والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلا يرغب فى مثله ، فاختلقوا له ما أرضاه ، منهم أبو هريرة ، وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التابعين عروة بن الزبير إلى آخر كلامه .)[٣]

وقال : (لما قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الـكوفة ، فلما رأى كثرة من استقبله من الناس جثا على ركبتيه ، ثم ضرب صلعته مراراً !! وقال : يا أهل العراق[٤] أتزعمون أنى أكذب على الله ورسوله

---

(١) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٣٥ وما بعدها .

(٢ و ٣) انظر (أبو هريرة) لعبد الحسين ص ٣٥ وما بعدها ، وأضواء على السنة المحمدية ص ١٩٠ وما بعدها .

(٤) ساق مؤلف (أضواء على السنة) هذه الروايات فى ص ١٩٠ — ١٩١ وعلق فى =

وأحرق نفسى بالنار ؟ والله لقد سمعت رسول الله يقول : إن لكل نبى حرماً ، وإن المدينة حرمى ، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . قال : وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها !! فلما بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولاه إمارة المدينة [1]) .

هذه أخبار مختلقة استشهد بها عبد الحسين ليدعم زعمه أن أبا هريرة كان عميلا للأمويين ، وضاعا للحديث ولكن هذه الأخبار مردودة سنداً ومتناً .

١ — أما من حيث السند : فإن ابن أبى الحديد صاحب شرح نهج البلاغة نقل هذه الأخبار عن شيخه محمد بن عبد الله أبى جعفر الاسكافى (— ٢٤٠ هـ) وهو من أئمة المعتزلة المتشيعين ، والعداء مستحكم بين المعتزلة وأهل الحديث من أواخر القرن الأول الهجرى ثم أصبح متوارثا بعد هذا القرن ، وأترك التعريف بأبى جعفر وتزكيته لتلميذه ابن أبى الحديد إذ يقول : ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافى رحمه الله تعالى ، وكان من المحققين بموالاة على عليه السلام والمبالغين فى تفضيله ، وإن كان القول بالتفضيل عاما شائعاً فى البغداديين من أصحابنا كافة ، إلا أن أبا جعفر أشدهم فى ذلك قولا ، وأخلصهم فيه اعتقاداً [2]) .

= الهامش على هذا الخبر فقال : يدل هذا القول على أن كذب أبى هريرة على النبى قد اشتهر حتى ملأ الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق وأن الناس جميعاً كانوا يتحدثون عن هذا الكذب فى كل مكان . هامش الصفحة ١٩٠ من أضواء على السنة . انظر إلى هذا المؤلف الذى أخذ عن أستاذه وتفوق عليه بالاستنباطات الخيالية ، من غير أن يتثبت من صحة الرواية ، ولكن له وقفة بين يدى الله تعالى .

(١) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٣٨ — ٣٩

(٢) شرح نهج البلاغة ص ٤٦٧ جـ ١ طبعة بيروت ، وانظر ترجمته فى لسان الميزان ص ٢٢١ جـ ٥ .

هذه شهادة تلميذ لأستاذه لا يرق إليها الشك ولا يعتريها الظن والتأويل ، فالأستاذ من أهل الأهواء داع إلى هواه ، بل متعصب فى ذلك ، بشهادة أقرب الناس إليه ، وأعرفهم به ، فإذا سبق لأمثاله أن كذبوا الصحابة فى الحديث بل فى نقل القرآن ، فليس بعيداً أن يكذبوا على أبى هريرة ، ويفتروا عليه وعلى بعض الصحابة والتابعين . لـكن روايته مردودة لسببين :

الأول : ضعف الإسكافى لعاملين :

العامل الأول : إنه معتزلى يناصب أهل الحـديث العداء .

والعامل الثانى : إنه شيعى محترق . فقد اجتمع فيه عاملان يكفى أحدهما لرد روايته .

الثانى : لم تذكر هذه الروايات فى مصدر موثوق بسند صحيح علما بأن الإسكافى لم يذكر لها سنداً ، وهذا يرجح أنها موضوعة أو هى على الأقل ضعيفة لا يحتج بها .

٢ — وأما من حيث المتن ، فلم يثبت أن معاوية حمل أحدا على الطعن فى أمير المؤمنين على رضى الله عنه ، ولم يثبت عن أحد من الصحابة أنه تطوع بذلك ، أو أخذ أجرا مقابل وضع الحديث ، والصحابة جميعاً أسمى وأرفع من أن ينحطوا إلى هذا الحضيض ، ومعاذ الله أن يفعل هذا إنسان صاحب رسول الله وسمع حديثه وزجره عن الـكذب ، وإن جميع ما جاءنا من هذه الأخبار الباطلة إنما كان عن طريق أهـل الأهواء الداعين إلى أهوائهم ، المتعصبين لمذاهبهم ، فتجرؤوا على الحق ، ولم يعرفوا للصحبة حرمتها ، فتـكلموا فى خيار الصحابة ، واتهموا بعضهم بالضلال والفسق ، وقذفوا بعضهم بالـكفر ، وافتروا على أبى بكر وعمر وعثمان وغيرهم[1] .

---

(١) انظر العواصم من القواصم ص ١٨٢ — ١٨٣ .

وقد كشف أهل الحديث عن هؤلاء الكذبة ، لذلك ناصبت أكثر الفرق أصحاب الحديث العداء ، فتتبعوا أحوالهم واخترعوا الأباطيل ، لتفقد الأمة الثقة بهم ، ومن ذلك ما فعله المعتزلة والروافض وبعض فرق الشيعة ، ومن أراد الاطلاع على بعض هذا فليراجع كتاب (قبول الأخبار) لأبي القاسم البلخي .

ولكن الله أبى إلا أن يكشف أمر هذه الفرق ، ويميط اللثام عن وجوه المتسترين وراءها ، فكان أصحاب الحديث هم جنود الله عز وجل ، بينوا حقيقة هؤلاء ، وأظهروا نواياهم وميولهم ، فما من حديث ، أو خبر يطعن في صحابي ، أو يشكك في عقيدة ، أو يخالف مبادىء الدين الحنيف إلا بين جهابذة هذا الفن يد صانعه ، وكشفوا عن علته .

فادعاء هؤلاء مردود حتى يثبت زعمهم بحجة صحيحة مقبولة ، وكيف نتصور معاوية يحرض الصحابة على وضع الحديث كذباً وبهتانا وزوراً ، ليطعنوا في أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، وقد شهد ابن عباس رضي الله عنهما لمعاوية بالفضل والعقل والفقه [١] ، وقد ذكر ذلك البخاري في صحيحه ، فهل لهؤلاء أن يتهموا حبر الأمة وعالمها بالكذب ، أو بالتشيع لمعاوية [٢] ! ! ؟ هذا لا يمكن ، وشهادة ترجمان القرآن صحيحة ، وبهذا ننفي تهمة عبد الحسين .

وقد افترى الإسكافي على الصحابة الذين ذكرهم ، وبين ابن العربي في العواصم من القواصم جانباً من أمرهم ومكانتهم وورعهم ، كما بينت كتب التراجم

---

(١) انظر فتح الباري ص ١٠٤ - ١٠٥ ج ٨ .

(٢) انظر أضواء على التاريخ ص ١٩١ وما بعدها . فللاستاذ محب الدين الخطيب كلمة قيمة في معاوية يجدر الاطلاع عليها .

سيرتهم ، ثم إن روايات أهل الأهواء تسربت إلى التاريخ الإسلامى ، وخاصة مايتعلق بأخبار الأمويين ، لأن كتب التاريخ كتبت بعد بنى أمية ، فشوهت سيرتهم [1] ، ومع هذا لم يعدم التاريخ الرجال الأمناء المخلصين ، الذين دوّنوا حوادثه بأسانيدها حتى يتميز الحق من الباطل ، فليس كل خبر فى كتاب يقبل ويؤخذ به ، بل لابد من دراسته دراسة علمية — حسب منهج المحدثين الدقيق — سنداً ومتناً .

ثم إنا نستبعد صحة هذا الخبر ، فإن عروة ولد سنة (٢٢ هـ) ، فكان عمره فى فتنة عثمان رضى الله عنه (١٣) سنة ، وعندما استشهد أمير المؤمنين على رضى الله عنه كان عمره (١٨) سنة ، فكيف يحمل خليفة كمعاوية عروة ابن الزبير على وضع أحاديث تطعن فى على رضى الله عنه ولا يزال عروة يافعا على عتبة العلم لم يشتهر بعد !! فكان أحرى بمعاوية — لوصح الخبر — أن يغرى من هو أشهر منه وأعلم من كبار الصحابة والتابعين ، وإن قال قائل إنما استعان به أيام خلافته بعد استشهاد الخليفة الراشد الرابع ، فالجواب بدهى فى أن كلمة المسلمين اجتمعت سنة (٤٠ هـ) عام الجماعة ، حين بايع الحسن معاوية بالخلافة وثبتت دعائم الحكم ، فلم تبق هناك أية ضرورة للدعاية للأمويين وهم الحكام وبيدهم الزمام .

ولو سلمنا جدلا أن عروة قد قام بما ادعاه المؤلف — فهل يسكت عنه علماء الأمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وبينهم الأبطال الشجعان ، وفيهم الأقوياء والأفذاذ ؟ ؟ لقد كانت الأمة الإسلامية واعية فى ذلك العصر ، عرف أبناؤها الحوادث جميعها وعاصروها واختبروها ، فلم تعد تخفى دقائقها

---

(١) انظر العواصم من القواصم ص ١٧٢ .

على أحد ، وعرف المسلمون قادتهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن من السهل أن يغير بعض الصحابة والتابعين وجه الحق — كما زعم عبد الحسين — لإرضاء الخليفة وإشباع ميوله ورغباته ، وإن من يحاول إثبات صحة هذا الخبر ليتجنى على الأمة جميعها ، ويجعل من عاصروا تلك الحوادث بلهاً مغفلين ، يعمّى عليهم الحق بالدعايات الكاذبة ، والأخبار الموضوعة ، والواقع يثبت خلاف ذلك ، ويثبت وضع الخبر وعدم صحته .

ثم إن الخبر الثانى — وهو قدوم أبى هريرة العراق — من رواية الإسكافى ، وهو مردود عندنا ، لضعف راويه ، ولو سلمنا صحته فليس فى هذا ما يضير أبا هريرة ، لأنه يدفع عن نفسه ما أشاعه بعض خصوم الأمويين حوله ، وإن الحديث الذى روى عن أبى هريرة ليس فيه الزيادة التى اختلقت فى ذم الإمام على[1] ، لينال أبو هريرة أجره من معاوية أو غيره .

٤ — كثرة حديثه :

أخذ النظام المعتزلى على أبى هريرة كثرة حديثه ، وتابعه بعض المعتزلة قديماً ، ومنهم بشر المريسى ، وأبو القاسم البلخى .[2] وقد ردّ ابن قتيبة على النظام فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) ، ولقيت هذه الشبهة صدى فى نفوس بعض المتأخرين كعبد الحسين شرف الدين الذى سود صفحات كثيرة من كتابه (أبو هريرة[3]) ، يشكك فى مروياته ويستكثرها ، ويوهم القارىء أن مارواه أبو هريرة أكثر مما رواه الصحابة الذين اشتغلوا بأمور الدولة

---

(١) انظر صحيح مسلم ص ٩٩٩ حديث ٤٦٩ ج ٢ .

(٢) انظر كتابه قبول الأخبار ومعرفة الرواة .

(٣) انظر كتابه (أبو هريرة) ص ٤٥ وما بعدها .

وسياستها ، ويثير هذه الشبهة نفسها محمود أبورية فى كتابه (أضواء على السنة المحمدية [1]) ، ويستشهد هؤلاء جميعاً بأخبار ضعيفة أو موضوعة أحياناً ، وبتأويلات وموازنات باطلة أحياناً أخرى ، وتلتقى أهواء هؤلاء بأهواء بعض المستشرقين أمثال (جولد تسيهر) الذى استكثر أيضاً مرويات أبى هريرة [2].

وقد حمل لواء الدفاع عن الحق قديماً وحديثاً بعض العلماء الذين كشفوا عن نوايا هؤلاء ، وبينوا الحق من الباطل ، ومازوا الخبيث من الطيب [3].

وخلاصة أقوالهم ، أن أبا هريرة تأخر إسلامه ، وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥٣٧٤) حديثاً ، وهى أكثر كثيراً مما رواه الخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة الذين سبقوه إلى الإسلام ، ومما يقوله عبد الحسين فى هذا : فلينظر ناظر بعقله فى أبى هريرة ، وتأخره فى إسلامه ، وخموله فى حسبه ، وأميته ، وما إلى ذلك مما يوجب إقلاله ، ثم لينظر إلى الخلفاء الأربعة ، وسبقهم واختصاصهم ، وحضورهم تشريع الأحكام ، وحسن بلائهم فى اثنتين وخمسين سنة ، ثلاث وعشرين كانت بخدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتسع وعشرين من بعده ، ساسوا فيها الأمة ، وسادوا الأمم . . فكيف يمكن والحال هذه ، أن يكون المأثور عن أبى هريرة وحده أضعاف المأثور عنهم جميعاً ؟ أفتونا

(١) انظر أضواء على السنة المحمدية ص ١٦٢ ومابعدها .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية ــ مادة حديث .

(٣) تعرض لهؤلاء قديماً ابن قتيبة فى كتابه تأويل مختلف الحديث ، والدارى فى كتابه (رد الدارى على بشر المريسى) وتفرقت بعض الردود فى كتب الصحاح وشروحها كفتح البارى . ومن المعاصرين من تولى الرد على هؤلاء : فالدكتور مصطفى السباعى (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى) رد فيه على المستشرقين وعلى أبى رية ، ولمحمد عبد الرزاق حمزة (ظلمات أبى رية) ولعبد الرحمن المعلمى اليمانى (الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة) رداً على أبى رية .

يا أولى الألباب !! ؟ وليس أبو هريرة كعائشة ، وإن أكثرت أيضاً فقد تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل إسلام أبى هريرة بعشر سنين ، فكانت فى مهبط الوحى والتنزيل ، ومختلف جبرائيل وميكائيل ، أربعة عشر عاما ، وماتت قبل موت أبى هريرة بيسير) ، ثم وازن بينهما فى الذكاء والفطنة ، ثم قال : (على أنها اضطرت إلى نشر حديثها ، إذ بثت دعاتها فى الأمصار ، وقادت إلى البصرة ذلك العسكر الجرار ، ومع هذا فإن جميع ماروى عنها إنما هو عشرة مسانيد ومائتا مسند وألفا مسند ، فحديثها كله أقل من نصف حديث أبى هريرة . . .) ثم يرى بعد ذلك أن حديث أبى هريرة (ما من أصحاب النبى أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب) — يعارض كثرة حديث أبى هريرة ، ويرى أنه إقرار صريح من أبى هريرة بأن ابن عمرو أكثر منه حديثا ، وقد بلغ مسند عبد الله بن عمرو (٧٠٠) حديث .

ثم يزعم أن العلماء حاروا فى أمر أبى هريرة ، ولم يروا مخرجاً له ، اللهم إلا علله ابن حجر القسطلانى والشيخ زكريا الأنصارى ، بأن عبد الله بن عمرو قطن مصر بينما سكن أبو هريرة المدينة مقصد المسلمين ، ومع هذا يرى كلام أبى هريرة صريحاً يحبط تأويل واعتذار القسطلانى والأنصارى .

ويعود ليقارن بين مقام أبى هريرة فى المدينة وعبد الله بن عمرو فى مصر ، ويغمز جانب أبى هريرة ، ويجعله من المتهمين عند من يفد إلى المدينة ويقول : (وكثيراً ما كانوا ينقمون عليه إكثاره على رسول الله ﷺ فيقولون : إن أبا هريرة يكثر الحديث ، ويقولون : مالمهاجرين والأنصار لايحدثون مثل حديثه . . .) وينتهى عبد الحسين من تحقيقه هذا فى كثرة أحاديث أبى هريرة

إلى النتيجة الآتية حيث يقول: (والحق أن أبا هريرة إنما اعترف لعبد الله في أوائل أمره بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لم يكن مفرطاً هذا الإفراط الفاحش، فإنه إنما تفاقم إفراطه وطغى فيه على عهد معاوية، حيث لا أبو بكر ولا عمر ولا علي ولا غيرهم من شيوخ الصحابة الذين يخشاهم أبو هريرة [١]).

من الغريب أن يعجب الكاتب لكثرة حديث أبي هريرة، ومن العجيب أن يثير هذا في القرن العشرين!! فهل يعجب من قوة ذاكرة أبي هريرة أن تجمع (٥٣٧٤) حديثاً؟! أم يعجب أن يحمل هذه الكثرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات؟.

إذا كان يعجب من قوة حافظة أبي هريرة فليس هذا مجالا للدهشة والطعن، لأن كثيراً من العرب قد حفظوا أضعاف أضعاف ماحفظه أبو هريرة فكثير من الصحابة حفظوا القرآن الكريم، والحديث الشريف والأشعار، فماذا يقول المؤلف في هؤلاء؟ ماذا يقول في حفظ أبي بكر أنساب العرب؟ وعائشة رضي الله عنها شعرهم؟ وماذا يقول صاحبنا في حماد الراوية الذي كان أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها؟ وماذا يقول فيه إذا علم أنه روى على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات، من شعر الجاهلية دون الإسلام [٢]؟ وماذا يقول في حفظ حبر الأمة عبد الله بن عباس؟ وحفظ الإمام الزهري والشعبي وقتادة بن دعامة السدوسي؟ فحفظ أبي هريرة ليس بدعاً وليس غريباً وخاصة إذا عرفنا أن تلك الأحاديث الـ (٥٣٧٤) مروية عنه ولم تسلم جميع طرقها، فأبو هريرة لا يتهم في حفظه وكثرة حديثه من هذا الوجه.

---

(١) انظر (أبو هريرة) لعبد الحسين ص ٥٥ وما بعدها.

(٢) انظر الأعلام ص ٣٠١ جـ ٢.

وإذا كان المؤلف يعجب من تحمل أبى هريرة هذه الأحاديث الكثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم خلال ثلاث سنوات ، فقد غاب عن ذهنه أن أبا هريرة صاحب الرسول صلى الله عليه وسلم فى سنوات ذات شأن عظيم ، جرت فيها أحداث اجتماعية وسياسية وتشريعية هامة ، وفى الواقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تفرغ فى تلك السنوات للدعوة والتوجيه بعد أن هادنته قريش ، ففى السنة السابعة ومابعدها انتشرت رسله فى الآفاق ، ووفدت إليه القبائل من جميع أطراف جزيرة العرب ، وأبو هريرة فى هذا كله يرافق الرسول عليه الصلاة والسلام ، ويرى بعينيه ، ويسمع بأذنيه ، ويعى بقلبه .

ثم إن مارواه لم يكن جميعه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، بل روى عن الصحابة رضى الله عنهم ، ورواية بعض الصحابة عن بعض مشهورة مقبولة لا مأخذ عليها ، فإذا عرفنا هذا زال العجب العجاب الذى تصوره مؤلف كتاب (أبو هريرة) وغيره .

ومن الخطأ الفاحش أن يُقارنَ الخلفاءُ الراشدون وأبو هريرة فى مجال الحفظ وكثرة الرواية ، لأسباب عدة أهمها :

١ ــ صحيح أن الخلفاء الراشدين الأربعة رضى الله عنهم سبقوا أبا هريرة فى صحبتهم وإسلامهم ، ولم يرو عنهم مثل ماروى عنه ، إلا أن هؤلاء اهتموا بأمور الدولة ، وسياسة الحكم ، وأنفذوا العلماء والقراء والقضاة إلى البلدان ، فأدوا الأمانة التى حملوها ، كما أدى هؤلاء الأمانة فى توجيه شئون الأمة فكما لا نلوم خالد بن الوليد على قلة حديثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم لانشغاله بالفتوحات لا نلوم أبا هريرة على كثرة حديثه لانشغاله بالعلم ، وهل لأحد أن يلوم عثمان بن عفان أو عبد الله بن عباس رضى الله عنهما لأنهما لم يحملا

لواء الفتوحات شرقاً وغرباً ؟؟؟ لا ، فكل امرىء ميسر لما خلق له .

٢ — انصراف أبي هريرة إلى العلم والتعليم واعتزاله السياسة ، واحتياج الناس إليه لامتداد عمره ، يجعل الموازنة بينه وبين غيره من الصحابة السابقين أو الخلفاء الراشدين غير صحيحة ، بل هي خطأ كبير .

ثم إن عبد الحسين شرف الدين وأبا رية يطعنان عليه في هذا المجال في حسبه ونسبه وأميته ، فهل لهذه النواحي أثر في كثرة الرواية وقلتها ؟ لم يقل بهذا أحد .

وما رددنا به عليه بالنسبة لمقارنته بالخلفاء الراشدين ، يرد بالنسبة لمقارنته بالسيدة عائشة رضي الله عنها ، ونضيف أن السيدة عائشة كانت تفتي الناس في دارها ، وأما أبو هريرة فقد اتخذ حلقة له في المسجد النبوي ، كما كان أكثر احتكاكاً بالناس من السيدة أم المؤمنين بصفته رجلا ، كثير الغدو والرواح ، وأضيف إلى هذا أن السيدة الجليلة كان جل همها موجها نحو نساء المؤمنين ، وكان يتعذر دخول كل إنسان عليها ، ومع هذا لم يكف المؤلف لكتاب (أبو هريرة) لسانه عنها ، بل رأى أنها أكثرت أيضا !! وهو في هذا يناقض نفسه .

أما أنه يرى حديث أبي هريرة أكثر من حديث السيدة عائشة وأم سلمة ، وحديث بقية أمهات المؤمنين والحسنين وأمهما مع حديث الخلفاء الأربعة — فقد سبق الرد عليه ، وأضيف إلى ذلك أن أم سلمة لم تكن مرجعاً للناس كالسيدة عائشة رضي الله عنهما ، وأما الحسنان فهما من صغار الصحابة ، وقد اشتغلا في الأمور السياسية فبدهي أن تكون مروياتهما قليلة ؛ ومثل هذا يقال في أمهما سيدة نساء العالمين ، التي لم تعش سوى ستة شهور

بعد وفاة الرسول الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم .

فالأمر ليس خطيرا يحتاج إلى تفكير أرباب العقول كما ادعى ! ؟ ؟ وهل يقصد بأرباب العقول النّظّام والجاحظ ! ؟

إن نظرة مجردة عن الهوى تدرك أن ما روى عن أبي هريرة من الأحاديث لا يثير العجب والدهشة ، ولا يحتاج إلى هذا الشغب الذى اصطنعه أهل الأهواء ، وأعداء السنن ، وإن مارواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سواء أسمعه منه أم من الصحابة لايشك فيه لقصر صحبته ، بل إن صحبته تحتمل أكثر من هذا ، لأنها كانت فى أعظم سنوات دولة الإسلام دعوة ونشاطاً ، وتعليما وتوجيهاً فى عهد رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وأما طعنهم فى حديث الوعاءين ، وتهكمهم على أبى هريرة ، واستهزاؤهم بما فى وعائه من العلم الذى لم ينشره ، وتساؤلهم عن ذلك العلم فكل هذا قد طرقه العلماء ، وبينوا أن ماعنده مما لم ينشر لايتعلق بالأحكام أو الآداب ، وليس مما يقوم عليه أصل من أصول الدين ، بل هو بعض أشراط الساعة ، أو بعض مايقع للأمة من الفتن [١] ، ويدل على ذلك حديثه الذى ذكر بعضه مؤلف كتاب (أبو هريرة [٢]) ولم يذكر تعليق راويه الذى يبين قصد أبى هريرة ، قال أبو هريرة : (لوحدثتكم بكل مافى جوفى لرميتمونى بالبعر . قال الحسن — راوى الحديث عن أبى هريرة — : صدق ، والله لو أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ماصدقه الناس [٣] !!)

---

(١) انظر هامش (١) ص ٤٦٢ من هذا الكتاب ، وراجع فتح البارى ص ٢٢٧ ج ٩ والرد على المنطقيين ص ٤٤٥ — ٤٤٦ .

(٢) انظر (أبو هريرة) لعبد الحسين شرف الدين ص ٥٠ — ٥٢ .

(٣) طبقات ابن سعد ص ٥٧ قسم ٢ ج ٤ وص ١١٩ قسم ٢ ج ٢

وأبو هريرة ليس بدعا فى قوله ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يختص بعض أصحابه بأشياء دون الآخرين ، من هذا حديثه لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله على النار . قال : يارسول الله ، أفلا أخبر به الناس ، فيستبشروا ؟ قال : إذاً يتكلوا[1] .) وأخبر به معاذ عند موته تأثما وخوفاً من أن يكون قد كتم العلم . ولم يكن معاذ ولى عهده ولا خليفته من بعده ، فالأمر لا يحتاج إلى ولاية عهد ، ولا إلى وصاية ، فلِمَ ينكر المؤلف مثل هذا على أبى هريرة ، ولا ينكره على غيره ؟ ثم ليعرف المؤلف الأمين الذى أساء كثيراً إلى أبى هريرة ، وشتمه وكال له السباب كيلا — أن كتمان أبى هريرة لهذا الوعاء لم يكن لخوفه ألا يسمع الناس له ، لمهانته وضعفه فيرمونه بالبعر وبالمزابل ، بل لأنه أراد أن يحدث الناس على قدر عقولهم ، وأن يخاطبهم بما يفهمون ويعرفون ، وبهذا أوصى أمير المؤمنين على رضى الله عنه[2] .

أما قول أبى هريرة : إن أبا هريرة لا يكتم ولا يكتب . فلا يتعارض مع حديث الوعاءين لأن أبا هريرة لا يكتم العلم النافع الضرورى ، وما كتمه لم يكن من هذا ، بل كان بعض أخبار الفتن والملاحم وما سيقع للناس ، مما لا يتوقف عليه شىء من أصول الدين أو فروعه ، وهذا النوع من العلم يجدر كتمانه ، ومن الصواب عدم نشره وإعلانه .

وأما ما استشهدوا به لدعم طعونهم فى كثرة مرويات أبى هريرة ، واحتجاجهم بما قاله أبو هريرة نفسه : (ما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم

---

(١) فتح البارى ص ٢٣٦ ج ١ .

(٢) انظر فتح البارى ص ٢٣٥ ج ١ .

أحداً أكثر حديثاً عنه منى إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب[1]) وبأن مرويات ابن عمرو لا تتجاوز سبعمائة حديث واستنباطهم من هذا أن أبا هريرة يقر ويعترف بتقوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل — فهو استشهاد فى غير موضعه بنى على تصور باطل ، وفهم الحديث على خلاف الواقع .

إن قول أبى هريرة يدل على أن عبد الله بن عمرو كان أكثر أخذا الحديث من أبى هريرة ، لأنه كان يكتب وأبو هريرة لا يكتب ، ويحتمل أن يكون قول أبى هريرة هذا فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قبل أن يدعو له بالحفظ أو قبل أن يكون لديه من الحديث من الكثرة ما أصبح عنده بعد حين ، وإذا استبعدنا هذا الفرض فمكل ما فى الأمر أن عبد الله بن عمرو حمل من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أبى هريرة . إلا أنه لم يتيسر له نشره لأسباب أهمها :

١ — أن اشتغال عبد الله بن عمرو بالعبادة كان أكثر من اشتغاله بالتعليم ، ولذلك قلت الرواية عنه ، وإن لم يقل تحمله .

٢ — كان مقامه بعد فتوح الأمصار فى مصر والطائف ، وكان مقام أبى هريرة فى المدينة متصدرا فيها للفتوى ، والتحديث إلى أن توفى ، وكان طلاب العلم يقصدون المدينة مهجر الرسول وعاصمة الإسلام ، أكثر مما يقصدون غيرها من بلاد الإسلام .

وأضيف إلى هذا ما اختص به أبو هريرة من دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم له بأن لا ينسى ما يسمعه منه ، وربما قلت الرواية عن عبد الله

---

(١) فتح البارى ص ٢١٧ ج ١ .

ابن عمرو ، لأنه كان قد ظفر فى الشام بحمل جمل من كتب أهل الكتاب ، فكان ينظر فيها ، ويحدث منها ، فتجنّب الأخذ عنه لذلك كثيرٌ من أئمة التابعين[1] .

وإلى جانب هذا لم يكن عبد الله بن عمرو على وفاق مع معاوية وابنه يزيد ، فلم يفسح له مجال التحديث والاشتغال بالتعليم[2] .

لقد تضافرت هذه العوامل فجعلت مرويات ابن عمرو أقل من مرويات أبى هريرة ، ولا ينبغى أن يثير هذا أى شك ، أو يدخل أية شبهة على مرويات أبى هريرة الكثيرة مع تصريحه بكثرة حديث عبد الله بن عمرو .

٥ — هل كان الصحابة يكذبون أبا هريرة ويردّون أحاديثه ؟

ذكر إبراهيم بن سيار النظام أبا هريرة فقال : أكذبه عمر وعثمان وعلى وعائشة[3] رضوان الله عليهم أجمعين .

وقال بشر المريسى عن عمر بن الخطاب أنه قال : (أكذب المحدثين أبو هريرة[4]) .

وقال أحمد أمين : وقد أكثر بعض الصحابة من نقد أبى هريرة على الإكثار من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشكوا فيه ،

---

(١) انظر فتح البارى ص ٢١٧ ج ١ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ص ٦٢ ج ١٠ و ص ١٥٥ و ١٥٦ و ص ١٧٢ حديث ٦٩٥٢ ج ١١ وحديث ٦٨٦٥ منه أيضا .

(٣) تأويل مختلف الحديث ص ٢٧ .

(٤) رد الدارمى على بشر المريسى ص ١٣٢

كما يدل على ذلك ما روى مسلم فى صحيحه أن أبا هريرة قال : (إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله ...) وفى حديث آخر : (يقولون : إن أبا هريرة قد أكثر . . . [1])

وقال عبد الحسين شرف الدين : (أنكر الناس على أبى هريرة واستفظعوا حديثه على عهده . . . وحسبك أن فى مكذبيه عظماء الصحابة [2] . . .) ، ثم قال : (وبالجملة فإن إنكار الأجلاء « من الصحابة والتابعين » عليه واتهامهم إياه مما لا ريب فيه ، ما تورع منهم عن ذلك أحد حتى مضوا لسبيلهم . . . ولعل جل المعتزلة على هذا الرأى ، قال الإمام أبو جعفر الإسكافى ما هذا نصه : وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضى الرواية ، (قال) ضربه عمر بالدرة ، وقال : قد أكثرت من الرواية فاحربك أن تكون كاذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . [3]) .

وأما أبو رية فقد ساق بعض الأقوال السابقة ، وبعض استدراكات الصحابة على أبى هريرة . . . واستشهد بفقرات لـ (جولد تسيهر) و (شبرنجر) ، وسرد أقوالا مختصرة لبعض ما دار بين الصحابة وأبى هريرة ليكون من ذلك رأيه فى أبى هريرة ، ويجعله أول راوية اتهم فى الإسلام [4] .

مما سبق تبينت لنا الشبه التى أوردها بعضهم على موقف الصحابة من أبى هريرة ، وقد ساقوا تلك الشبه من غير أن يبينوا لنا أسبابها ، وإن بين

---

(١) فجر الإسلام ص ٢١٨ .

(٢) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٢٦٢ ـ ٢٦٤ .

(٣) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ .

(٤) انظر أضواء على السنة المحمدية ص ١٦٦ ـ ١٧٢ .

بعضهم ذلك وإنما يحمل الحادثة على غير محلها .

لذلك سأبين موقف الصحابة من أبى هريرة وحديثه ، وقد اضطر إلى ذكر بعض الأحاديث والأخبار التى دارت بينهم ، أو اختلفوا من أجلها ، لأكشف عن حقيقة أمرهم من زاوية الإسلام ، ولا بد لى أن أشير إلى أن الصحابة ، لم يقفوا من أبى هريرة موقفاً خاصاً ، كما أنهم لم ينظروا إليه من زاوية معينة ، أو بمنظار الشك والريبة ، ولن أطيل بذكر مالا يقتضيه البحث .

(١) هل ضرب عمر أبا هريرة لكثرة روايته ؟

لم يثبت قط أن عمر رضى الله عنه ضرب أبا هريرة بدرته لأنه أكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما ذكره أبو رية فى (ص ١٦٣) وما ذكره عبد الحسين فى (ص ٢٦٨) من ضرب عمر لأبى هريرة رواية ضعيفة ، لأنها من طريق أبى جعفر الإسكافى ، وهو غير ثقة .

وأما تهديد عمر رضى الله عنه لأبى هريرة بالنفى — فهو ما رواه السائب ابن يزيد إذ قال : (سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبى هريرة : لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض دوس ، وقال لكعب الأحبار لتتركن الحديث عن الأول أو لألحقنك بأرض القردة[1]) ، ولكن عبد الحسين وأبا رية قالا إنه قال لأبى هريرة : (لألحقنك بأرض دوس أو بأرض القردة) نقلا عن ابن عساكر ، وأشار أبو رية إلى البداية والنهاية وليس فيها هذا .

---

(١) البداية والنهاية ص ١٠٦ ج ٨ .

وليس فى أية رواية تكذيب عمر لأبى هريرة أو ضربه ، وكل ما فى الأمر أنه نهاه عن كثرة الرواية ، وقد قال ابن كثير عقب خبره : (وهذا محمول من عمر على أنه خشى من الأحاديث التى قد تضعها الناس على غير مواضعها ، وأنهم يتكلون على ما فيها من أحاديث الرُّخَص ، وأن الرجل إذا أكثر من الحديث ربما وقع فى أحاديثه بعض الغلط ، أو الخطأ ، فيحملها الناس عنه أو نحو ذلك . اهـ[1]) .

وروى أن عمر أذن لأبى هريرة بعد ذلك فى التحديث ، بعد أن عرف ورعه وخشيته الخطأ ، قال أبو هريرة : (بلغ عمر حديثى فأرسل إلىّ ، فقال : كنت معنا يوم كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت فلان ؟ قال ، قلت : نعم . وقد علمت لم تسألنى عن ذلك ؟ قال : ولِمَ سألتك ؟ قلت : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . » قال : أما إذن فاذهب فحدث[2] .)

فعمر لم يطعن فى أبى هريرة ، وكل ما صدر منه إنما كان تطبيقاً لمنهجه من التثبت فى السنة والإقلال من الرواية . وأبو هريرة نفسه كان يذكر لأصحابه شدة عمر فى تطبيق منهجه[3] .

ويدل على أن عمر لم يكذبه ، ولم يطعن فيه ، ولم يهدده بالنفى إلى جبال دوس — هذا الحديث الذى رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة قال : (أخذت

---

(١) البداية والنهاية ص ١٠٧ جـ ٨ .

(٢) البداية والنهاية ص ١٠٧ جـ ٨ وانظر سير أعلام النبلاء ص ٤٣٤ جـ ٢ .

(٣) انظر البداية والنهاية ص ١٠٧ جـ ٨ وانظر ما ساقه أبو القاسم البلخى فى كتابه قبول الأخبار ص ٥٧ — ٥٨ محاولا الطعن فى أبى هريرة ولكنه لم يوفق . وقد أساء أبو رية بعدم نقله النصوص كاملة من ابن كثير .

الناس ريح بطريق مكة ، وعمر بن الخطاب حاج ، فاشتدت عليهم ، فقال عمر لمن حوله : من يحدثنا عن الريح ؟ فلم يرجعوا إليه شيئاً ، فبلغنى الذى سأل عنه عمر من ذلك ، فاستحثثت راحلتى حتى أدركته ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أخبرت أنك سألت عن الريح ، وإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الريحُ من رَوْحِ الله ، تأتى بالرحمة ، وتأتى بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسُبُّوها ، وسلوا الله خيرها ، واستعيذوا به من شرها»[1] .) ، إنه لم يجب عمر سوى أبى هريرة ، فهل يعقل بعد هذا أن يكذبه عمر ، أو يهدده بالنفى وقد عرف حفظه واتقانه !!؟

وأما ادعاء بشر المريسى تكذيب الفاروق لأبى هريرة — فهو باطل ، لا أصل له ، وما رواه عن عمر ، أنه قال : أكذب المحدثين أبو هريرة . لم يذكر سنده . وقد تصدى له عثمان بن سعيد الدارمى (٢٠٠ — ٢٨٠ هـ) فرد عليه ردا قوياً[2] .

(ب) أبو هريرة وعثمان بن عفان :

لم يذكر مصدر موثوق به أن عثمان كذّب أبا هريرة كما ادعى النظام وغيره ، كما لم يثبت أنه طعن فيه ، أو منعه من التحديث . وكل ما هنالك رواية ذكرها الرامهرمزى قال : حدثنا عبيد الله بن هارون بن عيسى — ينزل جبل رامهرمز — حدثنا إبراهيم بن بسطام ، حدثنا أبو داود عن عبد الرحمن بن أبى الزناد عن محمد قال : أظنه ابن يوسف ، قال : سمعت السائب بن يزيد يحدّث قال : (أرسلنى عثمان بن عفان إلى أبى هريرة قال :

---

(١) مسند الإمام أحمد ص ٥٢ حديث ٧٦١٩ ج ١٤ .

(٢) انظر رد الدارمى على بشر المريسى ص ١٣٢ وما بعدها .

قل له : يقول لك أمير المؤمنين : ما هـذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لقد أكثرت لتنتهين أو لألحقنك بجبال دوس[1] . . .) ولـكن هذا الخبر روى عن عمر بن الخطاب ، ولم نر إلا هذه الرواية عن عثمان رضى الله عنه ، ولو صحت فليس فيها طعن فى أبى هريرة ، لأنه ينهاه عن الإكثار من الرواية عند ما لا تـكون هناك حاجة إلى الإكثار منها ، وأبو هريرة نفسه لم ير فى هذا مطعناً ، ولم يترك كل هذا أثراً فى نفسه ، فنراه يوم الدار يدافع عن الخليفة الراشد الثالث رضى الله عنهما .

(حـ) أبو هريرة وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما :

لم يذكر فى مصدر موثوق به ما يدل على أن عليا رضى الله عنه كذّب أبا هريرة أو نهاه عن التحديث ، ولـكن بعض أعداء أبى هريرة يستشهدون برواية ضعيفة عن أبى جعفر الاسكافى ، وهى أن علياً لما بلغه حديث أبى هريرة قال : ألا إن أكذب الناس — أو قال أكذب الأحياء على رسول الله — أبو هريرة الدوسى[2]) فهذه رواية مردودة لا نقبلها عن الإسكافى ، لأنه صاحب هوى داع إلى هواه .

وقد رد ابن قتيبة على جميع ما ألصقوه بالإمام على طعنا فى أبى هريرة[3] .

---

(١) المحدث الفاصل بين الراوى والواعى ص ١٣٣ .

(٢) شرح منهج البلاغة طبعة بيروت ص ٤٦٨ ـ ١ وأبو هريرة ص ٢٧٣ .

(٣) انظر تأويل مختلف الحديث ٢٧ و ص ٥١ وما بعدها . ومما يؤسف له أن عداءهم لأبى هريرة أعمى بصيرتهم فساقهم هواهم إلى اختلاق أخبار على أمير المؤمنين على رضى الله عنه تثبت مخالفته للسنة فى سبيل معارضته أبا هريرة رضى الله عنه ، وأمير المؤمنين من كل هذا براء ، انظر كتابنا أبو هريرة راوية الإسلام الفصل الثانى (أبو هريرة وعلى رضى الله عنهما) .

(د) أبو هريرة وعائشة رضى الله عنهما :

لقد طالت حياة عائشة أم المؤمنين وحياة أبى هريرة ، فكانت حاجة الناس إليهما بمتدار حياتهما فيهم ، ولهذا روى عنهما من الحديث ما لم يرو عن غيرهما ، وقد كان أبو هريرة يحدث فتستدرك عليه السيدة عائشة تارة ، وتوافقه أخرى ، كما كان يحدث مع غيره من الصحابة ، فقد استدركت عائشة على أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وعلى ابن عمر ، وعلى أبى هريرة[1] . . . وكل ذلك كان من باب التفاهم والسؤال عن الحديث ، أو البحث عن الدليل فى المسألة التى يفتى فيها ، كما استدرك غيرها عليها ، وكما كانت أحياناً توجه من يسألها إلى من هو أعرف منها بالمسئول عنه ، كما وجهت من سألها عن مسح الخف إلى على رضى الله عنهما[2] . وفى كل هذا لم يشعر الصحابة بغضاضة أو حرج ، لأن هدفهم جميعاً واحد ، هو تطبيق الشريعة ، وما كان الصحابة يكذب بعضهم بعضاً ، إلا أن من جاء بعدهم من أهل الأهواء الذين استغلوا ما دار بين الصحابة من نقاش علمى ، أو تثبت فى الحديث ، وجعلوا منه مادة ينفذون من خلالها إلى مآربهم ، ويحققون غاياتهم ، ولكنهم لم يفلحوا ، لأن الأمة لم تعدم العلماء المخلصين ، الساهرين النابهين ، الذين بينوا الحق من الباطل ، ووضعوا كل شىء فى موضعه .

وما من حادثة وقعت لأبى هريرة مع السيدة عائشة إلا بين العلماء وجه الحق فيها ، ولم يروا فى عائشة موقف المكذب لأبى هريرة الطاعن

---

(١) جمع الإمام بدر الدين الزركشى كتابا فى هذا سماه (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ص ١٧٥ حديث ٩٠٦ ج ٢ ، ورواه الإمام مسلم .

فى أحاديثه[1] ، ولم يتهم أحد مما دار بينهما أن أبا هريرة كذاب يتهمه الصحابة فى صدقه وعلمه ، لم يتهم هذا إلا أهل الأهواء ، وأعداء السنن .

ومما يؤسف له أنهم كانوا يؤولون الأخبار كما يريدون ، ويفسرون الأحاديث كما يرغبون ، وينظرون إلى جانب واحد من موقف الصحابة من أبى هريرة ، وهو جانب المناقشات العلمية ، فيحسبون أنهم وقعوا على غنيمة دسمة ، ويتغافلون الأخبار الصحيحة ، التى تبين صدق أبى هريرة وأمانته ، وثناء الصحابة عليه ، ويستشهدون ببعض الروايات الضعيفة ، ويختارون من الثابت منها ما يحقق مآربهم ، وأضرب لهذا مثلا :

قالوا : إن عائشة أنكرت عليه حديثه ، فماذا أنكرت ؟ وكيف أنكرت عليه ؟

عن ابن شهاب أن عروة بن الزبير حدثه أن عائشة قالت : (ألا يعجبك أبو هريرة ! جاء فجلس إلى جانب حجرتى ، يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسمعنى ذلك ، وكنت أسبح[2] ، فقام قبل أن أقضى سبحتى ، ولو أدركته لرددت عليه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم[3] .) كأنها تنقد أبا هريرة فى سرعة إلقائه .

إن إنكار عائشة رضى الله عنها على أبى هريرة لم يكن موجها إلى ما يحدث

---

(١) انظر تفصيل هذه الروايات والرد عليها فى كتابنا (أبو هريرة راوية الإسلام) الفصل الثانى فقرة (أبو هريرة وعائشة) .

(٢) معنى أسبح أصلى نافلة ، وهى السبحة ، قيل المراد هنا صلاة الضحى . انظر فتح البارى ص ٣٩٠ جـ ٧ .

(٣) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص١٣٥ وانظر صحيح مسلم ص ١٩٤٠ حديث ٢٤٩٣ جـ ٤ ، وفتح البارى ص ٣٩٠ جـ ٧ .

به ، إنما أنكرت عليه أنه يسرد الحديث ، ويظهر هذا فيما روى عنها : (إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لوعده العاد لأحصاه[١]) . ولو أنكرت عائشة عليه غير سرده الحديث لقالت وبينت ، وهى الجريئة الصريحة ، فأبو هريرة لم يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كان يسرد الحديث ويكثر منه فى مجلسه . فأى شىء يضيره إذا كان متيقظا متنبها عارفا لما يروى ؟

قال ابن حجر : (واعتذر عن أبى هريرة بأنه كان واسع الرواية ، كثير المحفوظ ، فكان لا يتمكن من المهل عند إرادة التحديث ، كما قال بعض البلغاء : أريد أن اقتصر فتتزاحم القوافى على فى)[٢] .

وقد أثنت عائشة على أبى هريرة وصدقته ، من هذا أنه بلغ عبد الله بن عمر حديث عن أبى هريرة وهو (من خرج مع جنازة من بيتها وصلى عليها ثم تبعها حتى تدفن كان له قيراطان من أجر ، كل قيراط مثل أحد ، ومن صلى عليها ثم رجع كان له من الأجر مثل أحد[٣]) فأرسل ابن عمر إلى عائشة يسألها عن قول أبى هريرة . فقالت لرسوله : صدق أبو هريرة . فضرب ابن عمر الأرض بحصى كان فى يده ثم قال : (لقد فرطنا فى قراريط كثيرة[٤]) . وفى رواية قال ابن عمر : (أنت أعلمنا يا أبا هريرة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه[٥]) .

---

(١) فتح البارى ص ٣٨٩ ج ٧ .

(٢) فتح البارى ص ٣٩٠ ج ٧ .

(٣ و ٤) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ص ١١٧ وتدوينه الشيخان . وانظر ص ٤٢٤ من هذا الكتاب .

(٥) انظر طبقات ابن سعد ص ١١٨ قسم ٢ ج ٢ والبداية والنهاية ص ١٠٧ ج ٨ . فتح البارى ص ٢٢٥ ج ١ .

إن أعداء السنن يأبون أن يذكروا مثل هذه الرواية التي تقوض ما يبنون، وتأتي على أساس ما يدعون، فلم يكذب الصحابة أبا هريرة ولم يتهموه، وإن موقف ابن عباس منه وابن عمر والزبير ومروان بن الحكم وغيرهم لا يعدو موقف المتثبت المتوخي للحق، ولا يقصر عن موقف العالم النزيه، وقد ثبت — فيما سبق — ثناء الصحابة والعلماء عليه، فهل يعقل أن يطعنوا فيه تارة ويثنوا عليه أخرى[1] !؟؟

ومع هذا فإن بعض الكتاب والمؤلفين أمثال عبد الحسين وأبي رية لم يأبهوا بكل هذا، واستنتجوا من تلك المناقشات العلمية كذب أبي هريرة، حتى إن عبد الحسين رأى فيما دار بين أبي هريرة والصحابة دليلا قاطعا على تجريحه، فقال: (وناهيك تكذيب كل من عمر وعثمان وعلي وعائشة له، وقد تقرر بالإجماع تقديم الجرح على التعديل في مقام التعارض، على أنه لا تعارض هنا قطعاً . . .[2]) أي تكذيب هذا ؟ وأي تجريح بعد أن عرفنا حقيقة موقف الصحابة من أبي هريرة ؟ فهل ندع هذه الأدلة الصحيحة، التي تثبت إجلال الصحابة له، واحترامهم إياه، وروايتهم عنه ونقبل ادعاءات واهية لا تقوم على دليل أو برهان ؟

ثم إن تحامل أعداء أبي هريرة واضح جدا، فقد اتهموه بالتتلمذ على كعب الأحبار لروايته بعض الأحاديث التي وافقه عليها كعب، وأنكروا عليه إنكاراً شديداً، علماً بأنه لم يتفرد بروايتها، فلِمَ يقفون منه هذا الموقف ولا يقفونه من غيره من الصحابة الذين رووا ما رواه أبو هريرة ؟

---

(١) انظر كتابنا (أبو هريرة راوية الإسلام) حيث تفصيل ما دار بينه وبين الصحابة في الفصل الثاني تحت عنوان: هل كان الصحابة يكذبون أبا هريرة، ويردون أحاديثه ؟).

(٢) أبو هريرة لعبد الحسين ص ٢٧٩ .

مثال ذلك قول أبي رية (وإليك مثلا من ذلك نختم به ما ننقله من الأحاديث التي رواها أبو هريرة عن النبي وهي في الحقيقة من الاسرائيليات حتى لا يطول بنا القول : روى الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إنَّ في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام . اقرؤا إن شئتم وظل ممدود . ولم يكد أبو هريرة يروى هذا الحديث حتى أسرع كعب فقال : صدق والذي أنزل التوراة على موسى ، والفرقان على محمد . . .[1]) .

ما وجه الإنكار لهذا الحديث . وقد رواه غير أبي هريرة من الصحابة ؟ رواه سهل بن سعد وأبو سعيد الخدري[2] ، فهل خدع كعب هذين الصحابيين أيضا ؟ وما هي غاية كعب في قوله هذا ؟ إني أعجب من إنكار الكاتب عليه هذا الحديث ، فهل أنكر على أبي هريرة هذا الحديث لضخامة الشجرة ؟ وهل يُستغربُ وجود مثل هذه الشجرة في جنة قال فيها الله عز وجل : « . . . وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ[3] » ؟ أم أنكر عليه أن يسير الراكب مائة عام في ظلها ؟ أم أنكر عليه كل هذا لأنه لم يعهد في حياته مثلها ؟

هل يريد هؤلاء أن ينفوا كل مالم تتصوره عقولهم وتفكيرهم ؟ فإن أرادوا هذا وجب عليهم أن ينفوا كثيرا من المخترعات التي نسمع بها ولا نراها ، أو ينفوا كثيراً مما جاء في القرآن الكريم ، بل على مثل هذا الكاتب أنه

(١) أضواء على السنة المحمدية ص ١٧٧ ، وانظر مما استشهد به ص ١٩٨ وما بعدها .
(٢) انظر صحيح مسلم ص ٢١٧٥ و ٢١٧٦ جـ ٤ .
(٣) ٢١ : الحديد . وأول الآية « سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها . . . »

يترك جانباً عظيما من اللغة العربية ، ذلك لأن بعض ما جاء في السنة من ألفاظ وعبارات إنما جاء على نسق وسنن ما حكاه القرآن الكريم من عبارات سيقت من باب المجاز لا من باب الحقيقة ، تخاطب الإحساسات النفسية ، والنفوس البشرية ، لتتصور عظمة ما يمثله القرآن الكريم من الثواب والعقاب . . . لذلك وجب علينا أن نصرف الألفاظ والعبارات التي لا تطابق الحقيقة إلى المجاز ، فالعدد معنى خاص لا يتناول غيره ، وقد أجمع المفسرون على أن بعض ما ذكر من الأعداد في القرآن الكريم إنما جاء للتكثير لا للحصر ، وكذلك ما جاء في السنة — في مثل هذا المقام — من العبارات للكثرة التي لا تتناول حقيقة العدد . وهنا إنما ورد للتكثير وبيان اتساع ذلك الظل الذي أعده الله تعالى للمؤمنين ، فمن الخطأ أن يجعل المؤلف الحقيقة والواقع ميزانا لتلك الألفاظ التي وردت من باب المجاز ، لأنه في ذلك سيجانب القواعد المسلمة في اللغة ، ويقع معها في أخطاء فادحة ، لا يقره عليها أحد ، ويلزم من هذا عدم فائدة الاستعارات والكنايات والمجازات العقلية ، التي تشكل جانباً عظيما في تراثنا الأدبي ، مادام المؤلف سيصرف كل لفظ إلى حقيقته ! !

وقد سبق أن ذكرت ثناء الصحابة والعلماء على أبي هريرة ، وأكرر هنا قول الحافظ الذهبي فيه ، ليكون ردا قاصما لأهل الأهواء — : (وقد كان أبو هريرة وثيق الحفظ ما علمنا أنه أخطأ في حديث[1] .)

وهكذا نجا أبو هريرة من تلك الأعاصير التي عصفت حوله ، ومن تلك الأمواج التي تلاطمت على قدميه ، فبقي صامداً لها ، وانهار ما ادعاه أعداؤه أمام الصرح الشامخ الذي يحمي عدالته ، وتحطمت سهامهم الواهية على الحصن

(١) سير أعلام النبلاء ص ٤٤٥ ج ٢

المنيع الذى بناه بصدقه وأمانته واستقامته . فبقى أحد أعلام السنة وراوية الإسلام يحترمه الجمهور ، ويعرفون مكانته ومنزلته رضى الله عنه وأرضاه .

ولتكن شهادة ابن خزيمة[1] مسك الختام فى أبى هريرة ، ومن خلالها نظهر منزلته ومكانته ، قال : (وإنما يتكلم فى أبى هريرة ، لدفع أخباره ، من قد أعمى الله قلوبهم ، فلا يفهمون معانى الأخبار :

إما معطل جهمى ، يسمع أخباره التى يرونها خلاف مذهبهم — الذى هو كفر — فيشتمون أبا هريرة ، ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه ، تمويها على الرعاء والسفل ، أنَّ أخبارَه لا تثبتُ بها الحجة !

وإما خارجى ، يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يرى طاعة خليفة ولا إمام ، إذا سمع أخبار أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، خلاف مذهبهم الذى هو ضلال ، لم يجد حيلة فى دفع أخباره بحجة ، كان مفزعه الوقيعة فى أبى هريرة !

أو قدَرى ، اعتزل الاسلام وأهله ، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية ، التى قدرها الله تعالى ، وقضاها قبل كسب العباد لها ، إذا نظر إلى أخبار أبى هريرة ، التى قد رواها عن النبى صلى الله عليه وسلم فى إثبات القدر ، لم يَجِد بحجة تؤيد[2] صحة مقالته التى هى كفر

---

(١) هو أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمى (٢٢٣ — ٣١١ هـ) ، أحد مشايخ شيوخ الحاكم ، كان إمام نيسابور فى عصره ، جمع بين الفقه والاجتهاد ، عالم بالحديث ، رحل إلى بلاد كثيرة منها العراق ، والشام ، والجزيرة ومصر ، لقبه السبكى بإمام الأئمة ، له مصنفات كثيرة تربو على (١٤٠) انظر طبقات السبكى ص ١٣٠ ج ٢ .

(٢) فى الأصل : (يريد) وما أثبتناه أصوب .

وشرك ، كانت حجته (عند نفسه[١]) . أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها .

أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه ، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه واختاره[٢] تقليداً بلا حجة ولا برهان — تكلم[٣] في أبي هريرة ، ودفع أخباره التي تخالف مذهبه ، ويحتج بأخباره عن مخالفيه إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه ! ! !

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخباراً لم يفهموا معناها ! ! أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله عز وجل . . .[٤])

• • •

---

(١) هكذا في الأصل .
(٢) في الأصل (أخباره) . وما أثبتناه أكثر مناسبة للمعنى .
(٣) في الأصل (كلم) . وما أثبتناه أصوب .
(٤) المستدرك على الصحيحين للحاكم ص ٥١٣ جـ ٣ .

عبد الله بن عمر بن الخطاب

(١٠ ق هـ – ٧٣ هـ)*

أسلم عبد الله بن عمر صغيرا، وهاجر إلى المدينة مع أبيه وقيل قبله، وهو ابن إحدى عشرة سنة، عرض على رسول الله يوم بدر ويوم أحد فاستصغره، وأجازه يوم الخندق وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة، فشهد الخندق وما بعدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد بعده اليرموك وفتح مصر وشمال أفريقيا.

اشتهر ابن عمر بحرصه على اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي به[1]. وكان يحضر مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسأل من حضر إذا غاب عنها، وفيه قال ابن الحنفية: (كان ابن عمر حبر هذه الأمة).

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى عن أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر ومعاذ وعائشة وغيرهم.

وروى عنه خلق كثير، منهم جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس،

(*) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ص ١٠٥ – ١٣٨ قسم ١ ج ٤، وحلية الأولياء ص ٢٩٢ – ٣١٤ ج ١، وتذكرة الحفاظ ص ٣٥ ج ١، والإصابة ص ١٠٧ ج ٤ والجمع بين رجال الصحيحين ص ٢٣٨ ج ١، والبارع الفصيح ص ٩ : ب والرياض المستطابة ص ٥١. وأسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ص ١.

(١) انظر بعض ما روى عنه في ص ٨٥ – ٩٠ من هذا الكتاب، وكان محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان إذا ذكره بكى وما مر على ربعه إلا غمض عينيه. انظر تذكرة الحفاظ ص ٣٦ ج ١.

وبنوه سالم وعبد الله وحمزة وبلال ، ومولاه نافع ، وأسلمُ مولى عمر ، وابن أخيه حفص بن عامر .

وروى عنه من كبار التابعين سعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص[1] ، وأبو عبد الرحمن النهدى ، ومسروق ، وجبير بن نفير ، وعبد الرحمن بن أبى ليلى ، وروى عنه ممن بعدهم عبد الله بن دينار ، وزيد وخالد ابنا أسلم ، وعروة بن الزبير ، وبشر بن سعيد ، وعطاء ، ومجاهد ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهم .

قال فيه ابن مسعود : (إن أملك شباب قريش لنفسه عن الدنيا عبد الله بن عمر) وعن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال : (ما منا من أحد أدرك الدنيا إلا مالت به ومال بها غير عبد الله بن عمر .)

وكان جريئا فى الحق لا يخاف فيه لومة لائم ، وله مواقف كثيرة فى ذلك .

وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن قال : (كان عمر فى زمان له فيه نظراء ، وكان ابن عمر فى زمان ليس له فيه نظير) .

كان مثالا رائعا فى الورع والتقوى والعبادة ، وكان إذا قرأ : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ[2] » بكى حتى يغلبه البكاء ، وكان لا يصوم فى السفر ولا يكاد يفطر فى الحضر .

وكان كثير التواضع والتسامح والرحمة والكرم ، يكثر التصدق بما يشتهيه من الطعام ويتقرب إلى الله بما يعجبه من ماله ، أتته فى ليلة عشرة آلاف درهم ،

---

(١) هو علقمة بن وقاص الليثى ، وليس ابن أبى وقاص الزهرى انظر تذكرة الحفاظ ص ٥٠ جـ ١ .

(٢) ١٦ : الحديد .

فما بات حتى وزعها ، وكان في مجلس فأتى ببضعة وعشرين ألفاً فما قام من مجلسه حتى فرقها وزاد عليها ، وقد ينفد ما معه فيستدين ليعطى ذوى الحاجات . وكان لا يأكل طعاماً إلا على خوانه يتيم ، وما مات ابن عمر حتى أعتق ألف إنسان أو يزيد .

رشحه بعض الصحابة للخلافة بعد أبيه ، فأبى عمر وجعلها شورى بين الستة ، فوقف عبد الله بن عمر بعيداً عن جميع الفتن ، وتفرغ للعلم والعبادة . لذلك كان من المكثرين من الرواية ، وساعده على هذا تقدم إسلامه ، وطول عمره ، ومخالطته للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت اخته حفصة زوجة النبي عليه الصلاة والسلام فسهل عليه دخوله وخروجه على الرسول الكريم .

روى عنه (٢٦٣٠) حديثاً ، أخرج له الشيخان البخاري ومسلم (٢٨٠) حديثاً ، اتفقا على (١٦٨) حديثاً منها ، وانفرد البخاري بـ (٨١) حديثاً ، ومسلم بـ (٣١) حديثاً ، وأحاديثه في الكتب الستة ، والمسانيد ، وسائر السنن .

توفي في مكة سنة (٧٣ هـ) بعد مقتل عبد الله بن الزبير بثلاثة أشهر ، وقيل سنة (٧٤ هـ) ، وعمره أربعة وثمانون عاما .

* * *

أنس بن مالك

(١٠ ق هـ — ٩٣ هـ)*

هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الأنصارى الخزرجى النجارى ، وأمه أم سليم بنت ملحان ، جاءت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة وقالت : يا رسول الله ، هذا غلام يخدمك فقبله صلى الله عليه وسلم ، فنشأ فى بيت النبوة ، وأحبه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفى هذا يقول أنس : (خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ، فما أمرنى بأمر توانيت عنه ، أو صنعته فلامنى ، وإن لامنى أحد من أهله قال : دعوه فلو قدر — أو قال قُضِىَ — أن يكون لكان .) ، فشاهد أنس ما لم يشاهده غيره .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن رواحة ، وعن فاطمة الزهراء ، وعبد الرحمن ابن عوف ، وعن غيرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى عنه الحسن ، وسليمان التيمى ، وأبو قلابة ، وأبو مجلز ، وعبد العزيز ابن صهيب ، وإسحاق بن أبى طلحة ، وأبو بكر بن عبد الله المزنى ، وقتادة وثابت البنانى ، ومحمد بن سيرين ، وأنس بن سيرين ، وابن شهاب الزهرى ، وربيعة بن عبد الرحمن ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وسعيد بن جبير ، وخلق كثير غيرهم .

(*) أهم مراجع ترجمته : طبقات ابن سعد ص ١٠ ج ٧ وتذكرة الحفاظ ص ٤٢ ج ١ وتهذيب التهذيب ص ٣٧٦ ج ١ والبارع الفصيح ص ٩:ب . وأسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ص ١ ، والرياض المستطابة ص ٨ .

كان كثير العبادة قليل الكلام ، قال فيه أبو هريرة : (ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من ابن أم سليم .

وقد بعثه أبو بكر للسعاية[1] على البحرين ، ثم استقر بالبصرة بعد المدينة ، وأصبح محط أنظار أهل العلم ، فروى عنه (٢٢٨٦) حديثاً وأخرج له الشيخان (٣١٨) حديثاً واتفقا على (١٦٨) حديثاً منها ، وانفرد البخارى بـ (٨٠) حديثاً ومسلم بـ (٧٠) حديثاً .

وتوفى أنس فى البصرة (سنة ٩٣ هـ) وهو آخر من توفى بالبصرة من الصحابة .

عن قتادة قال : لما مات أنس بن مالك قال مورق : ذهب اليوم نصف العلم قيل : كيف ذاك ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء إذا خالفنا فى الحديث قلنا : تعال إلى من سمعه من النبى صلى الله عليه وسلم .

* * *

---

(١) السعاية : يقال لعامل الصدقات ساع وجمعه سعاة ، وسمي المصدق يسعى سعاية إذا عمل على الصدقات وأخذها من أغنيائها وردها فى فقرائها . انظر لسان العرب مادة (سعى) ص ١٠٨ جـ ١٩ .

عائشة أم المؤمنين

(٩ ق هـ - ٥٨ هـ)*

هى عائشة بنت أبى بكر الصديق ، إحدى أمهات المؤمنين ، بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شوال بعد وقعة بدر ، فأقامت فى صحبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر ، وكانت أحب نسائه إليه ، وهى الطاهرة التى برأها القرآن الكريم مما رماها به أهل الأفك .

كانت ذكية فطنة طلابة للعلم ، يسر لها زواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاطها به معرفة كثير من أحكام الإسلام . ولها الفضل الكبير فى نقل كثير مما يتعلق بأمور النساء ، لذلك كانت أكثر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رواية عنه ، وتعد من أفقه الصحابة ، وقد شهد بعلمها وفقهها الصحابة والتابعون ، كما كان لها علم بالطب ، قال عروة : ما رأيت أحداً أعلم بالطب منها ، وقال على بن مسهر : أخبرنا هشام عن أبيه (عروة) أنه قال : ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفرضه ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب والنسب من عائشة .

فلا غرابة أن نرى الصحابة والتابعين يلتفون حولها يتفقهون بها ، ويرجعون إليها فى أمورهم . وفى هذا يقول قبيصة بن ذؤيب : كانت عائشة أعلم الناس يسألها أكابر الصحابة .

(*) أهم مصادر ترجمتها : طبقات ابن سعد ص ٣٩ ج ٨ ، وتذكرة الحفاظ ص ٢٦ ج ١ ، والإصابة ص ١٣٩ ، ترجمة (٧٠١) ج ٨ ، تهذيب التهذيب ص ٤٣٣ ترجمة ٢٨٤١ ج ١٢ والبارع الفصيح ص ٩ : ب والجمع بين رجال الصحيحين ص ٦٠٩ ج ٢ والرياض المستطابة ص ٨٢

وعن أبى موسى قال : ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما .

وكانت كريمة وقوراً ، يحترمها كل من يلقاها ، وقد كرمها الصحابة والتابعون ، روت عائشة رضى الله عنها عن الرسول الكريم الكثير الطيب ، وروت عن أبيها ، وعن عمر ، وفاطمة ، وسعد بن أبى وقاص ، وأسيد بن حضير ، وجذامة بنت وهب ، وحمزة بن عمرو .

وروى عنها من الصحابة عمر ، وابنه عبد الله ، وأبو هريرة ، وأبو موسى ، وزيد بن خالد ، وابن عباس ، وربيعة بن عمرو الجرشى ، والسائب بن يزيد ، وغيرهم .

وروى عنها من كبار التابعين القاسم وعبد الله ابنا محمد بن أبى بكر ، وعروة ابن الزبير ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، ومواليها : أبو بكر ، وذكوان وأبو يونس . وسعيد بن المسيب ، وعمرو بن ميمون ، وعلقمة بن قيس ، ومسروق ، وعبد الله ابن حكيم ، والأسود بن يزيد ، وغير هؤلاء خلق كثير .

روى لها (٢٢١٠) ألفان ومائتان وعشرة أحاديث ، لها فى الصحيحين (٣١٦) حديثا ، اتفق الشيخان على (١٩٤) حديثاً منها ، وانفرد البخارى بـ (٥٤) حديثا ، ومسلم بـ (٦٨) حديثاً ، وأحاديثها فى الكتب الستة وسائر كتب السنن .

توفيت سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند أكثرهم ، وقال بعضهم سنة سبع وخمسين .

* * *

عبد الله بن عباس

(٣ ق هـ - ٦٨ هـ)*

هو أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وابن أخت زوجه ميمونة بنت الحارث الهلالية أم المؤمنين . ولد بالشعب حين حصرت قريش بني هاشم ، وكانت سنه عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة . وقد ضمه الرسول عليه الصلاة والسلام إليه وقال : اللهم علمه الحكمة .

كان طلابة للعلم ، وكان لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاطه به أثر بعيد في تحمله الكثير الطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أصبح ترجمان القرآن ، وكان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه . ولم يأل جهداً — بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم — في طلب العلم ، فكان يقصد الصحابة ويسألهم ، حتى إنه لينتظر الصحابي في قيلولته ، فيتوسد رداءه على بابه ، والريح تسفي التراب على وجهه حتى يخرج إليه فيخبره بما أراد . ويقول له الصحابي : هلا أرسلت إليّ فآتيك ؟ فيقول : لا ، أنا أحق أن آتيك . قال عمرو بن دينار : ما رأيت مجلساً كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس ، الحلال والحرام ، والعربية ، والأنساب ، والشعر .

وكان عمر رضي الله عنه إذا أعضلت عليه قضية دعا ابن عباس ، وقال له :

(*) أهم مصادر ترجمته : سير أعلام النبلاء ص ٢٢٤ ج ٣ ، وتذكرة الحفاظ ص ٣٧ ج ١ والإصابة ص ٩٠ ج ٤ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٧٦ ج ٥ والجمع بين رجال الصحيحين ص ٢٣٩ ج ١ والبارع الفصيح ص ٩ : ب ، والرياض المستطابة ص ٥٢

أنت لها ولأمثالها ، ويأخذ بقوله وكان قوى الذاكرة ، سريع الحفظ .

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعن أبيه ، وأمه أم الفضل ، وعن أخيه الفضل ، وخالته ميمونة ، وعن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن ابن عوف ، ومعاذ بن جبل ، وأبى ذر الغفارى ، وأبى بن كعب ، وعن تميم الدارى ، وخالد بن الوليد ، وهو ابن خالته ، وأسامة بن زيد ، وأبى سعيد الخدرى ، وأبى هريرة ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وعن كثير غير هؤلاء .

وروى عنه خلق كثير ، من أشهرهم من الصحابة عبد الله بن عمرو بن ثعلبة بن الحكم الليثى ، والمسور بن مخرمة ، وأبو الطفيل ، وغيرهم ، ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، والقاسم بن محمد ، وعكرمة ، وعطاء ، وطاوس ، وكريب ، وسعيد ابن جبير ، ومجاهد ، وعمرو بن دينار ، وغيرهم .

وقد قال فيه ابن عمر : (ابن عباس أعلم أمة محمد بما أنزل على محمد) .

وقد روى له (١٦٦٠) حديثاً ، أخرج له الشيخان منها (٢٣٤) حديثا ، اتفقا على (٧٥) حديثا منها ، وانفرد البخارى بـ (١١٠) حديث ، ومسلم بـ (٤٩) حديثا ، وأحاديثه فى الكتب الستة وكتب السنن .

استعمله على رضى الله عنه على البصرة أميرا ، ثم فارقها قبل استشهاد على رضى الله عنه وعاد إلى مكة يعلم الناس ، وكف بصره فى آخر أيامه ، وتوفى بالطائف سنة (٦٨ هـ) ، وصلى عليه محمد بن الحنفية وقال : اليوم مات ربانى هـذه الأمة .

* * *

جابر بن عبد الله الأنصاري

(١٦ ق هـ — ٧٨ هـ)*

هو أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصارى السلمى الفقيه مفتى المدينة فى زمانه ، كان مع من شهد العقبة فى السبعين من الأنصار ، توفى والده فى غزوة أحد وترك عيالاً وديناً ، فسرى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وشمله بعطفه وكرمه ، ورعاه بعنايته حتى قضى دينه ، وكان يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد معه المشاهد كلها إلا غزوتى بدر وأحد فإن أباه خلفه على إخوته .

إن ضيق الحياة لم يمنع جابرا عن طلب العلم وتحصيله ، فتحمل حديثا كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحل فى طلب العلم بعد وفاته حيث سمع من كبار الصحابة ، فروى عن الرسول الكريم ، وعن أبى بكر ، وعمر ، وعلى ، وعن أبى عبيدة ، وطلحة ، ومعاذ بن جبل ، وعمار بن ياسر ، وخالد بن الوليد ، وأبى هريرة ، وأبى سعيد ، وعبد الله بن أنيس ، وغيرهم .

وروى عنه أولاده : عبد الرحمن وعقيل ومحمد ، وسعيد بن المسيب ، ومحمود بن لبيد ، وعمرو بن دينار ، وأبو جعفر الباقر ، وابن عمه محمد بن

(*) أهم مصادر ترجمته أسماء الصحابة الرواة ص ١ والإصابة ص٢٢٢ جـ١ وتهذيب التهذيب ص ٣٩ جـ ٢ وتذكرة الحفاظ ص ٤٠ جـ ١ والبارع الفصيح ص ٩ : ب والجمع بين رجال الصحيحين ص ٧٢ جـ ١ والرياض المستطابة ص ١٠ .

عمرو بن الحسن ، ومحمد بن المنكدر ، وعامر الشعبى ، وغيرهم . وكان له حلقة فى المسجد النبوى يؤخذ عنه فيها العلم

روى له من الحديث (١٥٤٠) حديثا ، روى له الشيخان منها (٢١٢) حديثا ، اتفقا على (٦٠) حديثاً منها ، وانفرد البخارى بـ (٢٦) حديثا ، ومسلم بـ (١٢٦) حديثا ، وله منسك صغير فى الحج أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه .

عاش جابر (٩٤) سنة وكف بصره فى أواخر حياته وتوفى سنة (٧٨ هـ) على أرجح الأقوال رضى الله عنه وأرضاه . وهو آخر من توفى من الصحابة .

• • •

أبو سعيد الخدري

(١٢ ق هـ — ٧٤ هـ)*

هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الخدرى الأنصارى الخزرجى المدنى ، استشهد والده فى غزوة أحد ، فقاسى أبو سعيد شظف العيش ، ويروى أنه كان من أهل الصفة ، استصغر يوم أحد ، ثم شهد معظم الغزوات مع النبى صلى الله عليه وسلم ، وشهد بيعة الرضوان ، وكان يحضر حلقات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فتحمل عنه الكثير الطيب حتى عد فى المكثرين عنه .

روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أبى بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعن زيد بن ثابت ، وغيرهم من الصحابة وروى عنه من الصحابة ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وجابر ، ومحمود بن لبيد ، وأبو أمامة بن سهل ، وأبو الطفيل ، ومن كبار التابعين سعيد بن المسيب ، وأبو عثمان النهدى ، وطارق بن شهاب ، وغيرهم ، وممن بعدهم عطاء ، وعياض بن أبى سرح ، ومجاهد ، وغيرهم .

روى له من الحديث (١١٧٠) حديثا ، أخرج له منها الشيخان (١١١) حديثاً ، اتفقا على (٤٣) حديثا منها ، وانفرد البخارى بـ (١٦) حديثا ، ومسلم بـ (٥٢) حديثا ، أحاديثه فى الكتب الستة ، وروى عنه جميع أصحاب المسانيد والسنن .

عرف أبو سعيد باستقامته الشديدة ، وحرصه على الحق ، فكان يصدع به لا يخاف فى الله لومة لائم ، وتوفى رضى الله عنه بالمدينة سنة (٧٤ هـ) ، وسنه (٨٦) سنة .

* * *

(*) حلية الأولياء ص ٣٦٩ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ٣٧٩ ج ٣ ، وتذكرة الحفاظ ص ٤١ ج ١ ، والإصابة فى تمييز الصحابة ص ٨٥ ، ج ٣ الجمع بين رجال الصحيحين ص ٦٢١ ج ٢ والرياض المستطابة ص ٢٤ والبارع الفصيح ص ٩ : ب .

الفصل الثاني

بعض أعلام الرواة من التابعين

من يعد تابعيا ؛ وأشهر التابعين :

١ ــ سعيد بن المسيب	٢ ــ عروة بن الزبير
٣ ــ ابن شهاب الزهرى	٤ ــ نافع مولى ابن عمر
٥ ــ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة	٦ ــ سالم بن عبد الله بن عمر
٧ ــ إبراهيم النخعى	٨ ــ عامر الشعبى
٩ ــ علقمة النخعى	١٠ ــ محمد بن سيرين

من يعد تابعيا :

قال الخطيب البغدادى : (التابعى من صحب صحابيا[1]) ، ولا يكفى مجرد الالتقاء ، بخلاف الصحابى فقد اكتفى فيه بذلك ، لشرف لقاء النبى صلى الله عليه وسلم ، والاجتماع به ، أو رؤيته ، فإن لذلك أثراً كبيراً فى إصلاح القلوب وتزكية النفوس ، مما لا يتهيأ لمن يلقى الصحابى من غير متابعة له ، وطول أخذ عنه .

وقال أكثر المحدثين : (إن التابعى من لقى واحداً من الصحابة فأكثر) وإن لم يصحبه ، ولهذا ذكر مسلم وابن حبان — سليمان بن مهران الأعمش فى طبقة التابعين ، وقال ابن حبان : أخرجناه فى هذه الطبقة لأن له لقيا وحفظا ، رأى أنس بن مالك وإن لم يصح له سماع المسند عنه . كما عد الحافظ عبد الغنى بن سعيد — يحيى بن أبى كثير من التابعين ، لأنه لقى أنسا ، وعد فيهم موسى بن أبى عائشة ، لكونه لقى عمرو بن حريث ، وعد فيهم جرير بن أبى حازم لكونه رأى أنسا . وهذا إقرار منهم بأن التابعى من رأى الصحابى .

واشترط ابن حبان أن يكون رآه فى سن من يحفظ عنه ، أى أن يكون مميزا ، فإن كان صغيرا لم يحفظ عنه فلا عبرة برؤيته ، كخلف بن خليفة ، فإنه عده من أتباع التابعين وإن كان رأى عمرو بن حريث ، لكونه كان صغيرا لا يميز .

قال العراقى : وما اختاره ابن حبان له وجه ، كما اشترط فى الصحابى

---

(١) انظر تدريب الراوى ص ٤١٦ .

رؤيته وهو مميز ، قال : وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى الصحابة والتابعين بقوله : « طُوبى لِمَنْ رآنى وَآمَنَ بى ، وطُوبى لِمَنْ رَأَىْ مَنْ رَآنى الحديث » فاكتفى فيهما بمجرد الرؤية[1].

وعدد التابعين يفوق الحصر ، لأن كل من رأى صحابياً كان من التابعين ، وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نيف ومائة ألف من الصحابة ، رحلوا إلى مختلف البلدان ، وانتشروا فى جميع الآفاق ، ورآهم ألوف الأتباع .

ولرجال الحديث اهتمام كبير بمعرفة الصحابة والتابعين لأن بهما يعرف المرسل والمتصل من الأخبار .

ثم إن التابعين طبقات جعلها الحاكم خمس عشرة طبقة ، آخرهم من لقى أنس ابن مالك من أهل البصرة ، ومن لقى عبد الله بن أبى أوفى من أهل الكوفة ، ومن لقى السائب بن يزيد من أهل المدينة ، ومن لقى عبد الله بن الحارث بن جزء من أهل مصر ، ومن لقى أبا أمامة الباهلى من أهل الشام[2] وذكر الحاكم غير هؤلاء فى بعض البلدان الأخرى[3] .

وللعلماء كلام طويل فى أفضل التابعين[4] .

وسنذكر فيما يلى بعض أعلام الرواة من التابعين :

---

(١) انظر فتح المغيث ص ٥٢ ــ ٥٣ ج ٤ وتدريب الراوى ص ٤١٦ .

(٢) انظر معرفة علوم الحديث ص ٤٢ ، وفتح المغيث ص٥٣ ج ٤ ، وتدريب الراوى ص ٤١٧

(٣) انظر معرفة علوم الحديث ص٤٣ .

(٤) انظر المراجع السابقة فى ذلك : تدريب الراوى ص ٤٢١ ، والباعث الحثيث ص ٢١٩ ، وفتح المغيث ص ٥٥ ج ٤ .

سعيد بن المسيب

(١٥ – ٩٤ هـ)*

هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب القرشي المخزومي المدني ، أحد أعلام الدنيا ، وسيد التابعين . ولد سعيد سنة (١٥ هـ) لسنتين مضتا من من خلافة عمر بن الخطاب ، وسمع منه ، ومن عثمان بن عفان ، وعلي ، وزيد ابن ثابت ، وعائشة ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وجل روايته عن أبي هريرة ، فقد كان سعيد زوج ابنته .

كان غزير العلم ، قال فيه ابن عمر : (لو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا لسره) ، وقال مكحول وقتادة والزهري وغيرهم ، (ما رأينا أعلم من ابن المسيب) ، وقال ابن المديني : (لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، وهو عندي أجل التابعين) .

وكان من أحفظ التابعين لأقضية الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين ، وكان يفتي وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحياء ، وكان يقدم على فقهاء عصره . وكان عمر بن عبد العزيز يجله ويحترمه ، وقد اشتهر بعبادته وورعه ، وعرف بجرأته في الحق ، وأبى أن يبايع بعض أولي الأمر ، وجلد على ذلك ، وبقي صامداً ثابت العزيمة[1] .

(*) طبقات ابن سعد ص ٨٨ ـ ١٠٦ جـ ٥ ، الجمع بين رجال الصحيحين ص ١٦٨ جـ ١ ، سير أعلام النبلاء مخطوط ص ١٩٢ ـ ١٩٩ قسم ٢ جـ ٤ ، وتذكرة الحفاظ ص ٥١ـ٥٣ جـ ١ وتهذيب التهذيب ص ٨٤ جـ ٤ ، وشذرات الذهب جـ ١ ص ١٠٢ .

(١) أنظر عنه هذه في سير أعلام النبلاء ص ١٩٥ قسم ٢ جـ ٤ .

أشهر من روى عنه :

روى عن سعيد بن المسيب جماعات من كبار التابعين ، من أشهرهم محمد بن مسلم الزهرى ، وعمرو بن دينار ، وعطاء بن أبى رباح ، ومحمد الباقر ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، وبكير بن الأشج ، ويحيى بن سعيد الأنصارى ، وغيرهم .

أجمع العلماء على إمامته وعلو مكانته ، فقد كان رأس المدينة فى الفقه والفتوى حتى كانوا يسمونه « فقيه الفقهاء » .

أجمع أهل الحديث على ثقته وورعه وضبطه ، وشدة حرصه على السنة ، ودأبه على العلم والعبادة ، حتى إنه كان لا يفارق المسجد من العتمة إلى العتمة . وقد ترفع عن قبول أموال المسلمين ، فكان لا يأخذ العطاء ، له أربعمائة دينار يتجر بها فى الزيت ، ويتعيش مما تغله له . توفى سنة (٩٣ هـ) وقيل (٩٤ هـ) رضى الله عنه وأرضاه .

* * *

عروة بن الزبير

(٢٢ — ٩٤ هـ)*

هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام الأسدى المدنى التابعى الجليل ، الفقيه الحافظ ، ولد فى آخر خلافة عمر سنة (٢٢ أو ٢٣ هـ) وقيل فى خلافة عثمان ابن عفان سنة (٢٩)[١] .

حفظ عن والده وأمه وخالته عائشة . وروى عن على ومحمد بن مسلمة وأبى هريرة وعن زيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن الأرقم ، وأبى أيوب ، والنعمان بن بشير ، ومعاوية ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن عباس ، والمسور بن مخرمة ، وزينب بنت أبى سلمة ، وبشير بن أبى مسعود الأنصارى .

وكان عروة طلابة العلم ، كثير التردد على خالته عائشة أم المؤمنين ، دقيقاً فى تحمله ، ضابطا ثقة ، وقد شهد له بذلك أعلام عصره ، حتى أصبح أحد الفقهاء السبعة فى المدينة ، وكان ممن اختارهم عمر بن عبد العزيز — أمير المدينة آنذاك — فى مجلس شورى المدينة .

وفيه قال الإمام الزهرى : (رأيته بحراً لا تكدره الدلاء) ، وقال ابن عيينة : (كان أعظم الناس بحديث عائشة — ثلاثة : القاسم ، وعروة ، وعمرة) .

(*) طبقات ابن سعد ص ١٣٥ ج ٥ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٣٩٤ ج ٢ ، وسير إعلام النبلاء مخطوط ص ٢٤٥ ـ ٢٥٠ قسم ٢ ج ٤ ، وتذكرة الحفاظ ص ٥٨ ـ ٥٩ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ١٨٠ ج ٧ ، وشذرات الذهب ص ١٠٣ ج ١ .

(١) فى سير أعلام النبلاء : ولادته سنة ٢٣ .

وقال ابنه هشام : (والله ما تعلمنا منه جزءا من ألفي جزء من حديثه) .

وقال محمد بن سعد : « كان ثقة كثير الحديث ، فقيها مأمونا عالما ثبتاً » .

وإلى جانب حفظه للحديث الشريف كان عالما بالسيرة ، حافظا للقرآن ، عابداً يصوم الدهر ، وتوفى وهو صائم .

وعرف بحبه لنشر العلم ، فكان يتألف الناس على حديثه ، ويذاكر أبناءه الحديث

وأشهر من روى عنه أولاده : عثمان وعبد الله وهشام ويحيى ومحمد ، وحفيده عمر بن عبد الله ، والزهرى ، وسليمان بن يسار ، وأبو الزناد ، وابن أبى مليكة ، وابن المنكدر ، وغيرهم كثير .

جمع عروة العلم والسيادة والعبادة ، وتوفى عن نيف وستين سنة ، سنة (٩٤ هـ) على أحد الأقوال .

* * *

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري

(٥٠ – ١٢٤ هـ) *

١ – التعريف به – ولادته – نشأته :

هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث ابن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري المدني .

ولد الزهري سنة (٥٠) هـ على الأرجح ، في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، ويروى أنه وفد على مروان بن الحكم في خلافته ، سنة (٦٤) وهو غلام محتلم ، وكان أبوه على قيد الحياة ، لأنه كان إلى جانب عبد الله بن الزبير في ثورته على عبد الملك بن مروان ، ثم وفد على عبد الملك بعد وفاة والده ، وكان ذلك سنة (٨٢ هـ) على أرجح الروايات .

٢ – طلبه العلم :

حفظ القرآن في ثمانين يوماً ، وطلب الحديث في أواخر عصر الصحابة ، وله نيف وعشرون سنة ، وسمع من بعضهم ، وروى عنهم ، ومنهم أنس بن مالك ،

(*) أهم المراجع التي اعتمدت عليها في ترجمة ابن شهاب : طبقات ابن سعد ص١٣٥ القسم ٢ ج ٢ وما بعدها جامع بيان العلم وفضله ص ٧٣ و٧٦ ج ١ ، وترتيب الثقات لابن حبان الجزء الثالث مخطوط ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص١٥٤ : آ و ١٥٥ : ب و١٧٧ : آ و ١٨١ : آ وغيرها وحلية الأولياء ص٣٦٩ وما بعدها ج ٣ ، والجرح والتعديل ص ٧١ – ٧٤ قسم ١ ج ٤ . وتاريخ دمشق مخطوط ، نسخة دار الكتب المصرية ص ٤٨٧ – ٦١٩ ج ٣١ ، وتاريخ الإسلام ص ١٣٦ ج ٥ وتهذيب التهذيب ص ٤٤٨ ج ٩ ، وسأذكر موضع بعض الأخبار والنصوص حين الضرورة .

وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وسهل بن سعد ، وأبو الطفيل ، والمسور ابن مخرمة ، وغيرهم .

وروى عن كبار التابعين ، ومنهم : أبو إدريس الخولانى ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، والحسن وعبد الله ابنا محمد بن الحنفية ، وحرملة مولى أسامة ابن زيد ، وعبد الله وعبيد الله وسالم بنو ابن عمر ، وعبد العزيز بن مروان ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب ، وسليمان بن يسار ، وعبد الله ابن أبى بكر بن حزم ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وعروة بن الزبير ، والأعرج بن عبد الرحمن بن هرمز ، وعطاء بن أبى رباح ، والقاسم بن محمد بن أبى بكر ، والمحرر بن أبى هريرة ، ومحمد ونافع ابنا جبير بن مطعم ، وعمرة بنت عبد الرحمن ، وروى عن غيرهم .

وقد سمع الزهرى كثيراً من إمام التابعين سعيد بن المسيب ، وفى هـذا يقول : (مست ركبتى ركبة سعيد بن المسيب ثمانى سنين .) وقال : (تبعت سعيد بن المسيب فى طلب حديث ثلاثة أيام) ، ولزم عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة وخـدمه ، وكان يستقى له المـاء ليسمع منه ، وكان لا يفارقه — قال الزهرى — : حتى إن خادمه ليخرج فيقول من بالباب ؟ فتقول الجارية : غلامك الأعيمش — فتظن أنى غلامه — وإن كنت لأخدمه حتى لأستقى له وضوءه) .

وكما لزم ابن المسيب وعبيد الله لزم عروة بن الزبير ، وفيه يقول : (عروة بحر لا ينزف) ، و (أما عروة فبحر لا تـكدره الدلاء) .

وكان جريئاً فى طلب العلم ، يسأل عما يريد . وكان عبد الملك بن مروان قد أمره بطلب العلم — عند ما وفد عليه أول مرة — فقال له : (فاطلب

العلم، ولا تشاغل عنه بشيء ، فإني أرى لك عينا حافظة ، وقلبا ذكيا ، وأت الأنصار في منازلهم .)

وقال صالح بن كيسان : (اجتمعت أنا والزهري نطلب العلم ، فقلنا : السنن ، فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : نكتب ما جاء عن الصحابة فإنه سنة ، فقلت أنا : ليس بسنة فلا نكتبه ، قال فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضيعت .)

ويروى عن الزهري أنه كان يكتب الحديث ، ويتذكره ، فإذا حفظه محاه .

وكان من أنشط طلاب العلم في طلب الحديث يتردد كثيرا على حلقات العلماء ولا يترك أحداً يعرف عنده شيئاً من العلم إلا قصده ، وفي هذا قال إبراهيم بن سعد بن إبراهيم : (قلت لأبي : بم فاقم ابن شهاب ؟ قال : كان يأتي المجالس من صدورها ، ولا يلقى في المجلس كهلا إلا ساءله ولا شاباً إلا ساءله ، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يلقى فيها شاباً إلا ساءله ولا كهلا ولا عجوزا ولا كهلة إلا ساءله حتى يحاول ربات الحجال[1] .)

قال أبو الزناد : (كنا نكتب الحلال والحرام ، وكان الزهري يكتب كل ما سمع فلما احتيج إليه علمت أنه أعلم الناس[2] .)

٣ — حفظه :

اشتهر الزهري بذاكرته القوية ، وسرعة حفظه ، وكان يقول : ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته ، وقال : ما استعدت حديثاً إلا مرة ، فسألت صاحبي . فإذا هو كما حفظت .

---

(١) تهذيب التهذيب ص ٤٤٩ ج ٩ .

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ص ١٥٥ : ب .

وقد سأله هشام بن عبد الملك أن يملى على بعض ولده شيئاً من الحديث ، فدعا بكاتب ، وأملى عليه أربعمائة حديث ، فخرج الزهرى من عند هشام فقال : أين أنتم يا أصحاب الحديث ؟ فحدثهم بتلك الأربعمائة ، ثم لقى هشاماً بعد شهر أو نحوه ، فقال للزهرى إن ذلك الكتاب قد ضاع ، فقال : لا عليك ، فدعا بكاتب فأملاها عليه ، ثم قابل هشام بالكتاب الأول فما غادر حرفا واحدا[1] .)

قال الإمام مالك بن أنس : (حدث الزهرى بمائة حديث ، ثم التفت ، فقال : كم حفظت يامالك ؟ قلت : أربعين حديثا ، قال فوضع يده على جبهته ثم قال : إنا لله كيف نقص الحفظ ! !) .

وكان كثيرا ما يذاكر نفسه الحديث ، قال الليث بن سعد : جلس الزهرى ذات ليلة يذاكر نفسه الحديث ، فما زال ذلك مجلسه حتى أصبح .

وكان أحيانا (يبتغى العلم من عروة وغيره ، فيأتى جارية له نائمة فيوقظها فيقول لها : حدثنى فلان بكذا وفلان بكذا ، فتقول : مالى ولهذا ؟ فيقول : قد علمت أنك لا تنتفعين به ، ولكن سمعت الآن فأردت أن أستذكره .)

٤ — علمه وآثاره :

اشتهر الزهرى بغزارة علمه ، وطار صيته فى الآفاق ، وأصبح محط أنظار أهل الشام والحجاز ، قال الإمام مالك : (كان الزهرى إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج منها ، وأدركت بالمدينة مشايخ أبناء سبعين وثمانين لا يؤخذ عنهم ، ويقدم ابن شهاب ، وهو دونهم فى السن فيزدحم عليه) . وكان يقول : (بقى ابن شهاب ، وماله فى الدنيا نظير)[2] .

---

(١) المحدث الفاصل نسخة دمشق ص ٩ : ا ج ٤ .

(٢) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ص ٢٠ .

وقال عمر بن عبد العزيز لجلسائه : هل تأتون ابن شهاب ؟ قالوا : إنا لنفعل، قال : فأتوه ، فإنه لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه ، قال الراوى : والحسن وضرباؤه يومئذ أحياء

وقال مكحول : ما رأيت أحدا أعلم بسنة ماضية من الزهرى ! !

وقال عمرو بن دينار : جالست جابرا وابن عمرو ابن عباس وابن الزبير ، فلم أر أحدا أنسق للحديث من الزهرى ، وقال فى رواية — : ما رأيت أنص وأبصر بالحديث من الزهرى.

وقال أيوب السختيانى : ما رأيت أحدا أعلم من الزهرى.

وكان بارعا فى مختلف علوم الإسلام . وفى هذا يحدثنا الليث بن سعد فيقول : (ما رأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ، يحدث فى الترغيب فتقول لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت : لا يحسن إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعا جامعا .)

وإلى جانب علمه بالسنة النبوية وعلوم الإسلام كان أحد الأعلام بالشعر والأنساب والسيرة ، وقيل إنه أول من ألف فى السِّيَر ، وقال بعضهم أول سيرة ألفت فى الإسلام سيرة الزهرى (١)

ولسمو مكانته ولاه يزيد بن عبد الملك القضاء ، ثم اختاره الخليفة هشام بن عبد الملك مؤدبا ومعلما لأولاده ، يفقههم ويعلمهم ويحج معهم فلم يفارقهم حتى مات ، ولذلك ذكره ابن حبيب مع أشراف المعلمين وفقهائهم (٢)

(١) انظر الرسالة المستطرفة ص ٧٩ — ٨٠ .
(٢) انظر المحبر ص ٤٧٦ .

وكان متمسكا بالسنة [١] ، روى عنه الإمام الأوزاعى قوله : (من الله القول ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، أمّروا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء بلا كيف [٢])

ومن آثاره فى السنة :

١ — كان الزهرى أول من استجاب لطلب الخليفة عمر بن عبد العزيز ، فدوّن له السنن فى دفاتر ، ثم وزع الخليفة على كل أرض له عليها سلطان دفترا ، وأجمع العلماء على أنه كان أول من دوّن السنة ، وقد بينت أنه أول من دوّنها رسمياً بأمر الخليفة . وفصلت القول فى ذلك فى ، (خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة).

٢ — تفرّد ابن شهاب بسنن لولاه لضاعت ، قال الليث بن سعد : قال لى سعيد بن عبد الرحمن : يا أبا الحارث ، لولا ابن شهاب لضاعت أشياء من السنن ، وقال الإمام مسلم : (وللزهرى نحو من تسعين حديثاً يرويه عن النبى صلى الله عليه وسلم ، لايشاركه فيه أحد بأسانيد جياد [٣]) ، وقال الحافظ الذهبى : (وقد انفرد ابن شهاب بسنن كثيرة ، وبرجال عدة لم يرو عنهم غيره ، سماهم مسلم ، وعدتهم بضع وأربعون نفساً [٤]) .

٣ — كان ممن يحرص على ذكر الإسناد ، ويحث العلماء وطلاب العلم على

---

(١) انظر تاريخ دمشق ص ٥٧٨ جـ ٣١ .
(٢) تاريخ الإسلام ص ١٤٤ جـ ٥ وحلية الأولياء ص ٣٦٩ جـ ٣ .
(٣) صحيح الإمام مسلم ص ١٢٦٨ جـ ٣ .
(٤) تاريخ الإسلام ص ١٥١ جـ ٥ .

التزامه ، سمع الزهرى إسحاق بن عبد الله بالمدينة يحدث فيقول : (قال رسول صلى الله عليه وسلم ، فقال له : مالك قاتلك الله يا ابن أبى فروة ، ما أجرأك على الله ! ! ؟ اسند حديثك ، تحدثونا بأحاديث ليس لها خطم ولا أزمة[١]) ، وقال الوليد بن مسلم : (خرج الزهرى من الخضراء من عند عبد الملك بن مروان ، فجلس عند ذاك العمود فقال يأيها الناس إنا كنا قد منعناكم شيئا قد بذلناه لهؤلاء ، فتعالوا حتى أحدثكم ، قال وسمعتهم يقولون : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا أهل الشام ، مالى أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم ، قال الوليد : فتمسك أصحابنا بالأسانيد من يومئذ[٢] .) . وقال الإمام مالك : (أول من أسند الحديث ابن شهاب[٣] .) فيحمل قوله على أنه من أوائل من التزموا الإسناد . وقد بينت هذا عندما تكلمت عن جهود الصحابة والتابعين لمقاومة الوضع .

٤ — كان الزهرى يشجع طلاب العلم على دراسة الحديث ، وينفق على بعضهم ، قال له أحدهم : لا مال عندى حتى أطلب العلم ، فقال له : اتبعنى وأكفيك نفقتك .

وكان يكرم أصحاب الحديث ويطعمهم الثريد ويسقيهم العسل ، وكان إذا أبى أحد من أصحاب الحديث أن يأكل طعامه حلف أن لا يحدثه عشرة أيام . قال مالك بن أنس : (كان ابن شهاب يجمع الأعراب فيذاكرهم حديثه ، فإذا

---

(١) حلية الأولياء ص ٣٦٥ ج ٣ ، والخطم جمع خطام وهو الحبل الذى يقاد به البعير . انظر لسان العرب مادة (خطم) ص ٧٧ ج ١٥ . والأزمة جمع زمام والزمام مثل الخطام . انظر لسان العرب مادة (زمم) ص ١٦٤ ج ١٥ . أقول كنى الزهرى بهذا عن الأسانيد .

(٢) تاريخ الإسلام ص ١٤٨ ج ٥ .

(٣) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ص ٢٠ .

كان الشتاء شق لهم المكتل[١] وجاءهم بالزبد ، وإذا كان الصيف شق لهم[٢] وجاءهم بالسمن[٣]) .

وكان كريما جوادا ، سمح النفس ، وأخبار سخائه كثيرة ونادر مثلها ، حتى كان يجود بما عنده ، قال الليث ابن سعد : (وكان ابن شهاب من أسخى من رأيت ، كان يعطى كل من جاء ، فإذا لم يبق معه شيء اقترض .) ، فكان لا يخشى الفقر ، ولا يضن بالقليل ، ويأتيه السائل — وقد نفد ما عنده — فيقول له : أبشر فسوف يأتى الله بخير .

٥ — عدة حديثه ومنزلة روايته :

قال على بن المدينى له نحو ألفى حديث ، وقال أبو داود : حديثه ألفان ومائتا حديث ، النصف منها مسند ، وتعتبر أسانيد الزهرى من أحسن الأسانيد قال الإمام أحمد : (الزهرى أحسن الناس حديثا وأجود الناس اسنادا) .

وقال النسائى : (أحسن أسانيد تروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أربعة :

الزهرى عن على بن الحسين عن أبيه عن جده ، والزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس ، وأيوب عن محمد عن عبيدة عن على ، ومنصور عن ابراهيم

---

(١) فى الأصل (السكتل) وما أثبتناه أصوب . فالمكتل والمكتلة الزبيل . . . . وقيل المكتل شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا . انظر لسان العرب مادة (كتل) ص١٠٢ ج١٤ ، والزبيل والزنبيل الجراب وقيل الوعاء يحمل فيه . انظر لسان العرب مادة (زبل) ص ٣٢٠ ج ١٣ .

(٢) أى شق لهم الجراب أو الوعاء . وربما كانت أوعية من جلد كتلك التى يضع فيها الأعراب سمنهم وجبنهم .

(٣) تاريخ دمشق ص ٦٠٩ ج ٣١ .

عن علقمة عن عبد الله[١] .)

قال أبو حاتم الرازى (أثبت أصحاب أنس الزهرى) .

قال الحاكم : (وأصح أسانيد المكثرين من الصحابة ، لأبى هريرة — الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة ... ومن أصح الأسانيد أيضا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن زهرة القرشى عن عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشى عن عائشة ... وأصح أسانيد أنس — مالك بن أنس عن الزهرى عن أنس[٢] .)

وقال الحاكم أيضاً : (أصح أسانيد عمر — الزهرى عن سالم عن أبيه عن جده[٣]) .

وقال السيوطى : (وقيل أصحها — أى الأسانيد — مطلقا ما رواه أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، وهذا مذهب أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، صرح بذلك ابن الصلاح[٤]) .

وقال ابن حزم : (أصح طريق يروى فى الدنيا عن عمر — الزهرى عن السائب ابن يزيد عنه[٥] .)

٦ — أشهر من روى عنه :

روى عن الزهرى خلق كثير من مختلف الأقاليم الإسلامية ، وأكثر عنه

(١) تهذيب التهذيب ص ٤٤٨ ج ١

(٢) معرفة علوم الحديث ص ٥٥ .

(٣) تدريب الراوى ص ٣٦ .

(٤) المرجع السابق ص ٣١ — ٣٢ .

(٥) تدريب الراوى ص ٣٦ .

الحجازيون والشاميون ، ومن أشهر من روى عنه — عطاء بن أبي رباح ، وأبو الزبير المكي ، وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار ، وصالح بن كيسان وأبان بن صالح ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، ويزيد بن أبي حبيب ، وأيوب السختياني ، ومعمر بن راشد ، وأبو عمرو الأوزاعي ، وعبد الملك ابن جريج ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد ، وسفيان بن عيينة ، وعبد الله ابن مسلم الزهري أخوه ، وغيرهم .

٧ — أقوال العلماء في ابن شهاب الزهري :

إلى جانب ما سقناه عن منزلة الزهري وعلمه نذكر آراء مشهوري العلماء والنقاد فيه .

قال أيوب السختياني : (ما رأيت أحداً أعلم من الزهري ، فقال له صخر بن جويرية : ولا الحسن ؟ قال : ما رأيت أحدا أعلم من الزهري[(١)]) .

قال ابن سعد : (قالوا[(٢)] : وكان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيها جامعاً[(٣)] .)

وقال الإمام الأوزاعي : (ولا أدركت خلافة هشام - (ابن عبد الملك) - أحداً من التابعين أفقه منه[(٤)] .)

---

(١) الجرح والتعديل ص ٧٣ قسم ١ ج ٤ .
(٢) هكذا في الأصل ، والقائلون هم أهل العلم ممن يثق بهم ابن سعد .
(٣) تاريخ الإسلام ص ١٤٤ ج ٥ . وتهذيب التهذيب ص ٤٤٨ ج ٩ .
(٤) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ ج ٣١ .

وقال ابن حبان : (وكان من أحفظ أهل زمانه ، وأحسنهم سياقاً لمتون الأخبار ، وكان فقيها فاضلا[١] .)

قال الإمام ابن تيمية : (حفظ الزهرى الإســـلام نحوا من سبعين سنــة[٢] .)

وقال الحافظ الذهبى : (الزهرى علم الحفاظ) ، وقال : (الإمام أبو بكر القرشى الزهرى أحد الأعلام وحافظ زمانه[٣] .)

وقال ابن حجر : (محمد بن مسلم . . . القرشى الزهرى الفقيه ، أبو بكر الحافظ المدنى أحد الأئمة الأعلام ، وعالم الحجاز والشام[٤] .)

وقال ابن الجزرى : (أبو بكر الزهرى المدنى أحد الأئمة الكبار وعالم الحجاز والأمصار تابعى[٥]) .

وقال ابن العماد : (الإمام أبو بكر الزهرى المدنى أحد الفقهاء السبعة وأحد الأعلام المشهورين[٦])

وأحاديثه فى الكتب الستة ، وفى سنن البيهقى ، وموطأ الإمام مالك ، ومسند الإمام أحمد ، وفى سائر كتب السنن والمسانيد .

وقد جمع أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذُهلى النيسابورى أحد أعلام الحفاظ (ـــ ٢٥٢ هـ) أحاديث

---

(١) ترتيب الثقات لابن حبان مخطوط نسخة دار الكتب المصرية .

(٢) شذرات الذهب ص ١٦٣ جـ ١ .

(٣) تاريخ الإسلام ص ١٣٦ جـ ٥ .

(٤) تهذيب التهذيب ص ٤٤٥ جـ ٩ .

(٥) غاية النهاية فى طبقات القراء ص ٢٦٢ جـ ٢ .

(٦) شذرات الذهب ص١٦٢ جـ ١ .

الزهرى فى مجلدين سميت (الزهريات) ، وكان قد اعتنى به ، وهو أعلم الناس بحديثه[1] .

كما جمع الإمام أبو على الحسن بن محمد الماسرجسى أحاديث الزهرى وزاد على الذهلى ، وكان جمعه فريداً لم يسبق إليه أحد .

وجمع حديث الزهرى أيضاً أبو بكر بن مهران النيسابورى[2] .

٨ – وفاتـه :

توفى الإمام الزهرى بعد حياة علمية رفيعة ، عن نيف وسبعين سنة ، ليلة الثلاثاء ، لتسع عشرة (أو لسبع عشرة) ليلة خلت من شهر رمضان ، سنة أربع وعشرين ومائة على أرجح الأقوال فى قرية (أدامى[3]) وهى خلف (شَغْب) و (بَدَا[4]) أول عمل فلسطين وآخر عمل الحجاز ، وبها ضيعة الزهرى ، وقد أوصى أن يدفن على قارعة الطريق ، ليمر مار فيدعو له .

* * *

---

(١) انظر تاريخ الإسلام ص ١٥١ جـ ٥ والرسالة المستطرفة ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٢) انظر الرسالة المستطرفة ص ٨٢ ـ ٨٣ .

(٣) انظر تاريخ دمشق مخطوط نسخة دار الكتب المصرية ص ٦١١ جـ ٣١ وقد شاهد الحسن بن المتوكل العسقلانى قبر الزهرى فيها . وانظر تاريخ الإسلام ص ١٥٢ جـ ٥ ، وفى روايات أخرى أنه توفى بشغب ، انظر تاريخ دمشق ص ٥٠٩ و ٦١٨ جـ ٣١ ، وقال ياقوت (شغب) وهى ضيعة خلف وادى القرى كانت لزهرى وبها قبره . انظر معجم البلدان ص ٣٠٢ جـ ٣ ولا خلاف بين القولين فمن قال بشغب ذكر اسم المنطقة ومن قال (أدامى) عين القرية أو الضيعة فى تلك المنطقة .

(٤) بدا بالفتح والقصر . واد قرب (أيلة) من ساحل البحر وقيل بوادى القرى وقيل بوادى عذرة قرب الشام . انظر معجم البلدان ص ٨٧ جـ ٢ . و (أيلة) مدينة صغيرة . . . قيل هى آخر الحجاز وأول الشام . انظر معجم البلدان ص ٢٩١ جـ ١

ردّ الشبهات التي أثيرت حول الزهري

لقد عرفنا الزهري في نشأته ، وعرفناه في طلبه العلم ، واطلعنا على كثير من أخلاقه ومزاياه ، وأدركنا منزلته العلمية ، وقيمته بين علماء التابعين ، ومكانته بين أعلام رواة الحديث الشريف ، وخدماته الجليلة للسنة النبوية ولطلاب العلم ، فكان بحق أحد أعلام الحفاظ الذين لمع اسمهم في صفحات التاريخ ، ورفعتهم شهرتهم العظيمة إلى مرتبة الإمامة ، فكان بحق حافظ زمانه ، وإمام عصره .

إلا أنه لم يسلم من اتهامات وجهها إليه بعض أتباع الفرق ، وأعداء الإسلام ، فاتهمه بعض الشيعة بالسير في ركاب الأمويين وإرضائهم بوضع مايروق لهم من الأحاديث التي تثبت دعائم ملكهم ، وترد على خصومهم ، ويرى هؤلاء في ادعائهم هذا أن الأمويين استعانوا ببعض العلماء من الصحابة والتابعين لإلباس حكمهم ثوب المشروعية الدينية ، وساعدوهم في نشر سلطانهم ، وتلقف بعض المستشرقين هذه الأفكار ، وبنوا عليها أبحاثهم التي انتهت بنتائج تخالف النتائج التي وصل إليها العلماء المسلمون ، فشكوا في كثير من الأخبار ، وادعوا وضع كثير من أحاديث الصحاح[1] ، واتهموا بعض الرواة بما لا يتفق مع الواقع التاريخي ، وقد تولى كبر ذلك المستشرق (جولد تسيهر) ، ولم يكن بحثه إلا حلقة في سلسلة الأبحاث التي ترمي إلى هدم الجانب التشريعي من الإسلام ، فكما افترى أعداء الإسلام على الصحابي الجليل أبي هريرة — افتروا على التابعي

---

(١) تعرضت لذلك ورددته في الفصل الثاني من الباب الثالث من هذا الكتاب ، انظر ص ٢٤٩ وما بعدها .

المشهور الإمام الزهرى ، قاصدين من وراء ذلك تشكيك المسلمين فى مروياتهم وهما اللذان رويا كثيرا من الحديث النبوى ، ونقلا إلى التابعين وأتباعهم جانبا عظيما من السنة ، فإذا ما شك المسلمون فى أوثق الرواة وأحفظهم شكوا فى جميعهم واستهانوا بمروياتهم . وحينئذ يتحقق لأعداء الإسلام بعض هدفهم ، وهو تخلى المسلمين وإعراضهم عن الحديث الشريف ، الذى كان تطبيقاً عمليا للشريعة الإسلامية ، وشرحا وافيا وبيانا واضحا للقرآن الكريم ، فإذا أعرض المسلمون – لاسمح الله – عن السنة اتسعت الهوة بينهم وبين الكتاب الكريم ، وسهل على المبشرين زعزعة العقيدة فى نفوس الناشئة ، وبث الإلحاد الذى يجر وراءه العقائد الدخيلة ، والنظريات التى تخدم أعداءنا ، وفى هذا الطامة الكبرى والخسارة العظمى المسلمين فى دينهم ودنياهم ، ولولا خطورة هذه الشبهات وبعدها عن الحق ما تعرضنا لها ، فكما رددنا ما أثير حول أبى هريرة من شبهات مصطنعة ، وعرفنا وجه الصواب ، نرد ما أثير حول الزهرى من شبهات أيضا ، ونحن فى هذا لا نتعصب لأحد ، وإنما نتوخى الحق وسواء السبيل ، خدمة للسنة الطاهرة .

قال اليعقوبى (– ٢٩٢ هـ) المؤرخ الشيعى : (ومنع عبد الملك أهل الشام من الحج ، وذلك أن ابن الزبير كان يأخذهم إذا حجوا بالبيعة ، فلما رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكة ، فضج الناس وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا ، فقال لهم : هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم أن رسول الله قال : لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس ، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام وهذه الصخرة التى يروى أن رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم

اسكم مقام الكعبة ، فبنى على الصخرة قبة ، وعلق عليها ستور الديباج ، وأقام لها سدنة ، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة ، وأقام بذلك أيام بنى أمية)[1]

وتبنى هذا الرأى (جولد تسيهر) وقد نقله أستاذنا الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى عن مسودة لأستاذه الدكتور (على حسن عبد القادر) كما ألقاه على طلابه فى الدرس ، ولا تزال المسودة بخط الدكتور (عبد القادر) محفوظة عند أستاذنا الدكتور السباعى .

وقد رد عليه الدكتور السباعى ردا علميا ، وفند افتراءاته الكثيرة ودحضها بحجج علمية قوية ، وأذكر هنا بعض ما جاء فى مسودة الدكتور (عبد القادر) من رأى جولد تسيهر قال : (إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير ، وبنى قبة الصخرة فى المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفون حولها بدلا من الكعبة ، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية ، فوجد الزهرى — وهو ذائع الصيت فى الأمة الإسلامية — مستعدا لأن يضع له أحاديث فى ذلك ، فوضع أحاديث ، منها حديث « لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدى هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » ، ومنها حديث : (الصلاة فى المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه) وأمثال هذين الحديثين . والدليل على أن الزهرى هو واضع هذه الأحاديث أنه كان صديقا لعبد الملك ، وكان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التى وردت فى فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهرى فقط[2] ...)

لم أعثر على ما ذهب إليه اليعقوبى فى تاريخه فى أى مصدر إسلامى موثوق

---

(١) تاريخ اليعقوبى ص ٧ — ٨ ج ٣

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٣٦٩ .

به ، فلم ينص الطبرى ، ولا ابن سعد ، ولا ابن الأثير ، ولا ابن كثير ، ولا الذهبي — على شئ صريح مما ادعاه اليعقوبى كما أنه لم يعز لنا هـذا الخبر إلى مصدره ، ويرجح عندى أن (جولدتسيهر) اطلع على رأى اليعقوبى ، فرأى فيه مايؤيد نظريته فى وضع الحديث ، تلك النظرية التى تعرضتُ لها فى بحث (الوضع فى الحديث) وبينت بطلانها ، فتعلق به ، وسنعرض هذا الخبر على الحقائق التاريخية ونناقشه ، ليظهر لنا وجه الحق فيه ، وتتجلى لنا من هذا الخبر النقاط الآتية :

١ — منع عبد الملك أهل الشام من الحج

٢ — بنى عبد الملك قبة الصخرة فى المسجد الأقصى ليحج الناس إليها بدلا من الكعبة .

٣ — حاول حمل الناس على ذلك ، بوضع أحاديث من قبل الزهرى المحدث المعروف فى الأوساط الإسلامية .

٤ — الدليل على أن الزهرى هو واضع هذه الأحاديث أنه كان صديقا لعبد الملك ، وأنه كان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التى وردت فى فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهرى فقط . .

١ — أما أن يمنع عبد الملك أهل الشام من الحج فغير معقول ، لأن الحج فريضة على كل مسلم قادر ، فكيف يعطل عبد الملك شعائر الله ، ويمنع إقامتها ، وقد عرف بالعبادة والصلاح ، حتى عد من فقهاء المدينة ، قال أبو الزناد : (كان فقهاء المدينة أربعة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وقبيصة ابن ذؤيب ، وعبد الملك بن مروان[1]) . وقال نافع : (لقد رأيت عبد الملك

---

(١) الكامل ص ١٠٣ — ١٠٤ ج ٤ .

ابن مروان وما بالمدينة شاب أشد تشميراً ولا أطلب للعلم منه[1]) ، ولا يعقل أن يمنع عبد الملك أهل الشام من الحج وفيهم أئمة التابعين ، ويسكتون عنه فلا ينكرون عليه أو يشقون عصا الطاعة . وهناك ما يثبت أن عبد الملك لم يمنع أهل الشام من الحج ، فقد ورد فى الطبرى : (وفى هذه السنة — (سنة ٦٨) — وافت عرفات أربعة ألوية ، قال محمد بن عمر حدثنى شرحبيل بن أبى عون عن أبيه قال : وقفتْ فى سنة (٦٨) بعرفات أربعة ألوية : ابن الحنفية فى أصحابه فى لواء . . . وابن الزبير فى لواء . . . ونجدة الحرورى خلفهما ، ولواء بنى أمية عن يسارها[2] .)

٢ — لم تذكر المصادر الإسلامية أن عبد الملك هو الذى بنى قبة الصخرة ، بل ذكرت ابنه الوليد[3] ، ويقول الدكتور الدباعى : (ولم نجدهم ذكروا ولو رواية واحدة نسبة بنائها إلى عبد الملك ، ولا شك أن بناءها — كما يزعم جولد تسيهر — لتكون بمثابة الكعبة يحج الناس إليها بدلا من الكعبة — حادث من أكبر الحوادث وأهمها فى تاريخ الإسلام والمسلمين ، فلا يعقل أن يمر عليه هؤلاء المؤرخون س الكرام ، وقد جرت عاداتهم أن يدوّنوا ما هو أقل من ذلك خطرا أو أهمية ، كتدوينهم وفاة العلماء ، وتولى القضاة ، وغير ذلك ، فلو كان عبد الملك هو الذى بناها لذكروها ، ولكنا نراهم ذكروا بناءها فى تاريخ الوليد ، وهؤلاء مؤرخون أثبات فى كتابة التاريخ ، نعم جاء فى كتاب الحيوان للدميرى نقلا عن ابن خلكان : أن عبد الملك هو الذى بنى القبة وعبارته هكذا « بناها عبد الملك وكان الناس

---

(١) طبقات ابن سعد ص ١٧٤ ج ٥ .

(٢) تاريخ الطبرى ص ٥٩٠ ج ٤ .

(٣) انظر الكامل لابن الأثير ص ١٣٧ ج ٤ والبداية والنهاية ص ١٦٥ ج ٩ .

يقفون عندها يوم عرفة ، ورغماً عما فى نسبة بنائها لعبد الملك من ضعف ، ومن مخالفته لما ذكره أئمة التاريخ ، فإن هذا النص لاغبار عليه ، وليس فيه ما يدل على أنه بناها ليفعل الناس ذلك ، بل ظاهره أنهم كانوا يفعلون — هذا — من تلقاء أنفسهم ، وليس فيه ذكر الحج عند القبة بدلا من الكعبة ، بل فيه الوقوف عندها يوم عرفة ، وهذه العادة كانت شائعة فى كثير من أمصار الإسلام ، نص الفقهاء على كراهتها ، وفرق كبير بين الحج إليها بدلا من الكعبة ، وبين الوقوف عندها تشبها بوقوف الحج فى عرفة ، ليشارك من لم يستطع الحج الحجاج فى شيء من الأجر والثواب ، ولم يكن ذلك مقصورا على قبة الصخرة ، بل كان كل مصر إسلامى يخرج أهله يوم عرفة إلى ظاهر البلد فيقفون كما يقف الحجاج[1] .)

ثم إن بناء عبد الملك قبة الصخرة ليحج الناس إليها بدلا من الحج إلى البيت الحرام كفر صريح لا يمكن أن يصدر عن مثله ، وهو الذى عرفنا مكانته العلمية وورعه .

ومما يدل على بطلان ما ادعاه (جولد تسيهر) موقف خصوم الأمويين من عبد الملك ، الذين لم يذكروا شيئاً من هذا فى طعونهم له ، ولو صح بعض ما ادعاه اليعقوبى و (جولد تسيهر) لكان إعلان تكفير عبد الملك والتشهير به أولَ الطعون التى توجه إليه لاجترائه — حسب ادعاء جولد تسيهر — على حرمات الله ، والعبث بشعائر الإسلام .

ومما يدل على تحامل المستشرق (جولد تسيهر) على الأمويين ، وعلى عبد الملك ، وعلى الإمام الزهرى — موقف غيره من المستشرقين الذين رجحوا

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ص ٣٩٩ — ٤٠٠ .

الرأى القائل بأن عبد الملك هو الذى بنى قبة الصخرة ، ولكنهم لم يذهبوا إلى ماذهب إليه (جولد تسيهر) فى ادعائه[1] الذى افتراه على عبد الملك ، وإن كان أكثرهم يعتقد سوءا فى بنى أمية ، يقول المستشرق (يوليوس فلهوزن) :
« ولكى يزيد خلفاء بنى أمية فى رجحان كفة الشام من الناحية السياسية حاولوا فيما حاولوا نقل مركز الشعائر الدينية إلى الشام ، وكان مما استوجب ذلك ، أن ابن الزبير ظل يحتل البيت الحرام فى مكة قرابة من عشر سنين ، فلم يكن أهل الشام يستطيعون الحج ، ما داموا على ولائهم للأسرة الأموية إلا بمشقة ، وقد استغل عبد الملك ذلك لمنع رعاياه من الحج إلى مكة ، وحضهم على أن يحجوا إلى بيت الله المقدس بدلا من أن يحجوا إلى مكة ، وهذا ما يحكيه (أوتيخيوس) على الأقل (فى كتابه التاريخ) ، أما الذى لا شك فيه فهو أن عبد الملك جهد فى أن يجعل لبيت المقدس — باعتباره مكاناً مقدساً فى نظر الإسلام — مظهراً أروع مما كان له ، وذلك أن الدليل على صدق الرواية القائلة بأنه هو الذى بنى قبة الصخرة موجود فى النقش الذى لا يزال باقيا فى الجزء القديم من هذا البناء ، أما النقش الحالى فيذكر فيه اسم المأمون الخليفة العباسى ، على أنه هو البانى ، ولكن (دى فوجى) اكتشف أن اسم المأمون إنما أدخل فى النقش الأصلى من طريق تصحيح لكتابة سابقة ، وقد فات على المصححين أن يصححوا التاريخ القديم الذى يبين السنة التى كان فيها البناء ، ويمكن على هذا أن يكون النص الأصلى على القطع هكذا : بنى هذه القبة فى سنة ٧٢ هـ عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين »[2] .

---

(١) انظر المغازى الأولى ومؤلفوها حيث بين المستشرق (يوسف هوروفتش) رأيه فى هذا ص ٥٢ .

(٢) تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

وفرق كبير بين أن يعتنى عبد الملك ببيت المقدس ، ويطهره ويجعل له مظهراً أروع مما كان له — وبين أن يجعله كعبة المسلمين ، وهذا ما اعترف به (فلهوزن) وعقب به على رأى (أوتيخيوس) الذى يتفق مع رأى جولد تسيهر .

فلو صح نسبة بناء القبة إلى عبد الملك — وهو رأى يخالف المصادر الإسلامية الموثوق بها ومبنى على مجرد التخمين والاستنتاج — لكان قد بناها واعتنى بالمسجد الأقصى لمكانته عند المسلمين ، وهو أقدس الأماكن التى كانت تقع تحت سلطان عبد الملك آنذاك .

ومما يؤكد لنا أنه لم يحمل أحداً على الحج إليه ، بل كان عمله مجرد احترام لذلك المسجد — ما قام به بعد انتصاره على ابن الزبير سنة (٧٣ هـ) حين أمر بإعادة بناء الكعبة كما كانت عليه فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإزالة ما أدخله ابن الزبير فى بنائها سنة (٦٤ هـ) ، فمن الواجب أن يفرق بين اعتنائه بالمسجد الأقصى وجعله محجا للمسلمين .

٣ — أما أنه حاول أن يحمل الناس على الحج إلى المسجد الأقصى بمساعدة الزهرى الذى وضع له الأحاديث فى ذلك فغير صحيح قطعا ، وسنثبت هذا من طريقين ، الأول فى بيان صلة الزهرى بالأمويين ، والثانى فى استحالة هذا تاريخيا .

(١) صلة الزهرى بالأمويين :

صحيح أن الزهرى كان يتردد بين الحجاز والشام ، وكان يدخل على خلفاء بنى أمية ، ولكنه لم يكن ذلك الرجل الذى يستجدى أكفهم ، أو الذى يبيع دنياه بدينه ، فالزهرى أرفع بكثير مما يتصوره أعداء الإسلام ، والزهرى أسمى مما يراه اليعقوبى ، و (جولد تسيهر) وغيرهما ، فقد كان الإمام

الزهرى رجل صلاح واستقامة ، يبين للخلفاء الحق مهما كان مرا ، وكان يحملهم على سواء السبيل ولا يداهنهم أو يمالئهم ، ومن هذا ما رواه ابن عساكر بسنده إلى الإمام الشافعى عن عمه قال : (دخل سليمان بن يسار على هشام فقال : ياسليمان ، من الذى تولى كبره منهم ؟ فقال له : عبد الله ابن أبى بن سلول ، فقال له : كذبت ، هو على بن أبى طالب ، قال : أمير المؤمنين أعلم بما يقول ، فدخل ابن شهاب ، فقال له : من الذى تولى كبره منهم ، فقال له : عبد الله بن أبى بن سلول ، فقال له : كذبت ، هو على بن أبى طالب ، فقال له : أنا أكذب ، لا أبالك ؟ فوالله لو نادانى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت ، حدثنى عروة بن الوليد وسعيد بن المسيب وعبيد الله بن عبد الله وعلقمة بن وقاص كلهم عن عائشة أن الذى تولى كبره منهم عبد الله بن أبى . فلم يزل القوم يغرون به ، فقال له هشام : ارحل فوالله ما كان ينبغى لنا أن نحمل عن مثلك ، فقال ابن شهاب ولم ذاك ؟ أنا اغتصبتُك على نفسى ، أو أنت اغتصبتنى على نفسى ؟ فخل عنى ، فقال له : لا ، ولكنك استدنتَ ألفى ألف . فقال : قد علمتَ وأبوك قبلك أنى ما استدنتُ هذا المال عليك ولا على أبيك ، فقال : إنا نهيج الشيخ ، فيهمّ[1] الشيخ ، ثم أمر[2] فقضى عنه من دينه ألف ألف ، وأخبر[3] بذلك ، فقال : الحمد لله « الذى هذا هو من عنده »[4] .)[5]

---

(١) فى الأصل يهم ، وما أثبتناه أصوب لغة .

(٢و٣) فى الأصل (فأمر) . فى الأصل (فاخبر) وآثرنا تصحيحه كما أثبتناه لتستقيم العبارة .

(٤) هكذا النص .

(٥) تاريخ دمشق ص ٥٩٤ ـ ٥٩٥ م ٣١ .

هذا ابن شهاب ، وهكذا كانت صلته بالأمويين ، فهل يعقل أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ! وهو الذى أبى أن يداهن الخليفة هشام ابن عبد الملك ، بل قال له — حين كانت السلطة بيده — (لا أبالك . فوالله لو نادانى مناد من السماء أن الله أحل الكذب ما كذبت) ، ابن شهاب يخاطب أمير المؤمنين ، بل يشتمه عند ما يخالف الحق ، وهل أقسى من عبارة (لا أبالك) وهل أجرأ من ابن شهاب بعد هذا ؟ وهل نصدق — بعد هذا — دعوى أعداء الإسلام وافتراءاتهم على إمام عصره وحافظ زمانه ؟

قال الإمام الأوزاعى : (ما أدهن ابن شهاب قط الملك دخل عليه[1]) وقال أيوب : لو كنت كاتباً الحديث عن أحد كنت كاتبه عن الزهرى ، من رجل أحيى علم تلك البلدة ، من رجل يصحب السلطان[2] .

وأما ما روى عن يزيد بن يحيي أنه قال : (قل قليله أى رجل هو لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك[3]) ، فهذا الخبر ضعيف واه لا يعتمد عليه ، ففى إسناده مجهولون ، وفى إسناده العباس بن الوليد بن صبيح الخلال الدمشقى ، قال الآجرى : (سألت أبا داود عنه فقال : كان عالما بالرجال والأخبار لا أحدث عنه[4]) .

ويزيد بن يحيي بن الصباح نفسه لا يعرف ، وقال أبو حاتم : ليس بالقوى[5] .

---

(١) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ جـ ٣١ .
(٢) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ جـ ٣١ .
(٣) تاريخ دمشق ص ٥٩٣ جـ ٣١ .
(٤) ميزان الاعتدال ص ٢٠ ترجمة ١٤٥ جـ ٢ .
(٥) المرجع السابق ص ٣١٨ ترجمة ٢٧٣٩ جـ ٣ .

فصلة الزهرى بالأمويين صلة شريفة سامية ، صلة العالم الصدوق الذى لا يخشى فى الله لومة لائم .

ولا يرد علينا هنا أنه كان يعلم أبناء هشام بن عبد الملك ، وأنه ولى القضاء ليزيد بن عبد الملك ، فأى شىء يضيره فى تعليم أبناء الخليفة وتهذيبهم ؟ وأى شىء ينقصه إذا أدب أبناء أولى الأمر وفقههم ، ونشأهم النشأة الإسلامية الصحيحة ؟ إن فى هذا خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين ، حين يرضى الزهرى أن يتعهد أبناء الخليفة بالعناية والرعاية والعلم ، ويجنبهم اللهو والانغماس فى الشهوات ، فهم الذين سيتولون أمور الأمة ، ويوجهون سياستها ، ولكن أعداء الإسلام لا يسرهم أن يروا ابن شهاب معلما شريفاً ، ومؤدباً حكيما ، وقد افتخر به ابن حبيب ، فذكره مع أشراف المعلمين وفقهائهم .

وأى عيب يقترفه الزهرى إذا ولى القضاء ، وهو الرجل الذى عرفنا استقامته ونزاهته وعدالته .

هذا هو وجه الإمام الزهرى فى علاقته مع البيت الحاكم ، وجه مشرق نير ، ورأس مرفوع إلى العلياء ، لم تخفضه يوما منَّةُ الملوك ولم تطفىء نضارته وإشراقه أياديهم عليه ، وذلك سلوكه مع أمراء المؤمنين وولاتهم ، لا تعتريه شائبة ، ولا يتناوله شك .

كل هذا ينفى عن إمامنا تهمة وضعه الحديث ، لإرضائهم ودعم ملكهم . وقد أثبت سابقا أن الأمويين لم يشجعوا الوضع [1] .

(ب) استحالة ما ادعاه اليعقوبى و (جولد تسيهر) تاريخيا :

قال جولد تسيهر : (فوجد — عبد الملك — الزهرى وهو ذائع الصيت فى

---

(١) انظر ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ من هذا الكتاب .

الأمة الإسلامية مستعدا لأن يضع له أحاديث فى ذلك ، فوضع أحاديث منها . .) .

هذا غير معقول ، لأن ابن شهاب ولد سنة (٥٠ هـ) على أرجح الأقوال . وكانت الخصومة بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان بين عامى (٦٥و٧٣) هـ . فإذا كان عبد الملك قد بنى قبة الصخرة — حسب ماذهب إليه بعض المستشرقين — سنة (٧٢ هـ) ، فيكون عمر الزهرى آنذاك (٢٢) اثنتين وعشرين سنة ، ولم يكن بعد مشهورا ، بل ما زال فى مقتبل العمر يطلب العلم ، لم يصل إلى مرتبة الشهرة فى الأمة الإسلاميه ، وكان هناك من هو أشهر منه ، من كبار التابعين ، كسعيد بن المسيب ، وقبيصة بن ذؤيب ، والقاسم بن محمد وغيرهم ، لم يحاول عبد الملك أن يستغل واحدا منهم ، علما بأن قبيصة بن ذؤيب كان على خاتمه ، ومن كبار العلماء حوله . وابن شهاب — فوق هذا — لم يفد على عبد الملك قبل سنة ثمانين ، قال الليث بن سعد : وفى سنة اثنتين وثمانين قدم ابن شهاب على عبد الملك [1] ، وهى السنة التى ذكرها ابن شهاب نفسه فقال : (قدمت دمشق زمن تحرك ابن الأشعث [2]) فهل يضع الزهرى الحديث بعد وفاة ابن الزبير بتسع سنين ؟! ولو فرضنا أن الزهرى وفد على عبد الملك قبل استشهاد ابن الزبير ، ووضع هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل الناس على الحج إلى المسجد الأقصى — فهل سيصدقه الناس ؟ وهل يسكت عنه صغار الصحابة وكبار التابعين فى دمشق ؟ بل هل يسكت عنه علماء الحجاز والأمصار الأخرى ؟ وهل يعقل أن يخفى على الأمة صحة هذا الحديث ، وفى الأمة العلماء

---

(١) انظر تاريخ دمشق ص ٤٩١ جـ ٣١ .

(٢) التاريخ الصغير ص ٩٣ .

الحفاظ ، والجهابذة النحارير ، والنقاد الأشداء ! هل يعقل أن يضع ابن شهاب حديثا يُغيِّر به مناسك الحج — كما يزعم جولد تسيهر — ثم يثق به العلماء وطلاب العلم ، وتزدحم عليه الجموع لتأخذ عنه كلما جاء إلى المدينة ، ويتركون كبار التابعين وشيوخ الصحابة ؟؟ وهل خفى على الأمة كلها جيلا بعد جيل ما اقترفه ابن شهاب ، ليكتشفه اليعقوبى ويؤيده جولد تسيهر ؟؟؟ أم أن كل من أخذوا عنه ، وتلقوا العلم فى حلقاته لا يعقلون !!! ؟؟ أم أن من ابتدأ هذا الخبر مفتر ومن أيده متحامل لا يتوخى الحقيقة العلمية !! ؟

لو صح شىء مما افتراه هؤلاء على الزهرى لصرح به النقاد ، وتركوا حديثه ، وحذروا طلاب العلم منه ، أو على أقل تقدير يثور عليه شيخه سعيد بن المسيب الذى روى الحديث المذكور عنه ، ولكن شيئا من هذا لم يكن ، فظهر بطلان ما ادعوا وافتراء ما اقترفوا .

٤ — استدل جولد تسيهر على صحة ما ادعاه من أن الزهرى هو الذى وضع أحاديث بيت المقدس ، بأنه كان صديقاً لعبد الملك ، وأنه كان يتردد عليه ، وأن الأحاديث التى وردت فى فضائل بيت المقدس مروية من طريق الزهرى فقط ، وهذا مردود تنفيه الآثار ، وتدحضه الأخبار التاريخية ، فالزهرى عندما قدم دمشق أدخله قبيصة بن ذؤيب على عبد الملك ، ليروى له (قضاء عمر فى أمهات الأولاد) ، فسأله عبد الملك عن نسبه ، وذكره بأن أباه اشترك فى الثورة مع ابن الزبير ، وأمره بطلب العلم ... فلو كان صديقا لعبد الملك لا يحتاج إلى من يدخله عليه . كما لا يحتاج إلى أن يسأله عن نسبه . ويوصيه بطلب العلم . ثم كيف نصدق نشوء صداقة بين عبد الملك والزهرى ؟ إذا كان مولد عبد الملك سنة (٢٦) ست وعشرين من الهجرة ، وانتقاله مع أبيه إلى الشام سنة (٦٤) أربع وستين ،

حين لم يجاوز الزهرى آنذاك أربعة عشر عاما ، فهل يعقل أن تنشأ صداقة بين رجل فى الثامنة والثلاثين من عمره مع غلام فى الرابعة عشرة ؟ فاتفق العقل والنقل على عدم صحة قيام صداقة بين عبد الملك وابن شهاب قبل قدومه إلى دمشق .

ثم إن حديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد . .) روى من طرق مختلفة كثيرة غير طريق الزهرى ، فلم ينفرد به ابن شهاب ، وروته كتب السنة كلها .

فقد أخرجه الإمام البخارى من غير طريق الزهرى عن أبى الوليد عن شعبة ابن الحجاج عن عبد الملك عن قزعه مولى زياد عن أبى سعيد الخدرى[١] .

وأخرجه مسلم من ثلاث طرق ، إحداها من طريق الزهرى ، والثانية عن قتيبة بن سعيد وعثمان بن أبى شيبة جميعا عن جرير عن عبد الملك بن عمير ، عن قزعة ، عن أبى سعيد الخدرى[٢] ، والثالثة عن هارون بن سعيد الأيلى عن ابن وهب عن عبد الحميد بن جعفر عن عمران بن أبى أنس ، عن سلمان الأغر ، عن أبى هريرة[٣] .

وأخرجه الإمام أحمد والإمام مالك . والترمذى وأبو داود والدارمى والنسائى وابن ماجه[٤] .

فالزهرى لم ينفرد بهذا الحديث ، كما زعم جولد تسيهر ، ولم يضعه إرضاء

---

(١) صحيح البخارى بشرح السندى ص ٢٠٧ و ٣٤١ ج ١ .
(٢) صحيح مسلم ص ٩٧٥ — ٩٧٦ حديث ٤١٥ ج ٢ .
(٣) المرجع السابق ص ١٠١٥ حديث ٥١٣ ج ٢ .
(٤) انظر مفتاح كنوز السنة : مادة (المدينة) ص ٤٦١ .

لعبد الملك ، بل شاركه فى روايته غيره من كبار الصحابة والتابعين ومن تبعهم ، فالحديث صحيح لا ريب فيه ، وزعم اليعقوبى وجولد تسيهر باطل لا أصل له .

وهكذا خرج الإمام الزهرى مما أحيط به من افتراءات واتهامات مرفوع الرأس ، يكلله غار النصر ، يتمتع بالثقة التامة عند جميع المسلمين ، ورواد البحث العلمى النزيه . ويكفيه فخرا أن حفظ السنة سبعين عاما ، وساهم فى تدوينها ونشرها وتعليمها . وقد خلد التاريخ ذكره فى مصاف العلماء العاملين ، والحفاظ المتقنين .

• • •

نافع مولى ابن عمر

(·· — ١١٧ هـ)*

أبو عبد الله العدوى المدنى مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم ، أحد أعلام التابعين . قيل أصله من المغرب . وقيل من الديلم شمالى العراق ، أسر فى أحد الحروب بين المسلمين والفرس فكان من نصيب عبد الله بن عمر ، فلزمه ما يقرب من ثلاثين سنة ، تعلم خلالها القرآن والسنة .

روى عن ابن عمر وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى ورافع بن خديج ، وعن عائشة وأم سلمة ، وعبد الله وعبيد الله وسالم وزيد أولاد عبد الله بن عمر ، وعن القاسم بن محمد ، وأسلم مولى عمر ، وعبد الله بن محمد بن أبى بكر الصديق وغيرهم .

وروى عنه من التابعين أبو إسحاق السبيعى والحكم بن عيينة ، ويحيى الأنصارى ومحمد بن عجلان والزهرى ، وصالح بن كيسان وأيوب وحميد الطويل ، وميمون بن مهران وموسى بن عقبة وابن عون والأعمش وغيرهم .

وروى عنه من غير التابعين ابن جريج والأوزاعى ومالك والليث ويونس ابن عبيد ، وبنوه عبد الله وعمر وأبو بكر ، وابن أبى ليلى وكثير غيرهم .

كان كثير الحديث ثقة ضابطا صحيح الرواية ، لا يعرف له خطأ فى جميع ما رواه . قال عبد الله بن عمر (لقد من الله علينا بنافع) . وقال مالك

(*) تاريخ الإسلام ص ١٠ ج ٥ وتهذيب التهذيب ص ٤١٢ ج ١٠ . والجمع بين رجال الصحيحين ص ٥٢٨ ج ٢ وتذكرة الحفاظ ص ٩٤ ج ١ ، وخلاصة الخزرجى ص ٤٠٠ .

ابن أنس : (كنت إذا سمعت من نافع يحدث عن ابن عمر لا أبالى أن لا أسمعه من غيره) . وبلغ نافع مرتبة رفيعة من العلم فاختاره عمر بن عبد العزيز ، وبعثه إلى مصر ليعلمهم السنن .

توفى نافع رحمه الله بالمدينة سنة (١١٧ هـ) على أرجح الأقوال .

قال الإمام البخارى : (أصح الأسانيد : مالك عن نافع عن ابن عمر .) وسمى المحدثون هذا الإسناد سلاسل الذهب .

• • •

عبيد الله بن عبد الله بن عتبة

(·· — ٩٨ هـ)*

هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلى المدنى التابعى الجليل ، أحد الفقهاء السبعة ، كان إمام المدينة فى زمانه ، اتفق العلماء على إمامته وجلالته ، واتقانه للحديث ، وكثرة حفظه وضبطه له ، وكان ابن عباس يكرمه ، وفيه قال الإمام الزهرى : (ماجالست عالماً إلا رأيت أنى أتيت على ما عنده ، إلا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، فإنى لم آته إلا وجدت عنده علماً طريفاً) ولعلو مكانته وغزارة علمه اختاره عبد العزيز بن مروان مؤدباً لولده عمر بن عبد العزيز ، قال ابن سعد : (كان ثقة عالما فقيها كثير الحديث) ، وإلى جانب هذا كان له شعر جيد ، أورد منه أبو الفرج فى « أغانيه » .

تلقى عبيد الله علمه عن كثير من الصحابة ، منهم عبد الله بن عباس وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو واقد الليثى ، وزيد بن خالد ، وعائشة ، وفاطمة بنت قيس ، وأم قيس بن محصن ، وغيرهم من الصحابة .

وروى عنه كثير من التابعين أشهرهم الإمام الزهرى ، وصالح بن كيسان وأبو الزناد وغيرهم .

وقد كفّ بصره وتوفى بالمدينة سنة (٩٨ هـ) على أرجح الأقوال .

* * *

(*) تذكرة الحفاظ ص ٧٤ ج ١ ، وسير أعلام النبلاء مخطوط ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ قسم ٢ ج ٤ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٣٠١ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ٢٣ ج ٧ ، وخلاصة الخزرجى ص ٢٥١ ، والأغانى ص ١٣٩ ج ٩ .

سالم بن عبد الله بن عمر

(٠٠ – ١٠٦ هـ)*

هو التابعي الجليل أبو عبد الله سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي ، كان إماماً عاملا زاهدا ، يلبس الثوب بدرهمين ، وكان أبوه عبد الله يقبله ويقول : شيخ يقبل شيخاً ، تلقى علمه في المدينة ، وسمع من الصحابة ، فروى عن أبيه وعن أبي أيوب الأنصاري ، وأبي هريرة ، وعائشة أم المؤمنين .

وروى عنه من التابعين عمرو بن دينار ، ونافع مولى ابن عمر ، والزهري ، وموسى بن عقبة ، وحميد الطويل ، وصالح بن كيسان ، وغيرهم ، وروى عنه كثير من أتباع التابعين .

ولعلمه وجلالته عدوه من الفقهاء السبعة ، وكان ذا مكانة رفيعة حتى إن سليمان بن عبد الملك رحب به ، وأقعده على سريره . قال محمد بن سعد : (كان سالم كثير الحديث عاليا في الرجال ورعا) ، وقال إسحاق بن راهويه : أصح الأسانيد الزهري عن سالم عن أبيه . توفي بالمدينة سنة (١٠٦ هـ) .

* * *

(*) طبقات ابن سعد ص ١٤٤ – ١٤٩ ج ٥ ، وتذكرة الحفاظ ص ٨٣ ج ١ وسير أعلام النبلاء ص ٢٥٤ – ٢٥٧ قسم ٢ ج ٤ ، وتهذيب ابن عساكر ص ٥٠ ج ٦ ، وحلية الأولياء ص ١٩٣ ج ٢ وتهذيب التهذيب ص ٤٣٦ ج ٣ والجمع بين رجال الصحيحين ص ١٨٨ ج ١ .

إبراهيم بن يزيد النخعي

(٤٦ – ٩٦ هـ)*

هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي ، أحد أعلام التابعين كان حافظا ، كثير الحديث ، فقيها صالحا قليل التكلف ، يتوقى الشهرة دخل على السيدة عائشة أم المؤمنين صغيرا قبل أن يحتلم عند ما كان يحج مع عمه وخاله علقمة والأسود . وسمع من علقمة وخاليه الأسود وعبد الرحمن ابني يزيد ، وروى عن مسروق وأبي معمر وهمام بن الحارث وشريح القاضي وغيرهم ، ولم يثبت له سماع من عائشة ، وروى عنه جماعة من التابعين منهم الأعمش ، ومنصور بن المعتمر ، وعبد الله بن عون وحماد بن أبي سليمان ، ومغيرة بن مقسم الضبي ، وحبيب بن أبي ثابت ، وسماك بن حرب وغيرهم .

وإبراهيم – وإن لم يحدث عن أحد من الصحابة مع أنه أدرك جماعة منهم – كان على جانب عظيم من العلم ، وشهد له بذلك كبار علماء عصره ، قال الشعبي حين توفي إبراهيم : (ما ترك أحداً أعلم منه أو أفقه ، قيل ولا الحسن وابن سيرين ! ؟ قال : ولا الحسن وابن سيرين ، ولا من أهل البصرة ، ولا الكوفة ، ولا الحجاز ، ولا الشام) .

(*) طبقات ابن سعد ص ١٨٨ – ١٩٩ ج ٦ ، وتاريخ الإسلام ص ٣٣٥ ج ٣ ، وتذكرة الحفاظ ص ٦٩ ج ١ ، وتهذيب التهذيب ص ١٧٧ ج ١ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ١٩ ج ١ .

وكان بارعا فى الحديث حتى قال الأعمش فيه : (كان النخعى صيرف الحديث) ، وقال أبو زرعة (النخعى علم من أعلام الإسلام) .

وكان يقتدى بالصحابة ، ومن قوله : (لو أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لم يمسحوا إلا على ظفر ما غسلته التماس الفضل ، وحسبنا من إزراء على قوم — أن نسأل عن فقههم ونخالفهم)

توفى بالكوفة مختفيا من الحجاج سنة (٩٦ هـ) وهو ابن تسع وأربعين سنة لم يستكمل الخمسين .

* * *

عامر بن شراحيل الشعبي

(١٩ – ١٠٣ هـ)*

عامر بن شراحيل الحميرى الشعبى الكوفى أبو عمرو ، الإمام العلم . علامة التابعين ولد لست[1] سنين خلت من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كان من أهل السنة والجماعة ، يكره الفرقة ، رحل إلى بلدان كثيرة ، وروى الحديث عن على ، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وقيس ابن سعيد بن عبادة ، وقرظة بن كعب ، وعبادة بن الصامت ، وأبى موسى الأشعرى ، وأبى مسعود الأنصارى ، وأبى هريرة ، والمغيرة بن شعبة ، وأبى سعيد الخدرى ، وعائشة أم المؤمنين ، وأم سلمة وغيرهم .

قال أدركت خمسمائة من الصحابة .

وروى عنه أبو إسحاق السبيعى ، وسعيد بن عمرو واسماعيل بن أبى خالد وسعيد بن مسروق الثورى والأعمش ، ومنصور ، وسماك بن حرب ، وعبد الله ابن عون ، وشعبة بن الحجاج . والشعبى أكبر شيوخ أبى حنيفة .

كان قوى الذاكرة يعتز بحفظه ويقول : (ما كتبت سوداء فى بيضاء) ، كان ذكيا فقيها أصبح على جانب عظيم من العلم حتى إنه كان يفتى فى زمن

(*) طبقات ابن سعد ص ١٧٢ ج ٦ ، وتذكرة الحفاظ ص ٧٥ ج ١ وسير أعلام النبلاء مخطوط ص ٢١٣ ــ ٢١٩ قسم ٢ ج ٤ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٣٧٧ ج ١ ، وفيه وفاته سنة (١٠٦ هـ) وهذا بعيد ، وتهذيب التهذيب ص ٦٥ [illegible] الخزرجى ص ١٨٤ .

(١) وقيل ولد سنة (٢١ هـ) قاله شباب انظر سير أعلام النبلاء ص ٢١٣ قسم ٢ ج ٤ .

الصحابة ، وقد اتفق العلماء على إمامته وثقته ، قال أبو مجلز : (مارأيت فيهم أفقه من الشعبى) ، وقال ابن عيينة : كانت الناس تقول : (ابن عباس فى زمانه ، والشعبى فى زمانه ، والثورى فى زمانه) . وقال ابن سيرين لأبى بكر الهذلى : (الزم الشعبى فقد رأيته يستفتى والصحابة متوافرون) ، وأثنى معاصروه على علمه وتواضعه وفضله وأخلاقه . وقد ولى قضاء الكوفة لعمر بن عبد العزيز ، وتوفى بالكوفة سنة (١٠٣ هـ) رحمه الله .

* * *

علقمة بن قيس النخعي

(٢٨ق هـ - ٦٢ هـ)*

هو أبو شبل علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى التابعى الجليل ، وهو عم الأسود بن يزيد بن قيس ، وأحد الأعلام المخضرمين ، روى عن عمر ابن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلى ، وعبد الله بن مسعود ، وحذيفة ، وسلمان الفارسى ، وعن عائشة ، وأبى مسعود ، وأبى الدرداء ، وغيرهم . وروى عنه إبراهيم النخعى ، والشعبى ، ومحمد بن سيرين ، وابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد .

كان علقمة من أصحاب ابن مسعود ، وأعلم الناس به ، وقد أجمع معاصروه على جلالته ووقاره وغزارة علمه . قال ابراهيم بن علقمة : (كان عبد الله — أى ابن مسعود — يشبه النبى فى هديه ودلِّه وسَمْته ، وكان علقمة يشبه بعبد الله .)

كان متواضعاً يتوقى الشهرة ، قيل له : (لو صليت فى المسجد وتجلس ونجلس معك ، فتسأل ؟ فقال : أكره أن يقال هذا علقمة) ، وقيل له : (لو دخلت على الأمير فأمرته بخير ؟ فقال : لن أصيب من

(*) طبقات ابن سعد ص ٥٧ ـ ٦٢ ج ٦ ، وتذكرة الحفاظ ص ٤٥ ـ ٤٦ ج ١ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٣٩٠ ج ١ ، وفيه وفاته سنة اثنين وستين ومائة والأصح ما ذكرناه وربما كان هنا خطأ من الناسخ . وتهذيب التهذيب ص ٢٧٦ ج ٧ ، وخلاصة الخزرجى ص ٢٧١ .

دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينى أكثر منه .) وكان ثقة كثير الحديث، يحض طلابه على مذاكرة العلم ويقول : (تذاكروا العلم فإن حياته ذكره). قال مرة : (كان علقمة من الربانيين).

توفى بالكوفة سنة (٦٢ هـ) اثنتين وستين عن (٩٠) سنة رحمه الله .

• • •

محمد بن سيرين

(٣٣ — ١١٠ هـ)*

هو أبو بكر بن أبي عمرة ، محمد بن سيرين التابعى الجليل البصرى الأنصارى بالولاء ، كان أبوه مولى لأنس ، وقد ولد محمد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان رضى الله عنه سنة (٣٣ هـ) ونشأ فى كنف أنس ، وكان بزازا ، وتعلم القرآن وتفقه وحفظ كثيرا من الحديث ، وكان متقنا ضابطا ، يحدث بالحديث على حروفه ، وكان ورعا فقيها رأى ثلاثين صحابيا وروى عن أنس بن مالك ، وزيد بن ثابت ، والحسن بن على بن أبى طالب ، وعن أبى هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وغيرهم .

وروى عنه عامر الشعبى ، وثابت البنانى ، وخالد الحذاء ، وداود بن أبى هند ، وعبد الله بن عون ، ويونس بن عبيد ، والأوزاعى ، ومالك بن دينار ، وهشام بن حسان ، وخلق كثير غيرهم .

شهد له بالعلم والورع والفقه والضبط والعدالة أئمة عصره . قال ابن عون : لم أر فى الدنيا مثل ثلاثة : محمد بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام ، ولم يكن فى هؤلاء مثل محمد . وقال مورق العجلى : ما رأيت رجلا أفقه فى ورعه ، ولا أورع فى فقهه من محمد .

(*) طبقات ابن سعد ص ١٤١ — ١٥٠ قسم ١ ج ٧ ، وتذكرة الحفاظ ص ٧٣ ج ١ ، والعبر ص ٣٧٩ و ٤٨٠ ، والجمع بين رجال الصحيحين ص ٤٣٩ ج ٢ ، وترتيب الثقات لابن حبان الجزء الثالث مخطوطة دار الكتب المصرية ، وتهذيب التهذيب ص ٢١٤ — ٢١٧ ج ٩ ، وشذرات الذهب ص ١٣٨ ج ١ والأعلاق النفيسة ص ٢١٦ .

كان كثير العبادة والصيام ، قيل كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وكان شديد الحيطة فى دينه . قال أنس بن سيرين : (لم يبلغ محمدا حديثان قط أحدهما أشد من الآخر إلا أخذ بأشدهما ، قال : وكان لا يرى بالآخر بأساً . . .) ، وقال أبو قلابة : وأينا يطيق ما يطيق محمد ! ! محمد يركب مثل حد السنان .

قال الشعبى : عليكم بذلك الأصم — يعنى — محمد بن سيرين . كان حليما وقوراً يتأسى بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالخلفاء الراشدين والصحابة وكان يحث طلابه على التثبت فى تحمل الحديث ، ويقول : (إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه) .

وإلى جانب هذا كان سمح النفس ، طيب المعشر . احتل مكانه فى نفوس العلماء وطلاب العلم ، وتسنم ذروة الإمامة فى عصره . قال محمد بن سعد : (كان ثقة مأمونا عاليا رفيعاً فقيها إماما كثير العلم) .

توفى بالبصرة سنة (١١٠ هـ) رحمه الله .

* * *

هؤلاء من أشهر التابعين وأكثرهم حديثاً ، ويضيق المقام عن ذكرهم جميعاً ، فهناك من الأعلام المشهورين الحسن البصرى ، وسليمان الأعمش ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، وغيرهم ممن ساهموا فى حفظ السنة ونقلها ، جزاهم الله عنا أحسن الجزاء ، وأسكنهم فسيح الجنان .

الخاتمة

بعد هذا العرض لحياة السنة قبل التدوين، عرفنا فى الباب الأول الحقيقية التى كانت عليها السنة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وعرفنا شخصية الرسول الكريم من حيث هو معلم ومرب، وموقفه من العلم، وسمو منهجه عليه الصلاة والسلام فى تبليغ الإسلام وتطبيق أحكامه، وتشجيعه على طلب العلم، ومعاملته أصحابه رضى الله عنهم، كما عرفنا كيف كان الصحابة يتلقون السنة عنه صلى الله عليه وسلم، وعرفنا إخلاصهم فى المحافظة على الشريعة الحنيفية، وبذلهم السخى فى سبيل ذلك، وعرفنا عوامل انتشار السنة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم.

وعرفنا فى الباب الثانى تأسى الصحابة والتابعين بالرسول صلى الله عليه وسلم وتمسكهم بسنته، واحتياطهم وورعهم فى رواية الحديث، وتثبتهم فى قبول الأخبار، وأن تشددهم فى قبول بعض الآثار لم يكن من باب تركهم للسنة أو عدم الأخذ بها، بل كان من باب المحافظة عليها، والتثبت والاستيثاق لها، وإذا كان بعضهم فى بعض الحالات والمواقف قد طلبوا لقبول الحديث راويين أو غير هذا، فقد كانوا يقبلون فى غير تلك الحالات الخبر عن العدل إذا توافرت فيه شروط التحمل والأداء.

ولا يعنى تشددهم فى قبول الحديث أن لغيرهم أن يتظاهر بالاحتياط للسنة، وهو يرفض ما قبلوه، فإنه لاينبغى أن يتخذ تشددهم ذريعة لترك السنة، فى حين يجب أن يعتبر توثيقاً لما قبلوه منها.

وقد عرفنا فى هذا الباب أيضاً حرص الصحابة والتابعين ومن تبعهم على رواية الحديث بلفظه كما سمعوه ، وإجازة بعضهم للعالم بفقه الحديث روايته بالمعنى إذا لم يحضره اللفظ ، ومنعهم هذا لغير العالم بفقهه ، خوفاً من التحريف وتغيير الأحكام ، وأن رواية الحديث بالمعنى أحياناً لم تسىء إلى الحديث ، ولم تغير أحكامه كما ادعى بعض الباحثين .

ثم لمسنا النشاط العلمى الواسع فى عصر الصحابة والتابعين ، وأدركنا اهتمام الأمة بحديث رسولها الكريم ، عندما بحثنا انتشار الحديث فى ذلك العصر ، والرحلة فى طلبه ، فكانت صورة صادقة عن الحيوية العلمية آنذاك .

وعرفنا فى الباب الثالث نشأة وضع الحديث وأسبابه ، وأثر الأحزاب السياسية فى هذا ، وخلصنا إلى أن الشيعة الذين استغلوا اسم (أهل البيت) هم الذين أساءوا إلى السنة بوضعهم الحديث لدعم دعواهم ومذهبهم ، وعرفنا أن أهل البيت براء من هذا كله ، وانتهينا إلى أن الخوارج لم يضعوا الحديث ، لأن الكذب فى عقيدتهم من الكبائر .

وعرفنا أثر أعداء الإسلام ، وأثر التفرقة العنصرية والتعصب القبلى والمذهبى والإقليمى ، والقصاصين ، وأثر الجهل مع الرغبة فى الخير ، وأثر الممالأة والتقرب إلى الحكام — عرفنا أثر هذا كله فى وضع الحديث ، ووقوف الأمة وعلمائها أمام هذه الظاهرة ، ومقاومة الوضع باتباع أسلم قواعد التثبت العلمى من التزام الأسناد ، ومضاعفة النشاط العلمى ، وتتبع الكذبة ومعرفة أحوال الرواة ، ووضع علامات لتمييز الصحيح من السقيم والموضوع ، وبهذا سلمت السنة من أيدى أعدائها .

وعلى ضوء هذا نقدنا آراء جولد تسيهر وغاستون ويت وأحمد أمين ،

وأكدنا اهتمام العلماء بمتن الحديث وسنده ، وبينا أن السنة لم تكن نتيجة لنضوج الإسلام وتطوره ، ووضع الأجيال المتعاقبة كما زعم جولد تسيهر ، وأثبتنا أنها التطبيق العملى للإسلام ، الذى تم على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفضنا إدعاء جولد تسيهر الذى يتهم فيه أئمة المذاهب الفقهية بوضع الحديث لدعم مذاهبهم ، وأدحضناه بالحجج القوية .

وأدركنا عظمة الجهود التى بذلها الصحابة والتابعون وأهل العلم من بعدهم فى سبيل الحفاظ على السنة ، حينما عرضنا أشهر ما ألف فى الرجال والموضوعات ، وعرفنا أن المسلمين أعظم أمة فى التاريخ اهتمت بتراثها التشريعى ، منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأما تدوين السنة فقد عرضنا فى الباب الرابع ماروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكتابة من أخبار حول منعها وإباحتها ، وخلصنا إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم أباح كتابة الحديث بعد منعها ، كما عرضنا ماروى عن الصحابة والتابعين فى الكتابة ، وانتهينا إلى أن جميع ماروى عنهم حول السماح بتدوين الحديث أو منع تدوينه لم يكن متعارضاً متضارباً ، بل كان متعاضداً فى سبيل حفظ القرآن والسنة ، فمنعوا الكتابة حين خشوا التباس القرآن بالسنة ، وانشغال الناس عن القرآن الكريم ، وسمحوا بها حين أمنوا ذلك . كما عرفنا خدمة عمر بن عبد العزيز للسنة بتكليفه ابن شهاب الزهرى وغيره بجمع الحديث ، وتدوينه ، ثم توزيعه على الأقطار الإسلامية ، وعرفنا اهتمامه بالسنة حين أمر المسؤولين فى مختلف أقاليم الدولة الإسلامية بالاعتناء بالحديث ، وتشجيع العلماء على عقد حلقات دراسته فى المساجد . وعرفنا أن مطلع القرن الهجرى الثانى كان بداية نهضة علمية فى تصنيف الحديث وتبويبه ، وقد

ظهرت هذه المصنفات فى أوقات متقاربة فى مختلف مراكز الاشعاع العلمى بالدولة الإسلامية ، وعرفنا المصنفين الأوائل فى الحديث .

وفى الفصل الثانى من الباب الرابع عرفنا حركة التدوين بذكر أشهر الصحف التى دوّنت فى عهده صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة والتابعين ، وعرضها عرضاً تاريخياً دقيقاً ، وكان من أبرز ماعرضناه الصحيفة الصادقة لعبد الله بن عمرو بن العاص ، وهى من أقدم مادوّن بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرفنا منزلتها وقيمتها ، والصحيفة الصحيحة لهمام بن منبه ، وهى من أقدم مادون فى عهد الصحابة فى النصف الأول من القرن الهجرى الأول ، وعرفنا منزلتها وقيمتها ، وأكدنا وصولها منفردة إلينا باسناد صحيح ، إلى جانب ذكرها جميعها أو بعضها فى مسند الإمام أحمد ، وفى كتب السنن والمسانيد الأخرى .

واطلعنا على مراحل التدوين وجمع الحديث واختيار الصحيح منه ، حتى وصلنا فى المدونات المشهورة

وقد تجلى لنا من البحث كثرة الكتب والمدونات فى أول القرن الهجرى الثانى .

وعرضنا فى الفصل الثالث من هذا الباب أيضاً بعض آراء فى التدوين ، ولم نوافق الشيخ محمد رشيد رضا على رأيه : أن أول من كتب الحديث من التابعين فى القرن الأول وجمل ما كتبه مصنفاً مجموعاً هو خالد بن معدان الحمصى ، وأثبتنا أن هنالك من سبقه فى حفظ مدوناته أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهمام بن منبه ، وانتهينا إلى أن مصحف خالد من أوائل الصحف التى ضمت علمه فى ذلك القرن .

وعرضنا رأى السيد حسن الصدر ، الذى لايوافق رأى جمهور المحدثين في تدوين الحديث فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وينكر مايثبت هذا ، ليؤكد سبق الشيعة وتقدمهم فى جمع الأخبار ، وفندناه ورددنا عليه بالحجج والبراهين ، وأكدنا صحة ماذهب إليه جمهور المحدثين ، وبينا عدم تعارضه مع تدوين الإمام على وأصحابه ، وانتهينا إلى سبق أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتأليف والتصنيف إذا صح خبر تصنيفه كتاباً فى الحديث . وأكدنا أن صحة هذا الخبر لاتحملنا على أن ننفى ماثبت تاريخياً من أخبار التدوين فى عهد عمر بن عبد العزيز .

ثم عرفنا مكانة الإمام زيد بن على ومجموعه ، وانتهينا إلى أن مجموعه دليل مادى على ماصنف فى مطالع القرن الهجرى الثانى ، وقد عرضنا نماذج مما جاء فيه ، لنقف على حقيقته .

ثم عرضت رأيى فى التدوين الرسمى ، وهو ماتبين لى أثناء البحث حول محاولة أمير مصر عبد العزيز بن مروان تدوين الحديث ، بتكليف التابعى الجليل كثير بن مرة الحضرمى أن يكتب إليه ماسمع من حديث من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهيت إلى أنه إذا ثبتت استجابة كثير بن مرة لطلب أمير مصر فقد ثبت أن بعض الحديث دوّن رسمياً قبل التدوين الرسمى المشهور بربع قرن . وأن اهتمام أمير مصر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتدوينه يزيدنا ثقة بأن التدوين قد سار جنباً إلى جنب مع الحفظ .

ثم عرضت آراء المستشرقين فى تدوين الحديث ، وناقشتها ، وعرفنا أن أبحاثهم لم تسلم من الخطأ ، وأن جولد تسيهر لم يصب فى استنباطه من الأخبار الواردة فى كراهة الكتابة وإباحتها . وتصوره قيام حزبين متخاصمين أهل رأى

يضعون ماينفي التدوين ليطعنوا في بعض الأحاديث ويرفضوها ، تبعاً لميولهم ، وأهوائهم ، وأهل حديث يضعون مايروق لهم من الأخبار التي تثبت التدوين ، ليحتجوا ببعض الأحاديث التي تخدم غاياتهم وأهواءهم . وأكدنا أن علماء المسلمين وفقهاءهم أرفع بكثير مما تصوره جولد تسيهر ، وانتهينا إلى أنهم نهجوا جميعاً المنهج العلمي الدقيق في سبيل الحفاظ على الشريعة الإسلامية

وعرفنا من الباب الخامس القلوب الواعية ، التي حفظت السنة ونقلتها ، وأدحضنا بالحجج والبراهين ما أثير من شبهات حول أبي هريرة وابن شهاب الزهري ، ورددنا كل ماأثاره أعداء السنن — من مستشرقين وباحثين مسلمين — حولهما ، وظهرت لنا مكانتهما ، وتكشفت الغايات السيئة من وراء تلك الشبهات .

وعلى ضوء جميع ماتقدم أصبحنا على يقين من أن السنة حفظت على أسلم القواعد العلمية ، واهتم بها المسلمون اهتمامهم بالقرآن ، ولم تهمل حتى قيض لها من يجمعها في مصنفات الحديث بعد أكثر من قرنين — كما يزعم الزاعمون — بل كانت مصدر التشريع الإسلامي إلى جانب القرآن الكريم ، يجلها المسلمون ، ويحترمونها ، ويدينون بها ، وستبقى كذلك إلى ماشاء الله .

وقبل أن أختتم الموضوع أذكر بعض المقترحات فيمايلي :

١ — أن تزاد العناية بدراسة الحديث ورجاله ، وخاصة الصحابة منهم ، في مختلف مراحل الدراسة ، بما يناسب المستويات التعليمية ، لتنشأ الأجيال المسلمة على هدى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي على معرفة حسنة بمن نقل إليها أصول شريعتها ، وألا يقتصر تدريس الحديث في المراحل الأولى على حصص مادة (التربية الإسلامية) بل يتعداه إلى حصص الأخلاق والتربية

الاجتماعية ، والمطالعة والتاريخ والصحة ، فيدرس فى كل مادة مايلائمها ، ويسهل تطبيق هذا بتعاون المدرسين والمؤلفين.

٢ ــ أن يدرس تاريخ السنة بتوسع ، كما يدرس تاريخ الفقه فى الكليات المختصة ، ككليات الشريعة ، ودار العلوم وأصول الدين ، وكليات الحقوق ، وألا يكتفى بدراسة أحاديث الأحكام فى الكليات الإسلامية المختصة ، بل تقرر أحاديث فى التربية ومكارم الأخلاق والآداب . وأن يؤلف كتاب فى السنة وتاريخها ، يشتمل على الأدلة والبراهين التى تثبت الحقيقة التاريخية للسنة وحفظها وروايتها وانتقالها . . . وأرجو أن يهتم العلماء بهذا ، وحبذا لو عنيت جهة إسلامية مسؤولة كالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بتوجيه جماعة من العلماء المتخصصين إلى تأليف هذا الكتاب ، وطبعه ونشره ، ليصحح بعض الأخطاء التى وقع فيها الباحثون المسلمون والمستشرقون .

٣ ــ وأرى إتماماً للفائدة العلمية التى وصلنا إليها من بحثنا هذا :

(ا) أن يفرد بعض أعلام رواة الحديث من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، كعبد الله ابن عمر ، وابن شهاب الزهرى ، وسفيان الثورى ، وعبد الله بن المبارك ، وسفيان بن عيينة ، بدراسات تكشف عن جهودهم فى حفظ السنة ، والاستيثاق لها ، ونشرها .

(ب) أن تحقق وتنشر بعض أمهات الكتب التى مازالت مخطوطة مجهولة لكثير من الباحثين أو العلماء ، مع فضلها وأثرها الواضح فى نقل الحديث ، وصيانته وحفظه ، والتمهيد لدراسته وروايته ، كالجامع لعبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى ، وكتب العلل للامام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهما ، وكتاب المحدث الفاصل بين الراوى والواعى الرامهرمزى ، وكتاب الجامع

لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى ، وإنى لأرجو الله أن يوفقنى إلى متابعة عملى لإخراج الكتابين الأخيرين على نحو يخدم العلم والحقيقة إن شاء الله تعالى .

(حـ) أن تفرد نشأة علم مصطلح الحديث ببحث واف ، يظهر تاريخ تقعيد قواعد مصطلح الحديث وأصوله ، التى صانت السنة وحفظتها وبينت صحيحها من سقيمها ، على نهج علمى يسهل الرجوع إليه ، ويتفق مع روح هذا العصر ، وإنى لأرجو الله أن أطرق هذا البحث ، فى متابعة دراستى العليا إن شاء الله تعالى .

(د) أن يفرد مادوّن من الحديث فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة بالبحث ، ويجمع فى مؤلف يكون وثيقة تاريخية قيمة عن اهتمام المسلمين بتدوين حديثهم منذ عهده صلى الله عليه وسلم .

وبهذا أرجو أن أكون قد وفقت إلى أداء واجبى ، ويكفينى منه أن عشت فى هذا الموضوع سنوات عدة ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، المربى العظيم ، والمعلم الخالد الأمين ، ومع حديثه الطاهر ، وصحابته وأتباعهم ، فانتقلت بمشاعرى وعواطفى إلى عالم عظيم ، يسوده الإخاء والبذل والفناء فى سبيل الله ، وتملوه نسمات الأرواح السامية والنفوس الكبيرة ، والهمم العالية ، والعزائم الماضية ، فأفدت كثيراً ، ولهذا سأقف حياتى على خدمة السنة . سائلا الله العظيم أن يجمع الأمة العربية والإسلامية على القرآن الكريم ، والسنة التى صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن يوفقنا إلى التأسى برسول الإنسانية والسير على هداه ، وفى هذا التوفيق والنجاح ، والحمد لله رب العالمين .

محمد عجاج الخطيب

تم الكتاب بعون الله

ملحق

كنت قد ناقشت بعض من اشتبه عليه حديث « من اصطبح كل يوم سبع تمرات لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل » . وعرضت قول بعض العلماء ، فيه ، وأكدت صحته سنداً ومتناً فى (ص ٢٥٧) وما بعدها من هذا الكتاب ، وبعد أن تم طبع ذلك نشرت « جريدة الأهرام » تصريحاً للدكتور عبد العزيز شرف يؤيد ماذهبت إليه ، فرأيت إلحاقه هنا زيادة للفائدة .

كتبت الأهرام تحت عنوان « البلح علاج لأمراض العيون والجلد والانيميا والنزيف ولين العظام والبواسير يساعد على الولادة بسهولة » .

(أثبتت الأبحاث العلمية التى أجريت أخيراً بالمركز القومى للبحوث أن البلح غذاء كامل ، ويفيد فى وقاية الجسم وعلاجه من أمراض العيون وضعف البصر ، وعلاج الأمراض الجلدية كالبلاجرا وأمراض الانيميا وحالات النزيف ولين العظام ، والبواسير ويساعد المرأة الحامل على الولادة بسهولة .

صرح بذلك الدكتور عبد العزيز شرف المشرف على وحدة بحوث الأدوية بالمركز القومى للبحوث ، وأضاف قائلا : إن الأبحاث أثبتت كذلك أن البلح يعادل اللحم فى قيمته الغذائية ، ويتفوق عليه بما يعطيه من سعرات حرارية ومواد معدنية وسكرية . وذلك بالإضافة إلى أنه غنى بالكالسيوم والفسفور والحديد ، ويحتوى على غالبية الفيتامينات المعروفة) . «جريدة الأهرام الإثنين ١٢ ذو الحجة ١٣٨٢ الموافق (٦) مايو ١٩٦٣ السنة ٨٩ — العدد ٢٧٩٠٥ ص ٤ » .

فهارس الكتاب

المصادر والمراجع [1]

١ — القرآن الكريم :

٢ — أبو هريرة * : لعبد الحسين شرف الدين العاملى الطبعة الأولى — صيدا .

٣ — الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة : لبدر الدين الزركشى بتحقيق محمد سعيد الأفغانى طبع دمشق المجمع العلمى .

٤ — الإحكام فى أصول الأحكام : لعلى بن أحمد (بن حزم) الأندلسى بتحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى طبع الخانجى بالقاهرة — ١٣٤٥ هـ .

٥ — الإحكام فى أصول الأحكام : لسيف الدين على بن أبى على الآمدى طبع دار المعارف بالقاهرة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م .

٦ — أخبار أهل الرسوخ فى الفقه والتحديث بمقدار المنسوخ من الحديث : لأبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى طبع مصر ١٣٢٢ هـ .

٧ — الآداب الشرعية : لمحمد بن مفلح المقدسى مصر ١٣٤٨ هـ .

٨ — الأدب المفرد : لمحمد بن اسماعيل البخارى واستوفى تخريج أحاديثه محب الدين الخطيب المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ .

٩ — ارشاد السارى : لشهاب الدين القسطلانى طبع مصر — ١٣٢٦ هـ .

١٠ — الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى : لأبى العباس أحمد بن خالد الناصرى سنة ١٩٥٤ طبع الدار البيضاء .

---

(١) تراجم الكتب المذكورة فى الفصل الرابع من الباب الثالث فقد آثرنا ألا ندرجها ثانية هنا .

(*) رجعنا إليه الرد على ماجاء فيه من شبهات حول السنة ورواتها .

١١ — الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : لأبى عمر يوسف بن عبد البر على هامش الاصابة لابن حجر طبع مصطفى محمد بالقاهرة ١٣٥٨ هـ — ١٩٣٩ م .

١٢ — أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين أبى الحسن بن الأثير الجزرى طبع القاهرة ١٢٨٦ هـ .

١٣ — أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم الأندلسى مخطوط : دار الكتب المصرية .

١٤ — الإصابة فى تمييز الصحابة لشهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على (بن حجر) العسقلانى طبع مصر ١٣٢٣ فى ٨ مجلدات .

١٥ — أصول التشريع الإسلامى لفضيلة الأستاذ على حسب الله الطبعة الثانية — دار المعارف بالقاهرة ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .

١٦ — أضواء على التاريخ الإسلامى لفتحى عثمان طبع دار الجهاد : ١٣٧٦هـ — ١٩٥٦ م .

١٧ — أضواء على السنة المحمدية[١] لمحمود (أبو رية) طبع دار التأليف بمصر ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

١٨ — الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته طبع ليدن — ١٩٨١ م .

١٩ — إعلام الموقعين من رب العالمين لشمس الدين محمد بن أبى بكر (ابن قيم الجوزية) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — الطبعة الأولى مطبعة السعادة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

٢٠ — الأعلام لخير الدين الزركلى الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ — ١٩٥٤ م .

---

(١) رجعنا إليه للرد على ماجاء فيه من شبهات حول السنة ورواتها .

٢١ — الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوى طبع دمشق : ١٣٤٩ هـ .

٢٢ — أقدم تدوين فى الحديث النبوى (صيفة همام بن منبه) للدكتور محمد حميد الله طبع المجمع العلمى العربى بدمشق ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٣ م .

٢٣ — ألفية السيوطى لجلال الدين السيوطى تحقيق أحمد محمد شاكر طبع عيسى البابى الحلبى بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .

٢٤ — الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٦ م .

٢٥ — الإمام زيد لمحمد أبوزهرة دار الفكر العربى بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م .

٢٦ — الأموال للقاسم بن سلام طبع مصر ١٣٥٣ هـ .

٢٧ — الأنوار الكاشفة لما فى كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة لعبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى طبع المطبعة السلفية بالقاهرة : ١٣٧٨ هـ .

٢٨ — الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث (للحافظ بن كثير) لأحمد محمد شاكر طبع محمد على صبيح وأولاده بالقاهرة الطبعة الثانية : ١٣٧٠ — ١٩٥١ .

٢٩ — البارع الفصيح فى شرح الجامع الصحيح لأبى البقاء محمد بن خلف الأحمدى مخطوط دار الكتب المصرية .

٣٠ — البداية والنهاية لأبى الفداء عماد الدين إسماعيل (بن كثير) مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م .

٣١ — البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث لإبراهيم بن كمال الدين (ابن حمزة) طبع القاهرة ١٣٢٩ هـ .

٣٢ — تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر طبعة شركة الطباعة والنشر العراقية ببغداد ١٩٥١ م .

٣٣ — تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم (بن قتيبة الدينورى) مطبعة كردستان العلمية بمصر : ١٣٢٦ هـ .

٣٤ — تاريخ الإسلام للدكتور حسن ابراهيم حسن مطبعة لجنة البيان العربى بالقاهرة الطبعة الرابعة : ١٩٥٧م .

٣٥ — تاريخ الإسلام للحافظ شمس الدين الذهبى مكتبة القدسى بالقاهرة الأجزاء (١ — ٥) ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٧ م .

٣٦ — تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى طبع بمصر : ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٩ م .

٣٧ — تاريخ بغداد لأبى بكر أحمد بن على (الخطيب البغدادى) طبع بمصر : ١٣٤٩ هـ — ١٩٣١ م .

٣٨ — تاريخ التربية الإسلامية الدكتور أحمد شلبى مطابع دار الكشاف بيروت ١٩٥٤ م .

٣٩ — تاريخ التشريع الإسلامى لعبد اللطيف محمد السبكى ومحمد على السايس ومحمد يوسف البربرى مطبعة الإستقامة بالقاهرة : الطبعة الثالثة : ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

٤٠ — تاريخ التشريع الإسلامى لمحمد الخضرى مطبعة الاستقامة بالقاهرة الطبعة السابعة : ١٩٦٠ م .

٤١ — تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى المطبعة المنيرية بمصر : ١٣٥١ هـ .

٤٢ — تاريخ داريا للقاضى عبد الجبار بن عبد الله الخولانى : بتحقيق سعيد الأفغانى دمشق المجمع العلمى ١٩٥٠

٤٣ — تاريخ دمشق لعلى بن الحسن هبة الله (ابن عساكر) مخطوط دار الكتب المصرية .

٤٤ — تاريخ الدولة العربية [١] للمستشرق يوليوس فلهوزن تحقيق الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة والدكتور حسين مؤنس : طبع مصر : ١٩٥٨ م.

٤٥ — التاريخ الصغير للامام محمد بن اسماعيل البخارى طبع الهند ١٣٢٥ هـ .

٤٦ — تاريخ الفقه الإسلامى للدكتور محمد يوسف موسى طبع دار الكتاب العربى بمصر : ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م .

٤٧ — تاريخ فنون الحديث لمحمد عبد العزيز الخولى طبع : مطبعة الإستقامة بالقاهرة الطبعة الثالثة .

٤٨ — التاريخ الكبير للامام البخارى مخطوط دار الكتب تحت رقم (١٨٩٠) والجزء الأول منه طبع الهند سنة ١٣٦٠ — ١٣٦١ هـ .

٤٩ — التاريخ الكبير وهو (تهذيب تاريخ ابن عساكر) لعبد القادر بدران طبع دمشق مطبعة روضة الشام ١٣٢٩ .

٥٠ — تاريخ اليعقوبى [٢] لأحمد بن أبى يعقوب طبع النجف ١٣٥٨ هـ .

٥١ — التبصير فى الدين لأبى المظفر السمعانى بتحقيق محمد زاهد الكوثرى طبع الخانجى بالقاهرة ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

---

(١) رجعنا إليه للرد على بعض الشبهات .

(٢) رجعنا إليه للرد على بعض الشبهات .

٥٢ – تحذير الخواص من أكاذيب القصاص لجلال الدين السيوطى طبع مصر : ١٣٥١ هـ .

٥٣ – تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة على سيد المرسلين لعبد الله محمد البشير ظافر : طبع مصر : ١٣٢١ هـ – ١٩٠٣ م .

٥٤ – تدريب الراوى لجلال الدين السيوطى بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف مكتبة القاهرة بمصر الطبعة الأولى ١٣٧٩ هـ – ١٩٥٩ م .

٥٥ – تذكرة الحفاظ لشمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى طبع الهند ١٣٣٣ هـ .

٥٦ – تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر المقدسى طبع مصر ١٣٢٣ هـ .

٥٧ – تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر الهندى (الفتنى)طبع مصر ١٣٤٣ هـ .

٥٨ – ترتيب الثقات لابن حبان : لعلى بن أبى بكر الهيثمى مخطوط دار الكتب المصرية .

٥٩ – تفسير أبى السعود (ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) لأبى السعود محمد بن محمد العمادى . مطبعة محمد على صبيح بالقاهرة .

٦٠ – تفسير الطبرى (جامع البيان من تأويل آى القرآن) لمحمد بن جرير الطبرى بتحقيق ومراجعة محمود وأحمد محمد شاكر دار المعارف بالقاهرة .

٦١ – تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى طبع الهند ١٩٥٢ .

٦٢ – تقييد العلم لأبى بكر أحمد بن على بن ثابت (الخطيب البغدادى) بتحقيق الدكتور يوسف العش دمشق ١٩٤٩ .

٦٣ — تلقيح فهوم أهل الآثار لجمال الدين : ابن الجوزى مخطوط دار الكتب المصرية.

٦٤ — تمييز المرفوع عن الموضوع للملا على القارى مخطوط دار الكتب المصرية.

٦٥ — التنبية والإشراف لأبى الحسن على بن الحسين المسعودى طبع دار الصاوى بالقاهرة ١٣٥٧ هـ — ١٩٣٨ م.

٦٦ — تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لعلى (بن عراق) الكنانى بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف طبع مكتبة القاهرة ١٣٧٨ هـ.

٦٧ — تهذيب التهذيب لشهاب الدين أحمد بن على (بن حجر) العسقلانى الطبعة الأولى بالهند حيدر آباد ١٣٢٥ هـ.

٦٨ — توجيه النظر إلى أصول الأثر للشيخ طاهر الجزائرى مصر : ١٣٢٨ هـ — ١٩١٠ م.

٦٩ — توضيح الأفكار لمعانى تنقيح الأنظار لمحمد بن اسماعيل الأمير الحسنى الصّنعانى تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مكتبة الخانجى بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٦٦ هـ.

٧٠ — الثقات لأبى حاتم بن حبان البستى مخطوط دار الكتب المصرية (٢٠٨ طلعت مصطلح).

٧١ — الثقافة المصرية (مجلة) نشأة تدوين العلم فى الإسلام للدكتور يوسف العش العدد (٣٥٢ و ٣٥٣) السنة السابعة.

٧٢ — جامع بيان العلم وفضله لأبى عمر يوسف بن عبد البر مصر إدارة المطبعة المنيرية.

٧٣ — الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادى مصورة — دار الكتب المصرية .

٧٤ — الجرح والتعديل لعبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى ٨ مجلدات طبع الهند : ١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م .

٧٥ — الجمع بين رجال الصحيحين لمحمد بن طاهر المقدسى طبع الهند ١٣٢٣ هـ .

٧٦ — حاشية لقط الدرر بشرح متن نخبة الفكر لعبد الله بن حسين طبع مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٨ .

٧٧ — الحديث والمحدثون للدكتور محمد محمد أبو زهو مطبعة مصر بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٨ م .

٧٨ — حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطى المطبعة الشرفية سنة ١٣٢٧ هـ .

٧٩ — حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصبهانى طبع مصر : ١٣٥١ هـ — ١٩٣٢ م .

٨٠ — خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادى القاهرة المطبعة المنيرية الطبعة الأولى .

٨١ — خطط المقريزى = المواعظ والاعتبار : لأحمد بن على تقى الدين المقريزى طبع مصر سنة ١٢٧٠ هـ — ١٨٥٣ م .

٨٢ — خلاصة تذهيب تهذيب الكمال لصفى الدين الخزرجى طبع مصر : ١٣٠١ هـ .

٨٣ — دائرة المعارف الإسلامية [١] ترجمة أحمد الشنتناوى وإخوانه .

---

(١) رجعنا إليه للرد على ماجاء فيه من شبهات حول السنة ورواتها .

٨٤ — الرد على الجهمية (رد الدارمى على بشر المريسى) لعثمان بن سعيد الدارمى مطبعة أنصار السنة المحمدية بالقاهرة : ١٣٥٨ هـ .

٨٥ — رسالة فى الرواة الثقات لشمس الدين الذهبى مصر سنة ١٣٢٤ هـ .

٨٦ — الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعى بتحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الأولى ١٣٥٨ هـ — ١٩٤٠ م . مطبعة البابى الحلبى .

٨٧ — الرسالة المستطرفة لمحمد بن جعفر الكتانى طبع بيروت ١٣٣٢ هـ .

٨٨ — رفع الملام عن الأئمة الأعلام : لشيخ الإسلام تقى الدين (ابن تيمية) طبع الهند سنة ١٣١١ هـ .

٨٩ — الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير لشرف الدين الصنعانى طبع مصر ١٣٤٧ هـ .

٩٠ — الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة ليحيى العامرى اليمنى طبع الهند سنة ١٣٠٣ هـ .

٩١ — سبل السلام لمحمد بن اسماعيل الأمير الصنعانى طبع مصر مصطفى البابى الحلبى .

٩٢ — سنن ابن ماجه بحاشية السندى لمحمد بن يزيد بن ماجه القزوينى الطبعة الأولى بالمطبعة العلمية ١٣١٣ هـ .

٩٣ — سنن أبى داود للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى طبع مصر ١٣٦٩ .

٩٤ — سنن الدارمى لأبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٤٩ هـ .

٩٥ — سنن النسائى بحاشية السندى لأبى عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى المطبعة الميمنية ١٣١٢ هـ .

٩٦ — السنن الكبرى لأحمد بن الحسين البيهقى طبع الهند — حيدر آباد .

٩٧ — السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى للدكتور مصطفى السباعى دار العروبة بالقاهرة ١٣٨٠ هـ — ١٩٦١ .

٩٨ — سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبى الجزء (١ و ٢ و ٣) طبع دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٥ — ١٩٦٢ ، وبقية الأجزاء مخطوطة فى دار الكتب المصرية .

٩٩ — سيرة النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الملك بن هشام بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية بالقاهرة ١٣٥٦ هـ — ١٩٣٧ م .

١٠٠ — شذرات الذهب لابن العماد الحنبلى طبع القدسى بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .

١٠١ — شرح الأربعين النووية ليحيى بن شرف الدين النووى الطبعة الثانية شركة الشمرلى بمصر .

١٠٢ — شرح نهج البلاغة لعز الدين أبى حامد الشهير بابن أبى الحديد بتحقيق نور الدين شرف الدين والشيخ محمد خليل الزين بيروت : دار الفكر .

١٠٣ — شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى مخطوط دار الكتب المصرية .

١٠٤ — صحيح البخارى بحاشية السندى لمحمد بن عبد الهادى السندى طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة .

١٠٥ — صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج بتحقيق وتصحيح وتبويب

محمد فؤاد عبد الباقى طبع دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٧٥ ﻫ — ١٩٥٦ م .

١٠٦ — صحيح مسلم بشرح النووى للإمام يحيى بن شرف الدين النووى المطبعة المصرية بالقاهرة ١٣٤٩ ﻫ .

١٠٧ — ضحى الإسلام لأحمد أمين مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة الطبعة الخامسة ١٩٥٦ .

١٠٨ — طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطى طبع غوطا ١٨٣٣ م .

١٠٩ — طبقات علماء أفريقيا لأبى العرب محمد بن أحمد بن تميم التيمى (تحقيق ونشر الشيخ محمد بن أبى شنب) طبع الجزائر سنة ١٣٣٢ ﻫ .

١٠٠ — الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد كاتب الواقدى مطبعة بريل بليدن ١٣٢٢ ﻫ .

١١١ — طبقات المدلسين لشهاب الدين أبى الفضل (بن حجر) العسقلانى طبع مصر : ١٣٢٢ ﻫ .

١١٢ — ظلمات أبى رية لمحمد عبد الرزاق حمزة المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٩ﻫ

١١٣ — العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبدربه بتحقيق محمد سعيد العريان الطبعة الثانية مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٧٢ ﻫ — ١٩٥٣ .

١١٤ — العقيدة والشريعة فى الإسلام [1] لأجناس جولد تسيهر ترجمة : د محمد يوسف موسى ، وعلى حسن عبد القادر ، والأستاذ عبد العزيز عبد الحق ، مطـــــابع دار الكتاب العربى بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٨ ﻫ ١٩٥٩ م .

---

(١) ورجعنا إليه للرد على بعض الشبهات التى أثيرت فيه حول السنة ورواتها .

١١٥ — علم أصول الفقة لعبد الوهاب خلاف مطبعة النصر بالقاهرة الطبعة السابعة ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٦ .
١١٦ — علوم الحديث = مقدمة ابن الصلاح تقي الدين الشهرزوري (ابن الصلاح) طبع مصر ١٣٢٦ هـ .
١١٧ — علوم الحديث ومصطلحه الدكتور صبحي الصالح مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .
١١٨ — العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي بتحقيق محب الدين الخطيب المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧١ هـ .
١١٩ — عيون الأخبار لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٥ م .
١٢٠ — غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين (ابن الجزري) طبع مصر ١٩٣٥ م .
١٢١ — غوطة دمشق لمحمد كرد علي دمشق المجمع العلمي ١٩٥٢ م .
١٢٢ — فتح الباري لشهاب الدين بن الحجر العسقلاني مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٧٨ هـ — ١٩٥٩ م .
١٢٣ — فتح الغفار بشرح المنار (مشكاة الأنوار في أصول المنار) لزين الدين ابن ابراهيم (ابن نجيم الحنفي) مطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م .
١٢٤ — فتح المغيث بشرح ألفية الحديث لعبد الرحيم العراقي طبع بالقاهرة : الطبعة الأولى : ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٧ م .
١٢٥ — فتوح البلدان لأبي الحسن البلاذري مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥٩ م .
١٢٦ — فتوح مصر وأخبارها لعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الله بن عبد الحكم طبع ليدن ١٩٢٠ م .

١٢٧ — فجر الإسلام لأحمد أمين نهضة مصر بالقاهرة الطبعة السابعة : ١٩٥٩ م.

١٢٨ — الفرق بين الحديث القدسي والقرآن والحديث النبوي لنوح بن مصطفى القونوي مخطوط بدار الكتب المصرية .

١٢٩ — الفرق بين الفرق لعبد القاهر بن محمد البغدادي طبع دار المعارف بالقاهرة .

١٣٠ — الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة لمحمد بن علي الشوكاني بتحقيق عبد الرحمن بن يحيي اليماني الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠م.

١٣١ — فواتح الرحموت في شرح مسلم الثبوت لعبد العلي محمد الكنوي طبع بالهند .

١٣٢ — قبول الأخبار ومعرفة الرجال لأبي القاسم عبد الله بن أحمد البلخي مخطوط — دار الكتب المصرية .

١٣٣ — قواعد التحديث لجمال الدين القاسمي طبع بدمشق ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٥م.

١٣٤ — القياس في الشرع الإسلامي لتقي الدين أحمد بن تيمية المطبعة السلفية بالقاهرة : ١٣٧٥ هـ .

١٣٥ — الكامل في التاريخ لعلي بن محمد عز الدين (ابن الأثير) الجزري المطبعة المنيرية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .

١٣٦ — الكامل في معرفة ضعفاء المحدثين وعلل الحديث لأبي أحمد عبد الله ابن عدي الجرجاني مخطوط دار الكتب المصرية ، تحت رقم (٩٥) مصطلح .

١٣٧ — كتاب العلم لزهير بن حرب مخطوط — المكتبة الظاهرية بدمشق .

١٣٨ — كتاب العلم لعبد الغني بن عبد الواحد المقدسي مخطوط — المكتبة الظاهرية بدمشق .

١٣٩ — الكشف الالهى عن شديد الضعف والموضوع والواهى لمحمد بن محمد السندروسى مخطوط — دار الكتب المصرية .

١٤٠ — الكفاية فى علم الرواية للخطيب البغدادى طبع بالهند : ١٣٥٧ هـ .

١٤١ — اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة لجلال الدين السيوطى طبع بمصر ١٣١٧ هـ .

١٤٢ — لسان العرب لأبى الفضل محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الأفريقى الطبعة الأولى ١٣٠٢ هـ .

١٤٣ — لسان الميزان لابن حجر طبع الهند : ١٣٢٩ هـ .

١٤٤ — اللطائف فى دقائق المعارف من علوم الحفاظ الأعارف للحافظ محمد بن أبى بكر الأصبهانى المدنى . مخطوط الظاهرية بدمشق .

١٤٥ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الهيثمى طبع القدسى بالقاهرة ١٣٥٣ هـ .

١٤٦ — مجموعة الوثائق السياسية للدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة : الطبعة الثانية ١٩٥٨ م .

١٤٧ — المحبّر لمحمد بن حبيب طبع بالهند ١٣٦١ هـ — ١٩٤٢ م .

١٤٨ — المحدث الفاصل بين الراوى والواعى للحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزى مخطوط — دار الكتب المصرية .

١٤٩ — مختصر كتاب المؤمل الرد إلى الأمر الأول لأبى القاسم عبد الرحمن ابن اسماعيل (أبو شامة) طبع مصر ضمن مجموعة : ١٣٢٨ هـ .

١٥٠ — المدخل إلى السنة وعلومها الدكتور محمد معروف الدواليبى مطبعة الجامعة السورية بدمشق : ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .

١٥١ — المدخل إلى علم أصول الفقه للدكتور محمد معروف الدواليبي مطبعة الجامعة السورية بدمشق الطبعة الثانية : ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

١٥٢ — المدخل فى أصول الحديث لأبى عبد الله النيسابورى (الحاكم) طبع بإشراف الشيخ راغب الطباخ بحلب .

١٥٣ — المدخل لدراسة القرآن الكريم الدكتور محمد محمد أبو شهبة مطبعة الأزهر بالقاهرة : ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م .

١٥٤ — مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار لابن فضل الله العمرى طبع دار الكتب المصرية .

١٥٥ — المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله النيسابورى (الحاكم) طبع حيدر آباد : ١٣٤١ هـ .

١٥٦ — مسند الإمام أحمد للامام أحمد بن حنبل الشيبانى بتحقيق أحمد محمد شاكر طبع دار المعارف بالقاهرة .

١٥٧ — مسند الإمام الشهيد زيد جمع عبد العزيز البغدادى طبع بالقاهرة : ١٣٤٠ هـ — ١٩٢٠ م .

١٥٨ — مسند عبد الله بن عمرو وصحيفته الصادقة للسيد محمد سيف الدين عليش رسالة ماجستير فى مكتبة كلية دار العلوم .

١٥٩ — مصادر الشعر الجاهلى الدكتور صارم الدين الأسد دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٦ م .

١٦٠ — المصباح المضىء لمحمد بن على الأنصارى مخطوط — مكتبة الأوقاف بحلب .

١٦١ — مصنف ابن أبى شيبة لأبى بكر بن أبى شيبة مخطوط الظاهرية .

١٦٢ — معجم البلدان لياقوت الحموى مطبعة السعادة الطبعة الأولى : ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٦ م .

١٦٣ — معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة مطبعة الترقى بدمشق ١٣٧٦هـ — ١٩٥٧م

١٦٤ — معرفة السنن والآثار لأبى بكر أحمد بن الحسين البيهقى فيلم فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية عن مخطوط بالجامعة الأميريكية فى بيروت.

١٦٥ — المغازى الأولى ومؤلفوها للمستشرق يوسف هورفتس ترجمة حسين نصار طبع مصطفى البابى الحلبى بالقاهرة .

١٦٦ — المقاصد الحسنة لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى بتحقيق عبد الله محمد الصديق مصر ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م .

١٦٧ — مقدمة التمهيد لأبى عمر يوسف بن عبد البر مخطوط : مصورة معهد المخطوطات بالجامعة العربية .

١٦٨ — الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم الشهرستانى بتحقيق محمد بن فتح الله بدران الطبعة الأولى بمصر .

١٦٩ — المنار لأبى عبد الله محمد بن أبى بكر (ابن قيم الجوزية) مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

١٧٠ — المنار (مجلة) بحث للسيد رشيد رضا حول كتابة الحديث .

١٧١ — المنتقى من منهاج الاعتدال لتقى الدين أحمد بن تيمية اختصره الذهبى من منهـــــاج السنة بتحقيق محب الدين الخطيب الطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٧٤ هـ .

١٧٢ — المنهج الحديث فى علوم الحديث الدكتور محمد محمد السماحى مطبعة الأزهر بالقاهرة : ١٣٧٧ — ١٩٥٨ م .

١٧٣ — منهج ذوى النظر لمحمد محفوظ بن عبد الله الترمسى مطبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثالثة : ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

١٧٤ — الموطأ للامام مالك بن أنس تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى طبع مصر عيسى الحلبى ١٣٧٠ هـ.

١٧٥ — ميزان الاعتدال للحافظ شمس الدين الذهبى مطبعة السعادة بالقاهرة الطبعة الأولى ١٣٢٥ هـ.

١٧٦ — النجوم الزاهرة ليوسف بن تغرى بردى مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م.

١٧٧ — نظرة عامة فى تاريخ الفقه الإسلامى الدكتور على حسن عبد القادر مطبعة العلوم بمصر الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٦ م.

١٧٨ — نور اليقين لمحمد الخضرى بك طبع دار الأدب العربى بالقاهرة الطبعة الثانية عشرة: ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م.

١٧٩ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمود (ابن خلكان) مصر المطبعة الميمنية: ١٣١٠ هـ.

١٨٠ — الولاة والقضاة: لأبى عمر محمد بن يوسف الكندى المصرى تحقيق (رفن كست) طبع بيروت سنة ١٩٠٨ م.

* * *

المراجع الأجنبية[١]

Histoire Générale des religions - Paris (VIIe) 1948 _ Quillet.

Shorter Encyclopaedia of Islam by H. A. R. Gill, I. H. Kramer, 1953 London.

(١) رجعنا إليها لنقل آراء بعض المستشرقين والرد عليها.

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع — الصفحة

الباب الثانى

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الباب الثالث

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآية	الرقم والسورة	الصفحة
وأطيعوا الله والرسول . . .	(١٣٢ : آل عمران)	٧٨
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول . .	(٩٢ : المائدة)	٢٤
والذين آمنوا وهاجروا . . .	(٧٤ : الأنفال)	٣٩٨
والذين تبوءوا الدار والإيمان . .	(٩ : الحشر)	٣٩٨
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا . .	(١٠ : الحشر)	٣٩٩
والذين يكنزون الذهب . . .	(٣٤ : التوبة)	٤١
والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار .	(١٠٠ : التوبة)	٣٩٨
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما . .	(٣٨ : المائدة)	٣٦
والنجم إذا هوى	(١ : النجم)	١٩٨
وأما بنعمة ربك فحدث . . .	(١١ : الضحى)	٢٠
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . .	(٩ : الحجرات)	٤٠٤
وأنذر عشيرتك الأقربين . . .	(٢١٤ : الشعراء)	٩
وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة .	(١١٣ : النساء)	٣٤
وإنك لعلى خلق عظيم . . .	(٤ : القلم)	٣٤
وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون .	(٤٤ : الزخرف)	١٣
وجنة عرضها كعرض السماء والأرض .	(٢١ : الحديد)	٤٦٥
وداعياً إلى الله بإذنه . . .	(٤٦ : الأحزاب)	٩
وقل رب زدني علما . . .	(١١٤ : طه)	٣٦
وكذلك جعلناكم أمة وسطاً . .	(١٤٣ : البقرة)	٤٠١
وما آتاكم الرسول فخذوه . . .	(٧ : الحشر)	٢٤ ، ٧٧
(لا)		
لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . .	(٢٩ : النساء)	٣٦

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
اكتب فو الذى نفسى بيده	٣٠٤ ،
اكتبوا لأبى شاه	٣٠٥ ،
اكتبو ولا حرج	٣٠٤ ،
ألا تعلمين هذه رقية النملة	٣٠٠ ،
ألا هل بلغت ؟	٧٣ ،
العالم والمتعلم شريكان فى الأجر	٤٢ ،
العلماء ورثة الأنبياء	٤٢ ،
ابنى هذا سيد ولعلّ الله أن يصلح به	٤٠٤
اجمعها فصرها إليك	٤٢١ ،
ألاّ أخبرتيها ؟ !	٦٤
ألا تسألنى من هذه الغنائم التى يسألنى أصحابك	٤٢١ ،
الله الله فى أصحابى	٤٠١
اللهم الهمهُ الحكمة	٤٧٦،٣٥٢
اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع	٣٩
أما هذا فلو خشع قلبه لخشعت جوارحه	٣٧٢ ،
أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله	٨١ ،
أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بأن تحل	٤٢١ ،
الناس معادن	٣٧ ،
النجوم أمنة للسماء	٤٠١
إنّ أشد الناس عذابًا	٦١

الحديث | الصفحة

الحديث — الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث	الصفحة

الحديث — الصفحة

(لا)

(ى)

الحديث	الصفحة

فهرس الأحاديث الموضوعة

الحديث	الصفحة

الحديث | الصفحة

الحديث	الصفحة

(ى)

فهرس البلدان والأماكن والمشاهد والغزوات

فهرس الكتب المعرف بها

اسم الكتاب والمؤلف	الصفحة
(تاريخ بغداد) للخطيب البغدادى	٢٦٧
(تاريخ دمشق) لعلى بن الحسين (ابن عساكر)	٢٦٨
(تاريخ الرواة) ليحيى بن معين	٢٦٥
(تاريخ الضعفاء والمتروكين) لأحمد بن على النسائى . . .	٢٨٢
(تاريخ) فى الثقات والضعفاء لأحمد بن أبى خيثمة النسائى . .	٢٨٢
(تاريخ نيسابور) لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابورى . . .	٢٦٧
(تجريد أسماء الصحابة) لمحمد بن أحمد الذهبى	٢٦٢
(تحذير المسلمين من الأحاديث الموضوعة) لمحمد البشير ظافر .	٢٨٩
(تحفة ذوى الأرب فى مشكل الأسماء والنسب) لابن خطيب الدهشة	٢٧٨
(تذكرة الموضوعات) لمحمد بن طاهر الفتنى	٢٨٩
(تذكرة الموضوعات) لمحمد بن طاهر المقدسى	٢٨٧
(تذهيب تهذيب الكمال) لمحمد بن أحمد الذهبى . . .	٢٧١
(تكملة المؤتلف والمختلف) للخطيب البغدادى	٢٧٧
(تلخيص المتشابه فى الرسم فى أسماء الرواة) للخطيب البغدادى .	٢٧٧
(تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة) لابن عراق الكنانى	٢٨٨
(تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلانى	٢٧٢
(تهذيب الكمال فى أسماء الرجال) لجمال الدين المزى . .	٢٧٠
(التاريخ) لأحمد بن حنبل	٢٦٥
(التاريخ) لخليفة بن خياط الشيبانى العصفرى . . .	٢٦٥

اسم الكتاب والمؤلف	الصفحة
(التاريخ الكبير) لأبي عمر أحمد بن سعيد بن حزم . . .	٢٦٦
(التاريخ الكبير) لمحمد بن اسماعيل البخارى	٢٦٥
(التبيين لأسماء المدلسين) لسبط ابن العجمى	٢٨٦
(التذكرة برجال العشرة) لمحمد بن على الحسينى الدمشقى . .	٢٧٢
(التذكرة فى الأحاديث المشتهرة) لبدر الدين الزركشى . .	٢٩٠
(التدوين فى ذكر أخبار قزوين) لعبد الكريم القزوينى . .	٢٦٩
(التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد) لابن نقطه . . .	٢٧٠
(الثقات) لأبى حاتم بن حبان البستى	٢٨٤
(الثقات ممن لم يقع فى الكتب الستة) لقاسم بن قطلوبغا . .	٢٨٦
(جامع الأصول لأحاديث الرسول) لمجد الدين (ابن الأثير) . .	٢٦٩
(الجرح والتعديل) لإبراهيم بن يعقوب الجوزجانى . . .	٢٨٢
(الجرح والتعديل) لأحمد بن حنبل	٢٨١
(الجرح والتعديل) لعبد الرحمن بن أبى حاتم	٢٨٢
(الجمع بين رجال الصحيحين) لمحمد بن طاهر المقدسى . .	٢٦٨
(در السحابة فى من دخل مصر من الصحابة) للسيوطى . .	٢٦٣
(الرياض المستطابة فى جملة من روى فى الصحيحين من الصحابة)	
ليحيى العامرى	٢٦٣
(السابق واللاحق فى تباعد مابين وفاة الراويين عن شيخ واحد)	
للخطيب البغدادى	٢٦٧
(الضعفاء) لمحمد بن اسماعيل البخارى	٢٨٢

اسم الكتاب والمؤلف	الصفحة
(اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) للسيوطى . .	٢٨٨
(اللآلىء المنثورة فى الأحاديث المشهورة) لابن حجر العسقلانى	٢٩٠
(اللباب) لعلى بن محمد الشيبانى الجزرى . . .	٢٨٠
(ما اتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم غير أن فى بعضه زيادة حرف واحد) للخطيب البغدادى	٢٧٩
(معرفة من نزل من الصحابة سائر البلدان) لعلى بن عبد الله المدينى	٢٦١
(ميزان الاعتدال) للذهبى	٢٨٦
(المؤتلف والمختلف فى أسماء نقلة الحديث) لعبد الغنى الأسدى .	٢٧٧
(المدخل) للحاكم محمد بن عبد الله النيسابورى . . .	٢٨٥
(المستدرك على الاكمال لابن ماكولا) لابن نقطة . . .	٢٧٨
(المشتبه فى أسماء الرجال) للذهبى	٢٧٨
(المشتبه فى النسبة) لعبد الغنى الأسدى	٢٧٧
(المعجم) فى تاريخ المحدثين لعبد الكريم السمعانى . .	٢٦٩
(المغنى عن الحفظ والكتاب بقولهم لم يصح شىء فى هذا الباب) لعمر الموصلى	٢٨٨
(المقاصد الحسنة فى بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة) للسخاوى	٢٩٠
(الموضوعات الكبرى) لعبد الرحمن بن الجوزى . .	٢٧٨
(الموضوعات فى الأحاديث المرفوعات) للحسين بن ابراهيم الجوزقى	٢٨٧
(نزهة الألباب فى الألقاب) لابن حجر العسقلانى . .	٢٧٩
(نسبة المحدثين إلى الآباء والبلدان) لمحمد بن محمود (ابن النجار)	٢٨٠
(الهداية والإرشاد فى معرفة أهل الثقة والسداد) للكلاباذى .	٢٦٦

فهرس الأعلام

فهرس الأسماء

(ب)

(ح)

(خ)

(ل)

(م)

فهرس الكنى

من أسماء الرجال

الكنى من أسماء النساء

من نسب إلى أبيه أو جده

فهرس الفهارس

رقم الايداع بدار الكتب ٣٤٥٩ / ٨٨

الترقيم الدولى ٥ـ١٣٧ـ٣٠٧ـ٩٧٧